

محمد المختار السوسي

المعسول

١٠

المغرب

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا

محمد وآله وصحبه

تمـــــام

بقية الفصل الاول

من

القسم الرابــع

وهو المختص بالاخذين
من المدرسـة الالـغيــة

المذكورون
فى الجزء اجمالا

الافرانيون

البوزاكاريون

التاكانتيون

الايكيسليون

الركائبيون

البعمرانيون

الساحليون

اسماء المذكورين في الجزء تفصيلا

الاديب الكبير سيدي محمد بن الحاج الافراني
الفقيه سيدي الحسن بن الحاج الافراني
الاديب سيدي البشير الناصري الافراني
الاديب سيدي الطاهر الناصري الافراني
العلامة سيدي احمد بن صالح التاوريري الافراني
الفقيه سيدي احمد بن صالح الشاكوكي الافراني
الفقيه سيدي عبد النعيم التيموساني الافراني
الفقيه سيد الحسين التيمولاءي الافراني
الفقيه سيدي احمد بن محمد النيمولاءي الافراني
الاديب الكبير مولاي عبد الرحمن البوزاكارني
سيدي محمد المقدم التاكانتي السلامي
سيدي محمد بن احمد التاكانتي السلامي
سيدي محمد بن علي التاكانتي السلامي
سيدي محمد بن عبد الله أوبلوش التاكانتي
سيدي عمر بن عبد الله أوبلوش التاكانتي
سيدي مبارك الايكيسلي
سيدي الطيب الركائبي
الاديب سيدي محمد بن الحسين بوكرع البعمراني
القاضي سيدي عبد الله بن الحسين الموساكناوي البعمراني
القاضي سيدي محمد بن عبد الله أوبلوش البعمراني
سيدي الحسن بن عبد الله أوبلوش البعمراني
الاديب الاستاذ سيدي احمد بن زكرياء التادرارتي البعمراني
الاديب سيدي احمد بيشوارين الساحلي

سيدى محمد ـ فتحا ـ بن الحاج الافرانى

نحو : 1289 هـ. = رجب 1346 هـ.

من اكابر الادباء المتضلعين المشاركين فى سائر الفنون لغة ونحوا وبيانا وتاريخا وفقها ونوازل وما الى ذلك .

واما الادب فانه ميدانه الذى يخب فيه ويضع ترسلا وقرضا ، وهو احد مفاخر المدرسة (الالغية) واحد افرادها الذين رفعوا آدابها الحية ، فيسيرون بها فى انحاء سوس ، فيكونون فى كل مكان مثالا حيا للادب الرائع ، وللتمكن فى فنون العربية ، وللمشاركة الحقيقية التى تجمع كل الفنون فى قرن .

مآخذه

لم اعرف الآن أنه أخذ الى أن شدا ، عن غير الاساتذة الالغيين ابى الحسن ، والتاجارمونتي ، وقد كان فى سنة : 1312 هـ. قد فاق الاقران وبرز الى الميدان ، فاصبح فى المدرسة من المعينين لاستاذها فى الطبقات ، على ما هى عليه العادة ، وقد اخبرنى شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالغى انه كان ممن يتعلم فى طبقة تحت يده فى السنة المذكورة او حواليها ، وسمعت أيضا أنه كان معنيا اذ ذاك بقضاء حاجات الاستاذ ابى الحسن ، مسرعا الى مزاولة الشؤون التى ينتدب اليها طلبة المدرسة ، فى اعمال البناء والحصاد وما اليهما ، وذلك مما يدل على حرصه على أن يجبر خاطر أستاذه ، ومن المجرب عندهم اذ ذاك أن كل من يخدم أساتذته ، ويحسن فيهم الظن ، مع اعتنائه بالاخذ ، فانه سرعان ما يتفوق ، وسواء اطرد ذلك أو لم يطرد ، فان هذا الاديب صدق فيه هذا النظر ، ففاز باعظم وطر ربض عليه

أساتذته

اما الذين ربض بين ايديهم واستجازهم فهم هؤلاء

1) ابو الحسن الالغى ، وقد استجازه بعدما فارقه بسنين ، وذلك فى المحرم سنة : 1326 هـ. بقوله :

يــا كامل الامداد والامداد يــا اصــفى المــوارد للظماء الــورد
يا من أممت له بحسن الظن يــا كنز الغنى يــا غنيــة المسترفد
أفديــك من شيخ عطوف سيــد رحب الذرى جم السماحة أصيد
غمر الردا بحر الجدا بدر الهدى نجم اهتــدا فاستهدينه تهتــد
ماضي العزيمة في نبــاهة همــة سهل العريكة في شهامة صندد(1)
سيف حسام لا تخون شبــاته أبــرق به في النائبات وأرعــد
حبر شهــير في اصالة ســؤدد ومن الاصول يســود كل مسود
قــل للمنقب طالبــا ركن الهدى هذا ابن عبد الله حسبك فاهتد
واسم سوام الصدق روض جنابه واتعب تجد وانهض بجد تسعد
واستنجدن رب البريــة وحــده في ظــله الممدود فوقك تنجــد
وعليه عمــرك فاعتمد واليه دهـــــرك فاستنــد وبهديــه فلتهتــد
فبقدر متبوع الفتى هدى الفتى وبقدر وجهتــه منــال المقصد
هــذا وليس يــد اقدمهــا يــدى نجــواى غير تفضل من سيدى
والعبد من مولاه راج نجح مــا يبغى من اذن فى الفنون ليقتدى
من سائــر المقرو والمــروى والا نشاد والانشا القــوى المسنــد
بالمنهج المعروف عند ذوى النهى وبشرطــه المشروط عند القصــد
مثــل الذى لك عن شيوخ جــلة غــر جــهــابــذة كــرام رشــد
قــد قيل ان لذاك سرا بــيــنــا يجلو بــرب بصــيرة مسترشد
فهو السلاح لدى البراز كما روى شيخ الشيوخ وتاج هام العبد
رب المعالى(الكوهن) الفاسى عـــبــــــد القادر الارضى الشهير السؤدد
حاشا لفضلك ان اخيب وان لى ظــنــا جميلا عند ذاك المشهــد
هذا وان أنا (2) لم اكن أهلا لذا فلأنــت أهــل للامــانى الخــرد
(وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم) سيــفى لقمــع اللامــز المستهند

❀ ❀ ❀

مولاى دونك مــا أبان صريحــه ومجــازه حجبــا لوجــه المقصد
واقبل ــأركن المجــد عذر فريدة عذراء قد نظمت نظــام العسجد
توفيك عنى بعض حــق واجــب لكمــال مجد فى الفخار الاوطــد

الجـــــواب

منى على السامى السنى الاصعد بحــر العلوم اليفرنى الاسعــد
بدر الهداية فى سمــاء مجــادة رحب الذرى صدر الورى فى المشهد

(1) الصندد السيد الشجاع والصنديد كذلك

(2) جاز حذف مد أنا كما قال المعري

« الا في سبيل المجد ما أنا فاعل »

من فارق الاوطان سعيا فى قضا — اوطـار عـز فضلهـا لم يجحد
يـرقى مقامات الكمال ومـا ونى — حتى استنار ببرج سعد الاسعد
ازكى سـلام طيب تـبـقى لـه — نفحات مسكته بـقـاء الفرقـد
هـذا وان العبـد ليس لما بـه — حليت أهـلا من شفوف المقعـد
حـطـت لـه اقـذاره اقـداره — وزرت به أوزاره وسط النـدى
كسرتـه بـاء بـطـالة انى لـه — رفـع بفعل فى التقى لم يوجـد
لكن لحسن الظـن منك رأيـتـه — بـابـا ومنهاجـا لنيـل المقصد
وطلبت كتب اجازة قـد أطلقت — منهـا حقيقتها مـجـاز المسنـد
تروى بها عن جـلة من شيخـه — غـر يروى عذبها القلب الصدى
وذكرت أن لذاك سرا بـيـنـا — ما كان يخفى عن بصيرة مهتدى
فاجزتك المـقـرو والمـروى عن — أشياخـنـا الاعـلام للمسترشد

الى آخرهـا ، والباقى فى ترجمة سيدى الحاج مسعود المتقدمة فى (القسم الثانى) من (الكتاب) وذلك فى (الجزء الثالث) المتقدم .

2) سيدى بلقاسم التاجارمونتى

وقد رأيت ترجمته فى (الجزء ، قبل هذا مستوفاة .

3) ـ ثم بعد ذلك زار حضرة شيخ الاسلام اذ ذاك وهو العلامة الجليل شيخ العصر : سيدى محمد بن العربى الادوزى ، فاستجازه فأجازه ، ونص مـا استجازه به :

أعـالم العصر دون من يـدانيه — وبرزخ العلم دون من يـنـاغيه
ونـيرا فى سماء المجـد ليس له — بصقع سوس مشابـه يـوازيه
أتى اليك نزيـل يستجيزك فى — علم الرسوم الذى دهـرا يعانيه
قصد انخراط بسمط من سعى فى — سبيل خدمة العلم قصدا انا ناويه
لازلت دهرك فى سعد وفى سعة — ودام صيتك فى زيـد وتنـويه

الجـواب

لنية المستجيز الصالح الحال قد — اجزتـه لا لأنى العـلم حـاويه
اجـازة كالتى عن الشيوخ لنـا — مما لنا الاذن فى شىء نـعـانيه
فكن بها زارعـا علما بتربة من — يقصد بالحرث وجه الله باريـه
أعتـد هنالك (لا ادرى) بمجهلة — ادنى التعاطى بها يتيـه قاصيـه
وسر بريـح تثبت بأمـواج اشــــكال لترسى ببر رشد قاضيه (1)
وادع لـنـا بوقـوت نفحاتـكم — برحمـة وصلاح مـا نـعـاطيه

ولا احسب المترجم اخذ عن ابن العربى شيئا غير الاجازة ، ثم بعد ذلك كله ارسى سفينته عند الشيخ الهمام

---

(1) كـذا .

4) ـ سيدى الحاج احمد الجشتيمى ، فلازمه زمنا ياخذ عنه الفوائد وكل ما تيسر ، وأحسبه أخذ عنه أيضا من شتى فنون ، زيادة عن فوائد المجالسة فى الازمنة التى لازمه فيها وسترى (الايكرارى) مصرحا بذلك وكان المترجم يهتبل بذكره دائما ، وسترى رسائل يكتبها اليه ادبية ، فيها نفس عال ، تدل على مكانته عنده ، وقد علمنا انه هو الذى يقف معه فى مشارطاته بجاهه الممدود عند الناس

هؤلاء الاربعة هم الذين عرفناهم أخذ عنهم الاستاذ ، ولا نحسبه اخذ فى الحواضر التى كان يزورها عن غيرهم

مشارطاته

اول ما أعرف أن الاستاذ شارط فيه هو مدرسة (أيمور) فيما اخبرنى به من لعله ثقة ، وذكر أن ذلك كان حوالى : 1314 هـ. ثم علمت ايضا انه شارط فى (التازروالتية) كما شارط ايضا فى (التومليلينية) سنة 1324 هـ. وفى (التيييوتية) بعد ذلك ، وفى مدرسة (أمسرا) وفى مدرسة (تانكرت) وفى مدرسة (سيدى على بن سعيد) الاخصاصية 1331 هـ. وفى مدرسة قصبة (اولوز) ولم يكن رحمه الله يستقر به القرار ، لضيق صدره ، فلا يكاد يطلع فجر تدريسه بنهار مشرق ، مع أنه علامة فهم ذرب ، غير ان السعد ابى أن يطاوعه فى نشر علمه ، كما طاوعه فى تعلمه .

وقد علمنا أناسا أخذوا عنه ، منهم الاديب سيدى احمد بن الحاج محمد اليزيدى ، فقد أخذ عنه شيئا فى (التومليلينية) والفقيه سيدى على بن ابراهيم العلوى الاخصاصى النجيب الاديب ، وسيدى محمد ـ فتحا ـ الماسناتى التملى ، والاديب سيدى محمد ـ فتحا ـ بن محمد الكثيرى ، وولده الاتى ، وهناك كثيرون أمثال هؤلاء لا نستحضرهم الآن

تقلباته في الحياة

لمحت من عبارة مما تقدم أن هذا الاديب ، ممن تحوم حوله حرفة الادب ، فيزور عنه وجه السعد ، ويتابى أن ينقاد له المجد ، فبعد ان افتتح عهده بالتدريس فى المدارس ، بدا له فصار يتنقل بين المناهل ، فتارة عند العلماء وتارة عند الرؤساء ، فيوما هنا ويوما هناك ، لا يستقر على حال ، وقد يقصد من زيارته الابواب لبعض القواد الكبار : أن يجد متسعا للورود ، ولكنه لا يحظى من مراده بمورود ، الا بمقدار ما يتلوق ، ثم يترنق الماء امامه ، وقد عبر عن ذلك فى هذه الابيات :

العيش عيش الآمن المجدود — لا عيش كل منغص مكدود
فيم الحياة اذا الحياة كانها — اسف الى أسف على المنكود
موت ولا نظر الى من يرتجى — منه ارتشاح انائه بالجود

وقد يندم احيانا على طروق الابواب عند هؤلاء الرؤساء ، وتركه للانفة العلمية مع القناعة ، فيقول مثل هذه القطعة التي صدرت عنه في حضرة الكنتافي ، وقد راى منه وممن حوله جفوة ، بعدما كان لا يرى منه الا صحوا يقطر بشاشة

يا للرجال لما يلاقيه فتى	اسودت الايام في أبصاره (1)
ما قال اني قد ظفرت بهادىء	حتى يراه يهب في اعصاره
فاذا امير كان يوما معرضا	عمن يكون لديه في أمصاره
فالناس كلهم له تبع فلا	احد يكون لذاك من أنصاره
هذا جزاء أخي علوم ملها	فيسومها الاغماض من ابصاره (2)
لو كان زاولها قنوعا كان في	عز يسود به على أعصاره
فالرزق قدر ، ما الذي يقضيه من	ترجو معونته لدى اهصاره ؟ (3)

كذلك يرجع على نفسه باللائمة أحيانا ، فيميل على سبابته عضا ، وعلى سنه قرعا ، فيتمنى لو لم يفارق ما كان تصدى له أولا ، ولكنه سرعان ما ينسى هذا الندم يوم يبتسم له الدهر ثانيا ، فاذا به من الغرقين في الاغتباط

وتلك الجفوة المذكورة من الكنتافي ، لعل سببها أنه كان معه مرة في أحد الزحوف من تزنيت الى الجبال ، ولعل ذلك في المعركة الاولى في (ايت وادريم) فلما جال الناس جولة أثناء المعمعة ، طار باجنحة القطا الى (تزنيت) ناثا لاخبار الهزيمة ، وهو يظن أن كل من معه طاروا مثله ، فانكشف أن ذلك ، انما وقع منه وحده ، لتسرعه بالنكوص ، وأما كل من مع الكنتافي ، فقد ثبتوا بعدما جالوا تلك الجولة ، لعل ذلك هو الذي حمل الكنتافي حتى أعرض عنه ، فأعرضت عنه كل حاشيته بطبيعة الحال ، فانتبذ شاعرنا حيث ينسج هذه القطعة ، التي يودعها زفرته المحرقة ، وندامته ندامة (الكسعي)

كان يزور القائد الكنتافي كثيرا ، ومحمد بن ابراهيم التيبيوتي ، وله في جانبهما قصائد ، وسياتي بعضها ، وفي نحو : 1332 هـ. زار الحمراء ، وأحسبه وصل الى فاس ، واذ ذاك اتصل ببعض علماء الحواضر ، فقرظ له كتابا له في التاريخ ، وهذا العالم هو ابن الموقت الشهير

كان يسكن في (تانكرت) بافران ، وقد تزوج بامرأة على يد الاستاذ ابي العباس الجشتيمي ، فتاكدت بذلك الاواصر بينهما زيادة على الاخذ ،

---

(1) جمع بصر

(2) مصدر أبصر

(3) يقال: هصر الغصن : اماله او كسره من غير بينونة ، وليس فيه اهصر رباعيا فيما اطلعنا عليه من كتب اللغة .

واحسب أن ذلك هو السبب حتى اتصل ما بينه وبين رؤساء (تيبيوت) ، براس الوادى حيث يقضى أزمانا ، وهؤلاء الرؤساء صاغية للجشتيميين

كنت يوما فى احدى سنوات 1332 هـ. 1336 هـ. استدعيت الاستاذ الى بيتى فى المدرسة (التانكرتية) وقد كنت اذ ذاك هناك مجاورا للاخذ عن الاساتذة سيدى الطاهر وابنه سيدى محمد بن الطاهر ، وذلك بمناسبة زيارة له للمدرسة ، فتلوت عليه شيئا من (معاهد التنصيص) فى ترجمة ابن العميد ، فكان لطيفا فى تفسيره للغامضات من كلمات اللغة ، وبعد ذلك زرته فى داره مع الاديب عبد الرحمن (البوزاكارنى) فهاتان المرتان اللتان حظيت برؤيته فيهما فقط اذ ذاك ، وكان منبسطا فكهيا ، تتخلل المداعبة مسالك روحه فى مجالس أودائه ، وهذا بنفسه ما رايته منه اذ ذاك ، وكان يعير من كتبه آنذاك لمن يتوقف على مطالعتها ، وكانت له مكتبة زاخرة

كما كان لا يستقر فى مكان لكثرة تنقلاته ، كذلك لا يستقر حاله فى ذات اليد ، حينا يرتاش وحينا يحص (1) فتخلو جناحاه من كل ريشة ، وقد باع مرة حتى كتبه

قالت وابدت صفحة	كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر وهى ا	خرما يباع من المتاع
فاجبتها ويدى على	كبدى وهمت بانصداع
لا تعجبى مما رأيت	فنحن فى زمن الضياع

وهذا هو السبب حتى كان يالف فى راس الوادى اكثر من بلده ، لان الرزق هناك عليه أدر ، واحترام امثاله أكثر والعاقل لا يالف الا تحت الظل الظليل .

كان حينا كاتبا عند القائد سعيد بن محمد ـ فتحا ـ المجاطى ، وقد رايت بطاقات بخطه اذ ذاك ، وكان خطه خط ابن مقلة ، فاستنكفت له ان يكون ذلك الخط فى غير المعالى ، ولكن ما العمل ؟ ولو خير كل اديب مثل سيدى محمد بن الحاج لاختار ، ولكن جفت الاقلام ، وطويت الصحف بما كان وما يكون ولم يمكن الا الانقياد للواقع

وانكد الناس عيشا من تكون له نفس الملوك وحالات المساكين

بعض آثاره

قد كنا تتبعنا كل ما عنده من القوافى والرسائل قبل اليوم ، فلنسق الآن كل ما اخترناه مما تيسر لنا ، كيفما كان ، لان آثاره تجمع الغث والسمين ، والرخيص والثمين ، وحين كنا نحن الآن فى جلوة حياته ومقدرته ،

(1) حص الشعر : انحسر وزال

كما هى من غير اغماض فلنلق بين يدى القارىء كل ما كان عندنا كيفما كان ، ما دام يصلح أن يقرأ فحوصلة المؤرخ لوسع من فيافى بنى اسد

من آثاره فى النثر ما كتبه مراجعا لمن استدعاه من الالفيين يعتذر

«سلام على تلك النسمة الكريمة ، والرتبة المكينة ، الاديب الذى له من حسن الاخلاق ، ما يجذب مودتى بالاطواق سيدى (فلان) ،

هذا وقد بلغنى كتابك الكريم ، فتعرفت فيه معنى ما قيل

لست عن ود صديقى سائلا غير قلبى فهو يدرى وده
فكما أعلم ما عندى له فكذا أعلم ما لى عنده

لكن صادفنى ما لا يخلو منه هذا الدهر الشديد المضايق ، من كثرة العوائق :

اهم بامر الحزم لو استطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

والآن ، فلا تعتب على احد من الاخوان ، وذلك هو اللائق فى هذا الزمان

ثم كتب اليه ايضا يجيبه عن كتاب فيه شعر يدل على أنه لم يعذره

«احيى جناب المولى الاعلم ، المفرد العلم ، من ارضعته ثدى الاداب ، فكانت مودته مما يدخل كل قلب بلا اذن ولا حجاب ، ازكى التحايا وأنماها ، واعلاها واسماها ، لا زالت عوارف (1) المعارف عليه منهلة ، وذيول مجده من بحار المكارم مبتلة

هذا وقد ورد على العبد كتابك الخطير ، وروض خطابك المطير ، فحل منى بالمحل المكين ، وتأكدت به اسباب الود بالقوة والتمكين ، وأرانى كيف انقياد القوافى فى زمام البيان ، وسمعا وطوعا لذلك البنان ، لا جرم انه اقتضانى خالص ود ، وصحيح عهد ، ولم يلتفت منى الى معذرة ، وان كانت مقبولة ، ولم يكلفنى الى ما فى الوسع من المقدرة ، وان كان لا ينكر فى حال التكليف قبوله فان كان الذى رسخ فى النفوس ، من الود المصون المحروس ، لا يخشى عليه من تسلط الطموس والدروس ، فنحن فى غنى عن تكلفات الاعذار ، فى حالى الايراد والاصدار ، وطالما صممت على التغافل عن الجواب ، وهو الاولى بالصواب ، اذ ليس بلبيب من يقيس الشبر بالذراع ، والجبان بالشجاع ، وكيف لا وكل من تكلف فوق طاقته ، افتضح لساعته ، لكن عدم الامتثال محذور ، والملجأ الى ما لا يطاق معذور ، فتكلفت ما يعرض عليك من الفقرات ، استقالة للعثرات ، على أن التخلف ليس لشىء ــ علم الله ــ آثرته على لقياكم ، والتعطر برياكم ، ولكن قضاء الدهر الذى لا يرد عن مراده ، ولا يصادر عن اصداره وايراده ، ولله فى خلقه امر لا تدرك العقول حكمته ، وهو الذى ينزل الغيث وينشر رحمته ، وما جلبته فى صدر كتابك الكريم من التنويه بحال ذكرى ، واستدعاء لسان حالك شيئا من نظمى ونثرى ، فاعلم أننى ممن زجر عن هذه الصناعة طبعه ،

---

(1) العارفة : المعروف :

لانها كما قيل كالياسمين لا يساوى جمعه (1) ولسان التقصير ، كما قيل قصير ، لا سيما والبلاغة سوار ليست تعزك (2) عليه يد ، ورداء الفصاحة منك مستعار والعوارى تسترد ، وللبيان مـاء لا يجرى فى غير ناديـك ، وينبوعه لا يتدفق الا من اياديك .

ولــو صورت نفسك لم تزدهــا   على مــا فيك من كــرم الطباع

كتب اليك بذلك اخــوك خاطبا لعقائل ودادك ، وجالبا لكؤوس المؤانسة على فؤادك

وكتب الى شيخه احمد الجيشتيمى

نــوافــج المســك اذا فتحــت   فاراتــهــا فى بيت عــطــار (3)
أم روضة دبــت اليهــا الصبــا   تخلــس منهــا نــفــح أسحــار
أم ذكريــات طــيــب خــلــقــه   جــمــع من أريــج أزهــار (4)
نــذكــره فننشق العــطــر من   أردانــنــا من بــين أزراره (5)

انه كتاب ولد تربى برسل علمكم النفاع ، لا يرى غير قبلتكم فى صلواته فيستقبلكم بقلب خشاع ، فبنوركم يهتدى ان كان فى الرباع ، ويعشو (6) اليه فى اسفاره كنار يقلها اليفاع (7) آويتموه فأوى الى كنف القعقاع (8) ، وأجزلتم له فطال له بجزيلكم الباع ، فرايكم لديه هو المطاع ، ورد القلب عن هواه الذى خامره غير مستطاع (9) فانه هو المملى كل مـا يفيض بـه اللسان واليراع

اما بعد : فقد وصلنا (تانكرت) فراينا الاهل ، ولكن ارتطمنا ثـانيا

---

(1) صدق والله ولا يزال الكساد مستوليا على سوق الادب .

(2) تعزك تغلبك .

(3) على حذف همزة الاستفهام، وفارة المسك : جلدته التي يتكون منها

(4) يعني أم ذكريات سيد طيب، خلقه الخ. مبتدأ.

(5) الردن اصل الكم

(6) يعشو يميل.

(7) اليفاع المرتفع من الارض

(8) القعقاع بن شور ، قيل فيه

وكنت جليس قعقاع بن شور   ولا يشقى لقعقاع جليـس
ضحوك السن ان نطقوا بخير   وعند الشـر مطراق عـبوس

(9) خـامره : خالطه ؟

في الجهل (1) فاين ذلك العلم الممتنع السهل ، الذى كنا فيه قبل ونتنجع منه مساقط الوبل ، فقد ارتحلنا عنكم غير راضين ، غير اننا كنا لايدى الدهر المنغص مسلسين ، وفى تصريفه ماضين ، فانتشبنا بين اشغال شاغلة ، وهموم واغلة ، فكاننا لم نكن قبل اليوم فى حضرة بين هاتيك المعارف النضرة ، والافهام المستحضرة ، فكان القدر غيظ مما نحن فيه ، فغيض عنا ذلك الموج بطواميه (2)

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بان نغص فقال الدهر آمينا (3)

ثم اننى أنهى الى شيخى الذى به ريشت أجنحتى ، ووفرت (4) قادمتى وخافيتى ، ان الاحوال فيما وراء ما فى الفؤاد ، من الم البعاد ، على خير كثير وثير (5) وقد وجدت الاهل من العيش الرخى على فراش وثير (6) وخصوصا منذ عرفوا اننى نزيل بنى المهلب (7) واننى حالة غيبتى عنهم فى امن من الدهر وان الب (8) .

تسترت من دهرى بظل جنابه فعينى ترى دهرى وليس يرانى (9)

وقد صادفنا هنا مطرا غزيرا ، وخصبا عميما كثيرا ، فقد ازينت الارض وماست فى غلائلها ، وتوشحت باوشحة الزهور وتكللت باكاليلها ، فلا تسل عما يخامر القلوب من النعمة التى وكفت (10) من مكسو غير مسلوب ، وهذا مصداق ما كان شيخنا (11) انشدناه يوما

---

(1) ارتطم انتشب في الوحل

(2) طما البحر تموج.

(3) من نونية ابن زيدون.

(4) وفر ككرم ووعد كثر.

(5) كثير وثير اتباع، كحسن بسن

(6) وثير هنا بمعنى وطيء

(7) قال

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الاوطان في زمن المحل
فما زال بي إحسانهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم أهلي

(8) الب جمع

(9) بيت لابي نواس في الامين:

(10) وكف قطر.

(11) يعني المخاطب.

ان هـذا الربـيـع شيء عجيب تضحك الارض من بكاء السماء
ذهـب حيثـمـا ذهـبـنـا ودر حيـث درنـا وفضة فى فضـاء

وقد اخبرت سيدى بهذا ، لانني رأيته يبتهج بعموم الخير ، وهطول القطر ، لينتعش الانام ، ويعيشوا في بلهنية (1) عيش في السلام

واسلم على الاولاد الافلاذ ، ومن له بذلك المعقل الملاذ ، طالبا لنفسي قسطي من الدعا ، فمن تخلف عن الحج بعذر ، فكأنه لبى وطاف وسعى (2)
والسلام على الشيخ اولا وآخرا

وكتب اليه ايضا

اما بعد فقد وصلت هذا الانسان ، وتلقتني منه اليدان ، فوالى من الاحسان ما يكل عن وصفه البيان ، وساتولى الوصف متى رجعت باللسان :

اذا انت لا ترضى الضيوف فربما يكون اتصاف المرء بالبخل اليقا

وكتب اليه ايضا ، ولعله يوم فارق مدرسة (توملیلین)

اما بعد فقد عولت على ان اقوض الخيام (3) من عند هؤلاء الاقوام ، بعدما صار صيبهم الى الجهام (4) وصارم ناصحهم الى الكهام (5) ، فلا خير في عيش يتمصصه الابي من بين اشداق الملتهمين ، ولافي حياة قنوع غير جسور بين متلمظين نهمين (6) فالمشاكلة في الاوصاف ، شرط في المعاشرة بالانصاف ، فكيف مثلي بين لئام رضع (7) والطير انما هي على الافها وقع (8) وركوب الجنائز (9) والتلف في المفاوز (10) على كاهل المعاوز (11) ادنى الى من اعادة الشرط مع هؤلاء ، والصبر مع انذال جهلاء

---

(1) بلهنية العيش بضم ففتح فسكون رخاؤه .

(2) تلميح الى قول ابن العريف .

ياراحلين الى المختار من مضر زرتم جسوما وزرنا نحن أرواحا
إنـا أقمنا على عذر وعن شغل ومـا أقام على عذر كمن راحا

(3) تقويض الخيام طيها للارتحال.

(4) السحاب الجهام بالفتح الذي لا مطر فيه.

(5) الكهام السيف الذي لا يقطع

(6) متلمظين محتوشين بالسنتهم لكل شيء، والنهم عدم الشبع

(7) الرضع اللئام، رضعوا اللؤم من ثدى أمهاتهم .

(8) الآلاف جمع الف اي الموالف المصاحب، وهذا اللفظ (مثل).

(9) ج جنازة بالكسر ، النعش

(10) جمع مفازة المهمه القفر

(11) المعاوز : الفاقر

فما للمـرء خـير في حـيـاة   اذا مـا عد من سقط المتـاع (1)

وقد اسمعنى بعض نفاليسهم (2) المفاليس ، الذين على مثلهم خلقت كلمة بيس ، ما يكاد السموات يتفطرن منه (3) وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، فلم اجد من المغادرة ونفض الكف من مدرستهم بدا ، وسارد عن قريب ، فاكون عن اعذار اخرى لا تكتب خير مجيب

هذه نماذج ترسله ، وقد ضاع كثير من ذلك

ومن آثاره الشعرية قوله يصف (أولوز) من نواحى تارودانت (ولبعضهم فيها ذيل)

(أولوز) أرض حماها الله من عاد   براس واد سقاه الله من واد
قطر فسيح باعلى سوس منظره   ابهى من الخوز عند الرائح الغادى
جلست فيه اصيلانا وقد صبغت   فيح الفجاج لدى الغروب بالجادى (4)
امزج بالراح منه الراح فاكتسبت   لونا وطعما غريبا غير معتاد (5)
في روضة من رياض الخلد باكرها   صوب الغمام بابراق وارعاد
ظللت فيها رخي البال مغترفا   من نعم سابغات ذات امداد
حتى تقضيت من شرب الغبوق مني   فقمت عن شاكر لله حماد (6)

ووجدت هذه القصيدة فى احمد الهيبة ، رفعت اليه بعد انهزام من مراكش ، ويغلب على ظنى انها له ، لانه يطرق فى مبادئى امره ، نواحى هذا الامير (ثم تحقق عندى ذلك مع اخريات له فيه) نصها :

لعـا يـا امير المسلمين لعا لعـا   ستبصر عن قرب لنصرك مطلعا (7)
فـلا تبتئـس مما رايت فطالـما   تقلم نبت الروض ثمت امرعا (8)
طلعت على الدهر الحسود بطلعة   معدية اللألاء ابهى واسطعا (9)
فسام بخسف لو سواك اصابه   لتزلـزل منه الجـانبين وضعضعا

---

(1) من قطعة عينية لابن الفجاءة، وسقط المتاع   الذي لا فائدة فيه
(2) رؤوسهم بالشلحة
(3) التفطر   الانشقاق
(4) مصغر اصيل ، والفيح جمع افيح   المتسع ، والجادي   الزعفران
(5) الراح الاولى   جمع راحة اي الكف.
(6) الغبوق   شرب العشي، وهذه القطعة مشهورة، وان كانت مختلفة النسخ
(7) لعا   كلمة تقال للعاثر دعاء له .
(8) قلم الشيء   قطعه، والمقصود هنا زبر النبت، وقد أتى بتقلم مطاوع: قلم وهل يقال   وامرع   اخصب.
(9) معدية : نسبة الى معد بن عدنان، واللألاء : التلألؤ .

ولكنك الصخـــر الاصم عزيمــة وليث الشرى وثبا وفرسا ومدفعا
فما تلك الا سجدة بعدها القيا م فانهض وأعل الراس بالامر وارفعا
فانت لهذا الامر وحدك بين من تـــراهم ، وأولى من يجاب اذا دعــا
فسعدك سعد المفلحين يقود مـــا تـــأبى على كل الـــورى وتمنعـــا
فمثلك من لا ينثني عن حياضها ذيادا وان من دونها قد تمزعا (1)
فما كان اهـــلا للتقدم غـــير من يطيب اذا من دونها كان صرعا (2)
فلولا العنا ما كان نصر ليجتنى ولولا الوغى ما كان انف ليجدعا
فبالصبر نيل النصر، من يصطبر ينل من النصر نورا كالصباح او أنصعا
عليك سلام الله يـــا خـــير قائم يرمم ما التفريط هد وصدعا (3)

وقال يخاطب استاذه ابا الحسن الالغى فى رسالة :

بالله ان جئت الغ المكرمات صبا فاروى له ما يلاقى من اليه صبا
صب تملكه وجـــد لمن سكنـــوا ذاك البسيط عظام فى العلا نجبا
فيهم ابو الحسن الشيخ الهمام له فى كل قلب وداد فاح مثل كبا
ربى وهذب حتى نـــال مرتبـــة فاقت جميع نجوم فى السما رتبا
بحر المعارف نور يستضيء بـــه كل البرية ان وجه الهدى احتجبا
يـــا لوعة من فؤادى من تشوقه كيما يـــرى ثانيا للشيخ مقتربا
مستمتعـــا بـــاحاديـــث مـــروقـــة فى مجلس كان فيه فهمه القطبا
لـــولا ترجى تـــدانى زورة قربت لارفض قلبى بشوقيه وقد كربا
عليـــه منى ســـلام طيب عطـــر مثل النسيم يزور الزهر وسط ربا

وكتب اليه ايضا :

ابا الحسن الشيخ الامام المكرما ليهنك فخـــر مـــا اجـــل واعظما
عـــلوت اللـــدات كلهم بمنـــاقب تبدت لهم من افق فخرك انجما
فقد حزت فى العلم العظيم مراتبا معظمـــة مـــا غير جـــدك عظمـــا
اذا قلت اغضى الناس عنك مهابة كما تشرق الشمس المنيرة فى السما
ومـــا عندهم الا قبول لكل مـــا تقول وقد اصبحت بحرا غطمطما
ومن ذا الذى لا يرتضى عند مثله اذا خصص البحث المنـــير وعمما
فابقاه رب العرش للعلم مشرقـــا وللافق الاعـــلى من المجـــد سلما
ايا سيدى ما القصد الا تذكـــر لعبدك بالدعـــا لينجـــو ويسلما
فما انت الا الظل فى الصيف والغنى لفقر ، وهدى للذى كان فى عمى
عليك ســـلام مثل خلقـــك طيب والا كمجد من مـــقـــامك اعظمـــا

---

(1) انـثـنى : رجع، ذيادا دفاعا، تمزع تمزق
(2) مبالغة في الصرع .
(3) هده : خربه، وصدعه : كسره، وهو مبالغة في الصدع

وقال يخاطبه ايضا فى (12) ربيع الاول 1310 هـ :

امولاى يا اسمى المراتب من غدت ... لعليائـه عين الـزمـان تحـدق
ومن هو فى بحـر المعالى باسرهـا ... عزيز النظـير مجده ليس يلحق
ويـا من اذا هبت نواسم حمده ... على مسمعى هبت له الروح تنشق
ورثت رهان السبق عن خير محتد ... بفـرض وتعصيب فارثك اوثـق
عريق العـلا جم السيادة ذكـره ... لنظمى طراز من سنـاه مؤنـق
لك الله يا بدرا بسعد سعوده ... ومن فى السخا طود أشم منطق
ومهما اردنا المدح فيك فمن لنا ... بطـوع القوافى بالمدائح تعبـق
على أنني ان عـاقنى العى انـه ... مقيد عـزمى نحـو مدحك مطلق
ونعمـاؤك الممدودة الامـد التى ... يكل لهـا مقصور شكرى المخلق
جبرت مهيضا من جناحي ورشته ... وغصنك فوقى حيثما كنت مورق
ايـا كهف ملهوف وملجأ خائف ... وافضل مامول اذا الخطب يطرق
أتاك باذعان رجائى يظـن أن ... بابك ما عن طالب العرف يغلق
وقد كنت أرجو منك فوزا بدعوة ... تسنى على ما الزمان يعوق (1)
فليس لنـا الا عـلاك وسيـلة ... ولا لـيـدى الا لمجـدك معلـق
ومـا انـا الا عبد نعمتـك التى ... بجزل الحبـاء بحرهـا يتدفـق
فقد أعجزت شكرى سوابغ أنعم ... يضيق نطاق العـد عنها ومنطق
اتتـك على خطى الحيـا مولدية ... تـودى علينا بعض حـق يحقق
تهنيك بالعيد الذى عـم فضله ... محل غروب الشمس أو حيث تشرق
الا فابذلنها الصفح بالنقد انهـا ... غدت تشتكي التقصير فالصفح أليق
ودونك يـا بدر التمام بنـيـة ... من الفكر عن أحوال عبدك تنطق

وقال ايضا يخاطبه من قصيدة تقدمت فى اول الكتاب ، ومطلعها

ايا ساكنا ارضا هي الارض وحدها ... بها ما يشاء القلب والاذن والبصر

فيقول بعد تلك الابيات المتقدمة هناك

فيا ايها المـولى الكـريم تحيـة ... معطرة كالروض فاح بها الزهر
اليك قريضا من فهيه حداه ان ... يقول هوى لولاه ما فاه او شعر
وعذرا وان قصرت فيما يراد من ... خطابك هـذا فاليـراع بـه قصر
وسلم على الشيخ الهمام وكل من ... اليه سلاما من مشوق له هـذر

وقال يخاطب الاستاذ سيدى عبد الله بن محمد الالفى ، وقد ارتحل عنه

احيى حبيبا قوض الرحل فانتهب ... عـزاء فؤاد عالج الشوق فالتهب
فتى انتقى الطبع السليم طباعه ... ولا غرو فالابـاء سلسلة الذهب
تحيـة حـران الجوانح فى لظى ... تشوقه من اجمل الصبر مستلب
فبت اقاسى لوعـة البين والاسى ... يفتت افلاذ الحشا بعد مـا ذهب

---

(1) سنى يسني الامر يسره وسهله

الى الله اشكو ما تجلدت بعد ان تزلزل ركن الصبر مني واضطرب
ولكنها الاقدار مذ كن لم تـزل تكسر جمع الانس تكسير من غلب
فقص غراب البين ريشا ولا يزا ل ماعاش مكسور الجناح اذا نعب
عليه سلام مـا رجوت رجوعـه لموطنه العارى من النقص والريب
ولا زال مغبوطا بأرغـد عيشـة موقى مرقى دائما كامل الرتب

وقال يخاطب قاضي تارودانت : سيدى موسى

لتبـا على البسائط والتـلول معا باوا يفوت مدى العقول (1)
ردانـة سـوس الخضراء مـا بـــين جـارى المـاء والريح العليل
فمـن تـاهت بـه دلا واضحت مـعـالمـهـا مشيـدة الـطـلول
ومن باهت بـه فاسا وتـاهت مسالكهـا ممسـكة الـذيـول
ومن وطئـت على هـام الثريـا بـان حظيـت لديـه بالمـثـول
وحق لها وقد ظفـرت بكنـز الـــعـلاء العـد والوفـر الجـزيـل
بـقـاض باسـط بين الرعايـا بساط العدل بالسمت الجميـل
كريم لم يـزل يسعى لكسب الـــمعـالى غـير راض بـالخـمـول
صرامـتـه أبـت الا سـلوكا منـاهج من مضى من خير جيـل
جيوش الجور في الاحكام عاشت بأرض السوس من دهر طويـل
ففـل جموعهـا بسيوف نـصر بأيـدى أيـد يـقـظ نـبـيـل
وولى بـغى بـاغـيـه سـلوكا خـلاف القصد ذا حـد كليـل
لمـن والاه في مـعـنـاه رى بمـاء الجـود في خـير المقيـل
وفي مـبـنـاه للاعـداء فـال يجرعهم شـبـا سيف صقيـل

❁ ❁ ❁

اموسى الفضل الق عصاك وانظر تلـقـف افـك افـاك ضـلـول
وجـدد رث ديـن الله حرصـا على مرضـاتـه يـوم الرحيـل
بـسـعى في تـجـارته ربيـح وراى في اصـالـتـه اصـيـل
وعـانـق غير مـا فـظ غليـظ ولاطـف غـير كـظ او مـلول
ولولا انـك العـالى الجناب الشـــهـير الذكـر بالادب الحـفـيـل
لما عانيت في مدحـيـك فكـرا جمـودا ليس يسمح بالقليـل
فمعذرتى اليك ففـوق شعـرى مقـامك لكن امنـن بالقـبـول
ولا انفـك انـشـد في دعـائى لكم بيتـا يـشـد عن المثيـل
«كـفـاك الله مـا تخشى وغطى عليك بظـل نعمتـه الظليـل»
ودم يـا نخبـة الاكياس بـدرا تمامـا ليـس يمحـق بالافـول

وقال يخاطبه ايضا :

يا قاضيا حائزا بحسن سيرتـه ثنا على صفحات الدهر مسطورا
لا برحت السن الحكام داعيـة دم دام سعدك في الدارين مستورا
ولا تـزال على وفق المنى ابـدا تحت ظلال الهنا تلقى التباشيرا

---

(1) بأي يبأى عليهم فخر

وقال يخاطب القاضي سيدي الفاطمي الشرادي الفاسي قاضي (تارودانت)

صفحا لدهر تـاب من هفواتـه … فـأدال بعد الجـور من حسناتـه
لما قضى بلـقـاء حبر طـالما … ببعاده يقـضي بسـوء هـنـاته
مطل الزمان بـه دهـورا عـدة … نـفـسي وعـاد بـه الى عـاداته
لا لا يفيد الارض صيب قطرهـا … الا اذا اشـتـاقت لوسميـاتـه
يـا زينة الدنيا بحسن شيـاته … وخلاصة الاكفا بحسن سمـاته
ان كنت غبت عن العيان فلم تغب … عن خاطرى اذ كنت من خطراته
ان كنت فتشت الفؤاد وجدت ود … ك صافيا قد سـاخ في طيـاته
أحبب بشيمتك التى ان قستها … جمعت لدى الطيب بعد شتـاته
يروى اللطافة حسن طبعك عن حلى … تحكى النسيم على لطافة ذاتـه
دامـت لك الايـام تفنيهـا بما … يـرضى الاله على كمال صفـاته
بمحمد الازكى علـيـه وآلـه … صـلوات مولانـا بتسليمـاتـه
والصحب أهل الجد في تشييد ما … يعلـيـه من مسموك تشريعـاته

وقال في القائد محمد بن ابراهيم التيبيوتي ، في عيد الفطر عام : 1342 هـ.

ماذا أقول وقول المرء ينبىء عن … فضل حجاه وعما فيه من خطل
في شكر بـر فتى أنسى بنائله … كعب بن مامة منذ الاعصر الاول
السيد السنـد المـولى محمد ابـ … ـن من سرى ذكره في الناس كالمثل
رئيس (تيوت) ابراهيم أجود من … شدت اليه رحال الاينق الذلـل
فهو الذى تنثني سحب عوارفه … على معارفـه بالـوابـل الهطـل
وينتـحى بضروب من فواضـله … نحو الافاضل لا بالحـلى والحـلل
ولم يزل للوى الآمال كعبـة احـ … ـسان عميم بلا بخـل ولا مـلل
فهو لجيـد العـلا أحسن زينته … لـولا جلالتـه لشـين بالعطـل
ان شئت تشبيهه بالبدر فهو كذا … أو رمـت تمثيـله بالبدر ينفعل
وأبـلـغ القـول فيه أنه رجـل … يذكر عنه جميل القول والعمل
فالله يحييه نـورا يستضاء بـه … في المعتمـات بعيش منه متصل
ويجمع الديـن والدنيا وعـاقبة … ترضى لديـه بسعد غير منفصل

وقال ايضا في بعض رؤساء تلك الجهة ، ولعـله المذكور او الكنتافي ، او الضارضوري ـ لانه يغشاهم ـ

صمدت وخير الناس من كان مصمودى … ومن كان عند الحمد أفضل محمود
اليه قطعت الفيح ضلت قطاتها … ويبذل فيها السيد أبلغ مجهود (1)
تناءت نواحيها فليس تجوبها الر … ئال (2) بسعي في اسابيع مكدود(3)

(1) السيد بالكسر : الذئب .
(2) الرأل : الظليم من النعام.
(3) اسابيع ساع مكدود .

دخلت لها بالنوق كالهضب ثم لم تجبها الى ان عدن فى رقة العود
ولكن حمدن فى الصباح السرى وقد نزلن لدى مغنى المكارم والجود
برب الندى والباس يلقاك بره بعيدا كما يلقى العداة بأخدود
فمن كان يحجو من سواه رجولة فقد قاس أذناب البراذين بالجيد(1)
فدامت له علياؤه قد تحوطها بلهنية والباس من كل صنديد
يقود أزمات القيادة مثلما تقاد مدى أجداده الجلة الصيد
عليه سلام من نزيل بساحة يراه فريدا فى الورى خير مصمود

وقال أيضا فى آخر لعله الكنتافى ، وقد رجع من زحف

ايابا حميدا ونصرا وطيدا وعيشا رغيدا وعمرا مديدا
رجعت وبيضك شاكرة وقد كرعت من عداك ورودا
فكم قطعت من رقابهم وكم نظمت فى الحلوق الوريدا
بغوا وعثوا وعتوا فانتحى اليهم شجاع يقد الحديدا
فزعزع أسراب طيرهم السبغاة غداة انتحاهم مريدا
فقد كان يكفى سرابهم شتاتا وان كان فذا فريدا
سوى انه قاد نحوهم خميسا لهاما عظيما عنيدا (2)
ليدروا بان الورى كلهم ايالته يبذلون الجهودا
وهل شمت قط بغير الاظا فر يوم الصيال الاسودا

❁ ❁ ❁

أيا باسلا ان يصل فى الوغى يغادر لحم العداة قديدا
ويا من يصاحبه دائما مفاز يكون لدنه حميدا
ويا خير من جال فى معرك فيطحن فيه الثرى والجلودا
هنيئا بما نلته فى العدا السبغاة وان كاثروك عديدا
فيومك أضحى لهم مأتما كما قد غدا فى الايالة عيدا
عليك سلام زكى كما يطل الندى فى الصباح الورودا

وقال يخاطب بعضهم ، وهو الرئيس الشيخ الحسن التيبيوتى كما فى المنقول منه :

ابل واخلق فلا تزل بك القدم فى كل مكرمة تعنو لك الامم
يا من به تضرب الامثال فى رتب العلياء من بحلاه الدهر يبتسم
السيد الحسن بن احمد من هو الرئيس الشهير المفرد العلم
عش آمنا مستقيم الحال تبدى من الاحسان ماتنجلى من فيضه الغمم
ولا تزال كما تبغى تقاد لك الدنيا باجمعها الاعراب والعجم

---

(1) الجيد العنق

(2) لهاما بالضم . كثيرا .

وقال يستنهض بعضهم لاعانته :

يا من به ازدان هذا البدو والحضر ... منى عليك سـلام طيب عـطـر
امـت بالمصطـفى وبصحابـتـه ... اليك متا بـه يستنجح الوطـر
انى حللـت فـنـاك لتعـين على ... زيارتى حضرة يشفى بها الضرر
حضرة قطب الوجود كله سيدى التجـــان احمد من ينـفى بـه الكـدر

وقال ايضا فى مثل ذلك

لكل مـلاذ ان يحم حـوله عسر ... وانت ملاذى من به يفتح اليسر
نحيتك من أهـل لتقضى حاجة ... سواك لها يـا ابن المكارم يزور
ومن ينتح البحر الخضم فحاش أن ... يؤوب بلا ورد وفى وجهه البحر
وما حاجتى الا كحبة ما لدى الر ... مـال التى فى عـالج انها نـزر
ومن يك أهـل الجود مثلك انـه ... بشوش لمن ياتى وفى نفسه أمر
فيسمع مـا يـبـدى لـه فكانما ... ترنم أوتـار وقد شعشع الخمـر
عرفناك من أرض بعيد جوارها ... فسرك يا من اشرب الكرم الجهر
فها انا ذا نبهت فى حاجتى فتى ... يرى عمرا لها فلا كان لى عمرو (1)
فحمدا وشكرا للذى الهم النوى ... مقاد نيـاقى للذى جـوده كـثر
وخير الدنا فى ان تقضى حوائج ... لمثـلى فشكرا اذ لمثلك ذا الخـير
فنسأل ربه العرش ان تغتدى مدى ... حياتك فجر البر يا حبذا الفجر
وان لا تزال الدهر مرتفعـا على ... لداتك طرا دابك النصر والبشر

وقال يشكر رئيسا على خلعة خلعها عليه يوم عيد :

العيــد بالاحـبـاب والكـرمـاء ... مـا السحب لـولا الحافلات بماء
فى اليوم عيدنى الكـرام بحـلة ... فـضـيـة بـراقـة الـــلالاء
اخـتـال فيهـا والفـؤاد كانه ... يختال تحت خمار ما الصهباء (2)
يشدو اللسان بشكر ملبسها وان ... تسكت بها الاقـلام فى الانشاء
ما الوفر ان لم يشتر الامداح من ... افـواه قـوم مـجـد شـعـراء
الوفر يذهب ثم لا يبـقى سوى ... مـدح مديد ليس يذهب جـائى

---

(1) عمر قيل فيه .

إذا أيقظتك حروب العدا ... فنبه لهـا عمرا ثـم نم

وقيل في عمرو .

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

(2) ما هذه التي تزاد بين المضافين، تكثر في الادب الالغي، حتى قيـل فيها ما الالغية .

شكرا ابا العباس عما نلتني ... شكرا جزيلا يا ابا اللالاء
يفنى الزمان وليس يفنى ما انا ... ابدا اسلسله لدى القرناء
ساعطر الجو الموسع بالثنا ... ماعشت أو ان كنت تحت ثراء (1)
فعليك خير تحية تختال فيـــــهـا دائما فى حلة السيراء
لا زال نيلك هاطلا فيصيب أر ... ضا اجدبت من قلة الكرماء
تفنى الثياب وليس يبقى خالدا ... الا جزيل مودتى وثنائى

وقال يخاطب الشيخ احمد بن بحمان التيبيوتى مداعبا ـ :

منى الى الحب السميدع أحمد ... ابن لبحان المرفع منصبا
هذا نزيل أرسلته يد النوى ... قولوا له يا مرحبا بك مرحبا
يرضيه فى الدنيا وداد جنابكم ... أحرى وقد وفيتم ما استوجبا
ان كنت قمت بواجبات حقوقه ... تشكر وأرغمت الحسود المغضبا
أو حال دون تكرم وفتوة ... ما حال فالاخلاق لن تتقلبا

ثم كتب الشاعر على هذا ما نصه أدمجت فى البيتين الآخرين ما يؤثر عن قبيله من الكزازة ، ومن التوغل فى عدم الاكثرات للغريب بينهم ، فالله يعاملنا بفضله ، والعمل بالنية .

وقال يخاطب ولده احمد وهو من نجباء الابناء توفى بعد 1360 هـ. بتيبيوت

بنى تعلم أوجه الرشد والهدى ... فأنت بوصف العلم تنعد فى الناس
أرى المرء فى حال الجهالة راكبا ... متون الهوى يحسو المذلة بالكاس
واياك أن ترضى لنفسك أن ترى ... لدى الناس معدودا من اوباش أرجاس
وزن منك أخلاقا حذار انحرافها ... عن القصد يوما ما بأعدل قسطاس
ولا تال جهدا فى اقتناء صميمها ... وحاذر عداك الذم وصمة أدناس
ولن وتادب واتئد وتوق ما ... يشينك وأثبت ان تكن بين جلاس
ولا خير الا فى اتباع سبيل ما ... رووا هديه عن خير أبناء الياس
عليه صلاة الله والآل والصحا ... بة الغر أرباب الانابة والباس

وكتب الى تلاميذه يوما فى رمضان : 1321 هـ :

احبة قلبى سلم الله جمعكم ... ومفردكم من كل آفات تكسير
وسنى لكم ما ترتجون من الدنا ... مع الدين فضلا جامعا كل تيسير
ويسركم للخير والرفق دائما ... وكسب علوم الدين من غير تعسير
مخاطبكم يبغى استراحة يومنا ... مخافة برد جالب كل تفتير
لتأخذ أعضاء مع الروح حظها ... وتصغو قلوب من تفهم تصوير
ومن بعد ذا فوافقوه على الذى ... ترجى بنظم أو بتحبير منثور

(1) الثرى مقصور وهو التراب ، وإنما مده ضرورة :

وقال يعاتب بعض تلامذته وقد راى منه تقصيرا :

سـواك يميـل للبطالة والونى ويرفع منه الصوت للجهل ها انا
وأما فتى حفتـه من كل جانب نظيرك أسباب العلا فالسنا السنا (1)
سوى ان اردت الجهل تكساه حلة حياتك فاختر ما تشاء لك الهنا
فاعظم خلق الله عيبا من ارتضى الـشنار وقد واتـاه ان يدرك المنى

وقال يعيب التخلف عن بعض أودائه :

بالوفا بالعهود يعرف من كانت له همـة من اهـل الـرسـوب
فـدع العذر جانبا فلقد افصحـت عما اختبى بوسط الجيـوب
فسواى الحصا له يطرق الصـا حـب انى انـا اخـو التجريب

وقـال :

الا فاشتغل خـل حياتك جاهدا بتهذيب نفس منك والليل اطلس
وحاذر بنى الدنيـا حياتك انهم كما قيل (ليس فى القنافذ أملس)

وقـال :

من قـرع الـبـاب ولج ولجـا ومن طـوى الغبراء نـال الفلجا
ومن سرى الظلماء حتى انبلجـا ضـوء الصباح يستبين الفلجـا
رب الذى يفتـح للذى ارتـجى من فضله الوافر بابـا مرتجـا

وقال يحث على العلم :

العلم خـير كنوز المـرء ليس له الا الزيادة بالانفاق لـو علمـوا
كم بين ذى الوفر اثناء المحافل ان كان الكتاب وبين الحبـر يبتسم
هـذا تجهم جهـلا والعليم لـه بشر يرفـرف منه فوقـه عـلم
تالله مـا ان ندمنا فى مقاصدنا لنا العلوم وللجهال مـا غنمـوا
يا ويح من لم يرح للعلم رائحة ميت وان لم يجمع شلوه الرجم(2)
صابت علينا فهوم العلم وانكفات على الجهول من آفاق العمى الديم
من نال علما ولم يحسب لرفعته شأنا فـلا وصلتـه للعـلا رحم
حمدا وشكرا فقد نلنا ونيل بنا رغم العدا نعما مـا فوقهـا نعم

وكان الشيخ سيدى الطاهر الافرانى كتب الى شاعرنا يعاتبه على التغيب عنه :

بـنـفـسى اخـا لـم يـزل وده بقـلـبى على هـجـره يـتـقـد
تـغـيـب عـنى زمـانـا فـلم تصـلـنى رسـالـتـه من احـد
كأن لـم نكـن قبل فيمـا مضى كـروح مـوحـدة فى جـسـد
سلام عـلـيـه سـلام أخ وفى يـدوم على مـا عـهـد

---

(1) السناء بالمد الرفعة وانما قصره ضرورة .

(2) الرجم محركاً . القبر

فاجـابـه :

اتي من خليـل خـطـاب نـعي — على مـغـيـبـا قـضـاه الاحـد
وسدد نحـوى سـهـام المـلا — م دون ذنـوب عليهـا اعتـمـد
ولم يـدر وجـهـا يقيم بـه اعـ — ـوجـاجـا لمـعـذرتي وأود
والا فـصـفـو ودادي لا — يـكـدر بـالـبـين طـول الابـد
ومـا في حسـابي ذنـب يشـيـ — ـن فيظهـر وجـه اليـه استـنـد

ثم اجابه ايضا

الا قـل لمولى عـتـابي قـد — نحـا نـحـوه ولصنعي انتقـد
واني نسيـت عـهـودا مضـت — وتجـر الصداقـة عندي كسـد
وأمسى يعـرض بي في الجـفـا — ونـار الجـوانح مني تـقـد (1)
حـشـا صـفـو ودي يكـدره — تـنـاء وفي القلب مـا قد عهد
ولكن اذا مـا الفـؤاد انطـوى — على القـرب ليس يـضر البعـد
والا فصرف الـزمـان جـرى — بـفـصـل ووصـل وود وصـد
وجـل تصـاريـف أزمـانـنـا — على نقض مـا قد بنتـه فـهـد
فمن شـاء لـومي اذن فلـيـلم — ومـن لا فـلا حـجـة لاحـد

ووقفت على بيت مفرد استدعى به شيخنا الافراني المذكور صاحبنا هذا

فطـر بجناح الشوق نحو متيم — لقاؤك دون الناس غـاية مرمـاه

كما وقفت ايضا على هذه القطعة استدعاه بها بعضهم ، ولا اعرفه :

محمد أيـهـا الـفـذ الاديـب — ومن (افـران) حوليـه تطيـب
ومن هو في سماء المجد شمس — لهـا أبـدا شروق لا تـغـيـب
ومن هـو في المعارف بحـر علم — خـضـم لا تـكـدره الخـطـوب
الى بأجـنـحـات الـطـير أسرع — فقد طـارت بلوعتهـا القـلوب
فـكم من انعـم حضرت ولكـن — نـبـاعد جانبيهـا أو تجـيـب
فطـر كيمـا تـبـرد من ودود — مـشـوق منك بالعليـا يهيـب
عليك سلام خلك مـا استطيرت — قـلوب بـالـوداد لـهـا لهيـب

وقال يجيب بعضهم عن شعر ـ ولعله سيدي البشير الناصري على ما سمعت ـ

وكعاب زفت الى السمع نـهـد — تـتـهـادى في حـلة التحبـير
كم بهـا من بـلاغـة ومـعـان — كعقود الجـمـان فـوق النحـور
وأساليب أذكرت شعـر حسـا — ن وانست شعـر البليغ جريـر
وثـمـار مـوائـد احتنـيـهـا — من سطور بها شفـاء الصدور
بـل زرت ببلاغـة لابي الـعـيـ — ـنـاء أوحـد عصره المشـهـور

---

(1) من وقد يقد .

عجب الفكـر اذ بـدت بسواد   في بياض كالمسك في الكافور
كم تذكـرت عندها من عهـود   لم تشـب بشـوائب التكديـر
نمقتـهـا أنـامـل تفتـق الانــــوار والزهر في رياض السطور
فـعـسى الله أن يمـن على مـنــــشئها بالرضا بـدار الحبـور
ويـمـن على مـعـاشر اخـــوا   ن الصفا بامـان صرف الدهـور
باجـل الـورى عليـه صـــلاة   وسـلام ينمـو ليـوم النشـور

وقال في مثل ذلك الى سيدى العربي الساموكني كما قيل لي

لله مـا أبـدى زنـاد قريـحـة   صقلت بنـور ذكا الذكا المتوقد
أبقى على صفحات هذا الدهر ما   لم يفنـه كـر الغداة ولا الـغـد
فهو المجـلى في القريض بما له   من فضل ذهن للمقاصد يهتدى
لازال بـدرا بـازغ الانـوار في   أفق السعادة عن تمـام السؤدد
وحياة مولى الفضل نـورا كاملا   بجماع خـيرات تروح وتغتـدى

❀ ❀ ❀

وبعد : فهذه عيون ما لدى مما لشاعرنا ابن الحاج ، من نفثات شعرية ، ولم اغادر الا ما لا يبالى به ، ولا يدرى الا الله كيف اجتمع لى هذا القدر ، فانه رحمه الله وان كان ذا عناية ، لم يتصدر لجمع شعره ، ولذلك تجد منه كثيرا حيث ينتاب ، وان كان بعضه مجموعا في كنانيش له ، تشتتت بين كتبه ، ولم ار منها الى الآن الا واحدا صغيرا ، وأيـا كان فهذه مجموعة غير ضئيلة يمكن لمن يريد أن يدرس القائل ان يتكىء عليها اتكاء ، فقد اجتهدنا ان ناتى بكل ما فيه بعض روح مما سقط الينا من أقـواله ، ولعل القارىء الحاذق يدرك بين هذه المقطعات أحيانا نفسا حسنا ، يمت الى الادب المقبول ، كما يقف ايضا على ما لا يعدو ان يكون نظمـا بسيطا ، على أن من الواجب ان يوزن شعره ببيئته ، لئـلا تذهب قيمته الحقيقية ، وهو في نظرى تـلو شيخنا سيدى الطاهر في الصوغ ، الا انه في الغالب لا ينقح ، كما هي عادة كل الادبـاء الالفيين ، الذين يكتفون بعفـو الساعـة ، ثم لا يراجعـون ، ولا يجتهدون في توليـد المعاني ، وابتـكار الاساليب ، فكل موزون مقفى معرب ، شعر عندهم ، ولهذا يقل المختار فيما يقولون .

أخريات أيامه

رأيت كيف كان الدهر يتقلب به ، حتى انه قلما يستقر كثـيرا في بلده ، وحتى كان غالب آثاره مبعثرا في طول البلاد وعرضها ، وقد كان راس الوادى مغداه كثيرا ومراحه ، وطالما غاب هناك حتى يكاد ينسى ، حتى كانت تلك الجهة مرسمه ، وما ذلك الا لكون الحياة التى تتجهم له في (افران) وما اليه ، تبتسم له في هذه الجهات

كان ذلك هو الحامل حتى شغف بها ، واولع بالانقطاع اليها ، وفى اخريات ايامه فى (تارودانت) يراعيــه قاضيها ابــو عمران سيدى موسى الرسموكى وقد كان القاضي يعتمد عليه فى الافتاء ، لانه فقيه كبير ، يستحضر الفقه والنوازل ككل اقرانه ، ولذلك ظهر ، كما شارك في الحديث والبيان والاصول ، ولذلك كان القاضي يرشحه ويظهره ويعرف قدره ، وقد كان أرسله مرة الى (أولوز) في قضية ، ليقف على املاك ، وقسمة ميراث فيها ، ثم لم ياخذ شيئا ، مع ان القاضي جاءه نصيبه الرسمي - على عادة القضاة اذ ذاك - فثار ثائره ، فلم يهدأ حتى رضخ له بشيء من جهة أرباب القضية ، وهكذا بخته ، فانه لا يزال مقترا عليه طــوال حياته ، وان كان يتمتع بما يتمتع به اقرانه من الشهرة الواسعة ، وقد كان زارنى يوما بمراكش حين كنت اقرأ هناك بعد 1338 هـ. فجددت به العهــد الذى كان مفتتحا يــوم مدرسة (تانكرت)

وقد لازم مواصلة اشياخه الالفيين ، فلا يغب زيارتهم في (الغ) وربما مر بـ (كردوس) حيث له قواف ، حتى في الوقت الذى انقطع فيه الى راس الوادى ، وقد وقفت له على بطاقة كتبها للاستاذ ابى الحسن الالغى ، يعده فيها بالزيارة فى تلك السنة نفسها التى تــوفي فيها 1346 هـ. ولكن حال الحمام دون وفائه بالوعد .

وقد كان الم به مرض ما ، فاستدعى من يداويه بأن يسخنــه حتى يعرق كثيرا ، فاكثر عليه الثياب حتى أغمى عليه فاختنق ، فاسلم الروح رحمه الله ، وترك ولده احمد النجيب ، فظهر بعلمه قليلا ، وشارط ودرس ، ثم أعتبط وشيكا ، فشتتت كنانيشه وآثاره ، وكل ما نسخه المترجم بيده وضبطه غاية الضبط ، لأنه كان نساخا رحمه الله ، كما انه يقيد الوفيات والوقائع ، فقد انتفعت من ذلك بكثير مما وقع الى

رثاؤه

ناسف كل الاسف حين لم نجد بين أيدينا من قصائد رثائه الا واحدة . وما فائدة الادب ان لم تنتثر على محاجره قواف كثيرة فى جانب من كان له ركنا وطيدا طوال عمره ، وتمثالا حيا زمنــا غير قليل ، حقا لــولا الاديب الحسن الكوسالى شاعر (سملالة) اليوم وعلامتها ، لكان موقف الادب الالغى وما اليه ازاء سيدى محمد بن الحاج مزريا ومخجلا ، ما دام لابن الحاج ذكر فى كتب الادب الالغى ، قال الاديب الكسالى يرثيه ويعزى ولده احمد :

خوى نجم الهدى فحوته (سوس) (1)	فهــد لركنهــا السامى اســوس
وفــاضت ادمــع منــا وفــاظت	أسى من كل ذى أدب نــفــوس

(1) كثيرا ما يطلق (ســوس) في الجبال من الاطلس الصغير على (تارودانت) وما اليها وخوى النجم : سقط .

ليهنا (سوس) ان وارتـه ميتـا كما اضحى بها حيـا يجـوس
على عـلـم بـه في حالـتيـه تـضـن لانـه عـلق نـفـيـس
فكم قـاض هنـاك وكم فقيـه به اشتهر وا كما تعلو شموس
لقد سعدو ببدر بنى سعيد (1) به نيلـت معـال وهـو شوس
لقد سعـدوا به مـذ حـل فيهم فلمـا خـف حفتهـم نـحـوس
فمن للحـكم فيهـا والفتـاوى ينفذها وان شمس الشموس (2)
ومن للديـن يحرسـه ويحـمي حماه اذا تحـوم بـه النحـوس
ومن للـعـلم يدرسـه ويـعـلي اساتـذة فتنكشف اللـبـوس
ومن للعرف يغرسـه ويـجـني عليه الحمـد اذ تجنى الغـروس
ومن للـرق يـرقـمـه بـخـط كوشي الخز اذ تجرى النقوس (3)
ستبكيـه المـغـاني والمـعـاني وتـنـدبـه المدارس والدروس
وتبكـيـه الرسائل والـقـوافي وترثـيـه المـحـابر والطـروس
لقـد عظمـت زريـتـه وجلـت فاعيـت من يشبـه او يقيـس

❀ ❀ ❀

فصبـرا يـا (ابـا العباس) اولا فما ذا يصنع الجـزع العبوس ؟
فخطب المـوت يغنى بـالبرايـا فما ينجو الوضيع ولا الرئيس
فالاستـسـلام للانـسـان اولى واسـلم في الامور لمـن يسوس
اقـول اذا اورخ بـاكـتـفـاء لمـن سالـوا مغيبه شموسو (4)

تلك هى المرثية التى ذكر لى منشئها انه لم يرض عن نفسها ، لانه لم ينقحها ، ولكننا نثبتها مراعين لقيمتها التاريخية

قولة بعضهم فيه أثناء مجموع

أديب امتزج به الادب ، وتخلل منه مسالك الروح ، سقى به عللا بعد نهل من المدرسة الالغية ، فكان احد مفاخر الادب الالغى ، ومن المتقدمين أيضا في كل العلوم التى درسها ، فكان جـونة (5) تفوح بعطرها زمنـا ،

---

(1) إسم اهله

(2) شمس الفرس نفر.

(3) النقس بالكسر . المداد .

(4) شمو : من شام يشيم، وحرف (سو) يعني به سوس، ولكـن أتى بالسين من باب الاكتفاء، وذلك في ذوق الادباء اتباع القاضي الفاضل مما يرقص، وان كان عندنا نحن مما يضجع.

(5) سليلة مغشاة تكون مع العطارين •

وطاقــة (1) ورد تخلب نضارتها أعين الرامقين مــا شاء الله ، درس وافتى وقضى ، ونثر وشعر ، وحال وصافى ، فكان فى كل موقف كانه ما خلق الا لذلك الموقف ، ولكن حرفة الادب أبت ان تنجاب عنه ، فلم تزل تاخذ بتلابيبه فترة بعد فترة فلا يكاد يتملص من هوة ، حتى تعترضه اخرى ، فكان مع سكناه فى (تانكرت) حيث الادب طافح ، والحدائق الغلب (2) تكسو الوادى بخضرتها ، وخرير المياه يشادى الورق فى افنانها ، جواب آفاق ، خواض كل تنوفة ، قارعا لباب السعد فى كل ارض :

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويــو مــا بالعذيب ويوما بالخليصاء

فلم تبق مدينة من مدن المغرب الا أطل عليها ، ولا حضرة كريم من كرمــاء جنوب هذا القطر الا وقف أمامه معرضا او مصرحا ، ولكن الدهر الذى جبل على معاكسة الادباء ، لا يزال امامه فى تنغيص كل شرب ، حتى ليرضى من الغنيمة بالاياب ، فادته خاتمة المطاف الى ناحية (تارودانت) فكاد السعد يجيبه لطلبته ، لو تقدمت أيامه ، حتى يوافق هناك محمد العالم العلوى (3) فيكون خامس الرسموكى ، والسكتانى ، والزدوتى ، والايلالنى ، فيبدىء بدوره ويعيد فى وصف مجالس الانس ، وخيل الحلبة ، ويصب بدوره جاما طافحا على اخوة كافور (4) ولكن ماذا يصنع وقد تاخرت أيامه حتى لا يسكن ازاء (تارودانت) الا من لا يعرفون للادب قيمة ، وان فرط منهم ان ناولوا الاديب لقمة تابعوها بما يتبع به الكز (5) لقمته ، من منة مكدرة ، والممات للاديب الحى كصاحبنا الافرانى ، احلى من الحياة معها ، فذلك ما كان ، فقد اسلم الروح وهو ارجى ما كان للادب واهله ، فذهب مبكيا على ذلك اللسان المرهف ، وتلك القريحة السيالة ، تندبه الاقلام ، وتتلهف عليه الاداب

قولة الايكراري فيه

ومنهم الاديب الفقيه النجيب العالم الربانى الجوال الصمدانى ، من لا يستقر بمكان ، تلقاه اينما كنت وكان ـ :

---

(1) الطاقة من الريحان مجموعة منه. والباقة مجموعة من البقل والناس يطلقون الباقة على مجموعة الازهار.

(2) الغلب ج غلباء اي المتكاثفة .

(3) ابن المولى اسماعيل الذي له اخبار في الادب يوم كان في (تارودانت).

(4) كما ترى ذلك في اخبار محمد بن احمد الرسموكي في (القسم الخامس) ان شاء الله في ترجمة الاديب سيدي داود التاغاتيني

(5) الكز البخيل.

يوما بحزوى ويوما بالعذيب ويـو ـمـا بردانة حيث فتـه التلف

سيدى محمد بن الحاج من (تانكرت) الافرانى ، قرأ رحمه الله على فقهاء (الغ) وعلى العلامة سيدى احمد بن عبد الرحمن الجشتيمى ، وبـه تمم ، وعنده يعتبر ، وانشدنى من فيه ، وعلمه مخزون فيه

العـلم يمنـع نفسـه ان يمنعـا فاعمل بـه تنل المقـام الارفعـا
واجعـله عند المستحق كرامـة فهـو الذى من حقـه أن يودعـا
والمستحـق هو الذى ان حـازه يعمـل بـه واذا تلقـنـه وعى

زار شيخنا الادوزى بداره (ثم ذكر ما تقدم فى اجازته) ونحله فى جبح (1) التيجانية يعسل ، وعلى عليى مقدميها ينزل ، فهمت ذلك من صفى جمانه ، لا انه اعلمنى ببنات لسانه ، وحاله ينشد :

تعـامى زمـانى عن عقوقى وانه قبيح على الزرقـاء تبدى التعاميا
فان تنكـروا فضلى فان رغـــاءه كفى لذوى الاسماع منكم مناديا

ثم بدا له الاستقرار ، فالقى بردانة عصا التسيار ، فكان من جملة المشاورين الاخيار ، تحت ظل من بانت منه الاغيار ، قاضى ردانة سيدى موسى المختار ، فلم يمهله الهاذم البتار ، فافل نجمه النوار ، عادة الدهر الغـدار ، فقال مقالة الحال (2) فى مصر الامصار لما عشنا متنا ، ونزلت الاكدار ، فلبى منادى القهار ، واحتل المنازل القفار ، وترك السحاب المدرار ، تنسج من مآقى اولئك الاخيار ، وذلك فى رجب : 1346 هـ. رحمه الله)

بذلك ترجم الايكرارى لهذا الاديب ، وقد وقفت على قطعة كان المترجم خاطب بها الايكرارى ، ولا باس بايرادها على علاتها ، بمناسبة هذه الترجمة كتبها اليه فى جواب سنة : 1343 هـ :

اتـانى الكتـاب بمـا اشتـهى وكنت عن الشكـر لا انـتـهى
وقـد لألأت بـالمـنى أسـطـر شذاهـا كما المسك فى كنـهـه
لقـد نبـهـت فهـدنـا ورنـت لعـبـود لومـا على مـهـله (3)

---

(1) خلية النحل .

(2) ينسب ذلك للقاضي عبد الوهاب البغدادي لما خرج بالفقر من بغداد الى مصر فأستغنى، ثم مات، فذكرت عنه تلك المقالة.

(3) يوصف الفهد بكثرة النوم، وعبود كسفود، . رجل يضرب به المثل بكثرة النوم.

فـيـا فارس النقسَ دم للـعـلا ليفـتـاظ من لـج فى حدسـه
تـغـرب لتكسـف عـزا فـلا يـضرك عـاو على تـلـه
هنيئا لك البشر فى حجر من (1) يقبيـك وتـرقـد فى فـرشـه
فـلا تـهممـن ولا تـضجـرن وكـن بـادر الخـير فى اهـله
فهـذا الـزمـان على مـا تـرى فقـد اوقـع الـكل فى فـخـه
فـلا تنس من لا يـمـت بـغـيـر الـصـفـاء دوامـا على وده
عليـك الـسـلام على مـا عـهـدت ومنـا التحيـات لا تنتـهى

عمدا اتيت بهذه القطعة ، ليرى القارىء الى اى مـدى يسقط احيانا شاعرنا ابن الحاج ، بعد ما عرف الى اى سماء كان يحلق احيانـا ، وليس بالمؤرخ من لا ياتى فى مثل هذا المقام بالطرفين ، ليلا يغش القـراء ، ومن غشنا فليس منا (لا خلابة لا خلابة) .

رحم الله سيدى محمد بن الحاج ، وبواه فسيح جنانه ، وجعله هناك فى اعلى عليين .

قولة ابن الحبيب فيه

ومنهم السيد الجوال ، الصالح الحال ، الفقيه الاديب الربانى ، ابو عبد الله سيدى محمد بن الحاج احمد الافرانى ، قرا رحمه الله على فقهاء (الغ) بسملالة ، وعلى الشيخ الجليل سيدى احمد الكشتيمى ، وبحجره تمهر ، وفى بحره تبحر ، وكان فى طول حياته جوالا لا يستقر بمكان ، لقى اهل الفضل فافاد واستفاد ، وبلغ المراد ، حتى كان آخر عمره طاب له الاستقرار ، والقى بردانة عصا التسيار ، فجعله قاضيها من جملة اهل الشورى زمنـا قليلا ، الى ان ادركه بها هاذم اللذات ، فلبى ربـه مجيب الدعوات ، ومن شعره :

العلم يمـنـع نفسـه ان يمنعـا فاعمل به تنل المقـام الارفـعـا
(الى آخرها .)

وله فى مدح الشيخ الادوزى ابى عبد الله سيدى محمد بن العربى حين زاره بادوز قوله :

اعـالم العصر دون من يدانـيـه ويرزخ العصر دون من ينـاغيه
(الى آخرها) ، فاجابه الشيخ المذكور على منواله فقال :

لنية المستجيز الصالح الحال قد اجزتـه ، لا لانى العـلم حاويه
الى آخرها .

توفى رحمه الله فى رجب سنة ستة واربعين وثلاثمائة والف بردانة ، (الى آخرها .)

---

(1) يعني قائد (تالعهنت) ؛

سيدى الحسن بن الحاج الافرانى

قبل 1300 هـ. — بعد 1350 هـ.

اخو الاديب سيدى محمد بن الحاج المذكور قبله وقد كان اخـذ من المدرسة (الالغية) كأخيه وفاته بالاخذ من فاس ، لكنه مع ذلك لم يقارب أخاه فى معارفه فضلا عن أن يساويه ، لولا أن له بعض شهرة بالعلم ومجالسة مع علماء بلده ، وانه يعد معهم لما استحق أن يذكر فقد كان من الذيـن ذهبوا فى رفقة علماء بلده سيدى الطاهـر بن محمد ، وسيدى البشـير الناصرى فى جيش أحمد الهيبة الى مراكش ، وكان يفد مع الوفد الافرانى أحيانا الى (الغ) ويشارك فى المباحثات العلمية هناك

حكى لى انه كان مرة فى بعض الندوات الالغية الادبية فجرى ذكـر قول القائل

العلم صيد والكتابة قيـده قيد صيودك بالحبال الموثقـة

فوقعت المحاورة بينه وبين سيدى البشير فى لفظة الموثقـة ، أباسم الفاعل هى أم باسم المفعول ، فذهب هو الى أنها باسم المفعول ولج فى ذلك ، فـقـام سيدى البشير الى حبل فاوثقه به ، فقال له أرايت ان الحبل هو الذى اوثقك الآن . يقـولان ذلك ويتحاوران والعـلامة سيدى الطـاهر بن محمد ساكـت يتبسم ، ولا يؤيد لا هذا ولا ذاك ، كما يقول عمر بن ابى ربيعة :

(خرجت بالصمت عن لا ونعم)

هذا وقد وقفت له على رسائل لا باس بها الى اخيه سيدى محمد يكتبها اليه من افران الى مستقره فى تارودانت ، وقد كان العم ابرهيم يذكره لى بانه وسط فى معلوماته ، وانه يستحضر بعض استحضار للادبيات ، وله باع لا باس به فى العربية واللغة والفقه .

سيدى البشير بن المدنى الناصرى

25 ـ 6 ـ 1292 هـ = 25 ـ 6 ـ 1366 هـ.

نسبه

البشير بن المدنى بن أحمد بن الحسن بن على بن يوسف بن محمد الكبير بن محمد ـ فتحا ـ ابن ناصر الشيخ العظيم الشهير ونسبه هو هكذا محمد ـ فتحا ـ بن ناصر وهو الشيخ ، ونسبه المتصل محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن أحمد بن محمد ـ فتحا ـ بن الحسين بن ناصر بن عمرو ابن عثمان بن ناصر بن احمد بن على بن سليم بن عمرو بن ابى بكر بن المقداد ابن ابرهيم بن سليم بن حرير بن حبيش بن كلاب بن أبى كلاب بن ابراهيم ابن أحمد بن حامد بن عقيل بن معقل بن الهراج بن محمد بن جعفر الامير ابن ابراهيم الاعرابى ابن محمد الجواد ابن على الزينبى ابن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب .

هكذا ساق النسب خالد السلوى وفى سوس من الناصريين أفخاذ نذكر منهم من نستحضرهم

الناصريون السوسيون

فى زاوية (البور) فى (أولوز) بـ (راس الوادى) أولاد على بن الشيخ سيدى محمد ابن ناصر وقد كان والدهم على بن محمد بن ناصر ساكنا هناك فاعقب فيه أولاده القاسم وجعفرا وذلك معروف أنهم أوائل اولاد الشيخ ابن ناصر الساكنين بسوس

وفى قبيلة (امهرين) اولاد سيدى نوح بن يوسف . وهو أخو على بن يوسف . وهم قليلون لا يتجاوزون نحو اربع ديار وقرية (أدوار أوكرام) من (هشتوكة) اولاد سيدى سليمان بن يوسف وهو أخو نوح وعلى ابنى يوسف ، ومنهم الفقيه محمد بن القرشي وسيدى الهاشم كاتب الكنتافى وفى قرية (تو الشيخ) اخوان لهم ، وهذا الفرع غير قليل النسل وفى (ادا وعيسى) من هشتوكة اولاد سيدى محمد بن بوبكر بن على بن يوسف ،

وهم قليلون وفي قرية (تيسغليت) من (أولوز) اولاد العلامة محمد بن عبد السلام المحدث المشهور المتوفى 1239 وقد اخبرت ان ديار اسرتهم تزيد على اربعين ، ومن ابرزهم الفقيه محمد بن اسماعيل ، وفي زاوية (ازيض) من قبيلة (امهرين) اولاد سيدى الحسن بن على بن يوسف واخوانهم اولاد سيدى العربى بن على بن يوسف وهم اخوان آل سيدى المدنى الساكنين في (تانكرت) وكذلك يقطن بعضهم فى (زاوية سيدى بلقاسم) بن على بن يوسف وفى (اقا) أولاد سيدى الحنفى بن على بن يوسف ، وهم نحو خمس ديار وكذلك فى (ادا وتنان) وفى (تافيلالت) فى قبيلة ادا محمود مشهد سيدى محمد بن الحسين الناصرى يقام عليه الموسم الى الآن

هذه بعض منازل الناصريين في سوس . او كلها واما فى خارج سوس فكثيرون ومن بينهم اولاد سيدى على بن يوسف كالذين فى (تيعزات) بالشياظمة حيث لا يزال بعض فقهائهم احياء الى الآن

ال سليمان الناصرى

1 ـ سليمان بن يوسف بن محمد الكبير ، بن محمد بن ناصر

هو صاحب الفهرس المشهور القبر وسط (تيدسى) وامه زينب بنت احمد بن أحمد التيدسى الانصارى وهؤلاء التيدسيون الاصليون اخوان آل (تاكوشت) ـ ويحسبون أنفسهم من الانصار ـ كان سليمان يقرأ فى (فاس) فى رفقة الملك مولاى سليمان العلوى ، ثم جاء الى اخواله فى (تيدسى) فقطن بين ظهرانيهم الى ان توفى هناك ، وقبره مشهور عليه مشهد محترم وله من الاولاد أحمد ومحمد والصديق والحسن والزمزمى والحسين وحمو ، فأما الاخير حمو فقد اعقب آخرين منهم حمو (تسمى باسمه لأنه ولد بعد ابيه) ويقطنون فى (تيدسى) واما الزمزمى والحسين فلم يعرف لهما من يروى لى عقبا ، وأما أحمد ومحمد ابنا سليمان فان أعقابهما فى (الكضائف) وهوارة

2 ـ الحسن بن سليمان

فقيه جليل مذكور كان يدرس حينا فى مدرسة (ادا ومحمد) (بهشتوكة) قبل ان يكون فيها الشريف الكثيرى وذلك قبل 1250 هـ. وقد اعقب بنات ، والحاج التهامى وسيدى موماد ثم أعقب هذا آخرين ، ومسكنه فى قرية (تو الشيخ) والمقصود بالشيخ ابن ناصر ، ودفن فى المشهد الذى دفن فيه بعده الشريف الكثيرى فى (ادا ومحمد)

3 ـ الحاج سليمان بن مومـاد بن الحسن

فقيه كان يسكن فى (أونايـن) هو وأخواه الحنفى والعربى . فكان

يشارط هناك طوال عمره ، وأكبرهم الحنفي هو الذى علم اخوانه القرآن ، توفي نحو 1348 هـ.

4 ـ الحاج الهاشمي بن موماد بن الحسن المولود نحو 1294 هـ .

أخو اولائك الاخوة أبناء موماد أخذ القرآن عن اخيه الحنفي ـ كما تقدم ـ ثم أخذ من (مراكش) بعد ما اخذ قليلا في (سوس) ولعله اخذ عن آل علي بن سعيد اليعقوبي وقد كان للحاج الهاشمي سعد دنيوى ، فكان كاتبا عند القائد الحاج الطيب الكنتافي حين كان في (تيزنيت) فكل ما يكتب به فانما هو بقلمه ، وكان يسايره وان كان ليس بسيىء النية . ولا بمحب للظلم ولا بالمتطلع الى استنزاف أموال الناس . وقد عرفته رحمه الله في (مراكش) فقد كان يلازم الصلاة في المسجد الكبير ، ولا يكاد يفارق الجماعة فيه في الاوقات ، وقد توسع توسعا ما في ذات يده ، وله خزانة لاباس بها على قدر معلوماته الضئيلة وقد توفي فجأة رحمه الله ، (ثم علمت انه اخذ كثيرا عن العلامة سيدى ابرهيم الكدميوى كاتب القائد الكنتافي)

5 ـ ابو بكر بن موماد بن الحسن

أخو من قبله له قبصة (1) من المعارف ، أخذ من بعض مدارس هشتوكة ولا يزال حيا وقد حج أخيرا وقد عرفناه عليه مظهر كمظاهر العلماء ، هين لين ، جالسناه كثيرا عند القاضي أو عامو ، ولايزال حيا 1381 هـ . وولادته 1296 هـ .

6 ـ الصديق بن سليمان

احد اولاد العلامة سليمان نزيل (تيدسي) واحد البارزين من بين اهله ، فاشتهر ، وهو الذى نزل اولا في القرية المسماة (أدوا رأوكرام) وقد كان المحل معروفا بسيدى محمد التاليطي الوالياضي ، فانقرض أهله ، فنزل سيدى الصديق في منازلهم فاضيف اليه المكان . وتناسل فيه أولاده وكان ذا معلومات ، تقيا يتبرك به الناس على عادة الناس اذ ذاك بالناصريين . وقد تاخرت وفاته عن اخيه الحسن . وبامره نقل من داره الى مدفنه في (ادا ومحمد) وكان سيدى الصديق مجاب الدعوات فيما يحكيه عنه الناس ، فقد دعا على انسان بالجذام فاستجيبت دعوته

7 ـ محمد القرشي بن الصديق بن سليمان

وقد أدرك حياة جده سيدى سليمان كثيرا ويحكي عنه وهو فقيه حسن يذكر ، وله يد في القراءات المتعددة ، وكان عابدا معتقدا فصيحا معلوما بذلك ، واذا حضر بين المجتمعات يكون هو الذى يقرأ فيها الرسائل الرسمية ، وقد كان معاصرا للقائد محمد الديلمي ، قبل ولده القائد ابراهيم

---

(1) القبصة كتمرة وقبة بالصاد ما ياخذه الانسان باطراف الاصابع المجتمعة .

وكانت دارهم محترمة   توفى 1297 هـ ، ودفن فى القبة المبنية على سيدى محمد التاليطى الوالياضى

8 ـ الصديق بن محمد القرشي بن الصديق بن سليمان
فقيه مشهور أخذ أولا عن سيدى على الخياطـى القراءات السبـع كمـا اخذ عن سيدى زوين ثم أخذ من (مراكش) فكان عالما مشهورا يشارط فى المداوس فقد كان في مدرسة (بو الفاع) وسيدى (بيبى) و (اولاد حسين) في هـوارة وفى (أزرو) و (واداكر) فى (أمزمير) ولم يكـن يجرؤ على البروز امام اخيه سيدى احمد الاتى ، توفى نحو 1344 هـ.

9 ـ سيدى احمد بن القرشي بن الصديق بن سليمان
الفقيه القاضي المشهور عقودا من السنين في هشتوكة   وهو قاض رسمي بظهير شريف   اخذ عن العلامة محمد بن على بن سعيد اليعقوبى الايلالنى ، وعن اساتذة (مراكش) حيث لازم ست سنين   طال عمره كثيرا الى ان استوفى مائة ، وقد توصل بالنيابة فى القضاء من يد القاضي سيدى عبد الكريم المتوفى 1295 هـ ، وقد ناب فى (تارودانت) عن قضاتها أربع سنين في العهد العزيزى ، وقد أمر قاضيها ان يبقى فى (مراكش) اذ ذاك لشيء ما . ولم يكن له باع في المواريث . فكان يتعلمها بعد الكبر من بعض معاصريه ، قال فيه ابن الحبيب فى كتابه (تعطير الطروس)
ومنهم الفقيه ابو العباس سيدى احمد بن القرشي الهشتوكى اصلا ، الناصرى نسبا ، كان رحمه الله حسن الطوية مع الناس ، يفضى بين الخصوم ويعدل فى احكامه ، مع جودة القلب والجوارح ، محبوب لدى الخاصة والعامة الى ان توفاه الله

10 ـ الفاضل بن احمد بن القرشي بن الصديق بن سليمان
اخذ عن الاستاذ اعابو وعن الاستاذ محمد بن ابرهيم الركراكى فكان فقيها لا باس به وقد تصدر للعدالة ما شاء الله ، توفى سنة 1369 هـ.

11 ـ محمد بن اسماعيل
تقدم انه من احفاد العلامة المحدث محمد بن عبد السلام الناصرى وانه فقيه ، وليس عندنا الآن ما نقوله عنه . وقد تـوفى ـ فيما قيل لى ـ قبل 1930 هـ. وبه سمى سيدى محمد بن اسماعيل الطالب الحى الآن 1380 هـ. ثم رثاه العلامة سيدى عبد الله بن محمد الالغى صاحبه وخليله بقوله .

12 ـ محمد بن الحسين بن على بن يوسف   الرجل الصالح الذى يقام عليه موسم (تافيلالت) كل سنة في جهة (تاركانت) وهو عالم أخذ ـ فيما قيل ـ عن التاساكاتى   ثم التـقى بسيدى عبد الله بن عمر من (أسيف ييك) التنانى واتخذه شيخا اخذ عنه بعض الاسرار ـ فيما يقوله اهله ـ ثم انه شارط عند أهل (تافيلالت) يحكم فى نوازلهم ويرشدهم

ويعلمهم حتى اعتقدوا فيه كل خير وقد اتخذ مكانه زاوية تنهال اليها طوال حياته الطويلة الوفود من القبائل المجاورة الى (متوكة) الى (حاحة) وقد عرف له القواد الحاحيون (آل بيهى) مقامه في الخير فبنى له القائد الحاج عبد الله بن عبد الملك الحاحي زاويته ببناء ضخم لا يزال ماثلا الى الآن 1380 هـ. توفي 1280 هـ. وولادته ان صح أنه أخذ عن التاساكاتي المتوفى 1214 هـ. تكون حوالى 1190 هـ. فيعيش طويلا وقد خلفه ولده أحمد في زاويته ، ثم لم يلبث ان لحق به بعد نحو سنة ونيف ، وله بنتان رقية تزوجها ناصرى يسمى احمد بن الحسين ، وعائشة وهي التي تزوجها سيدى محمد ـ فتحا ـ الكرسيفي ، ثم لم تنشب أن توفيت والموسم يقام في الخميس الاول من شهر شتنبر الفلاحي في كل سنة وهو موسم تجارى مهـم

13 ـ محمد بن المدنى بن ابى بكر بن علي بن يوسف ، ولد في زاوية (تامكروت) نحو 1260 هـ. فاخذ العلوم عن الاستاذ الكبير سيدى القرشي ابن محمد السملالي ـ وهو علامة جليل نزل في (تامكروت)وتعلم فيها ثم تزوج ناصرية ، فاقام يدرس هناك الى أن توفي ولا يزال عقبه هناك الى الآن .

ثم ان سيدى محمد بن المدنى صار على عادة أهله يتقرى البلاد للارشاد فنزل أولا في زاوية (أزرو) من (تاليوين) بسوس . ثم الى (تافيلالت) وتوفي في (بو الاعوان) حوالى (ايمنتا نوت) ودفن ـ كما يقول ولده ـ ازاء سيدى غانم هناك ، وسنة وفاته 1328 هـ. وقد كان يتصل بعلماء سوس ، وهو الذى خاطبه شيخنا سيدى الطاهر بن محمد بقوله

لله مـا قد مـر من يـوم سحر ... قلبى بلـذات كانفـاس السحر
دارت به كاس السرور مشوبة ... بجميع اشتات المنـى لا بالكدر
ماشيت من أنس كما خلعت على ... وفد الصبا نفع الشذا أيدى الزهر
او من حديـث مثل درضـمـه ... سلك بلبة نحرر بـات الحـور
ينسي بـه المـرء الخليع شبابـه ... حسنا ويذهل عن مرنات الوتـر
في مجلـس كالـروض الا انـه ... غض العلوم جنـاه لاغض الثمر
مـا بين شعـر مثـل خمر لـذة ... نلهـو به حينـا وحينـا بالخبر
في ظل من عـم الورى احسانه ... ما بين بدو في البسيطة او حضر
نجل ابن ناصر الرضا من جوده ... ما ان حكت تسجامه جـود المطر
ليث الشرى غيث الورى بدر السرى ... مهما سطى واذا همى واذا سفر
خلق كما هـب النسيم لطافـة ... وحـلى عـلوم كلهـا أبـهى درر
لازال في أمـن وظـل وارف ... يجرى بما قـد سره دور القـدر

---

(1) اسم قرية من قبيلة اداو محمد

وولده المدنى بن محمد هو القائم الآن بالزاوية وولادته - فيما يقول - سنة 1307 في (تامكروت) واخذ القرآن عن الاستاذ الحسن الاكلاوى وبعض معلومات اخرى عن غيره ولا يزال حيا الآن 1380 هـ.

14 - على بن يوسف

هذا اول وارد من فخذ آل سيدى الحاج المدنى الناصرى الافرانى الى (سوس) فسكن في (أولوز) فى حياة والده ، وقد كان والده عينه خليفه له هناك على زواياهم فى (سوس) فبقى هناك ما شاء الله الى ان رجع الى (تامكروت) بعد وفاة والده ، فقام مقامه ، وقد كان خلف وراءه فى (سوس) ولده الحسن حين رجع الى (درعة)

15 - الحسن بن على بن يوسف

قام على ساق على سنن السادة الناصريين فاهتم بالارشاد ونشر العلم في مدرسة له كان فيها اولا فى زاوية (أدوار) ثم أسس زاوية (ازيض) بعد قيامه مقام ابيه وكان له شان وشهرة في عصره ، وهو الذى أتى باخيه العربى بن على فاسكنه عنده ، وليس بشقيقه

16 - القرشى بن الحسن بن على بن يوسف

خلف الحسن بن على ولدين احمد والقرشى ، فكان القرشى اولا فى دار اهله ، وهو سيد صالح نشأ نشأة صالحة ثم بدا له ان يحط رحله فى (افران) حيث تكونت له هالة من الشهرة بالصلاح الذى يشاهده الناس منه - وسيرى القارىء فيما ياتى من كـلام الاستاذ سيدى محمد - فتحا - ابن البشير بعض اوصافه - وقد توفى نحو 1270 هـ .

16 - سيدى الحاج المدنى الناصرى الافرانى

هذا امام كبير ، وشيخ عظيم ، كان له فى (جزولة) نحو ثلاثين سنة مقام عظيم عند جميع الناس عامتهم وخاصتهم وقبل أن نقول فيه كلمتنا نورد ما قاله فيه المؤرخون قبلنا

قال فيه حفيده الاستاذ سيدى محمد - فتحا - بن البشير

(هذه نبذة يسيرة من حياة الشيخ سيدى الحاج المـدنى الافـرانى التانكرتى الناصرى نسبا ، التاوريرتى مدفنا ، رحمه الله تعالى ورضى عنه أما ولادته ففى زاوية (ازيض) بـ (راس الوادى) حسبما رأينا بخط بعض أعمامه ونصه

ولد لابن عمنا البركة سيدى أحمد بن الحسن ولد مع زوجته بنت عمه آمنة بنت أبى القاسم ابن على فى السادس من شوال عام 1251 هـ. وسميناه محمدا المدنى بن احمد ، أنبته الله نباتا حسنا وهناك امضى صاحب

الترجمة الطور الاول من حياته ، وتعلم القرآن والمبادئ ، ولكن شيئا من الغموض اكتنف هذا الطور من حياته ، حال دون معرفة الظروف التى تقلب فيها ، الى أن بلغ مبلغ الرجال فلا ندرى بالضبط من أى مسجد هناك قرأ القرآن ، ولا عمن قرأ وكل ما اعلم أنه لما حفظ القرآن الكريم وبعض المبادئ قدم الى (افران) لزيارة عمه الصالح سيدى القرشي بن على ابن يوسف ، وهو يومئذ كما طر بشاربه ، فمكث عنده اياما أو شهور ، وعمه المذكور اذ ذاك مستوطن بـ (سوق افران) فاستأذنه فى الذهاب مرارا فلم ياذن له ، فعزم على الذهاب من غير اذنه ، وكان العم ينام نومة فى القائلة اعتيادا ، وفى بعض الايام دخل الولد المنزل لنومة عمه ، فخرج ناويا الانتقال ، فلما بلغ الموضع المسمى (منكب افران) وجد عمه هناك ، كأنه فى انتظاره ، فعد ذلك من كراماته ، فحينئذ أخذ بيده ، وقد استولى عليه الخجل ، ثم قال له يا فلان هربت منا . فرجع به الى الدار ، فلما استقر بهما الجلوس ضرب العم بيده الارض ، ثم قال له يا مدنى ان اهل الدائرة قيدوك فى هذا البلد ، أو كلا ما هذا معناه وبعد مدة زوجه من ابنته (ربيعة) فأقام معه بـ (سوق افران) الى ان توفاه الله ، فقام بأمر الزاوية من بعده ، يقصده الزوار والفقراء ، عادة ورثوها من أجدادهم ، بقى هكذا مدة ، فكان اهل (تانكرت) خلالها يا تونه ، ويرغبون منه فى الاستيطان بين ظهرانيهم ، فلما لبى رغبتهم شرعوا فى بناء زاويته المعروفة له اليوم ، بالموضع المسمى بالظل ـ آمالو ـ ازاء قرية (تاوريرت) وكان الشروع فى بنائها ما بين عام 1280 هـ. وعام 1281 هـ. على ما نظن وبعد الفراغ من بنائها بنحو خمس سنين انتقل اليها ، فاستقر مطمئن البال رافلا من رغد العيش ، فى أضفى سربال ، وبها ولد جل اولاده .

كان رحمه الله تعالى محبا للعلماء يستغرق جل أوقاته فى المذاكرة والمدارسة ، يستقدمهم من النواحى لهذا الغرض الشريف ، وله مكاتبات ومراسلات مع زملائه المتصوفين ، تفيض شوقا وغراما ما ، وتعظيما واحتراما ، وها تعزية من الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى عزى بها صاحب الترجمة ببعض أعمامه وقع الاختيار عليها لاسلوبها الصوفى المحض ، نصها الحرفى بخط بعض الفضلاء

من على بن احمد الدرقاوى الى من هو قطب الوجود ومنه يستمد المعدوم والموجود ، من خضعت له رقاب العباد ، فى جميع الاقطار والبلاد واستوت سفينة سيره لربه على جودى الرشد والارشاد ، ومنه بالله ولله وفى الله التقريب والابعاد واستوت عنده فى جانب الله الاضداد والانداد ، فصار متوجا بتاج الانس بمناجاة الوحيد ، على كرسى التجريد والتفريد والتوحيد تحت عرش حضرة قدس العزيز الحميد ، فسقاه كاس الوحدانية الفردانية الصمدانية ، المشتملة على السكر بالصفات والافعال والذات الربانية ، فصار يقول بحاله أو مقاله :

شربت حميا حبكم مذ عرفتكم على ظما مني فزداد تلهبي
فلا مورد للعالمين كموردي ولا مشرب للعاشقين كمشربي
فلي رتبة تعلو على كل رتبة ولي منصب يسمو على كل منصب

فيزداد بشرب الكاس ، اشتياقا لا يقاس ، كما قيل

يزيد ظماه كلما ازداد شربه من الحب فاعجب منه ظمآن في شرب
وأعجب منه قربه لحبيبه فيزداد بالقرب اشتياقا الى القرب
فلا الشرب يرويه ولا القرب يشتفي به القلب بل يزداد كربا على كرب

وكما قيل

شربت الحب كاسا بعد كاس فلا نفد الشراب ولا رويت

فصار يعوم في بحر محيط الطويل الكامل والبسيط ، فشهد فيه الكون تجلي الصفات مقابلة بصفاته ، وتجلي الافعال مقابلة بافعاله ، وتجلي الذات مقابلة بذواته ، لان من تحقق بوصفه الذي هو الذل والعبودية ، يمده بوصفه من العز واوصاف الربوبية ، قال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا) الآية فاذا من عليه يكون سمعه الذي يسمع به ، الحديث القدسي (تلك الدار الآخرة) الآية وهذا الوصف الذي هو العبودية لله تعالى هو الذي أسكنه منازل الابرار ، وأفاض عليه ديم الاسرار والانوار (ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا) اعني بهذا السيد المبجل ، المعظم المكرم المفضل الذي رسخت محبته في قلب من لا يعرفه ، وأحرى من عرفه او سمعه ابا عبد الله المدني الناصري ، الذي هو العلم المنيف في الدين والخير . لما جبل عليه من خدمة المولى الكريم حتى عظم نفسه ، وحقر فلسه ، وجلب انسه .

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما

ابا عبد الله سيدي محمد المدني الناصري نصره الله على جميع أعدائه حسا ومعنى ، سفرا ومغنى . سلام الله ورحمته وبركاته ، وبعد فزادكم الله العناية وابعدكم من الجناية ، واتاح لكم من كل شر الوقاية ، ووقاكم من أهل الضلال والغواية ، وسبب ارعاف الاقلام ، التي هي عوض عن الاقدام . لما جبن مثلنا عن الاقدام ، تعزيتكم في عمكم الاغر ، وصنوكم الابر ، الذي صار الى رحمة ربه ، وقبيل المصطفى وركبه ، سيدي محمد بن ابي بكر عظم الله أجرنا وأجركم في مصيبة فاصبروا واحتسبوا (كل من عليها فان) ولا بد من يوم ترد الودائع) فان الموت هو الذي زين الدنيا وصوبها ، فلو خلقت الدنيا بلا موت ، وكنا فيها على الدوام ، لرأينا التعب والنصب . ولكن لما خلقها الله وقارنها بالموت والفوت والعدم لا باس علينا ، وهذا خلاف ما فهمته العامة من قولهم الدنيا لا فائدة فيها لما آلت للفناء ، وذلك لقلة عقلهم وفهمهم ، وعمى بصيرتهم ، ونحن نقول بخلاف قولهم ، لان العاقل لا يرضى بالدني،

عوضا عن العلي أبدا ، وأما سكرات الموت فبحسب الخير الذى بعده ، فليست الا بمثابة الحرث فى وقت البرد ، لما يحصل من الزرع ، كل الناس يصبرون لتعب الدنيا ليحصل القليل من الراحة ، ونحن لا نصبر على قليل من التعب ليحصل كثير من الراحة فى الآخرة ، بلى ورب الكعبة لا نرضى بالدنىء عوضا عن العلي أبدا . وأحرى من لم يفرح بلقاء الحبيب ، فليس بلبيب ، انظر اهل الدنيا فى لقاء الملوك كيف يكون فرحهم ، ولا يتأنون اذا قيل تكلموا ، فو الله والله ما نحن فى هذه الدنيا الا بمثابة من سجن فى السجن ، فاذا دعى للخروج أتراه يستهزئى ، أو يقول لهم لم نحتل ، لا بل يسرع ، وكل شىء يريده يجده اذا خرج ، وكذلك كلنا ننتظر الداعى أينما كنا ، ليس عندنا فى هذه الدنيا أمر ننتظر قضاءه ، سوى لقائه ، لا مال ولا ولد فادع الله يا سيدى المدنى لنا فى كل موطن الدعاء ، فان المحبة لله بلا علة ، هى التى تنفع يوم لا بيع فيه ولا خلة ، وهى دائمة بيننا وبينك والحمد لله ، والسلام يوم الاثنين الاخير فى جمادى الاولى)

هذا غيض من فيض ، وقل من كثر ، من أخبار هذا الشيخ رحمة الله تعالى عليه

أما وفاته فقد رأيت بخط محبه فى الله العالم النحرير سيدي يبدر ابن الحاج احمد السوقى ما نصه (وبعد فقد توفى حبنا فى الله ومن اجله ، سليل الاشياخ آل ابن الناصر الشيخ القدوة السنى سيدى محمد المدنى ابن سيدى احمد بن الحسن بن على بن يوسف الناصرى زوال يوم الخميس الثانى والعشرين من رجب الفرد عام 1306 هـ.وولادته فى سادس شوال عام 1251هـ وعمره 55 سنة غير شهرين واثنين وعشرين يوما ومن كراماته أنه قال لى فى المنام آخر الليل يوم السبت السابع من رجب ، لا تتخلف عنا يـوم الخميس الآتى ، فان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا بد من القدوم على الله ، انتهى قال ، وكتبه فى التاريخ اعلاه يبدر بن الحاج احمد بن على وفقه الله .)

أما اولاده فأكبرهم أحمد بن المدنى ، ولادته عام 1286 ووفاته 1355 هـ ثم أخوه القرشى وولادته فى حدود التسعين على مـا نظن ، ووفاته وسط شعبان الابرك 1341 هـ ثم أخوهما بالاب البشير بن المدنى ، ولادته 1292 هـ كما وجدت بخط والده ، ووفاته 25 جمادى الثانية 1366 هـ. ثم اخوه الشقيق الطاهر بن المدنى ، ولادته 1294 ووفاته فى صفر عام 1326 هـ. رحمة الله على الجميع بالنبى الشفيع .)

انتهى ما كتبه الحفيد وقال الاستاذ سيدى محمد بن احمد الايكرارى في كتابه (روضة الافنان) (ومنهم ذو الانفاس الرائقة ، والدعوات الفائقة ، والحكايات التى امست لها القلوب شائقة ، والخواطر تائقة ، الا حسب الانسب ، الذى ما وراءه منتسب ، الاجل الغطريف ، خادم الحديث الشريف السيد الحاج المدنى الناصرى الزينبى الجعفرى ، على مدعى مؤلف (زهر الافنان) وان خالفه معاصروه ممن لهم في هذا الفن أصيل الاغصان ، اذ جعلوهم من نسل المقداد ابن عم خديجة الطويل في الفضل النجاد ، وهو المشتهر قدما في كل ناد ، ولم ينكره من عمودهم من تقدم وساد ، كسيدى محمد ، وابنه سيدى أحمد ، ولا يخفى عليهم ذلك ، لو كان بطريق الرواية ، أو بطريق الكشف . مع أنهما لا يغفلان عن ذلك ، لأنه مرتبة لا أعلى منها ، ولم يثبت عنهما ادعاؤه ، ولا لهما اليه انتماؤه ، قالوا وهذا في عهدته ، حلم به في رقدته ، والله اعلم بالصواب ، واليه المرجع والمئاب ، وسيرته رحمه الله ارشاد العباد ، وحب الخير لهم ، والرأفة بضعفائهم ، لا يمل في المجاهدات ، ويميل عن خبث العادات ، يحب العلماء ويجل القدماء ، لا يذكر أحدا بسوء ، ولا يخطر على قلبه السوء ، قوله مرحبا وسهلا ، اينما حل حزنا وسهلا ، فيالها من بشارة ما اعظمها ، ومنة ما اكرمها ، أدى للاحسان والاكرام قدرا ، وحل في مجلسه صدرا ، لا يزاحمه زيد ولا عمرو بل اختص فيه بالابرام والامر ، تساعده المسرات على مرور الازمنة والاحقاب وأرته عرائس الامانى حالية الطلى حاسرة النقاب ، فلتك عنا خير نائب في لثم تلك الراحة ، وان تعذر فلتمرغ في تلك الساحة ، وآمرها باقراء السلام . وجليل التحية والاكرام ، ما طلع قمر وأينع ثمر ، توفى رحمه الله عام 1306 بداره بـ (تانكرت) محل ماء ، ومكان (تيغرست) فبنيت عليه قبة حافلة عام 1349 على يد المعلم محمد ابن الحاج بيبو الجرارى أثا به الله يوم الجزاء بشفاعة الذى له فيها الثواء ، بجاه النبى وآله ، والبخارى ورجاله ، فقد ورث مجده وسره أولاده الذين لهم القعود على الاسرة ممن ينسج على منواله ، في عباداته ونواله ، فالله يبقى فيهم سره للمعاد ، ويديم عليهم الستر للتناد ،

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى اضيف اليها الف آمينا)

وقال فيه سيدى على بن الحبيب في كتابه (تعطير الطروس)

(ومنهم الولى الاشهر ، الصالح الاكبر ، سيدى المدنى الناصرى الجعفرى ، دفين (تانكرت) بافران توفى عام ستة وثلاثمائة والف ، وعليه قبة حافلة ، كان رحمه الله صاحب دعوات مستجابة ، وحكايات مستطابة ، كان لسانه رحمه الله رطبا بذكر الله ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، يؤكد العباد على الحزم في دينهم ، واليقين في شؤنهم الدنيوية والدينية ، ويحب الخير لهم ، يجل العلماء والشرفاء ، ويؤدى لهم حقهم ويرفع منازلهم ، شيء غريب ، محسنا لهم ، سخيا جدا ، محظوظا أينما توجه

يلقى الخير ، محبوبا عند الخاصة والعامة ، مقبولا لا ترد شفاعته بين الناس ، ساعدته المسرات ، أرزاقه واسعة ، ونفقاته كاملة نافعة ، لا تطيب له الاوقات الا مع أهل العلم والخير ، يجتمع لله عند ذلك ، ولا يبالى بما وراءه ، والناس فى حياته ما بين صادر ووارد لديه ، وقد خلف أولادا أورثهم العلم والخير ، وجلسوا على منصة العلم ، ودرسوه ، وما مات من ورث العلم لاولاده)

(والآن) بعد ما سقنا ما قاله من قبلنا نقول نحن ، انني كنت كتبت عنه ما يلي

كان والده تركه صغيرا كما حفظ القرآن بورش وقراءة المكي ، فأراد ان يتعرف بأعمامه ، فقصد (أقا) فزار عمه الحنفى بن علي بن يوسف ، ثم الم بعمه الآخر سيدى القرشي ، وهو شيخ مسن هرم كان ينتظر من يقوم امامه وياخذ بيده ، ويترك بنته الوحيدة في يده ، فكان ذلك هو السبب ، حتى وقع بينهما ما تقدم ، ثم بعد أن زوجه بنته توفى العم بعد اسبوع وهذا وقع نحو 1270 هـ. وقد كان سيدى المدنى ينوى أن يشتغل بأخذ العلوم ، ولكن وقع له ما تقدم ، فتسبب عن ذلك أنه لم يزل حريصا على الاخذ طوال حياته ، الى أن كان عالما من العلماء .

ثم ان سيدى المدنى لم يزل شانه يعلو . واخلاقه ودينه وكرمه تفسح له فى صدور الناس ، حتى نال مقاما عظيما وقد اعتاد منذ أن ملك أمر نفسه أن يجلب اليه العلماء فهم جلاسه وأهل موكبه ، أينما حل وسار ، فنفعوه فى معلوماته ، حتى استحضر من مسائل العلوم ما لا يجهله مثله من المتصدرين فى المجالس ، وقد كان من هؤلاء الذين يلازمونه الفقيه سيدى يبدر بن الحاج احمد المتخرج بسيدى العربى الادوزى ، وقد توفى سيدى يبدر قبل 1320 هـ. وقد كان يشارط أحيانا فى المساجد ، وقد شارط سنة 1306 هـ. فى مسجد (ايزروالن) فقد بكر الى (تانكرت) منه ، فاذا بسيدى المدنى توفى فأخبر سيدى يبدر أنه رأى سيدى المدنى فى المنام ، فأخبره أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبره بأنه سيقدم على الله ، فلذلك بادر بالمجىء ، فصادف موته ، وأحمد بن يبدر ولده أخذ عن محمد بن العربى الادوزى ، وعن سيدى الحسين بيبيس ، وقد عمر الى أن مات آخر هذه السنة 1378 هـ. وأصل آل يبدر من (ادا وشقرا) ودارهم فى قرية (السوق)

ومن الملازمين لسيدى المدنى الفقيه سيدى الحسين بن الحسن التعرابتى المتخرج بسيدى محمد بن ابرهيم التامانارتى ، توفى 1344 هـ. وولده محمد ابن الحسين من الآخذين من المدرسة (الالفية) وهو على شرطنا فى هذا الفصل لكننا لم نجد لهما عندنا الآن ترجمة ، توفى قبل أبيه نحو 1327 هـ.

ومنهم الفقيه سيدى عبد الرحمن التادرارتى البعمرانى (المذكور بين اهله فى هذا الجزء نفسه . ومنهم الفقيه سيدى محمد ـ فتحا ـ بن المحفوظ

التازيمامتي - وقد ذكر في محل آخر - ومنهم الفقيه الحسين بن الحسن اوباكي ، جاره ، كان يلازمه وينسخ له ، وقد تخرج بابن المحفوظ المذكور ، وبمحمد بن ابرهيم التامانارتي ، توفي في (البيضاء) بعد 1360 هـ. وقد كان حينا في (حاحة) ما شاء الله فعن هؤلاء اخذ العربية والسيرة والتفسير وقد كان معنيا بسيرة الكلاعي وبشرح الشفاء للجشتيمي المختصر من (نسيم الرياض) للخفاجي ، وقد كان مجلسه مجلس علم ومذاكرة ، والاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، يجمع لها الناس ، خصوصا في الليالي المباركة ، ومن عادته أن يسيح في القبائل على عادة الناصريين ، ليرشد الناس ، وليصلح بينهم ، وليهدئ من خصوماتهم ، بل لا يكاد يسمع بحرب حتى يطير اليها فيسعى في الصلح ، ولكونه مهيبا مطاعا يقع النجاح بسعيه ، وقد كانت له مكانة في القلوب ، وحسن ظن من جميع الطبقات ، وكان في نفسه على الهمة عابدا ناسكا متواضعا ، حسن المعاشرة ، توثر عنه نوادر مع جلاسه ومن نوادره انه كان ياكل مرة في داره مع اصحابه كسكسو فوقه دجاجة ، فصار يقتطع من الدجاجة وحده وياكل ، ولم يطعم منها جلاسه ، فقال له احدهم ما هذا ؟ فقال له او ليس ان الدار داري والطعام طعامي ، فقيل له بلى ، فقال انني احللت لكم الدخول الى داري ، ولم احل لكم اكل دجاجتي هذه ، او لم يكفكم انها جعلت لكم المرق في الخضرة وجعلت للكسكسو حلاوة - فعل ذلك تندرا - ولم يزل في جميع قبائل الجنوب السوسي مسموع الكلمة متبوعا موقرا مبجلا . وحين نزل الملك مولاي الحسن في (وادي نون) زاره فأركبه على رمكة ، وخلع عليه حلة بيضاء ، واخرج اليه ظهير التوقير ، ثم زار (مراكش) اثر ذلك مع سيدي محمد بن الحسين التازاروالتي ، فتشرفا بالمثول بين يدي الملك ، فرحب بهما ، فاقاما بالمدينة ستة اشهر ، أمضاها سيدي المدني في الامداح النبوية ، وفي معاطاة العلم ، وبعد رجوعه أصيب بالمرض السكري ، لأنه كان يكثر في الاتاي ، فكان سبب وفاته .

وقد كان مع ذلك المرض يكب على مدارسة الكتب ، فقد كان سيدي الطاهر بن محمد المشهور ، وسيدي العربي الساموكني ، ظهرا اذ ذاك ، فكان يرسل اليهما ليلا ، فيتلوان عليه من كتب التفسير او الحديث ، الى ان يطلع النهار وقد سمعت من شيخنا سيدي الطاهر ما يدل على انه كان يعتني به كثيرا اذ ذاك ، كما أن الشيخ الالغي كثيرا ما يذكره ويصفه للفقراء ، ويقول انه قطب وقته ، وقد كان ممن يحضر مجالسه للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليالي الجمعات ، وهو اذ ذاك في المدرسة (التانكرتية) (1286 هـ 1289 هـ.) واحسب انه هو الذي تلقن منه الطريقة الناصرية في مبدأ امره

وقد كان يعاني الاسباب والكسب ، فيحرث في معدر (ادا ولكان) وفي المعادر غيره ، وله غنم ، ولكنه لكرمه كثيرا ما ياتي عليها للضيافة ، ومن عادته ان يخرج الى القبائل في وقتي الصيف والخريف للارشاد ، وكان

يالف كثيرا رياسة مشاهد (اداولتيت) فلا يفلت مشهدا ، وموكبه لا يقل عن نحو أربعين طالبا يقرأون الحزب ، ويقومون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي ذكره الدائم قياما وقعودا في الجماعات ، فاذا خلا وحده يتهجد

ومن مواقفه المشهورة في اطفاء النائرات اعلانه للسلم بين أهل (مربيض) واهل (تامانارت) بعد مادقوا بينهم عطر منشم سبع سنين ، وكذلك افراجه عن سيدى الحسين بن هاشم بعد ما حوصر في (ايليغ) بالقبائل في القضية المشهورة التي ذكرناها في غير هذا المحل سنة 1302 هـ. وكذلك هو الذى سعى عند الملك مولاى الحسن حتى اعرض عن سيدى الحسين ابن هاشم بعد ما فر منه هذا سنة 1299 هـ. الى الجبال ، وان علمنا ان مولاى الحسن أرسل اليه الامان على يد الاستاذ محمد بن العربي الادوزى - كما يوجد في احدى الرسائل الرسمية التي ذكرناها في ترجمة هذا الادوزى في (الجزء الخامس) وهو الذى أطفأ أيضا نار الحرب بين الايغشانيين والسملاليين وهو الذى سعى في الصلح بين المجاطيين يوم حاصروا قرية (اديوالخد) من ايست همان ، فطمع المحاصرون للقرية ان يتم الماء في نطفيات اهل القريـة ، ولكن الله سقاهم غدقا ، فاذعنوا للصلح مرغمين ، وهو الذى وقف حتى بنيت مدرسة (تاجاجت) وله من امثال هذه المواقف عشرات ، وقد حبس مكتبته التي جمعها على الطلبة من أولاده فكمل الله له نيته فيهم ، فكانوا زينة جيلهم في العلوم ، ومما يتعلق بالمترجم انه مذكور في قصيدة لسيدى الحاج احمد الجشتيمي ذكر فيها من صادفهم في (ايليغ) في عهد الرئيس سيدى الحسين ، ونص القصيدة الذى ذكر فيها سيدى الحسين ، ومحمد بن العربي الادوزى وسيدى المدنى :

فـرح صـفى لم يكـن بالعيـد ... فرح حـكاه ولا بوصـل الغيـد
بشرى بوصل احبة القلب الرضا ... وافـوا بجمع الشمل عن تبديد
جمعتهم عند العبيـد سـعـادة ... عن طول شوق في مطال وعـود
أهـلا وسهلا بالكرام ومن حبـا ... ببدور سعد في سمـا التمجيد
ساداتنا اهل الفضائل من غدوا ... غـررا بدهم من دهـور سـود
نجل ابن موسى القطب في أقطارنا ... بدر الهدى الاسنى وبحر الجود
والاوحد الصدر الذكى في العلم من ... آل ابن يعقوب الـروا المـورود
وقـرارة الانـوار والاسرار مـن ... آل ابن نـاصر الهـداة الصيد
والمرتدى بالمجد من (افران) بد ... رهـدى وعـلم أيـا محمود
فكما الحيا المقصور أحيا الارض احـــيا الانس وصل ذوى الحيا الممدود
حفـظ المهيمن مجدهم وعـلاءهم ... حتى يـوافـوا جنـة التخليـد
هذا هو الفضل العظيم اتى بـه ... من فضل مولانا كمـال سعـود
حمدا لمولانـا وشكـرا مرتـضى ... ولنسالن ختمـا على التـوحيـد
باجـل خلق الله صـلى ربـنـا ... ابـدا عليـه وكل ذى تسويـد
من آل او صحب من اتبـاع على ... نسبل الرشـاد وكل ذى تقليد

وقد اجمعت القبائل على خدمة داره كما هو العادة اذ ذاك منهم لامثاله ، فجعلوا لها شيئا مخصوصا من محصولاتهم من قبائل بعمرانة والاخصاص ومجاط واد ابراهيم وادا ولتيت وايت وفقا ومربيض وايت جرار وقبائل تكنة صاع لكل دار ، وذلك كله يذهب في كرمه الجم ، وهذا هو السبب حتى اقامت هذه القبائل موسما عاما تجاريا على مشهده ، بعد بناء قبة عليه ، بعد وفاته .

ادركه اجله رضي الله عليه سنة 1306 هـ. وقد غسله العلامة ابو الحسن الالغي ثم صلى عليه سيدى محمد بن المحفوظ التازيمامتي السملالي فيما قيل لي ، وقيل سيدى محمد بن مولود التاغاجيجتي ولم تبن عليه القبة الاسنة 1347 هـ. وقد كان بني عليه بيت اثر وفاته اولا

ولسيدى المدني مع الالغيين اتصال يزورونه ويزورهم ، وقد كان الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله مؤسس المدرسة ، ذهب به الى مدرسته يوم اسسها ، فبارك فيها ، ودعا بعمارتها ، وكذلك كان للشيخ الالغي اتصال دائم بسيدى المدني يؤمه هو وطائفته للزيارة ومن هنا بذرت بذور الاتصال بين أولادهم الى الآن ثم أدى ذلك الى المصاهرة ، زيادة عن الاخذ في ميادين المعارف .

ومما يتعلق بالمترجم سيدى المدني ما قاله ابو الحسن الالغي أمام قبره مع ماذيله به سيدى الطاهر ابن محمد :

عهدتك تفرح بالزائرين وتهتز شوقا للقياهم
وتمنحهم كل ما يشتهون من خير دين ودنياهم
وينسى بك الوفد اهلهم فلا القلب يرنو لرؤياهم
وينجو لحوزتكم من جنا ويا من حيث دعى ياهم
كذاك حسبتك بعد الممات فموت الكرام كمحياهم

ثم قال سيدى الطاهر

فلا زلت غوثا اذا ما دعا به الناس في المحل لباهم
ولا زال بابك للزائر ين محط رحال مطاياهم
ولا زلت ان سارع الناس للمنازل في الخلد اعلاهم
وان لبسوا من لباس الرضا فانت لدى الله أرضاهم
عليك سلام اود الانا م فيك جميعا واوفاهم

17 ـ سيدى البشير بن المدني الناصري

هذا هو الذى سقنا اليه كل تلك الفذلكة لأنه هو المقصود بالذات .

متلقاه للقرءان

كان والده الشيخ شارط لاولاده في داره الاستاذ محمد ـ فتحا ـ بن احمد الحندقي التانكرتي وكان دائما يشارط ويعلم كتاب الله الى أن مات نحو 1334 هـ. والاستاذ أحمد بن هادوا الاخصاصي . وقد كان اذ ذاك مشارطا في مسجد (تاوريرت نعلي مجوض) ازاء دار الشيخ وقد امتد عمر هذا الاستاذ الى أن توفي في حدود 1346 هـ. والاستاذ الحاج محمد من (آل عدى) الشقراويين وهذا هو المقتول في طريق نحو 1320 هـ. أخذ عنه في هذا المسجد، ثم انتقل بعد وفاة والده الى(دوكادير)عند الاستاذ سيدى سعيد بن عبد المومن التاوييتي وقد كان فيها مشارطا ، فيرافقه هناك الاستاذ سيدى عبد الله بن محمد ، وسيدى مبارك بن عمر العلوى المجاطي ، فهؤلاء اساتذته في القرآن

في مدارسة العلوم

لازم المدرسة (الالغية) بعد تخرجه من القرآن عند الاستاذين علي بن عبد الله وابي القاسم التاجارمونتي سنين كثيرة ، وذلك بعد ما افتتح عند الاستاذ سيدى العربي الساموكني في المدرسة (الايغشانية) ولكن لكثرة ضغطات هذا الاستاذ ، فارقه وشيكا الى (الغ) حيث القى جرانه ، حتى استشف الكاس الى ثمالتها ، فاخذ النحو واللغة والفقه ، وكل ما يدرس هناك ولم يزد على ما اخذه هناك الا التفسير ، اخذه عن الاستاذ ييدر التانكرتي في دارهم ، في مسقط راسه . من الفاتحة الى حزب (ولا تجادلوا) وقد فارق (الغ) مرغما ، نحو 1315 هـ. بسبب أن أخاهم الكبير سيدى احمد ابن المدنى ، لم يقم كما ينبغي بشؤون الدار ، فقد اتى على كل ما فيها من الاثاث ، حتى دب الى الكتب في خزانة الشيخ والدهم فاذ ذاك لم يطق المترجم ان يصبر ففارق المدرسة بعين باكية . لأن نهمته لما يشبعها بعد ، وقد قال له أستاذه ابو الحسن الالغي الحق داركم قبل أن ياتي على كل ما فيها اخوك احمد

تقلبات احواله

انقلب من المدرسة (الالغية) كما رأيت ، تحفزه الغيرة على دار والده التي اصبحت شاغرة ، ولذلك لم يكد يفارق المدرسة ، حتى برز في ميدان والده ، فيتصل بالقبائل التي تحترم دارهم وبالرؤساء الذين لا يرون بوالده الشيخ سيدى المدنى بديلا ، ولا له نظيرا ، فاتصل بـ(ايليغ) عند الرئيس سيدى محمد بن الحسين بن هاشم فيتولى سرد الحديث في الرمضانات سنوات عدة ، وذلك بين علماء تلك الجهة اذ ذاك شرف عظيم ، ومجد مؤثل

وكذلك كان يحضر بعد سنوات في (ايليغ) فى حضرة القائد المدنى فى (بوزاكارن) فى شعبان ورمضان لذلك ايضا وللرؤساء اذ ذاك اهتبال بالحديث فى هذين الشهرين ، اقتداء بالحواضر وبالملوك وبالاساتذة فى المدارس الجزولية ، ولا يرى رئيس كمال رياسته ما لم تكن حوله هذه المظاهر كان الكرم مما ورثه المترجم عن والده فصار الوارد والصادر لا ينقطعان عن مثواه ، فجعل له ذلك هالة متسعة زيادة عن حسن أخلاقه ، ودماثة طباعه ، فكان لا يذكر الا بكل خير ، وعلمه وأدبه ومعاشرته لا مثال سيدى الطاهر بن محمد ، والاساتذة الالغيين ، ولعلماء أصحاب والده كسيدى محمد بن المحفوظ ، وسيدى يبدر التانكرتى تطير له شهرة طافحة بكل ثناء ، وقد كان يقوم بالحفلة السنوية المعهودة لوالده يوم الموسم ، فيستقبل الزوار احسن استقبال ، ثم يرد عليهم فى محلاتهم فيالف ويولف. مع حسن نية فى جميع أهل الخير ، وقد كان يفد على الشيخ الامام سيدى الحاج أحمد بن عبد الرحمن الجيشتيمى فى صحبة سيدى الطاهر ، وابى الحسن الالغى ، أو وحده أحيانا ، وكان يكاتبه ان لم يفد عليه ، فقد اتخذه شيخا فى الطريقة الناصرية ، فعادت عليه بركته فى أعماله واقواله حتى صار له معتقدون ، وهو اهل للاعتقاد الحسن .

تزوج زوجين الاولى نحو 1315 هـ. عائشة بنت الفقيه أحمد بن محمد الخياطى التوماناری ، وهى أم ولديه الطاهر والمهدى ، وهى التى طلقها المترجم أخيرا ، بعد أن لم يطق الصبر على شراسة يلاقيها منها وحول طلاقها وحول أمة لها دار ما دار بين أبيها احمد الخياطى وبين الاستاذ على ابن عبد الله كما ذكر بعض ما يتعلق بذلك فى ترجمة الخياطى بين أهله فى ترجمة سيدى عثمان الايكرار فى (الجزء الثالث عشر) ولا تزال عائشة حية الى الآن 1378 هـ. وقد تزوجت بالحسين بن على اخى الفقيه محمد بن على ساكن (البيضاء) حتى توفى والثانية آمنة بنت الحاج الحسين من (اد شاكوك) الاسرة الماجدة المشهورة من (تانكرت) وذلك 1327 هـ. وهى أم أولاده أحمد المولود فى ربيع الاول 1329 هـ. وعبد الله نحو 1333 هـ. ومحمد ـ فتحا ـ 1335 هـ. وعبد الرحمن المتوفى اليوم ، واربع بنات كبراهن نفيسة تزوج بها سيدى الطاهر بن محمد ، ولا تزال حية ، والثانية رقية ، تزوج بها سيدى محمد بن الطاهر ، ولا تزال كذلك حية وحبيبة تزوج بها القائد محمد بن البشير بن عمر بن الحاج احمد ، ولا تزال حية وحفصة لا تزال بكرا فى دار أهلها

كان للمترجم اتصال بالهيبة لما بويع فقد ورد عليه فى (تيزنيت) مع سيدى الطاهر ، فكان له ظهور عند الاعراب فكان يتولى تلاوة القصائد التى تقدم للامير الجديد فى المجامع ثم صاحبه الى (مراكش) فنزل هو وسيدى الطاهر فى زاوية ماء العينين فى (رياض الزيتون) ـ وقد حولت بعد الى مدرسة ابتدائية ـ وهناك نهب متاعهما يوم الهيعة . وقد ذهب

مركوبهما وبكل ما معهما ثم أويا الى دار القائد عمر الزمراني ، فعنده اختفيا حتى هدات الحالة ، فتوسط لهما عند الاكلاويين فرد لهما ما ظهر من البهائم ، ثم سافرا على طريق (وادى نفيس) فمرا بالقائد الطيب الكنتافى فرحب بهما . وبقيا عنده الى ان استراحا اياما ، ثم الى (تارودانت)

وكثيرا ما يقوم بالاصلاح بين القبائل ، فيتم الصلح بجاهه ، وبحسن الاعتقاد فيه ، وخصوصا فى (ايت بعمران) وفى (الاخصاص) كما أنه يسعى فى المسامحة بين ذوى الدماء والقاتلين ، فينجح مسعاه وهناك حرب كبرى بين القائد المدنى والبعمرانيين أعيا الاصلاح بينهما الساعين ، حتى اذا تصدى لذلك نجح مسعاه ، فخاطبه الاستاذ الالغى بقوله منشدا

ورد البشـير بما أقـر الاعينـا فشفى الصدور فبلغ الناس المنى

واستبشروا وتزايـدت أفـراحهم والناس مشتركون فى هذا الهنا

وكان من المعتاد أن لا يفارق الشيخ سيدى الطاهر حيثما ذهب فكانا معـا يحضران فى تلك الحـروب الكفاحية التى يدافـع فيها الجزوليون جيوش الاستعمار ، كحرب حيدة فى (وجان) ويوم قتل ، وفى الحرب الجنرالية ، وفى زحف الى (أقا) مع القائد المدنى ، وفى كل وفدة الى (الغ) فيذكر دائما فى المساجلات الالغية فى الادبيات . والى (كردوس) ايام الهيبة ومربيه ربه ولا ينفرد عن سيدى الطاهر الا فى اسفاره الخاصة ، حين يتعهد المعتقدين فيه وفى والده ، فيتتبعهم على عادة الناصريين كان أكثر الناس استحضارا للادبيات ، فينشد فى كل مناسبة نوادر الابيات . كما انه يستحضر التواريخ ويلم بالاخبار الماضية فى تلك الجهات ، وقد وسـع الله صدره وشرحـه للمباسطات والفكاهات يحكيها بمناسبات لجلاسه

ومما وقع له في ذلك . انه كان مرة وافدا على (الغ) هو وسيدى محمد ابن الطاهر فوصلا دار الاستاذ على بن عبد الله فى الهاجرة فقدم اليهما الاستاذ ما سنح ووجد فكان كسكسو مع قعب من اللبن فخرج عنهما الاستاذ لياكلا كما شاءا لانهما يستحييان منه قال سيدى محمد بن الطاهر فاكل سيدى البشير أكلا ذريعا وقد استطاب الكسكسو باللبن بعد حرارة الهاجرة ولم أتناول أنا الا قليلا جدا ، لأننى أتطلع الى أكل الخبز لو وجدته ، فكان ما أمامه كانه ملود ، وما امامى كانه عش عصفور ، صغير ، ولكن ما كاد يسمع خطوات الاستاذ ، وقد اهوى ليدخل الينا ، حتى أدار بسرعة القصعة فكان أمامى ما كان أمامه ، وما أمامه كان أمامى ، فاذا بالاستاذ يقول له مالك لم تاكل أنت ياسيدى البشير ، ام تالـفـون انتم الناصريين الخبز والطواجن وحدها ، فاصبر قليلا فان اختك كما ذبحت الدجاج قال سيدى محمد ، فصرت انا اذوب خجلا ، لأن الاستاذ يرى أمامى تلك الحفرة العميقة فيرى مقدار نهمى ، ولكن ما عسى ان اصنع الا ان اسكت على مضض .

كانت أخت سيدى البشير السيدة نفيسة تزوجها الاستاذ على بن عبد الله . بعد ما كان العلامة الحاج ياسين الواسخينى خطبها لولده ، ولكن زاحمه عليها الاستاذ باعانة سيدى البشير وأخيه سيدى الطاهر ، حتى غلبه عليها لانها لم تكن راضية بأهل واسخين وانما تعدى عليها اخوهـا احمد بن المدنى فوصل الحبل مع سيدى الحاج ياسين بلا اذنها فكرهت قبيـلة (تانكرت) ذلك ، فلم يتم ، كان ما بين سيدى الطاهر بن محمد ، وسيدى البشير كما يرى القارئى موحدا دائما حتى انصدعت الصفاة بينهما أخيرا ، قبل 1352 هـ. بسبب ما ادعى به على انسان . فالتجا هذا الانسان الى سيدى البشير وكان المحكم فى القضية هو سيدى الطاهر فاراد أن يحكم على المدعى عليه بصحة الدعوى فدافع المترجم عن الذى التجأ اليه . فكان ذلك هو السبب الخاص . ثم ادى ذلك الى ان فسد ما بين سيدى محمد بن الطاهر وزوجه ، فتشعبت القضية ، فلم تزل على ذلك أزمانا ، ثم التامت التئامـا اخيرا بين الفقيه سيدى الطاهر ، وسيدى البشير فقط .

كان مشهد سيدى المدنى ليس عليه الا بيت وعليه يقام الموسم التجارى المشهور من سنة 1307 هـ. ولم تكن الا حفلة سنوية ثم استحال موسما كبيرا ، يقام فى الخميس الاول من مارس ، ثم بنى المترجم القبة على والده 1347 هـ. وقد دفن ازاء الشيخ ولداه الطاهر والقرشى المتوفى منتصف شعبان 1341 هـ.

ثم بعد الاحتلال مختتم 1352 هـ. لازم المترجم داره فلم يعهد منه مغادرتها الا مرة واحدة ، فى اول الاحتلال الى (الاخصاص) ثم ربض بسبب فالج اصابه بعد 1352 هـ. بقليل وقد عزف عن الاتصال برجال الاحتلال مع انهم يردون عليه ، فيسالونه عن التواريخ فينكر أنه يعرف أى شئ ، حتى ايسوا منه ، فانقطعوا عنه

(أقول) انني كنت اسمع كثيرا بهذا السيد الجليل وقد اشتقت الى ان الاقيه . فلم يتيسر ذلك الا فى مختتم 1361 هـ. كما فى الرحلة الثانية ، من كتاب (خلال جزولة) فجالسته فى داره وهو لا يـكاد يبين لحبسة من لسانه بسبب الفالج فكانت تلك الجلسة هى الاولى وهى الاخيرة معه وقد انشدنا اذ ذاك ما سنح ، مما أودعته فى تلك الرحلة

في ميـدان الادب

للبشير بن المدنى فرس عداء فى ميدان الادب ، فانه أديب بطبعه وبخطه وباريحيته ، بله لسانه الذى يصوغ به ما يصوغ . فيشارك أدباء ذلك الوادى فى كل مناسبة وسنورد الآن ما تيسر من الادبيات حواليه ، منه واليه ، وسنختار من ذلك ما يستطاب مما بينه وبين معاصريه .

بينه وبين سيدي الطاهر الافراني

هناك بحر خضم من أدبيات ذلك الوادى الخصيب المرع بالقوافى ، وكان ما بين أمواجه ما راج بين هذين الاديبين الكبيرين . ولنذكر من ذلك ما سنح .

كان المترجم أعمل رحلته الى شيخه ابى العباس الجيشتيمى سنة 1327 ه فلما رجع هنأه العلامة سيدى الطاهر بزيارته وبرجوعه سالما بقوله

السعد أقبل اذ أقبلت والظفر ... بوركت من قادم وبورك السفر
غبت فاظلم أفق المكرمات فمذ ... قدمت زال الاسى والهم والكدر
فانت للانس انسان وهل احد ... يمكنه بسوى انسانه النظر
فاهنا بمقدمك الميمون منتظما ... لك الهنا والمنى والسؤل والوطر
عليك منى سلام الله ما طلعت ... شمس ومالاح فى جنح الدجا قمر

كما هناه ايضا ابن اخته الاديب سيدى محمد بن الطاهر بقوله :

دارت معتقة كئوس الراح ... فجلت أشعتها دجا الاتراح
بقدوم ذى الفضل العميم ومن بدا ... بدر الدجا وغزالة الاصباح
بشرى لنا بوصوله فوربنا ... ما كان الا الروح للافراح
قد غبت عنا يا مناى ولم تزل ... تشتاقك الارواح فى الاشباح
فابشر بوصلك سالما ومهنئا ... بالخير من رب الورى المناح
بتتابع الخيرات موصول الهنا ... متماسكا اعلى العلا بالراح
وتحية الرحمان دائمة على ... مثواك مثل معطر الارواح

وحين ولد احمد بن البشير لوالده سنة 1329 ه. هناه سيدى الطاهر بقوله :

هنيت بالنجل المبارك احمدا ... يا شمس فضل ما لمفخرها مدى
نجل يجدد من رسوم المجد والـــعلياء ما الشيخ ابن ناصر شيدا
لا زال فى حجر العناية ناميا ... حتى تقول له العلاهات اليدا
منى السلام عليك ما غنى على ... غصن الاراكة طائرا وغردا

كما هناه آخرون منهم سيدى محمد بن الطاهر بقوله

يا طالع السعد فى افق الكمالات ... أهلا بنورك فى ذى المدلهمات
اهلا بمولد شبل فى عرين هدى ... وبدر تم جلادهم الغوايات
لله زهر رياض فى الربيع اتى ... فى شهر ميلاد من آفنى الضلالات
فالله يكلاه من شر حاسده ... حتى يحل ذرى كل الكمالات
عليكما ابدا ازكى السلام كما ... قام النسيم واعطر التحيات

وكما هنأه ايضا الاديب محمد ـ فتحا ـ بن الحاج المشهور بقوله :

ليهنك يا من ينتقى العز ملبسا ... ومن فرع دوح المجد قد طاب مغرسا
ومن ان جرى ذكر المكارم فى الورى ... تنوع فى احرازها وتجنسا
ومن لم تزل قدما معاليه غضة ... وأغصانها ريانة منه ميسا
تذل له الشم العرانين خضعا ... وتعنو له من هيبة منه تكسا

ربيب العلا طيب الخلا سيدى البشـــ ـــير من دونه فى الفضل كل تقاعسا

وليد بدا فى غـرة الشهر غـرة فاصبح وادينـا بـه متقدسـا

سيصفو بـه عيش أظلك مقبـلا بـخـير وتلـقى وجهـه متآنسا

ويرضيك منه ما يزيد على الرضا ويستعبد ابن العبد والمتلمسا (1)

وانى اعـيـذ فضـله وكمـاله وعرضه باسم الحفظ أن يتدنسا

الى أن يكون بين ابـنـاء جنسه وان فضلوا ابهى وأنهى وأرأسا

ومـورد فضل بالعـلوم مفجـرا وعينا معينـا بالنـدى مبتجهـا

ومعها نثر نصه

بعد اهداء اعطر سلام ، لا عتب معه ولا ملام ، لحضرة السيد المهنا يليه التماس صالح الادعية ، من حضرة ناديك خير الاندية ، والاعتذار اليك مما اقتضاه حادث هذه السنة مما يؤكد الالفة من تزوار الاحبة فان للامور محامل حسنة

لا تنكرن عـدم الزيـارة سيدى فمحبتى طـبـع بـغـير تـردد

فأجابه عن المهنا الاديب سيدى الطاهر بن محمد بقوله :

اتت كسنا ضوء الصباح تنفسا وقد كان ليل الهم عندى معسعسا

قصيد جلت كل الهموم وأحرزت من الحسن والاحسان ما قد تجنسا

سلاسة لفـظ كالـزلال ورقـة كما زار محبوب بليـل فآنسـا

فلله فكر منك قد غاص لجـة المـــ ـــعانى فابدى جوهر اكان أنفسا

بعثت بهـا سحرا حلالا فروحت واحييت برياها قلوبـا وأنفسا

خدمت بها حبـا مقـام أخيك لا عدتك المنى يا خير من طاب مغرسا

فمنا سلام مثل مـا هبت الصبا على قلب محزون فأذهبت الاسى

على قـدرك العالى ومنزلك الذى على العز والمجد الاثيـل تأسسا

ومعها نثر نصه :

وعليك ايها الاخ المحمود الخصال ، المشكور الفعال ، أفضل ما منك الينا ، هذا وقد وافى موافاة النسيم هب صباحا ، ما أحيا القلوب انشراحا ، فدونك ما تيسر على قدر الفكر وكلالته ، وان كانت دون نظمك وجلالته ، وأما ما ذكرت من الاعتذار فالعذر مقبول على كل حال ، وأنت فى المجد حميد الخصال

هذا وقد كتب الاديب سيدى محمد بن الطاهر على ما قاله سيدى محمد بن الحاج أنه كان قرأ القطعة كلها من ديون البهاء زهير ومقصوده أنها سرقة

---

(1) ابن العبد هو طرفة ، احد اصحاب المعلقات .

وكتب ايضا سيدى الطاهر الى المترجم اثناء رسالة صغيرة

فابعث بجزء من التفسير للرازى يا من حوى خطتى فخر واعـزاز
لازلت فى فلك العليـاء مرتقيـا مراتبـا فى الفخار ذات اعجـاز

وكتب اليه ايضا هو واخيه سيدى الطاهر بن المدنى

ازكى السلام عليكما يـا وارثى سر السيادة والكمـال الناصرى
بدرى سماء المجد غصنى دوحة الـــفضل البشـير المرتضى والطاهر

فاجاب المترجم بقوله

وعليك يا بدر الدجا من صاحبى ود لـكم ازكى سـلام عـاطـر
هذا وقد وافى كـتـابـكم الذى ابهى وآنس من نسيم عاطر (1)

كما كتب ايضا الى سيدى القرشي أخى المترجم يستدعيه مع اخويه :

يـا أيهـا القرشي يـا سر الآلى حازوا المفـاخر والثناء العاطـرا
لا زال سـعـدك قائما يزجى الى ازهـار روضتك الغمام المـاطرا

فاجاب عنه الاديب سيدى العربى الساموكني بقوله

لبيـك من شيـخ دعـا لوصاله خـلا تنشق من شـذاه العـاطر
أبـقـاك ربـك ساميا فنن العلا متحليـا ببشـيرنـا والـطـاهر
وكذلك القرشي مع شمس الضحى النجل النجيب محمد بن الطاهر

واستدعى سيدى الطاهر بن محمد المترجم والطاهر اخاه بقوله

يا طرازى ثـوب السيادة يـا انـــسانى المجـد طاهر وبشير (2)
شرفـا حضرة الفـقـير بوصـل منكما فهـو جبـر قلب كسـير
واصحـبـا احمد بن صـالح الـصـــادق فى الود فهو أنس السمير (3)
وعلى حضرة الجـمـيـع سـلام كنسيم سرى بـروض مـطـير

وكتب سيدى الطاهر ايضا الى المترجم يستدعيه ايضا هذا البيت المفرد :

الا ان نار الشوق جاش بها الصدر اليـك فمن بازديـادك يـا بـدر

وخاطبه ايضا بقوله :

ايـا سيـدا شـغـل الالسنـا ثـنـاه كما عـلم البلسنـا (4)
لك اللـه من عـلم قـد سـمـا فالقت اليه الـنـهى الا رسـنـا
بقيت لرسـم الـعـلا فالـعـلا نخبة آل نـاصر شهـب السمـا

وخاطبه أيضا بقوله

يـا واحد الـعـصر الذى تنسما من السمـاك سؤددا وكـرمـا
ويـاهما مـا شـاد مـا تهدمـا من العـلا فـفـات من تقـدمـا
ويـا ابن سـادة كـرام عظمـا نخبـة آل نـاصر شهب السمـا

---

(1) نسيم عاطر هو اسم كتاب لصاحب كتاب (الدرر المرصعة)
(2) كذا بكسر طاهر وبشير ولا يظهر لنا سبب الكسر
(3) احمد بن صالح العلامة الذى ستاتى ترجمته
(4) البلسن لم نجد له من المعانى الا العدس واين البيت من هذا المعنى

صلنا لكى نطفئى ما قد اضرما　　طول البعاد من غرام اسقما
وان يكن ثمت (بحو) فاقدما　　معه فديتك لكيلا يندما
ثم سلام الله ما ترنما　　فوق غصون البان قمرى الحمى
على مقامك الكريم اللذ هما　　غمام نعماه فاذهب الظما

وعلى ذكر هذا الرجل المسمى (بحو) وكان من فكاهات مجالسهم هناك يذكر بيت من قطعة قالها سيدى الطاهر يخاطب سيدى البشير

اتاى البشير المادنى به الصح　　ولا سيما ان كان فى قربه بحو

وعزاه فى أخت له بقوله

تعزيا شمس بنى ناصر　　يا سمط ذاك الجوهر الفاخر
عن الحصان الاخت ست النسا　　زهرة غصن العفة الناضر
وردة صون نبتت فى ثرى التـــقوى بماء الورع الهامر
دين وحلم وحياء الى　　عقل رصين كامل وافر
وخلق طاب فجاء على　　وفاق ذاك النسب الزاهر
قضت على حين استوى نورها　　مثل سرار القمر الباهر
لم تر كفؤا فى الورى فسمت　　الى جوار الملك القاهر
حنت الى الجنة لما رات　　فساد هذا الزمن الجائر
ألحقها الله برحمته　　بصالحى سلفها الطاهر
تحت لواء المصطفى المجتبى　　خير الانام العاقب الحاشر
دامت عليه صلوات الرضا　　دوام دور الفلك الدائر
ثم عليكم يا بنى ناصر　　أزكى سلام فائح عاطر
ما نم مسك وهمى مطر　　وشاق صبا نغمة الطائر

وكان اجتماع يوما فى دار سيدى القرشى أخى المترجم ليلة عيد الاضحى 1327 هـ. فقال سيدى الطاهر

ادر فقد ساعد الامكان يا ساقى　　وارق الهموم بها فحبذا الراقى

وقال سيدى محمد بن الحاج احمد الافرانى

كاسا معتقة فى الدن كافلة　　بكل ما فرح للشرب منساق

وقال سيدى الطاهر

وعاطها مثل درذاب فى صـــدف البلور قد قلدت بالحبب الراقى

سيدى محمد بن الحاج

لا سيما بين اخوان بقربهم　　او رق غصن الامانى اى ايراق

سيدى محمد بن الطاهر

من سادة نبهاء العصر من بهم　　اذا شكوت جوى الاحشاء ترياقى

سيدى محمد بن الحاج

من كل ريان من ماء المكارم ذى ... فضل الى غـاية الاحسان سباق

سيدى البشير بن المدنى (المترجم)

لازلت لازلت يـا جم المكارم فى ... سعد وفضلك فى زيـد واشراق

وفى اجتماع آخر قبل هذا فى هذه الدار نفسهـا بعد عيد الاضحى سنـة 1326 هـ. قال سيدى محمد بن الطاهر :

لله جمع بـدا فى اليوم مرتـاد ... أحسن به فهو للافـراح ميعـاد
قد ضمه منتدى دارت مشعشعة ... كأس السرور وهم فى الفضل أنداد
ما شيئت من ماء زهر طيبه عبق ... والعود ذاك وهم من طرب مادوا
وكيف لا وبهم شيخ المشايخ من ... قاد الورى للهدى والفوز فانقادوا
وفيهم الماجد الغطريف والسيد الـــــشهم الاديب الذى للمجـد رواد
السيد المرتضى الخال البشير ومن ... ما نال غايـتـه قـوم ولا كادوا
وفيهم القرشى الخال لست ترى ... نـدا له من له فى المحل ارفـاد
هم سادتى وهم فخر الزمان وهم ... نـور الظلام هداة الناس أنجاد
ابـقـاهم الله فى انعـامـه فهم ... منى القـلوب وهم للدين أوتـاد
وصان عيشهم من كل مـا كدر ... وعن سبيل الهدى والرشد لا حادوا

ولما كان التحام بين سيدى البشير بن المدنى ، وبين سيدى الطاهر بن محمد كان هذا يجيب عنه كثيرا مما يرد عليه ، فهذه اجوبة متعددة كتبها عنه الى الاستاذ الايكرارى ، منها هذه القصيدة التى هى جواب تتعلق بأداب شرب الاتاى وبما يتعلق به

دعـت والحسن داعيـه مـطـاع ... فـؤادا مـاله عنـهـا انـتـزاع
فتاة من بنـات الفكـر مـاست ... فراعـت كل قـلـب لا يـراع
تردت حـلة من نسـج لـفـظ ... بديـع السبك حاكتها الطبـاع
عـقـيـلة فكر من ألـقى اليـه ... يـد التسليم والطـوع الـيراع
هو الندب البعيد الصيت رحب الـــــدسيعة فارس الهيجا الشجاع (1)
محمد ابـن أحمـد من تـبـدى ... بـ (اكرار) فطاب بهـا البقـاع
سـلالة معشر سـادوا وشـادوا ... مـكارم مـا لمفـخـر هـاد فـاع
بليـغ مصقع غـواص بحـر الـــــعلوم له يـد طـولى وبـاع
جلاهـا غـادة بكـرا فـجـاءت ... وليـس على محاسنهـا قـنـاع
تـنـث محـبـة وصـفـاء ود ... أدلتـه يـؤيـدهـا الـسـمـاع
وفى من حـب مهديهـا قديمـا ... رسيس ما لمـزنـتـه انقشـاع
أحاول كتـمـه فـيـنـم دمـع ... وانـفـاس لزفرتهـا ارتـفـاع
ولى بـولائـه مـجـد وجـاه ... وعـز لا يـضـام ولا يـضـاع

---

(1) الدسيعة : من معانيها الجفنة والمائدة الكريمة ، ومن معانيها الطبيعة

لذلك حل في قلبي محلا مصونا لا يعار ولا يباع (1)
فيا شهما حمى سرب المعالي وقد كادت تناوشها الضياع
ويا فرد الفكرته ابتكار لأبكار المعاني واختراع
أتطمع ان تجاري في مجال وسبقك لم يكن فيه نزاع
تكلفني على ضعفي بسير كسيرك وهو ما لا يستطاع
فقد غاضت مياه الفكر مما تبرضه بنو الدهر الرعاع
فان الشعر في ذا العصر شلت يداه فلا بنان ولا ذراع
واما ذانك الخصمان فاعلم بان جميع أمرهما خداع
فقصدهما جميعا سرط ما جمعته الناس طرا وابتلاع
فلا تسمع من الخصمين دعوى فمالهما عن الكيد انتزاع
وهب أن ادعاءهما صحيح وان الشر بينهما مذاع
وأن ثياب بينهما رثاث أما حسن لفتقهما ارتقاع
وكل منهما ندب كريم له من خالص المجد ارتضاع
وصلح ذوى العلا أولى فبادر فبالاصلاح ينقطع النزاع
بقيت لكل نادرة شهابا لليل المشكلات بك انخراع (2)
وخير تحية تسرى فتزكو بنفحتها نجود أو تلاع
تؤمك مانحا صبا خيال ازارته بثنية أو ضباع (3)
من العبد الطويهر والبشير اللذين بـ (أفرن) لهما اطلاع
أحلهما الكريم محل عفو وامن لا يهزهزه ارتياع

وهذه ايضا اجابة أخرى له الى السادة الادباء الناصريين السلويين ، كانوا كتبوا الى ابن عمهم سيدى البشير يطلبون منه ما يفهم من هذا الجواب

سلاهل سلا قلبي جنا ذرفي (سلا) ربى العلم مرعاها وأما الفلافلا
جنأذر اخوان هم الشهب في الدجا وهم سحب تهمى اذا الربع أمحلا
جواهر عقد الناصريين جعفر واخوته من نورهم في (سلا) علا
بنو العلم السامي بنو التاج بل بنو جواد المدى اللذ لا يقال له(هلا) (4)
بنو احمد الشيخ الامام ابن خالد سراج الهدى بل سيفه الصارم الطلا (5)
عليهم سلام ما تروح هائم بلثم كتاب من أخ فتعللا
كما من (سلا) حيا نسيم الصبا (سلا) أتانا كتاب منهم طيب الحلى

---

(1) فيه تلميح الى قول الشاعر فى وصف فرسه المسماة (سكاب)
أبيت اللعن ان (سكاب) علق نفيس لا تعار ولا تباع
مفداة مكرمة علينا تجاع لها العيال ولا تجاع
(2) الانخراع لعله يقصد الانشقاق
(3) نحاه قصده وضباع بضم الضاد من اسماء نسائهم ولكن المستعمل ضباعة لا ضباع الا فى الترجيم
(4) هلا زجر للفرس قال الشاعر وأى جواد لا يقال له هلا .
(5) الطلا بضم الصاد . جمع طلية العنق .

تجلى على (افران) من بعد مادجا — بـه ليل هم فازدهى وتـهـللا
فيا جعفرا حـاز الكمالات ناشئا — وبـذ ولم يجذع قـوارح بـزلا
وسابق في شاو العـلوم بهمـة — سمت فوق هامات السها فتنزلا
جمعت معالى كل ابـنـاء نـاصر — فـرادى ومـثـنـى أولا ثم أولا
ونظمتها عقـدا عليك مـبـاركا — فهنيئته عقـدا بسعـدك فصـلا
لقد تـاه هذا العصر منك بمفرد — ينوء بوزن الجمع حملا وما ائتلى
اما فكرك الماضي حسام اذا عـدا — عويص تولى حل ما كان اشـكلا
بعـزم رأى ان المعـالى بضائـع — فلم يرضه الا اشتراء الذى غـلا
الى ورع الشيخ ابن ناصر الذى — أبى نهجه الوضـاح أن يـتـأولا
عليه من الله الرضا ما همى حيا — معارفه في روض قلب فأخضلا
ومن فضلك الزاهى تواضعك الذى — سما بـك مقدارا وأعـلاك منزلا
فشرفتنـا بالكتـب منـك تنزلا — وليس يشـين البـدر أن يتنزلا
رسـالة صـدق من اخ لاخ وفى — فذكر في حسن الوفاء السموألا
فأهلا بها أهـلا فقد جددت لنا — عهودا لصبا من بعد ان صوح الكلا (1)
فهلا دعت والعود فينان للهوى — فنلهو بها صرفا ، ونشربها طلا (2)
فما هي الا غـادة قـلدت حـلى — بيان زهاها حسنه أن تتعطلا (3)
فلله فكر قـد غذاهـا نـمـيره — فعـل من الصافي الزلال وأنهـلا
فيا خير اخوان الصفايا فتى العلا — ويا فرع غصن في الفخار تأصلا
مقامك أعيـا فكـرتي فتبـلدت — فكم رام أن يثني يراعي فأجبلا (4)
فدونكهـا بنت المـودة والصفـا — وان كان نسج النظم منها مهلهلا
وعذرا ففكرى عاقه العي عن مدى — ثنـاك وسامح ان كبـا أو تبلبلا
فمن كان مثلى صادقا في مـودة — وجـاد بمجهـود فما كان قـللا
عليـك من العم البشـير تحيـة — يفاوح رياهـا جنوبـا وشمـألا
يؤمك مـا غنى الحمام وما صبـا — مشوق الى مغنى الجآذر من (سلا)

نحيي ونستمد تحية من عند الله مباركة طيبة ، ونسلم تسليما يكاثر غيوث المزنة الصيبة على مقام العلم والعمل الجامع من الفضائل مـا أربى على الامل ، الاخ الفقيه العلامة العلم ، الجواد المبرز في ميدان القرطاس والقلم ، البدر المجلي دياجير الظلم ، والحبر الآسي بترياق علمه ما بالقلوب من الم ، سباق غايات ، وصاحب آيـات ، وحامل رايـات ، ذى الهمم والعنايات ، وتصحيح البدايات والنهايات ، ذلك العم وابن العم ، الكاشف ما غم من الغم ، اسد معارك الابحاث الهاصر ، المبرز في ميدان الفضل الغير المتقاصر ، المحافظ على رعى العهود والاواصر ، درة تاج خير الاسرة سراة بني ناصر ،

(1) صوح النبت ـ وهو لازم ـ ذوى ويبس
(2) الطلاب بالكسر الخمر
(3) عكس به معنى ماقاله عمر بن ابى ربيعة
(وجـوه زهاها الحسن ان تتقنعـا)
(4) أجبل الشاعر اذا انسد عليه باب الشعر بعدما فتح له

سيدى جعفر ابن العم عالم أعصاره ، وناصر أمصاره ، تاج المفرق ، وفخر المغرب على المشرق سيدى احمد بن خالد الناصرى بدر هالة ثغر سلا مطلع الحسن والاحسان الذى لا يعذر من عنه سلا ، أدام الله عزه ، وحفظ حرزه ، وجعل التقوى والعمل كنزه ، وأنا ربدره وأعلى قدره وأطال في الصالحات عمره ، وسلام عليه ما طلع نجم ، ورعى نجم ، ورحمة الله وبركاته ، سلام اخوة وداد ، وانتصار به واعتداد ، (هذا) وانا نحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو على نعمه الوارفة الظلال ، الصافية الزلال ، ونشكره تعالى على ما أسدى الينا ، وتفضل به علينا ، من تشريفنا بكتابكم ، وما ادراك ما كتابكم ، كتاب جدد من أسباب النسب والوداد ، ما كاد ينسيه تباين البلاد ، وتطاول الابتعاد ، فجزاك الله من أخ سرى ، وزندورى ، وعبقرى يفرى خير فرى ، لا جرم أنه كان وروده عيدا ، وفالا سعيدا ، رد من السرور ما كان العهد به بعيدا ، اخذ الطرف حظه من بهجة خطه ، والفكر نصيبه من اتساق در معانيه فى سمطه ، وتناسب فصوله فى ايجازه وبسطه وعلمنا منه أيها الاخ الذى يفتخر بمثل اخائه ، ويعتد بولائه ، فى بؤس الدهر ورخائه ، مبلغ همتك العالية ، وقيمتك الغالية ، واستدللنا على ذلك بحسن اختيارك ، وتلاطم تيارك فاختيار المرء رائد عقله ، وتاليفه طبق نبله ، كما قيل

قد عرفناك باختيارك اذ كا ن دليلا على اللبيب اختياره

فان ما تحملته من نظم مفاخر آلك ، دليل على سعادة جدك فى حالك ومئالك ، فزادك الله اهتماما ، وأمدك بالمعونة ابتداء واتماما ، وأثابك أجرا ، واربحك تجرا ، وكثر مثلك فى العشيرة الناصرية المباركة ، ذات المفاخر الغير المشاركة

آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضيف اليها ألف آمينا

والى هذا أيد الله عزمك ، وأنفذ حزمك ، فقد فهمنا ما رغبت فيه الينا من اعانتك على ما تصديت له بما عندنا من تراجم الاجداد والاباء والاولاد والاخوة ، وما يناسب ذلك من الموالد والوفيات والاشياخ ، وما عثرنا عليه من الفوائد ، واشعار من يذكر ، مما تتزين به الطروس ، وتتحلى به تلك العروس ، فسنبذل الجهد فيما طلبت ، ونسعى فيما فيه رغبت ، رغبة فى دعائك ، وقياما بحق اخوتك وولائك ، مع مالنا فى ذلك من حظ يجب أن يذكر فيشكر ، ولا يجحد فينكر فان مفاخر الاباء غرر جباه الاولاد وقلائد اعناقهم وان تباعدت الاماد ، لكنا نرغب الى كرمك ، وسعة حرمك ، ان تمهلنا قدر ما نستدر القرائح ، ونستجمع المنائح ، ونراجع الدفاتر ونستجم الخاطر الفاتر فان ما كلفته من ذلك بعيد المدى ، عسير الادا ومتى ما تيسر ما لدينا انهيناه اليك ، او وفدنا به عليك ، ثم نعتذر بعد ذلك ونقول :

عجلتنا فاتاك عاجل برنا قلا ولو امهلتنا لم يقلل

فان الغرض المطلوب عريض بحره ، بعيد قعره ، والله يعين على ما يسرك ،

ويحصل به برك ، آمين ، فلولا عافاك الله وامتع بك ، ان العظم وهن ، والكبر ارتهن ، لقمنا لغرضك بما يحق بحقك ، وامددنا بما لدينا من الطيب مافى حقك ، فانا بحمد الله جهينة ما هنا ، وعيبة ما مرؤمنا وهنا ، فلو أعان الفراغ والجلد ، والزمان والبلد ، لجرينا معك فى طلقك وحشونا بما عندنا من فالوذج تلك الموائد لغاديد (1) حلقك ، فان درر قلائد الاسلاف رضى الله عنهم توهى السوالف ، ولكن الخلف جبرهم الله رضوا بان يكونوا مع الخوالف . ولولا انا نرجو ان يرتد نشاط الهمة بك وبامثالك ، وترجع الكرة بصائبات نبالك ، لكاد اليأس يغلب ، والقنوط يرهب ، لكن دعوة الاشياخ رحمهم الله فى حفظ شرفهم فى خلفهم لا تطيش سهامها ، ولا تنكس هامها ، فالحمد لله الذى أبقى منكم البقية ، ممن تنال بهم الترقية والتنقية فان فضل الشيوخ من فضل النبى صلى الله عليه وسلم :

وان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

وقد قال أمتى كالمطر الحديث ، وقال يحمل هـذا الدين من كل خلف عدوله ، وقال : لا تزال طائفة من امتى ، الحديث ، ثم انا نعم بالسلام الطيب المبارك فيه ، حضرة الاخوين الفرقدين ، والسراجين المتوقدين ، ابى المعالى سيدى العربى ، وابى عبد الله سيدى محمد ، وجميـع من ضـمـه ذلك البساط ، أو وقع به فى النسب او الادب ارتباط ، ونستمطر من الجميع دعاء بصدق همة ونية ، بنيل كل أمنية ، والثبات على الدين الى المنية ، ولتعلموا يا اخوتاه أن ملاك الشيمة الادب ، وأن التقوى اوثـق سبب ، وثمرة العلم العمل ، واجتناب الرعى مع الهمل ، جعلنـا الله وايـاكم من المهتدين ، المستمسكين بقواعد الدين ، ووفقنا الا نعدل عن سنن الماضين فى خير سنن ، من الاهتمام باماتة البدع واحياء السنن

طريق الزهد افضل مـا طريق وتقـوى الله تـاليـة الحقـوق

فـثـق بالله يكفـك واستعنه يعـنـك ودع بنيـات الطريـق

والسلام

وكتب رضى الله عنه على ظهرها ، الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه حيا الله حضرة الفضائل الاثيرة ، والمفاخر الكثيرة ، والمناقب النظيمة والنثيرة ، البدر الذى لا يشير الا اليه المشير ، سيدنا وبركتنا البشير ، وسلام عليه ألطف من خلقه ، واكثر من حقه ، ورحمة الله ، هذا فهاك ايها البر الرضا والبدر الاوضى ، ما سنح فى الخاطر وسمح به الفكر الغير الماطر ، نظما ونثرا ، فاقبل ما تسنى على علاته وزلاته ، ثم ان أفرط فى الاطناب ، فالتقط منه ما استطبت ، او اجحف فى الاختصار فزد عليه ما احببت ، فانما هو عفو قريحة قريحة ، عجل الله لنا وللامـة عافية مريحة ، فان اعجبتك فامهرها القبول ، ودعوة تتكفل بالمامـول والسلام مقبل الراحة ، الداعى لكم بتمام ودوام الراحة ، الفقير الطاهـر امنه الله)

(1) اللغدود واللغديد بضم اللام وكسرها : لحمة فى الحلق .

كما ان هناك خطابا من سيدى البشير لبعض الناصريين فى مراكش وهو سيدى التهامى الناصرى الذى صار بعد ذلك قاضيا ، وهو اخو سيدى عبد السلام بن احمد بن ابى بكر وهذا الخطاب كان ايضا بقلم سيدى الطاهر وهو :

سلام يزدرى عرف البشام ... على ابن الناصرى البر التهامى
اخ صحت مودته وسحت ... بفيض الخير أنمله الهوامى
سما مجدا وفاق علا وساد اللـ ... ـدات بلطف اخلاق عظام
توارث كل مكرمة وفضل ... وعز بعد آباء كرام
فيالله من بدر منير ... جلا بسناه أحلاك الظلام
كذلك فليكن ابناء قطب الـ ... ـفضائل جدنا الاعلى الامام
اخ سرت لطافته وسلت ... هموما بحرها الفياض طام
وآنسى نازح الاوطان اهلا ... تشوقهم على بعد الموامى (1)
فلا زالت بك العلياء تعلو ... على الاقران يا بدر التمام

بينه وبين سيدي محمد بن الطاهر

وهو ابن اخته ثم صهره على بنته

خاطبه سيدى محمد بن الطاهر يستدعيه

يا ايها الخال البشير ومن به ... فى ظلمة الدهر البهيم ضياء
انت الذى ما زال جودك هاميا ... مهما تشح بوبلها الانواء
ابقاك رب الناس خير عباده ... بحرا وكل العالمين اضاء
ازكى التحية والسلام عليك من ... صب له فى مجدكم اهواء

فأجاب سيدى الطاهر ولده نيابة عن المترجم فى الحين :

امحمد قد جاءنا النظم الذى ... قد صاغه من فكرك الانشاء
فكانه درتنا سق نظمه ... او روضة ممطورة غناء
لازلت تسعى للعلا حتى ترى ... بدرا زهت بسنائه العلياء

ثم اجاب المترجم بعد ايام بما نصه

امحمد البدر المنير ومن له ... شيم زكت فزرت بنفح كباء (2)
ايه لقد حزت الفخار باسره ... وجمعت كل مكارم وعلاء
لا زلت وارث سر اجداد مضوا ... اكرم بهم من سادة علماء
وعليك من ذا الخال خير تحية ... كالورد ريا غب وقع سماء

اخرى من ابن الطاهر الى المترجم يستدعيه ايضا

الا ايها الخال البشير الذى اتى ... اليه عفاة المكرمات فرحبا
عبيدك يبغى ان تشرف بيته ... فاسرع اليه نلت فى الخير مطلبا
ولا زلت فى حفظ الاله ومن يكن ... بحفظ الاه العلمين فقد شبا (3)

---

(1) الموامى جمع موماء الصحارى

(2) الكباء بالكسر العود الذى يتبخر به .

(3) شبا : علا .

وقال سيدى البشير يخاطبه وقد زاره

أهـلا وسـهـلا بالاديـب محمد — الطاهـر ابن الطاهـر بن محمد
لا زال دهرك صوغ أمرك ماشدت — ورق وما نجمت نجوم الفرقد (1)
بالمصطفى صلى عليه الله مـع — آل وصحب فى بقيـع الغرقـد

فأجابه ابن الطاهر بقوله

هذا نظـام ام سلافـة صرخـد — أم بدر تم تحت فـرع اسـود
ام برق ثغر مـاؤه يروى صدى — قلـب المتيم أم بريـق مهـنـد
بل صوب فكر الناصرى اللذ بدا — فى حالك الازمان شمس المهتدى
يا روض فكر سام قلبى منه فى — مرعى خصيب بعد جـدب مكمد
فقطفت من ازهاره وسلوت عن — همى بنغمـة طـيره المـتـغـرد
ياما أحيس لفظـه العـذب الذى — ينـسى برقـتـه جمـال الخـرد
لـمـا أسمت الـعـين فى ازهـاره — ورأيت مـا أزرى بعقد العسجد
ايقنت أنك لـو سبقت لـما عنى — بالبحترى وابن الخطيب الصندد
هذا هو المجد العظيم اللذ سما — لتناول الشمس المنـيرة باليـد
لا غرو فهو وليد أسلاف غـدت — غــر المناقب فيهم لم تـعـدد
حـاز الكمال بهم وسـاد بنفسه — فهـو الهمـام السيد ابن السيد
يا من علا قنن العلا يـا اوحد الـــبلغاء يـا كنز المـنى والسؤدد
انت الذى نـال الـعـلاء بهمـة — فـعـالة تسمـو سمو الفرقـد
ما الفخر الا ما ورثت وهل يرى — ثـان لقطب المـغـرب المتصعـد
منى على مثـواك نـفـح تحيـة — تبقى على مـر الزمـان السرمدى
لا زلت فى حفظ المهيمن ما شدا — شـاد بمـدح الهاشـمى محمد
صـلى عليـه وآلـه وصـحـابه — رب العبـاد وكل تـال مقـتـد
يـا رب كن للعبد واغفـر ذنبـه — مع حسن خاتمـة ونجح المقصد

ولما اطلع على كل هذا سيدى الطاهر قال :

هـكذا هـكذا يكـون النـظـام — رقـة وعـذوبـة وانـسـجـام
كل لـفـظ مـهـذب سبكـتـه — نـار فكـر تحشهـا الافـهـام
قد جلا عن سنـا معان كما فـتــــق عن زهـرة الـريـاض كمـام
انما الشعر مسبر العقل كم ميـــــط بـه عن مدى الذكاء لـثـام
فاختيـار الفتى دلـيـل عليـه — وكـذا رائـد العقـول الكـلام
سـدد الله يـا بنى سـهـام الـــفكـر منـك لكل خـير يـرام
وارى فيك مـا يسر بـجـاه المـــصطفى المجتـبى عليـه السـلام

فاجاب ابن الطاهر والده عن هذا التقريظ كاتبا ما يلى ولما نوهت بالمهان وشجعت الجبان ، اجترا وقال

يـا امـا مـا له المزايـا العظام — وله فى ذرى الـعـلاء مـقـام

(1) نجم طلع .

هذه بنت فكرة فى حلى الحسن تهادى وما عليها لثام
ما عقود الجمان ما زهر الروض اذا ما سقاه وبلا غمام
ظبية ما لها سوى القلب مرعى فبه الرند دائما والبشام
سيدى بل سنا عيونى الذى يهدى الى الرشد حيث كان ظلام
ان من يهتدى بنورك فى سبل العلا فاز بالمنى والسلام

ثم قال سيدى البشير بعدهما

فرح الفؤاد ونال أسنى المقصد — بلقاك يا نجل الكرام المجد
لله ما اهديت من نظم زرى — بالدر فى أسلاكه والعسجد
لله درك من اديب مفلق — فذ السيادة والمحاس اوحد
لو كنت فى عهد (ابن خاقان) لما — بسوى ثنائك فى (القلائد) يبتدى
شرفتنى ببنية الفكر التى — وافت تميس ولا مياس النهد
وزففتها تختال فى حلل الرضا — لضعيف حال مقصر فى السؤدد
ابقاك ربك للعلوم تبثها — فى طاعة المولى الكريم الاجود
بالمصطفى مسك الختام اجل من — نرجو شفاعته بيوم الموعد
صلى عليه الله ما هبت صبا — وعلى صحابته نجوم المهتدى

وخاطب ابن الطاهر المترجم ، من مدرسة (أبى مروان)

هيام اثار الوجد فى خلد الصب — وشوق به عيناى منهلتا السكب
لمعهد احباب نأوا فتوقدت — لواعج نيران الصبابة بالقلب
أيا قلب فلتصبر على الم الهوى — فما فقت الا بالذى فيك من حب
ويا شوق رفقا بى فمالى طاقة — بحملك انى بالنوى ضيق الرحب
فما لفؤاد يجمع الشوق والنوى — الى غربة تضنيه ويحك من طب
فلله ايام تقضت سعيدة — على حسن وصل ناعم رائق عذب
بصحبة احباب قطفنا نواعما — زهور هداهم فى رياض من القرب
احبة صدق ما ازال على النوى — احن لهم ما حن صاد الى شرب
ومن لم يزل يرعاهم القلب دائما — ويلزم حفظ العهد فى حالة الغيب
عليهم سلام الله ما نمق الحيا — نحور زهور الروض باللؤلؤ الرطب
وما ثار من هب النسيم سحيرة — (هيام اثار الوجد فى خلد الصب)

وكتب سيدى البشير الى ابن الطاهر يستدعيه :

اذا جاءك المرقوم فلتات ولتكن — خطاك خفا فاتطف اشواق نيران
وثم على علياك ازكى تحية — توافيك من عبد مقيم بـ (الفران)

فاجابه ابن الطاهر بقوله

أمن خلقه يحكى شمائل بستان — ومن جوده يزرى بوابل نيسان
ومن طاولت (فاسا) سناء وبهجة — و(بغداد) لما حلها ارض (الفران)

ومن تزدرى الفاظه بجواهر ... مفصلة بالدر فى سلك عقيان
وان جال فى شاو القريض تاخرت ... عن السبق تقصيرا سوابق فرسان
دعوت الى جدوى يديك مشرفا ... عبيدكم المغمور منكم باحسان
فلبيك من مولى تفرد بالعلا ... فما ان له فى نيل شاسعها ثان
اتيتك لما أن دعوت محبة ... تسابق روحى نحوكم سير جثمانى
فقلدت جيدى منة وكسوتنى ... بمدحك فضلا حلة ذات ألوان
فلا زالت الاقدار تدنى لك المنى ... ودمت قرير العين فى رفعة الشان
عليك سلام الله منى تحية ... تطيب بها أنفاس ورد وريحان

وزار سيدى البشير سيدى محمد بن الطاهر ، فانزله فى برج بداره ، فكتب الى والده سيدى الطاهر

أمولاى هذا البدر فى البرج طالعا ... فكن شمس ذاك البرج للبدر شافعا

فاجاب سيدى الطاهر

بنفسى وأهلى ذلك البدر ليتنى ... فرشت له خدى خديما وخاضعا

وكتب ابن الطاهر أيضا الى والده ، ووالده فى (المدرسة) وابن الطاهر والمترجم فى الدار ، أواسط ربيع الثانى 1341 هـ.

مولاى مولاى هذا البدر فى النادى ... فاحضر فديتك وانقع غلة الصادى
فالكفت جمع والمقراج نص على ... فخر المنابر ذا شدو وانشاد
لازلت لازلت يا شمس المعارف فى ... امن ويمن واعزاز واسعاد
بجاه افضل من ترجى شفاعته ... خير الورى المجتبى بحر الندى الهادى
عليه ازكى صلاة لا نفاد لها ... وآله وصحاب خير أمجاد
منى على سيدى أزكى التحية ما ... هب النسيم فمالت سرحة الوادى

وقال المترجم يخاطب ابن الطاهر ايضا

سلام كما الروضة العاطرة ... والا كما المزنة الماطرة
على حضرة النسمة الزاهرة ... سليل الهدى نعمة باهرة
محمد ابن الامام الرضا ... ربيب العلا النخبة الطاهرة
فأبقاك مولاك بحر ندى ... وصوتكم للعدا قاهرة
ودمتم ودمتم وفضلكم ... يشف على الابحر الزاخرة
ومنى سلام على سادتى ... ينم كشيمتك العاطرة

فأجابه ابن الطاهر بديهة

ايا سيدا كفه الماطرة ... تنسى ندى الابحر الزاخرة
ويا ما جدا قد علا رتبة ... ترى دونها الانجم الزاهرة
ويا مفلقا قد حوى منطقا ... تفجر بالحكمة الباهرة

اتـانى كـتـاب كـزهـر ربـا تـفـتـق عن نسمـة عـاطـرة
جـزاك الالـه بـمـا تـرتـجى وحـفـك بالـنـعـمـة الوافـرة
وحـاط البنين بحصن حـصـيـن من الدهـر والصولة القاهرة
عـلـيـكم سـلام كما روضـة تـبـاكرهـا مـزنـة مـاطـرة

وكتب ايضا الى ابن الطاهر يستدعيه ، أوائل جمادى الثانية 1345 هـ.

الا حى فى حيى حفيد ابن ناصر تجدد رسم المجـد من بعد داثـر
حفيدى الذى صافيته الود فى الهوى محمد نجل العالم البحر طاهـر
وخاطب عـلاه اننى فى انتظاره ونشر حلاه فى المـلا خير نـاشر

جواب ابن الطاهر

سلام كنشر الروض غب المواطر على خالنا بدر العصور الاواخـر
كريم السجايا والحلى سيدى البشيـر نجل الرضا قطب الزمان ابن ناصر
من الشاكر العبد الضعيف محمد حفيدكم الجم العيوب ابن طاهر
وبعد فقد وافـت خريدتك التى لها بصميم القلب فعل البواتـر
ثلاثة ابـيـات حسـان كانـهـا نجوم الدياجى او عقود الجواهر
مدحت به العبد الضعيف منوها بمقداره الواهى البنـا المتصاغر
وانك يـا مولاى اهـل لكل مـا تحـلى بـه اذ كنت جم المـئـاثر
وقـد علمت نفسى بـان عيوبهـا تفوت لدى تعدادها عـد حاصر
وانى يـا خـالى خـلى من التقى ووصف الرضا لكن حبك عاذرى
جزاك الذى يجزى على الخير اهله بخـير جزيـل دائـم مـتـواتر
بجـاه رسول الله سيدنـا محمـد من له فى الحشر اجـلى المفاخر
عليه صـلاة الله والـغـر آلـه واصحابه مـا حن صب لحاجـر

وكتب المترجم اليه يوما :

سلام كما هبت صباحا صبا نجد على درة الاسلاك قطب رحى المجد
ربيب السجايا الغر ، والهمة التى ترقت به بدرا الى أبرج السعد
محمد نجل الطاهر العالم الذى به يهتدى من ضل عن مهيع الرشد
فيا فلذة الاكباد يا منبع الندى وياتاج هام الفخر والسودد العد
بعثت ببنت القلب تزهو بما حوت لها رقة الغزلان فى سطوة الاسد
فسميتها بعقـد جيـد مـكارم فلله مـا تبدى ولله مـا تسـدى
فانت أديب الصقع حقا ومن غدا به تفخر العليا على كل ذى مجد
فلا زلت فى اوج الكمالات ترتقى ولا زلت تقفو مهيع النجح والحمد
وابقاك من أبداك فى الدهر نخبة واولاك من احسانه نعما تجدى
بجاه رسول الله خـير وسيـلة عليه صلاة تزدرى نفحـة الورد

وكتب المترجم اليه ايضا فى رجب 1327 هـ.

على الاديب الهمام الطاهر الخلق ... ازكى سلام زرى بالورد والحبق
محمد البرمن شاعـت محاسنـه ... فى قطر ذا السوس مثل الزهر فى الافق
ادامك الله بدرا يستضاء بـه ... بجاه خير الورى وصحبه الصدق
صلى عليه اله العرش ما صدحت ... ورق الحمائم فوق غصن ورق (1)

جواب سيدى الطاهر اولا عن ابنه المخاطب

لبيك يامن سحاب فكره الغـدق ... طـم على كل مجموع ومفـتـرق
انت الذى طبـق العلياء مفخـره ... وجمع الحسن والاحسان فى نسق
دعوتنا معشر الاخـوان تكرمـة ... دعـاء مبتـدر بالجـود مستبـق
لا زال ربعك مـأوى كل صالحـة ... ما صدحت سحرا ورق على ورق

ثم جواب ابن الطاهر بنفسه

يا سيدا فضله اجلى من الفلـق ... وصيته قد زرى بالنافح العبـق
يـا نخبة الدهر والفرد الذى جمعت ... له المحاسن من خلق ومن خلق
هذا قريضك قد لاحت اشعتـه ... كانـه انـجـم ذرت من الافـق
معنى لطيف كما سارت صبا سحر ... ورقـة يحتسيها السمع بالورق
يا طالع السعد فى افق الكمال ويا ... من بسناه استنار العصر من غسق
ادامـك الله تجنى الفـوز دانية ... اغصانه آمنا من كل ما فرق (2)
عليك ازكى سلام الله ما فتقت ... ريح الصبا زهرا غب الحيا الغدق

مع الاستاذ أبي الحسن الالغي

كان المترجم يكون دائما منذ تخرج من المدرسة (الالغية) وانخرط فى وسط العلماء الافرانيين ازاء سيدى الطاهر وسيدى العربى ، وامثالهما فى طليعة الوفد الذى يرد فينة بعد فينة من (افران) الى (الغ) فتقوم (الغ) بما تقوم به من الحفلات التى تطرز بالقوافى ، ترحيبا بالوفد ، وذلك سيل طافح وكان اسم البشيريرى بين تلك الاسماء فى السجلات ، وفى قصائد الترحيب وقد قـرا المتتبع لهذا الكتاب القافية المذكورة فى ترجمة أبى الحسن الالغى التى مطلعها .

للـه يوم خميـس جاد لى بلقـا ... من كنت من بينهم قبل اللقاء لقى

قوله فيها .

فمن يكافى وان جلت صنائعـه ... صنع البشير الذى بفضله سبقا

فالمقصود بالبشير هو المترجم نفسه ، وهناك رسائل وقواف أخرى كثيرة ، للمترجم فيما ذكر ، لا نطيل الآن بذكرها

(1) اورق الغصن وورق كفرح فهو مورق ووريق وورق بكسر الراء .
(2) فرق كفرح : خاف .

وفاة سيدي البشير ورثاؤه

ادرك هذا السيد من المجد والشرف ما يغبطه عليه الغابطون ، وهو ذلك العظامي العصامي الاذيب الاريحي الكريم ، فلم يزل في هالته هذه الى ان لحقت شمسه الغروب ، عادة كل الشموس منذ خلق الله الكون ، واذ ذاك كتب الاديب محمد بن علي الالغي في كناش له ما نصه ، (توفي سيدي البشير السيد البركة ، الميمون السكون والحركة ، العالم الرباني ، والتقى العامل الصمداني ، حافظ العصر ، بأدوات الحصر ، كان رحمه الله مستحضرا جل ما في كتاب (نفح الطيب) من أخبار ، وكل ما سالته عنه من رسالة أو قصيدة لاديب الزمان ابن الخطيب أجاب بديهة من حفظه رحمه الله ، كأنه هو قائلها وقد حقق أيام أمراء بني مرين وغيرهم ، وسيرهم ، واستوعب بالتحقيق عن العلماء العاملين ، والاولياء الصالحين ، الاقدمين ، كل مالهم من المسائل العويصة والشاردة ، والمضحكة النادرة ، وكرامة باهرة ، وفائدة زاهرة ، وذلك كله على طرف لسانه ، رحمه الله والحاصل هو اعجوبة الدهر وقرة العصر ، كان رحمه الله كهف الراجين ، وملجأ المضطرين ، ومرشد الضالين ، وفكاك العانين ، مضيا فاجوادا ، ترى الوفود على بابه كالطير الحائم ، هذا صادر ، وهذا وارد ، وكل متقلد بنعماه ، ومرتد بافخر جد واه ، الى شيم زكت ، وخلق عذب كبير ، واخلاق حسان ، تظن ان مثلها لا يوجد في انسان ذلك السيد الكامل ابو احمد صديقنا ومحبنا في الله ، وصهر والدنا رحمه الله ومريده ، وعنه اتخذ وقرأ ، وتخرج منذ شب ، الى ان دب ، سيدنا البشير ابن المربي سيدي المدني بن احمد الناصري طريقة ونسبا ، الافراني موطنا ، فسح الله عليه في قبره ، واسكب عليه شئابيب رحماته ، آمين ، واسكن روحه أعلى عليين ، بجاه سيد الاولين والاخرين ، صلى الله عليه وسلم ، ولما عزينا اولاده النجباء ، السادات الادباء ، ورثهم الله أسراره ، ومنحهم أنواره ، خاطبنا السيد الاديب ابنه الابر سيدي محمد (بالفتح) ابن البشير بابيات وهي .

وافيتم فانجلت عن أفقنا الكرب	وانزاح عنا الاسى والهم والنصب
لازلتم للعلا طرزا ولا برحت	تسمو بسعدكم الايام والرتب
بجاه افضل رسل الله من سعدت	بهديه عجم الافاق والعرب
عليه ازكى صلاة الله دائمة	والآل أهل التقى طرا ومن صحبوا

جزاهم الله عنا خيرا ، فقد رحبوا واكرمو ، وقد صبروا على ما اصبنا نحن وهم به من الرزء الفادح ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وقد مات رحمه الله بين الظهر والعصر من يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الثانية عام 1366 هجرية)

ثم رثاه العلامة سيدي عبد الله بن محمد الالغي صاحبه وخليله بقوله .

خطب جليل دهاني مسبل العبر … وحادث فادح من أفجع الغير
رزء عظيم ولا رزء يقاومه … عم وما خص أفرادا من البشر
رزية ما رزى بمثلها احد … ورت حشاى بما اورته من سعر (1)
رزء يقل له فيض النفوس ودع … فيض العيون بدمع دام منفجر
فقد البشير سليل الناصرى المدنى … من سار ذكره فى بدو وفى حضر
السيد الكامل الود الصديق ومن … سيرته فى العلا من احمد السير
واسطة العقد من ابناء ناصر والـــعقد من اللؤلؤ المكنون والدرر
من كان مذ شب حتى شاب متصفا … سرا وجهرا بحسن الخلق كالزهر
من عفة قد صفت وهيبة وصفت … وهمة قد وفت أعلى من الزهر (2)
ومن حياء على العذرا مخدرة … اربى وزاد فما راء كذى الخبر
ومن محاضرة بكل نادرة … الطف سمعا من النسيم فى السحر
ومن منادمة تنسى منادمة … لمالك وعقيل غابر العصر
ومن مسامرة نحيى مسامرة ابـــن العربى الحاتمى تقع فى السمر
وكرم الطبع والنفس الابية لم … ترض الدنية من صبا الى كبر
لو كنت احصى بقايا من مئاثره … لعاقنى دونها عوائق الحصر
تغنيك شهرته عما حلاه كما … تغنى عن النيرين الشمس والقمر
ما انس لا انس مولاى البشير وهل … انسى الذى لم يغب قط على فكرى
اذ ليس لى صاحب صاف سواه ولو … يفدى فديناه بالارواح والعمر
والدهر قد غاله علق مضنتنا … والدهر غوال أعلاق على غرر
وكنت ارجو له طول الدوام فلم … يدم ودام له حسن الثنا العطر
ولم يمت من له الوصف الجميل وما … موت ذوى العلم الا غيبة البصر
صبرا بنى ناصر نصبر ننال معا … اجرا جزيلا ونرضى نازل القدر
فانكم بيت علم فى القديم له … فى العلم عاقبة محمودة الاثر
انى أعزى كما عزيت أنفسنا … أولاده فكلانا بالفقيد حرى
ان فاظ سيدنا والله يرحمه … ففى بنيه كفاية لمعتبر
والاصل ان طاب لا يعدم فرعه ما … فيه وربتما زاد من الثمر
قد مات ذو شرف ومات ذو ضعف … لاشيىء يبقى فكن بالله واعتبر
لم يبق فى الناس سوقة ولا ملك … عز وبز من الطغيان وهو ثرى
بوأه الله من عليا فرادسه … قصورها يتكى فيها على سرر

---

(1) سعر بضمتين جمع سعير (كذا كتبه القائل عليه).

(2) الزهر بضمتين : اصله الزهر بسكون الهاء : جمع أزهر وصف للنجوم .

جاد على قبره من وسـع رحمته — بضيب القطر او بطيب القطر(1)
دالا وعشرين من جمادى اخرة — فى عام (يقشر نها) قضى لمختبر(2)
ثم السـلام عليـه والتحيـة مـن — حـب يقول (دهانى مسبل العبر)

مع الاديب المؤرخ الايكراري

يرى القارئى فى محلات مختلفة ما يدور بين الايكرارى وبين الادباء الافرانيين ومن بينهم المترجم سيدى البشير الذى ذكر ايضا مرارا ما بينهما ، وكان سيدى الطاهر بن محمد يجيب عن سيدى البشير كثيرا ، وقد تقدمت قريبا عينية لسيدى الطاهر قام بها كجواب للمترجم الى الايكرارى ، وقد وقفت على مراسلة اخرى بخط الايكرارى ، فقد ارسـل اليه يستعـير منه (الدررالمرصعة) قطعة او لها .
(يا نجل من قطب فى افرانة)
فاجابه المترجم بقوله .

يـا مـن ثـوى بعـين جـرارة — فـاصـبـحـت لـبـدره داره
عليـك مـن مصـف مـودتـه — تحـيـة بـالـحـب معـطـارة
فهـاك ما طلبـت مـن نسخـة — مـن درر بـالسـر مـدرارة
وادع لنـا باللطـف من زمـن — اجـرى بـفـرط الهـم ادواره

قولة ابن الحبيب فيه

قال بعد ذكر اخيه سيدى الطاهر
(ومنهم اخوه الفقيه الدراكة سيدى البشير بن المدنى قـرأ على علماء (الغ) و (سملالة) (3) وعلى سيدى الطاهر بن محمد التانكرتنى رأيته فى عنفوان الشباب ، والدنيا كلها اعياد واطراب ، فرأيت منه ما يدل على سعة اطلاعه ، وطول باعه ، وكان يسلك طريق الادب ، ويجلس بين يديه على الركب ، توفى رحمه الله فى 1366 هـ .)

أولاده

المهدى بن البشير بن المدنى
من شباب هذا البيت المثقف ، واحد اولاد سيدى البشير النجبـاء ، وهم علة ، وهذا احد من له من بينهم يد فى العلوم .

---

(1) القطر بالضم العود الذي يتبخر به. والقطر الاول بالفتح: المطر.
(2) يقشرنها 1366 هـ . وما اكثر امثال هذه في منظومات شيخنا هذا حفظه الله
(3) الغ في حدة. وسملالة في حدة. وإنما تجاورا .

متعلمه

أخذ القرآن عن الاستاذ احمد بن الحاج من آل عدى من الشقراويين ، وهو من أصحاب الشيخ الالغى ، توفى نحو 1338 هـ أخذ عنه فى مسجد (تاوريرت) وعن الاستاذ محمد ـ فتحا ـ بن بلقاسم ابن بحمان التانكرتى المتوفى نحو 1374 هـ . فى مسجد (تاركانت) وعلى هذا جمع القرءان ، ثم افتتح عند سيدى احمد بن صالح التاوريرتى فى (بوزاكارن) ثم عند الاستاذ سيدى المدنى بن على الالغى فى مدرسة (سيدى على أوسعيد) الاخصاصية ثم الى المدرسة (الالغية) حيث ربض ما شاء الله حتى حصل تحصيلا وسطا

تقلبات احواله

اتصل بدار عمومته فى قرية زاوية (ايزيض) فتزوج فيها 1350 هـ فهناك أمضى حياته كلها ، وقد اتسم بسمة الطلب ، فقد حكى لى الاستاذ سيدى الحسن الكوسالى عنه أنه كان يستحضر كل ما تعلمه ، ويحفظ من الادبيات كثيرا ، وحكى لى غيره أنه سمع منه منشدات ، فذكر منها :

لاينفع النفس ان كانت مدبرة الا التنقل من حال الى حال

ومنها

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده أضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن اخو الحزم الذى ليس نازلا به الامر الا وهو للقصد مبصر

ومنها

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوا فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

هكذا أنشد لى الحاكى الابيات عنه ، وفى بعضها تحريف فى ألفاظ ، على ما حفظناها عليه ، أصيب بمرض هو وأسرته فتلا حقوا كلهم وفاة واحدا اثر واحد رحمهم الله .

سيدي محمد ـ فتحا ـ بن البشير

هذا حقا هو علامة الاسرة الكبير ، وفطحلها الذى لا يطرق له بالعصا ، فقد سبق كل علماء وأدباء أسرته وان جاء متأخرا ، حتى كأنه نتيجة صادقة ، ولا اخال واحدا من الناصريين السوسيين حصل تحصيله .

متعلمة

أخذ القرءان فى مسجد (تاوريرت) عن الاستاذ محمد بن حسون ، من بنى عمومة الاستاذ أحمد ابن صالح التاوريرتى ، وقد كان أخذ قليلا عـن سيدى الطاهر بن محمد ، ولكنه لم يحصل كثيرا ، وقد توفى نحو 1372 هـ . وهذا عمدته ولا عبرة بآخرين مربهم لماما ، ثم لازم الشيخين سيدى محمد ابن الطاهر ، ثم سيدى الطاهر ، فى رفقة سيدى المدنى بن محمد بن الطاهر ، فهما لدتان من أول ما افتتحا الى أن اختتما ، فكانا كفرسى رهان فى التحصيل ، نحوا ولغة وأدبا ومنطقا وأصولا وبيـانا وتاريخا ، ولا أكاد أقدم عليهمـا الآن اى شاب فى (سوس) من طبقتهما ، ويزيـد المترجم بنسك عجيب فقد حببت اليه العبادة والخلوة الى كتبه .

احواله

علامة ، فريد فى حسن سمته ، فريد فى عزوفه ، فريد فى تحصيله ، فريد فى تنسكه ، فريد فى استحضار الادبيات وضبط ألفاظ اللغة ، فريد فى الانزواء حتى كادت تفسد بذلك حياته الاجتماعية ، فلم يتزوج ولم يبرز للتدريس ، ولا اطاق أن يتوظف ، بل لا يطيق معاشرة الناس الا بمقدار ، وقد كنت رأيته وقرينه سيدى المدنى مختتم 1369 هـ . فأعجبت بهما ، فكنت اتمنى لهما جوا يحلقان فيه ، ولكن لما تيسر الجو لم يتيسرا همالـه ، فقـد جبلا على القبوع فى مسقط راسهما الا اذا ابتعدا عنه لضرورة ما ، وقد ألم بى المترجم (بالرباط) العامة ، فمكث عندى ما شاء الله ، وأنا أرشحه لكل ميدان ، فاذا به يرتد على عقبه ، فلم أجد بدا من أن أذره وحريته ، وهكـذا تحرم الامة كثيرين ممن سلكوا هذه الطريق ، فيسيئـون الى أنفسهـم والى اهاليهم ، من حيث يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولكن الاقدار على كل حال هى السابقة ، والمقدرات هى اللاحقة ، والانسان لا يلام فيما جبـل عليه ، او قدر عليه ، ولله فى خلقه شؤون .

يشارط في مدرسة

كان على مـا ذكرنا من الانزواء عن المجتمعات انـزواء غريبا ، لا يحب الوظيفة ، ولا يرتاح الى اى عمل كيفما كان ، مع ان داره تتوقف على من يقوم بها ، فلم يزل به أحباؤه الكثيرون فتلا بين الذروة والغـارب ، حتى أسلـس فاوى الى مدرسة بالاخصاص ، يحب أهله الاسرة الناصرية ولا يرون بها بديلا، فاستطاع بذلك أن يتصدر للتدريس ـ وما أولاه بالتدريس ـ فهو على ذلك الى الآن 1380 هـ . وان كان ـ فيما يبلغنى ـ لا يزال يحاول التملص ، ليعود الى خلوته وانزوائه ، فالله يهديه لنفع العباد ، ولبث العلم وللارشاد ، فانه

اهل لكل خير ، وانا اجله واحبه حبا جما ، لأوصافه النادرة ، ولا يزال عزبا الى الآن ، فالله ييسر له كل ما فيه خير

أدبيات منه واليه

من كناشة للاديب سيدى محمد بن علي الالغي ما نصه .

(في عشرين من جمادى الاولى عام 1361 ورد على الحضرة الالغية ، حفظها الله من النوائب الدهرية ، امين الاديب النسيب ، والهمام اللبيب ، سيدى محمد ابن العالم التقي النقي ، سيدى البشير بن المدني الناصرى اليفرني ، مع أخيه السميدع الكريم ابن الكريم ، والجواد اللوذعي الجواد الفخيم ، سيدى ابي العباس احمد ابن سيدى البشير الناصرى ، خاطبين عند ولد عمنا سيدى ابراهيم المرحوم بكرم الله سيدى عمر بن ابراهيم لاخيهما البر الوفي سيدى عبد الله ، فكمل الله مقصودهما عنده ، أدام الله مجدهم ، وابد سعدهم ، وصان سلسلتهم ، آمين بجاه عين الرحمة ، كاشف الغمة ، صلى الله عليه وسلم ، فخاطبتهم بشبه أبيات مرحبا ، وأداء لهم ببعض الواجبات ، نصها

فنعم الوفد وفد الناصرى — ابي العباس ذى القدر السني
ومن جلت مفاخره اخيه — أبي عبد الاله الاريحي
رضيعي ثدى آداب وعلم — ومجد باذخ جم بهي
سليلي سيد قطب المعالي — محط النور والسر الجلي
كريم عالم ندب همام — ومزر بالجواد البرمكي
جليل الفضل من تاهت فخارا — به (افران)ذى العلم الروى
فسهلا مرحبا بكم واهلا — قدوما طاب كالمسك الذكي
جزيتم كل مقصدكم ونلتم — جميع السؤل من رب علي
بجاه اجل رسل الله طرا — حبيب الله ذى القدر السني
عليه صلاته تترى وتبقى — بقاء الملك لله القوى

ثم اجاب الاديب سيدى محمد ـ فتحا ـ بقوله :

اتت تختال في ثوب بهي — قصيدة سيد ندب سرى
حليف الفضل من قدبان بدرا — منيرا في سما العلم الزكي
محمد نجل قطب الغرب شيخ الشـــيوخ به أبي حسن علي
سقى الرحمان قبرا قد حواه — حيا رحمى كغيث من حبى (1)
فاهدت كل مكرمة وبشر — وأبدت كل ترحيب سني
ومنشئها البليغ ارى انبساطا — يزاح به عن القلب الشجي
كاخوته البهازر من اقاموا — منار العلم بالحزم الجلي (2)

---

(1) الحبى كغنى ، ويضم السحاب

(2) البهزر كجعفر : الحصيف العاقل والشريف .

فما فيهم سوى حبر همام تقى او جواد المعى
لقد ازروا بكعب وابن سعدى ومعن والجواد ابى عدى (1)
فلازلت سحائب كل خير عليهم من يد البر العلى
ومنى نحوهم ابدا سلام كمثل الند واﻟ زهر الندى)

ومن ذلك الكناش ايضا ما نصه .

(مما كتب به الاديب الشهير ، البليغ النحرير ، المرابط الخير البركة ، ميمون السكون والحركة ، سيدى محمد ابن سيدى البشير بن المدنى الناصرى الافرانى التانكرتى ما نصه وقد اجاد ـ والمخاطب سيدى الحسن بن على بن عبد الله .

ازكى سلام طيب عميم - على الحفيد العبقرى الكريم
من بذ فى الميدان كل شهم وفاز فى المجد بأعلى سهم
تقصار جيد المجد والاحسان انسان عين العز والعرفان (2)
فما عسى ان تكتب الاقلام من مدحه فالحصرلا يرام
الحسن ابن العالم الربانى بانى الهدى وقامع البهتان
سقى الاله جدثا يضمه بسيلان رحمة تعمه
لا زال فى يمن وفى امان مرضى ذا الناس وذا الزمان
هذا هو المقصود والمرام من كتب ذا المرقوم والسلام)

احمد بن البشير

تقدم ذكره بين اخوته ، وهو أبرزهم فى الميدان ، وأرفعهم لشؤون دارهم ، بل هو قطبهم فى المعاش ما شاء الله ، وقد حج مرارا ، فهناه شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالغى بقوله ـ وقد لوح الى أنه حج فى الطائرة تلك المرة ـ .

ان الفتى من قد سما نحو السما لزيارة الحرم الشريف المستمى
فقضى به كل المناسك شاهدا تلك المشاهد واصلا اهل الحمى
مثل السميدع احمد ابن السيدالـــــندب البشير الناصرى المنتمى
لله درك يا ابن ناصر من فتى حفظ الذمار وللحقيقة قد حمى
خطت السماء مخاطر التشاهد الا نوار فى تلك المنازل والدمى
ارايت ان لابد من صنعا وان طال المدى وجفاك روحك والذما(3)

---

(1) هؤلاء كلهم مشاهير من كرماء العرب وأبو عدى هو حاتم وهو عدى بن حاتم :

(2) التقصار بالكسر العقد

(3) الذماء بالفتح بقية الروح ، وقال الشاعر

لابد من صنعا وان طال السفر وان تحنى كل عود ودبر

انفقت مالك منفسا فى حق من تدرى نفاسة قدره يا نعم ما (1)
والله مخلفه عليك وغافر كل الذنوب وان غدت قطراهمى
ان قيل من هذى المفاخر تنتمى لجنابه قلنا لاحمد تنتمى
هذى المكارم والمفاخر لادعا قعبين من لبن اذا شيبا بما (2)
بشراك يا ابن الصيد نلت سعادة وشفيت نفسك بعد ما اشفى الظما
وعفرت خدك فى ثرى تلك الربا متواضعا تبغى المجادة والنما
تلك المنازل يستجاب بها الدعا لاسيما من حيث ما تمنى الدما (3)
حيث الهدى ، حيث الندى ، حيث الجدى، حيث التقى، والنور ليس بها عمى
حيث المقام وزمزم والركن والمسعى وبحر الجود منها قد طما
فثنيت وجهك للمدينة قاصدا خير الانام بها الرسول المعتمى
صلى عليه الله والآل الألى نالوا السعادة منه ما نجم سما
ان المدينة روضة من جنة طابت بمن به أمره حقا سما
طوبى لمن قد زارها من حبه فزكت بها منه المعانى والجما (4)
فاليكها مقصورة ملزومة لا تنتحى الا امتداحك بالحمى
وافت هديا تزدهى بجمالها ودلالها فخرا بشفر ذى لمى
ما مهرها الا القبول وما كنت فى زفها لك عن صبوح يعتمى
فى كامل من بحرها فى كامل فى جوده من كامل الجهل العمى
وعلى سيادتك السلام ومن له فى آل ابناء ناصر أدنى انتما

كما هناه أيضا الاديب سيدى محمد بن على الالغى بقوله :

تنشقت طيب الطيبين ذوى مجد وهل كان يخفى الطيب عن كل ذى وجد
وكنت اذ احام الخل بليلة ارقت لتشواقى الى ساكنى نجد
الفت البكا الممدود منذ تقاصرت احاديثهم من زائريهم ذوى الود
فهيهات يا خل الحجاز واهله اذا لم تباعد من دناك ومن ولد
والا فطر ان صح ما قد زعمته كما طار فى الطيارة الصادق العهد
هو السيد الحاج الرضا البر احمد سليل البشير الناصرى صاحب الرفد
ولما سطت أشواقه وتألبت على نفسه طارت الى الحج بالقصد
فيا فضله اذ حج بيتا تسابقت الى حجه ملائك الواجب الحمد
فمن حجه ينل لديه كرامة ومغفرة من كل ذنب الى اللحد
وحين الطواف قبل الحجر الذى غدا شاهدا يوم القيامة والحشد
هنيئا له شرب بزمزم كارعا زلالا غدا احلى من المن والشهد

---

(1) يا نعم ما فعلت ـ وذلك ما يسمونه (الاكتفاء)
(2) تلميح لقول الشاعر ـ والقعب كفلس اناء اللبن ـ
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعاد ابعد أبوالا
(3) تمنى الدماء تسأل يعنى بعد نحر الهدى
(4) كتب عليه القائل الجما أى الشخص .

ومذ اسرعت رجلاه بين الصفا وبــــين مروة وفاه رضا الواحد الفرد

ومن بعد مــا أدى بعرفة منسكا	عظيما ومن منى مناه على الجد (1)
ترقى مطى الحزم والشوق قاصدا	زيارة خير الرسل ياله من سعد
ولمـا آتى القبر الشريف مسلما	الح عليه فى الدعـاء ولم يكـد
فئـاب باجـر كامـل كملت له	مـئـاربه من غــير ريــب ولا اد

وحين توفي عبد الرحمن بن البشير 23 رجب 1374 هـ. أخو هؤلاء ، رثاه سيدى محمد بن على الالغى بقوله :

فمـا للـعـين تـذرف بـالحميم	ومـا للـصـدر ذا الـم الـيـم
ومـا للقلب يقلـب فى قليـب	من الازمـات يـزفـر كالسليـم
فـلا اسـلو وكيف وقـد توفى	ولـيـد الناصرى عبـد الرحيم
همـام سـيـد بـر عـفـيـف	كريـم ابن الكـريم ابن الكـريم
سليـل الدين ذو شرف مديـد	ونجل القطب ذى المجد الصميم
فلما ان بـدا زهـر اشمـيـما	طـواه المـوت كالنبت الهشيم
وكان الشهـم يمـضى فى أمـور	حسان ليس بالـفـدم اللئيـم
فلما ان راى الدنـيـا سـتفـنى	تـخـير غيرهـا دار الـنـعـيـم
فديتك سيدى ان كنت تـفـدى	بـكل الـنـاس من رزء عظيـم
فصبرا يـا بنى المـدنى صبـرا	فقـد نـزل الفقيـد على الرحيم
فـلا تاسـوا فان بـكم جميعـا	تـأسى الناس فى الامـر البهيم
فأسـال ربـنـا غـفـران وزر	لـنـا بالمصطفى طاهـا الكريـم

---

(1) عرفة بسكون الراء ضرورة

سيدى الطاهر بن المدنى

1294 = 1326 هـ.

نسبـــه

الطاهر بن المدنى بن احمد بن الحسن بن على بن يوسف بن محمد الكبير بن محمد بن ناصر .

اعقــب الشيخ سيدى المــدنى ولــده البكــر احمد وهــو الكبيــر ، ثم القرشى ، ثم البشير ، ثم الطاهر ، وهؤلاء هم الذكور ، فاما احمد فلم يعد حفظ القرآن ، وقد انعزل عن اهله فقط فى (ايــدا وشقرا) الى ان توفى 1355 هـ. وهناك ترك اولاده ، واما القرشى فانه معروف عندنا ، من الافاضل حفظ القرآن فالحقه والده بـ (بونعمان) لعل وعسى ان يستفيد ، ولكن التخلق ياتى دونه الخلق ، فقد شاهد سيدى مسعود استاذ المدرسة منه يوما رعونة ، فلم يملك ان قال له لو عرف ابوك انه يلدك لاختصى ، ثم انه يكون فى الركب الافرانى الذى كان يتكون من اخيه سيدى البشير ، وسيدى الطاهر اخيه وسيدى الطاهر بن محمد ، وسيدى العربى الساموكنى ، فلا يفترقون ان وردوا الى (الغ) او الى زيارة سيدى الحاج الحسين ، وله ذكر فى ادبيات كانت اذ ذاك تروج ، فيوجد اسمه فيمن يذكرون ، وهو شقيق سيدى البشير المتقدم ، وامهما عائشة بنت محمد السباعى ، ومقطن اهلها (ايليغ) وقد كان والدها رجلا صالحا ، تعرف به سيدى المدنى فى (ايليغ) وقد كانت تحفظ القرآن ، وامها عربية ، وهى صالحة ، ترى مراءى حسنة ، توفيت فيما قيل 1340 هـ. ثم اخذ سيدى الطاهر القرآن عن الاستاذ احمد بن هادا الاخصاصى ، الذى أخذ عنه كثيرون من أقرانه ــ وله ذكر فى ترجمة اخيه البشير ــ ثم اخذ ايضا عن سيدى سعيد بن عبد المؤمن التاوييتى فى قرية (دوكادير) ثم اخذ المبادئى عن الاستاذ سيدى الحسين بن الحسن اوباكى فى مسجد (أغبالو) وقد كان مشارطا فيه ، وعن الاستاذ سيدى الحسين ببيس حين شارط فى مدرسة (بوزاكارن) ثم استتم فى المدرسة (الالغية) ثم اخذ بعض الفنون هو وسيدى احمد بن صالح من بنى الحسن بن عــدى ، عن الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى ، اظنه المنطق ، فقد ارسلهما ابو الحسن الالغى الى مدرسة (سيدى بوعبدلى) لياخذا عنه هناك .

ثم انه غادر المدرسة الالغية نحو 1319 هـ. وقد كان نوى ان يتزوج من عند الشيخ الالغى والدنا السيدة خديجة التى كانت من نصيب سيدى موسى بن الطيب ، وقد تزوجها اثر وفاة سيدى الطاهر ، لانه توفى 1326 هـ. وزواجها 1327 هـ. وقد كان سيدى الطاهر يحسن ظنه كثيرا فى الشيخ

الالغى ، وقال فيه قوافي ويرفع رايته بين الطلبة ، وله ازاءه موقف يوم ذهب الشيخ ، وسيدى الطاهر بن محمد ، والمترجم الى الحسين الضارضورى في شان قضية تتعلق بارث لهذا في ارض بالمعدر بـ (تامانارت) فاراد هؤلاء منه أن يفصل القضية ، فلم يسلس القياد لهم ، فاذا بالمترجم توجه اليه بكلام قاس ، هو الذى صدع صخرته ، فقضى الغرض ، وذلك مفصل في ترجمة ولده الحاج احمد بن الحسين اضارضور في هذا (الفصل) وقد كان المترجم اريحيا فكها محببة اليه المعالى ، يسلم الامر لصنوه البشير ، وان كان هو الذى يزاول عنه كل شيء تعظيما له .

وقد اتفق في سنة انهم حرثوا في معادر متعددة ، فاخصب الجميع ، قال سيدى البشير له اى معدر منها تريد أن اكفيكه ، فقال له : لا اريد منك ان تتحرك من محلك ، فانا اقوم بالجميع ، وقد كان ذا همة وصولة وتاثير في كل من يدورون حوله ، وقد كان له اتصال كثير بشيخه سيدى المحفوظ الادوزى ، وبسيدى محمد بن احمد الايكرارى ، وباهل (ايليغ) وباهل (تامانارت) وبامثالهم من بنى الديار الكبار بله الادباء الالغيين ، وهكذا برزت شخصيته في هالة واسعة يرجى بها أن يملأها بحياة عظيمة ، الا ان عين الدهر اصابته فاعتبط قريبا ، وسبب وفاته أنه كان في الحصاد بوادى (درعة) ازاء (تامانارت) في وقت حرارة فاصيب بذلك الطقس الشديد ، فلم ينشب بعد نحو عشرين يوما أن لفظ نفسه الاخير ، وهو لا يزال شابا غرنيقا ، تلاعبه الامال ويلاعبها .

أدبياته

لم أقع له الا على ما كنت ذكرته في (الجزء الاول) حين يخاطب والدى رحمه الله ، ويصف البنية التى كان بناها للاضياف (الكايزة) وقد ذكر الاديب المورخ الايكرارى انه كان يجاذبه ادبيات كثيرة ، ولكنى لم اظفر بشيء من ذلك .

مراثيه

سمعت بان هناك مراثي متعددة ، وتعازى نثرية ، تواترت الى صنوه سيدى البشير ، ولكن لم يحضر عندى الا البعض مثل ما قال ابو الحسن الالغى ، وسيدى الطاهر ، وسيدى محمد بن الطاهر ، وسيدى البشير العزيبي وهاك ذلك :

قال ابو الحسن الالغى قصيدة كبيرة لم تحضر عندنا منها الا قوله فى المطلع

كريم بنى ناصر قد مضى ... فاظلم الحق به قد اضا
وخلف وجد ابننا لم يرم ... فلاصبر الا قضى او مضى

وقال سيدى الطاهر بن محمد

حادث جل ووجد لا يريم ... رزء موت الطاهر الصهر الكريم
غاله شلت يداه بعد ما ... صار كالغرة فى الدهر البهيم
غصن لما اكتسى زهرا ذوى ... ومعين غاض أو بدر مغيم
يا له زءا يكاد القلب من ... اجله يصلى من الوجد الاليم
نغص العيش وأقذى مقلة الـعلم والسؤدد والمجد الصميم
ما رعى تلك السجايا لا و لا ... خلقا الطف من مر النسيم
لا و لا حق مزايا تزدرى ... بالنجوم الزهر والدر النظيم
سيد أظلم جو الفضل والـسؤدد لما ان مضى غير ذميم
طاب موتا وحياة ومضى ... بسرور مستدام ونعيم
قد تلقاه الرضا لما لقى ... ربه الرحمان بالقلب السليم
هون الوجد علينا انه ... رىء بعد الموت ذا ثغر بسيم
قال ما أحسن خلق الله من ... ملك بر ومن رب رحيم
حلم يشهد بالصدق له ... محكم الاخبار والذكر الحكيم
يا بنى ناصر انتم غرر ... سادة ما فيكم الا زعيم
ساد بالعلم اللدنى والتقى ... كل كهل جاء فيكم وفطيم
فاصبروا صبر كرام رغبوا ... فى ثواب الله والاجر الجسيم
وتلقوا بالرضا والطوع ما ... قد قضاه الملك المولى الحكيم
فقبيح بكم أن تجهلوا ... وبكم يدرى الصراط المستقيم
انتم ازهار روض فاذا ... ما ذوى زهر بدا زهر شميم
ما مضى ميتكم الا الى ... جنة الخلد ورضوان عميم
كل حى غرض معترض ... للمنايا من شريف او لئيم
لاتقى منه جنود ملكه ... لاولا يغنى حميم عن حميم
انما الدنيا كخضراء اذا ... اعجبت زراعها أمست هشيم
فعلى العاقل أن يجهد فى ... كل ما ينقذ من نار الجحيم
نسأل الله الرضا والصفح عن ... زلل الظاعن منا والمقيم
بالشفيع المرتضى خير الورى ... من له السؤدد والجاه العظيم
صلوات عطرات تنتحى ... قبره ما ساروخد ورسيم
وعلى أصحابه الغر ومن ... يقتفيهم من حديث وقديم

وقال سيدى محمد بن الطاهر

اتطمع من هذى الدنية ان ترى ... سرورك الا بعده ضعف احزان
فلست ترى ذا رفعة واصالة ... يدوم بها ولو سما فوق كيوان
وما سرنى هذا الزمان بصاحب ... اظن به الا واعقب أشجانى
فما بعد موت الطاهر الخال غبطة ... فتبكيه عينى ما توالى الجديدان
مضى طاهر من بعد ما شاد للعلا ... قصورا وساد من بغرب ونبهان

وخلف عينا لا ترى النوم زائـرا لها وفؤادا ذاب من حر نـــيران
فلو كان صخرا كنت خنساء بعده وتبـكى دمـاء مقلتـاى بادمـان
ولكن الى الرحمان أشكو مصيبتى واساله اللطف الجميل بذا الفانى
اسيدنـا البشـير ان جميـعنـا مصاب به فاصبر وبادر لسلوان
مصابك قد أبكى العيون واحرق الـــقلوب بسوس ثم غرب لسودان
فعـظم رب الـعـالـمين ثـوابـه لكم وأدامـكم لحسـن واحسـان
وصب على ذاك الضريح شئابيب الـــرضا وتلقاه بعفـو وغـفـران
وصلى على خـير البريـئـة احمد وأصحابه وآلـه أهـل عرفـان

وقال سيدى البشير العزيبى

للخطب طرف نبيه غير وسنـان وللمنية سهـم ليـس بالـوانى
ولا يغـرنـك من دهـر مسرتـه فالدهـر شيمته يبـدو بالـوان
فان يسرك فارتـقـب مـسـاءته وان حـبـاك فمتبوع بحرمـان
ان المعـالى كان (الظل) جامعهـا يلجا اليها لخطب مفزع شانى (1)
ما شيئت من شرف عال ومن فرح تـال وعيش هنىء غـير خـوان
فاليوم صار بفقد البدر سيدنا الـــطاهر نـاد بـه يشد وباحـزان
بكى عليه بيوت (الظل) اجمعها بكاء شوق وتـهـيـام واحـزان
تبكى الدفاتر اذ غـابت نواظره وساحـة الدار تبكى مثل جدران
تبكى المعالى هديـلا وهى قائـلة من لابتنائك بعد الطاهر البانى
حتى المساجد تبكى وهى جامدة حتى المنـابر تبكى مـثل عيدان
يا عين ان لم تفيضى عبرة واسى حتى تسيلى بمثل العندم القانى
فما رعيـت له حـقـا ومقـدرة ولا صدقت بدعوى الحب انسانى
يـا ذاهبا ورياض الخلد مضجعه حيـا ضريحك غيث مثل هتـان
حالت لفقـدك أيـامى مسـودة وقبل ليـل الصفا كماء صـدان
تفديك لو كان هذا الموت يقبلها روحى ومـالى واولادى وجثمـانى
وايمن الله لا انساك ما طبعت على البـكاء حمام فوق افـنـان
لا زال قبرك للامـال كعبتـهـا تـاتى لزورك شيب مثل شبـان
ولا تزال وفـود من ملائك رب العرش تاتيك بالبشرى برضوان
مولاى يا درة الاشراف واسطة الـــعقد النظيم بليغـا فوق سحبان
تعز سيدنـا البشير انـك طـو د الصبر لا يعتريك قبض احزان
ففيـك للمبتغى مجـدا كفايتـه وفيك للخائف المحزون امـنـان
أولاك رب عظيم الـرزء موهبـة مشفـوعـة بـكلاءة واحـسـان
كان لك الله فى حزن وفى فرح وحسبـك الله فى سر واعـلان

---

(1) الظل هو (اسكلو) وهو اسم المحل الذى فيه دار المرحوم واهله .

قولة الايكراري فيه

«ومنهم ابنه سيدى الطاهر بن المدنى ، توفى اعزب بعدما تضلع من العلم ، ووقع بينى وبينه مقطعات من الشعر يطول بنا استيفاؤها ، تزيد على ستمائة بيت ، تشتمل على مفاكهات ، توفى رحمه الله فى ثانى صفر عام 1326 هـ»

قولة ابن الحبيب فيه

«ومنهم الفقيه العلامة سيدى الطاهر بن المدنى توفى فى عنفوان شبابه بعدما تضلع فى العلوم ، قرا على فقهاء «الغ» وكان شاعرا مجيدا ، وله مع عصريه الفقيه سيدى محمد بن احمد الايكرارى مقطعات شعرية فى المفاكهات البسيطة ، تـوفى رحمه الله فى ثانى صفر عـام ستة وعشرين وثلاثمائة والف بـ «افران» ودفن بازاء داره»



العلامة احمد بن صالح التاوريرتي الافراني

نحو 1292 = نحو 1357 هـ.

نسبه

احمد بن صالح بن الحسن ، ويقولون انهم من قبيلة ازد العربية هذا استاذ كبير ، من المشتهرين بين كبار ذلك الوادى – وادى الادباء – هو من اهل عيسى بن عدى ، وقد عاش فى بلده سيدى العربى الساموكنى وسيدى الطاهر بن محمد ، وولده سيدى محمدا ، وسيدى محمد بن الحاج ، وسيدى البشير ، وسيدى الطاهر الناصريين ، وسيدى البشير العزيبى وسيدى يبلر ، وسيدى محمد بن المحفوظ ، هؤلاء وطبقتهم عاشرهم وعاشروه ردحا من الزمان ، كانوا كلهم بارزين فى ميدان التدريس والافتاء والقضاء بالتحكيم ، وفى ميدان الادب ، وكان ايضا يجول فى جميع مجالاتهم ، وان كان السعد رفع عليه منهم اناسا مع مساواته منهم بآخرين .

متعلمه

اخذ القرآن فى رفقة قرينه سيدى البشير الناصرى فى بلده ، ثم لازم المدرسة (الالغية) فى أخذ المعارف ، ولم يتجاوزها سنين كثيرة الا ما كان فى عواشر ، فانه التحق بمدرسة سيدى (بوعبدلى) عند العلامة المحفوظ الادوزى ، فأخذ عنه هو ورفيقه الطاهر الناصرى المنطق باذن استاذهما ابى الحسن الالغى

كاتب عند القائد سعيد المجاطي

سمعت ان المترجم كان حوالى 1319 هـ. كاتبا خاصا عند هذا القائد ، واحسب اننى رأيت بين مراسلات هذا القائد كتابته ولم يبطئ عنده

يدرس في المدارس

كان شارط فى مدرسة (ايمور) سنين كثيرة ، فعليه تخرج العلامة

سيدى المدنى الالغى من تلك المدرسة كما اخذ عنه فيها آخرون كثيرون ، وقد كان فى تعليمه على غرار أساتذته الالغيين جدا وتنظيما ، وحرصا على التحصيل

بلطف اذا التلميذ تـابع نهجـه كما ينبغى او باقتسار اذا اعتسف
كما يفعل الطب النطاسى بالذى يحـل مريضا عنده ثم لا اسف
فما القصد الا الانتفاع وكل ما يؤدى اليه يستحب وان كسف

وقد تعددت مشارطاته فى هذه المدرسة

في مدرسة بـوزاكارن

ومن المدارس التى الم بها حينا من الدهر هذه المدرسة ، فقد درس فيها بهمته المعروفة ، فرات منه ما كانت راته من كثيرين من علماء بـلده (تانكرت) ولم يبطئى فيها

في تاغلولو

كما كان ايضا فى وقت ما فى مدرسة (تاغلولو) وهى مدرسة لم يعهد منها قط نشاط فى الدراسة ولا لاهلها همة فى عمارة مدرستهم ، ولذلك لا تعجب اذا لم تسمع عن هذا الاستاذ بعمل مذكور فيها

في ايليـغ

كانت (ايليــغ) نقطة الاتصال بين رجالات الجنوب اذ ذاك أحيانا ، فبقيت هذه المزية فى عهد سيدى محمد بن الحسين ، فيرد عليه علماء يزينون مجلسه ، فكان المترجم احد الذين كانوا فى وقت ما أحد نجومه اللامعة ، وقد كان الاديب البشير الناصرى هو الذى وصــل الاسلاك بينه وبين آل (ايليغ)

معرفـتي به

لم الق هذا السيد قط الا مرة واحدة ، فقد زرت مسقط الراس حوالى 1351 هـ. فألمت بدار العلامة سيدى المدنى بين العشاءين ، فوجدت المترجم هناك ، فحادثته ما شاء الله فى معارف شتى ، وقد جرى الحديث حتى فى الجغرافية ، فأعجبنى منه انه ملم بها مع أن أهل طبقته اذ ذاك خالون من الالمام بها ، ومن تلك الجلسة عرفت منزلة الرجل ، ومقدار مشاركته ، وقد حدثنى كثيرون بانه فى التحصيل للعلوم التى اخذها آية الآيات ، ولذلك كان من افراس حلبته فى وادى (تانكرت) طوال عمره ، وقد طالع كثيرا من الكتب الحديثة ، فتفتح ذهنه ، وعرف هذا العصر .

ما حوله من الادبيات

من انشاءاته على قلتها قوله

شانى الرقاد وشرب الراح مغتبقا ... أو غفلة ولذيذ اللهو والسمر
او جمع مال فما للكتب من زمن ... يبقى فياحسرتى من ضيعة العمر

ومنها كما قال بعضهم او أنشد ذلك :

ان لم يكن للفتى علم ولا شرف ... فكيف يمضى حياة كلها ظلم
ان الحياة وان كانت مرونقة ... بالمال ان لم يكن علم هى العدم

وخاطبه سيدى محمد بن الحاج بقوله

اذا لم تفز بين اللدات بصالح ... كمثل منار المكرمات ابن صالح
فما فزت بالوارى وان كنت قادحا ... زنادك بالشعر الصحيح المدائح

الجـواب :

حنانيك اتى لست يوما بصالح ... وان كنت ادعى فى الورى بابن صالح
سوى ان زندى ليس يصلد فى الوفا ... اذا فى الاخا قد مسنى أى قادح(1)

وخاطبه الاديب سيدى البشير الناصرى مستدعيا له 10ـ12ـ1329 هـ. بقوله :

سلام يزدرى بشذا الغوالى ... على من حاز اشتات المعالى
خلاصة ودنا البر الحفى الـ ... ـرضا الحسن الفعال مع الخصال
مقر السودد البحت المحلى ... به جيد المفاخر والكمال (2)
ابى العباس احمد من تبدى ... بافران نظير ابى المعالى
وبعد فان اتاك الكتب فاطلع ... على أثر الكتاب بلا مطال
فلا زالت سحاب الخير تهمى ... حواليك ما أضا نور الهلال
بجاه المصطفى صلى عليه ... وكمل صحبه رب الجلال

هذا ما تيسر الآن فى ترجمة هذا العلامة الذى لم يحظ منا بما يستحقه من الاسهاب لاننا لم ناخذ ذلك قبل اليوم عن معاشريه الذين كانوا يفيدوننا عن فوائده وعن آثاره ، وعن انشاداته ، وهذا ما قدر له رحمه الله .

---

(1) صلد الزند اذا لم ير بعد قدحه

(2) البحت بتاء مثناة : الخالص

الفقيه سيدى احمد بن صالح الشاكوكى الافرانى

نحو 1395 هـ = بعد 1345 هـ.

هو من اسرة (اد شكوك) الماجدة من (تانكرت) ، التى يقال انها شريفة النسب ، وقد سمعت ان تحت ايديهم ظهائر كثيرة للملوك ، مما يدل على ان فيها رجالا عظاما ، بل سمعت ان الرياسة مرت فيهم ، كما طرق سمعى ايضا ان لها صلة نسب بنسب العلامة سيدى الحاج الحسين الافرانى - كما أشرت الى ذلك فى ترجمته فى (الجزء الرابع) وهذه اشياء لم تعد عندى نطاق السماع ، ولا اتحقق الآن اى شىء منها .

اما هذا السيد فانه اتصل بالمدرسة (الالغية) بعد ما حفظ القرآن. فمكث فيها ما شاء الله ، حتى حصل تحصيلا وسطا وحفظ متونـا كثيرة وادبيات ، ثم غادر المدرسة فيشارط فى المساجد لتعليم كتاب الله ، فمما مر فيه من القرى قرية (تازونت) بلدة العلماء اليزيديين ، ابطا هناك حتى اخذ عنه اولا قبل 1329 هـ. العلامة سيدى محمد بن الحاج احمد اليزيدى وطبقته ، ثم اخذ عنه بعد ذلك بسنين الفقيه الاديب سيدى الحسن بن على ابن عبد الله الالغى ، وهكذا رزق الحظـوة فى تعليم القرآن حين اخـذ عنه امثال هؤلاء ، كما أخذ عنه فى المدرسة (الالغية) الفقيه سيدى عبد الله بن مسعود .

هذا كل ما عندى عنه ، وقد غابت عنى اخباره حتى ضبط وقت وفاته وقد كانت له خزانة كنا استعرنا منها سنة 1333 هـ. كتاب (ممتع الاسماع) فطالعناه ، وهو اذ ذاك خارج بلده فى مشارطاته .

وهذا حظه بين فقهاء بلده رحمه الله .

سيدى عبد النعيم التيموساني الافراني

نحو 1285 هـ. = 27ـ2ـ1352 هـ.

نسبه

عبد النعيم بن سعيد

فقيه حسن عرفناه فعرفنا فيه كل خير ، وعهدى به سنة 1335 هـ. وهو يتمتع بافضل سمعة دينا وكرما

اخذ القرآن عن الاستاذ الشريف مولاى الحسن بن محمد بن ابراهيم من ايرافان التازاروالتى ، ثم التحق بالمدرسة (الالغية) فلازمها ما شاء الله فمر بالفنون ولكنه ليس فى مسلاخ اقرانه من المتخرجين منها لا تحصيلا ولا مشاركة وخوضا فى الاداب

ثم انه كان زينة قريته كرما وتلقيا للطارقين وكفاه شرفا ان الاديب العلامة محمد ابابا الصحراوى الشهير دفين كردوس كان طرق القرية يوما فاضافه خير ضيافة بعد ما اعرض عنه اهل القرية (تيموسان) ، فقال فيهم وفيه

تمسان لا تحلل بساحتها ضيفا ... اذا انت لم تسلل على اهلها سيفا
ولكن بهـا عبد النعيم كنعمـة ... لمن قد جفاه الدهر او سامه خسفا

وقد شارط حينا فى مدرسة (اداى) وفى (تاسكالا) وفى (اسـاكا) وفى (ايرز) وفى (أكماض) وفى غيرها وديدنه تعليم كتاب الله ، وقد تزوج بنت سيدى محمد بن عبد الله ابن الحاج بلقاسم السوقى التانكرتى ، وهى أسرة مجيدة ، له معها ولده محمد الطالب الذى يذكر الآن وبنات

ثم وقفـت على رسالة كتبها الى العلامـة سيدى محمد بن المحفـوظ التازيمامتى السملالى ، (درة المعالى ، وغرة الشرف الغالى ، ابو عبد الله

سيدى محمد بن المحفوظ العلامة المدرس الذى احيا الله بــه هذه البــلاد ، وانقذ به الضالين من العباد ، سلام طيب يفوح كما يفوح المسك الاذفر ، ونوافح الزهر ، اما بعد فلا زائد الا الخير الكثير والحمد لله على ما أسبغ من النعم ، وأزال من النقم ، ثم ان المرام أن تقف معنا يا سيدى فى قضيتنا التى تعلمها لوجه الله ، فاننا ضعفاء ، لا نطيق مغالبة الاقوياء ، وليس تحت أيدينا من المــال ما نخاصمهم به ، فانظر الينا لوجــه الله ، ولوجــه الذين تعارفنا معكم على ايديهم ، وسأرد على سيدى قريبــا ، والسلام جمادى الثانية 1328 هـ)

اقول ان آل سيدى عبد النعيم كانوا يتصلون بالشيخ سيدى سعيد المعدرى ، فبنوا لاصحابه زاوية عندهم فى القرية ، وقد كان لسيدى محمد ابن المحفوظ اتصال ايضا بالشيخ ، وذلك ما اشير اليه فى الرسالة .

سيدى الحسين بن محمد التيمولاءى

نحو 1301 هـ = 7ـ9ـ1336 هـ

نسبه

الحسين بن محمد بن احمد بن عمر بن عمر ـ مكررا ـ بن يحيا بن محمد بن يحيا ابن اخى سيدى محمد بن احمد التيمولأى المذكور فى (الفصل الثانى) من هذا (القسم) فقيه حسن ، كان له مقام محمود فى قريته حياته ، وان كانت حياته غير طويلة

متعلمه

اخذ القرآن عن عمه سيدى محمد ـ فتحا ـ عمه المذكور الشهير بتعليم كتاب الله ، ولم يتجاوزه ، ثم انقطع الى المدرسة (الالغية) فهناك لبث ما لبث حتى حصل تحصيلا حسنا ، وذلك باذن الشيخ الالغى ، وقد وقفت على رسائل كان سيدى محمد عمه يكتبها الى الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، وقد كان التاجارمونتى هو استاذه الدائم المحقق

أعماله بعد التخرج

رجع الى اهله رجوع الرافع الهامة المشحوذ الذهن المستحضر لما اخذه ، وقد عرفته وجالسته يوم كنت أرد الى (تيمولاى) وانا اذ ذاك آخذ فى مدرسة (تانكرت) اعوام (1332 هـ ـ 1336 هـ) وقد كان بارزا فى القرية ، وأحد رؤسائها ، وعالمها الوحيد ، كما ان عمه عالم (تيمولاى العليا) ولكن الخشوع يغلب على عمه كما ان طلب المعالى من كل قمة يغلب على المترجم ، وقد كان حينا مشارطا فى مسجد القرية ، وقد تكرر ذلك ، حتى ان وقت وفاته صادفه الحال مشارطا فيه ، وقد كان يزاول الحكم فى النوازل يقصده الخصوم بها ، فكان يقبل فيها ويدبر ، حتى كان قتله بسببها .

كيف قتل

كانت خصومة بين رجل من اهله اد ووشن ، وآخر ، فالتجا هذا الآخر باك ابن علي ، وهي اسرة كبيرة اذ ذاك ، لها مكانة في القرية ووجاهة ومال ، وقد كان للمترجم مصاهرة مع هذه الاسرة ، تزوج ببنت محمد - فتحا - بن علي ثم كانت حرب بين اهل القرية هلك فيها كثيرون من بينهم رجالات من هذه الاسرة ، ولم يبق من الرجال فيها الا صبي ، فكان المترجم وصيا عليه ، فقام مقام رجالات هذه الاسرة ، فصار يعين ذلك الملتجيء الى هذه الاسرة ، فاتفق كبار القرية على ان يغرموا ذلك الملتجيء المذكور مالا ، وفي وقت اجتمع فيه هؤلاء ، وقد خرج المترجم من صلاة العصر بعدما صلى بالناس ، وبدا لهم الحزب بعد العصر - والوقت رمضان - صادفهم المترجم كذلك ، وهم ينتظرون ذلك الملتجيء ليقضوا فيه غرضهم ، فاندفع اليهم فاطلق اليهم حجرا قبل أن يصلهم ، ثم صارع واحدا منهم فبطحه ، وجرحه جرحين بخنجره ، فثار اليه اولائك المجتمعون فاستحوذوا عليه بالقوة ، فادخلوه الى محل ، فطعنه احدهم بخنجر تحت الكتف ، فقضى عليه في الحين ، فلم تصل المغرب حتى دفن الفقيه ، وقبره ازاء سيدي (ابي الرجاء) صاحب المشهد في المقبرة هناك ، هكذا ذهب الفقيه المغوار الذي لم يرد أن يكون كفقهاء وقته ، يدير الخد الثاني لمن لطمه على الخد الاول ، ولعمري ان الموت بشرف ، خير من التماوت والذلة والهوان .

وما للمرء خير في حياة   اذا ما عد من سقط المتاع

وقد ترك ولدا لا فائدة فيه ، وقد كان ككل أهل قريته من المنخرطين في الطرقة (الالغية) وان كان لم يتشرب كاسها الدهاق ، كالاخصاء من أهله - فقد كان يرد الى موسم الغ ، ويحضر مجالس الفقراء ، رحمه الله وسامحه ومما وجدته مقيدا بخطه على بعض كتبه مما يدل على ان نفحة أدبية هبت نحوه من (الغ)

انا وان احسابنا كرمت   لسنا على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا   تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وهي ابيات معروفة لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر
ومن ذلك ايضا :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها   فليس الى حسن الثناء سبيل

والبيتان من قصيدة السمو أل المعروفة ، وهاتان القطعتان تدلان على نفسية المترجم ، وقد رأى القارىء انه عيوف عزوف يختار المنايا على الدنايا ، وهناك مقطعات أخريات نكتفي منها بهاتين

سيدى احمد بن محمد التيمولاءى

نحو 1298 هـ = 1332 هـ

نسبه

احمد بن محمد بن احمد بن عمر بن عمر - مكررا - بن يحيا بن محمد بن يحيا

هذا صنو المتقدم ، وفقيه أيضا له ظهور بين أهله بالعلم .

متعلمه

اخذ القرآن والمعارف مع اخيه المذكور ، فقد اعتنى بهما عمهما تعليما وتثقيفا ، فبعد أن حصلا عنده القرآن أرسلهما معا الى المدرسة (الالغية) ، وهو أكبر من سيدى الحسين ، وان كان دونه فى التحصيل ، لأنه لم يبطىء كثيرا هناك .

أعماله وهلاكه

فقيه حسن ، لكنه لم يتمش فى الميدان العلمى المشية المنتظرة من امثاله ، فانه بعد رجوعه من المدرسة ، صار يغامر بين أهله ، وقد وجد الجو فى القرية معتكرا بالاختلاف العظيم التى ابتليت به (تيمولاى السفلى) ، وقد كان قائدهم اذ ذاك يورث ناره ، ويسرب دسائسه بينهم ، حتى صار كل جار يقاتل جاره ، وقد يثقب اليه الجدار ، فيتعاطيان الطلقات ، وحين خلق المترجم لهذه المشاكسات صار يخوض فيها خوض المغامرين ، كما انه يقوم على حقوله سقيا وحرثا ، فلولا انه ينجذب الى مجالس الذكر بين فقراء اهله ، فصين بذلك مما كان ينتظر من امثاله لكان امره ادهى وامر ، وقد ثارت حرب بين اهل القرية ، فكان أول من هلك فيها ، رحمه الله ، وما احق ان ننشد نحن هنا ازاءه وازاء اخيه ، وقد قتلا معاشا من القصيدة السمو الية :

وانا لقوم لا نرى القتل سبة   اذا ما راته عامر وسليل

يقرب حب الموت آجالنا لنا   وتكرهه آجالهم فتطول

وقد طالعت بعض كتبه فلم أر له اعتناء بتقييد الادبيات كاخيه ، وليس هناك الا فقهيات .

المولى عبد الرحمان البوزاكارنى

1306 هـ = 17 ـ 9 ـ 1380 هـ

نسبـه

عبد الرحمان ابن الحاج محمد بن علي بن احمد بن محمد ، ومحمد هذا أول وارد من الاجداد الى (الاخصاص) وقد اشتهر عند الناس أنهم شرفاء مشيشيون ، ولم اتصل الى الآن بعمود نسبهم ، وان فتشت عنه ما شاء الله عند اهله والحجت فى ذلك .

من ادباء جزولة اليوم الذين جلوا فى مضمار الادب ، ومن اكابـر المتضلعين من العلوم التى درسها تضلعا كبيرا ، حتى غبر فى اوجه المسابقين ، وأصبح من المشار اليهم بين الافذاذ المفلقين ، جمع الطريف والتليد من المجد ، وحلق الى سماوات المعالى حتى لا محلق له بعد ، وممن يطنب فيه عارفوه فيرون مع ذلك أنهم فى حقه من المقصرين ، على حين أن من لم يروه يحسبون أن الكلام عنه انما القى على عواهنه ، وأن المثنين عليه من الملفقين

نشأ نشأة أدبية ، قلما أتيحت لقرنائه ، كأبى عبد الله ابن الطاهر ، والاديب داود الرسموكى ، والاديب أبى العباس اليزيدى ومحمد الحامدى ، ثم كانوا مع ذلك ممن يرون له التقدم فى كل ميدان ، والسمو الظاهر فى كل فهم ، رحل رحلته العلمية فى تلك الجهة قبل أن يطر شاربه ، ثم لم يزل يثافن فى المدارس الكبار ، ويصاقب (1) الجهابذة ، ويستقى من البحور الزاخرة ، ويقتبس من الشموس المشرقة ، ويكب على التهام كل ما يجده من الكتب المختلفة ، حتى كانت له يوم رجع من رحلته مكانة تذبذب دونها المقامات العليا فى العلوم ، وعينه فراره ، وما يوم حليمة بسر

نشأ بين الادب وحرفة الادب ، فلم يزل بينهما يوالى لذلك كل ما جبل عليه من ذكاء واجتهاد واكباب ، وامعان فى التحصيل ، كما يولى لهذه ظهرا صبورا جلدا قويا ، لا يتزعزع بالعواصف ، ولا تؤثر فيه الكوارث ، وقلما يأوى فى المدارس الى بيت له خاص ، أو يوكىء على خزانة كسوة ، أو صرة

(1) ثافنه : جالسه ولزمه حتى يعرف ما عنده ، وصاقبه : قرب منه

مال ، او لفافة كتب ، فكان ثانى ابى الوليد الباجى الذى حصل معارفه من (بغداد) بعد رحلته اليها من (الاندلس) بالمطالعة على مصابيح حراس الدروب ، ثم لم يدر الدهر دورته ، حتى كان امام الاندلس ، وعالم المغرب ، ومرجع بعض دول الطوائف الاندلسية اذ ذاك فكذلك مولاى عبد الرحمن صنوه هذا ، فانه حصل على غراره تحصيلا فائقا ثم لم يمض الا حقب ، فاذا به أعلى كعبا ، وأجلى فهما ، وارفع منارا ، وأسطع شهرة من الذين كانوا ياوون فى المدارس التى تجمعهم معه ، الى فرش وثيرة ، ووسائد منضودة ، وأوان مصقولة ، وكتب موفورة ، فظهر ان العلم ينال بالدؤوب والاكباب ، لا بجر ذيول الثياب ، وان المجد يحصله الطالب بقريحة وقادة ، لا بزربية ووسادة ، وان السيادة فى ميادين المعارف ، بقلب عقول ، ولسان سؤول ، ومداومة الدراسة على الاكابر ، ومناغاة ما بين المحابر والدفاتر ، لا باعطاف ملففة ، ولا بعمائم مصففة ، ولا بالبزة المرموقة ، ولا بالتعالى بالالتحاق بالمدارس على السوقة

اصبح المولى عبد الرحمن عند عارفيه علما كبيرا مرفرفا من اعلام الادب الكبرى ، فاينما حل ، وأينما سار ، فالادب مرافقه ، يسوق راحلته ويقودها .

اجتمع معه فى اى مكان ، تر بحره مزبدا ، فيتموج اليك بالادبيات الشعرية ، وغرر الحكم ، الا اذا كنت ممن يرغب فى فن آخر من العلوم ، فانه سرعان ما يقلب الصفحة ، فيدهشك منه أنه مجاريك فى أى فن كنت انت من متقنيه ، كن نحويا أو لغويا ، او مؤرخا او فقيها ، أو فرضيا او حيسوبيا ، أو اى فرد كنت من الافراد النجباء ، فى أى علم من العلوم التى تجول فى هذه البيئة السوسية اذ ذاك ، فانك تجد فيه طلبتك ، وتحمد معه جلستك ، وتنقع به غلتك .

واما اذا كنت ممن يخوض فى التفسير والحديث ، خصوصا ما يتعلق بالسيرة النبوية ، فانك تقع منه على كنز قلما تجده الا فى افراد قليلين من لداته (1) وممن هم أكبر منه ومن لداته ، علمه معه اينما كان ، فصدره قمطره ، كما ان نعله دائما هى راحلته ، وهكذا كان يحضر معه علمه فى كل مكان :

علمى معى حيثما يممت يتبعنى	صدرى وعاء له لا بطن صندوق
ان كنت فى البيت كان العلم فيه معى	او كنت فى السوق كان العلم فى السوق

ذلك هو المولى عبد الرحمن ، فى فذلكة صغيرة ، تنفلنا بها اجمالا ، قبل أن نفترض بتفصيل ترجمته فيما ياتى

هو من أسرة شريفة النسب ، طاهرة الذيل ، ولا استحضر الآن عنها ولا عن أطرافها شيئا ، وقد كنت كتبت لسيدى الحاج محمد والده ليفضى الى

(1) اللدات جمع لدة بكسر ففتح وهو القرن والترب فى السن .

بما احتاجه فى ترجمته ، وفى ترجمة نجله امام الادباء ، فازور عن الجواب ترفعا منه عن أن يتسبب فى اشادة ذكره ، ونظيره من الصوفية الكرام ، يعذر فى مثل ذلك ، ولذلك ساعتمد على ما توصلت به فقط عنه وعن ولده امام الادباء ، من السنة المحدثين ، أو مما شاهدته بالعيان .

لسيدى الحاج محمد يد فى المعارف لا باس بها ، وقد كان درس على الشيخ الالغى ، حين كان مشارطـا فى مدرسة : (فوكرض) قليلا سنــة : 1296 هـ. ولا اعرف له الآن استاذا آخر ، الا أنه اخذ ايضا قليلا عن الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم الافرانى ، وباعه على كل حال فى المعارف غــير طويل ، وقد أمضى شبيبته فى العزلة والعبادة ، تشوفا منه الى مقامات الصوفية ، ثم التحق بالشيخ سيدى سعيد بن همو المعدرى ، فانخرط فى أصحابه ، وكان من المتجردين عنده فى أخريات أيامه ، وكان اول ما اتصل به صغيرا ، وسمعت ممن أدرك ذلك العهد أنه كان ربما اعيا فى السياحة ، فيعجز عن المشى فيقول الشيخ سعيد للفقير مبارك أوباكا التيزنيتى : احمله على منكبك ، فيحمله ، وكان مبارك ذا منة غريبة ، واحسبه يولد نحو 1278 هـ لأنه حفظ القرآن قبل : 1294 هـ وربما كان اذ ذاك ممن تقدمت له دراسة فى العلم ، ثم لما توفى شيخه سيدى سعيد مفتتح : 1300 هـ. كان اذ ذاك بلغ مبلغ الرجال ، وكان بين الفقراء ذا ميزة ، لما عليه من نور العلم ، ولما يكتنفه من التصوف الذى ارتضع أخلافه ، وحين انشق فقراء سيدى سعيد على انفسهم فريق مع سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ، وفريق مع الشيخ الالغى ، كان سيدى الحاج محمد ممن انضــوى الى الشيخ الالغى ككثيرين أمثاله ، فكان الشيخ يثبت قدمه ، ويشجعه الى الظهور فى باب الدعوة الى الله ، كما كان ايضا على ذلك لمولاى احمد الوادنونى ، ثم لم يزل فى تلك السنوات يتردد الى الزاوية (الالغية) كما كان يصاحب الشيخ الالغى فى سياحاته الاولى ، فكان كلما أراد الشيخ ان يسيح يرسل اليه ، وكان يركب على أتان له دائما ، وذلك قبل 1310 هـ. وكان هينا لينا ذا سمت حسن ، ملازما لأخــلاق الصوفية المتشددين ، متزمتا ملحــا على نفسه فى العبادة ، وقد كان له أتباع اتخذوه شيخا ، غير ان هالته لم تتسع كثيرا ، وكان يأمر أصحابه أن يشتغلوا بانفسهم ، وان لا يابه كل واحد منهم بغير خويصة نفسه ، كما يامرهم أن يبتعدوا عن الطلبة الذين لا يسلمون أحوال الفقراء ، وكان مع ذلك ممن حسن فيه القائد المدنى الاخصاصى ابن قريته ظنه حين ظهر هذا أخيرا ، فيمده بكل ما يكفيه ، فهذا وذاك معا هما اللذان حفزا المؤرخ الايكرارى رحمه الله حتى كتب فى كتــابه (روضة الافنان) ما كتبه ، غير مصرح باسمه ، ومعلوم ما بينه وبين القائد المدنى من التنافر ، لكونه صاغية القائد بوهيا عدو القائد المدنى ، فذلك هو السبب ، نبهت عليه ، لئلا يغتر من اطلع عليه ، ممن لم يعرف الحقيقة ، والمعاصرة تمنع المناصرة ، والعلامة الايكرارى الفنا منه الحق والصراحة .

كان سيدى الحاج محمد حلس بيته (1) فمنذ نحو 30 سنة لوى راسه تحت طي جناحه ، فاشتغل بما يعنيه ، الا انه يقابل زواره الذين لا يكونون احيانا قليلين ، وهو الآن شيخ مسن فى الثمانين ، وقد حج أولا سنة (1307 هـ) ثم ثانيا سنة 1322 هـ وهو من آشياخ الطريقة الدرقاوية في (سوس)

وقد كان مثل العلامة سيدى الحاج الحبيب ، وابن عمه الفقيه سيدى الحاج عابد البوشوارى ، يراسلانه ، ويتيمنان برايه ، كما كان ايضا سيدى احمد بن مسعود المعدرى يراسله دائما برسول خاص ، وكذلك سيدى محمد بن العربى الهوارى المقرىء ، يوصى اصحابه على صلته ، ولم يزل فى مجاهداته لا يفتر ، الى ان توفى 1363 هـ. تاركا أولادا ، منهم عمر ، ومنهم المترجم ، وقد كان المترجم الفقيه الجاسى الواقف مع فقهه ، يلاقى من والده هذا الذى ترى اخلاقه المتزمتة ما يلاقى ، وكم هجره ، فيسعى الفقراء الى السعى فى أن يرضى عنه ، وكم بين مشرب الوالد والولد ، ولكل منهما طريق لاحب ، له فيه سابقون .

متعلم مولاي عبد الرحمن

اخذ القرآن عن اساتذة شتى ، اهمهم الاستاذ سيدى محمد التانكرتى فى مدرسة (اد غزال) بـ (الاخصاص) ثم انه التحق بالاستاذ سيدى العربى الساموكنى فى المدرسة (الايغشانية) وهو بعد صغير قبل الاحتلام ، فهناك افتتح المبادىء ، ثم لما اتقنها ، تدرج فى التى فوقها ، ثم التحق بالاستاذ شيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى فى (تانكرت) فلازمه ملازمة الظل ، وكان عند الاستاذ قرين ولده شيخنا سيدى محمد ، فاعتنى بهما معا ، يصاحبهما فى المشارطة من مدرسة (تانكرت) الى (بومروان) وربما اضافهما اليه عند مغادرة تلك المدرسة فى داره ، يدرس معهما ويرشحهما معا للتفوق ، فكانا كفرسى رهان ، يبدئان معا ويعيدان فى ميـادين الفهم ، ويجـولان كالنسرين فى سماوات الادراك ، وفى سنة : 1329 هـ. حين شارط الاستاذ فى المدرسة (البومروانية) كانا هناك مع الادباء الجدد الذين التحقوا حديثا بالاستاذ ، كابى العباس اليزيدى ، والاديب داود الرسموكى ، والاديب محمد الامسناتى التملى والاديب محمد بن على الالغى وامثالهم ، يقبلون ويدبرون فى الميدان ، وقد تفوقوا كلهم جميعا وادركوا مراتب متقاربة ، خصوصا فى الادب (2) ، وقد كان للمترجم ما كان له من الاحراز على القصب بينهم ، فالا يكن مجليا اذ ذاك فى كل العلوم بينهم فانه على الاقل فى مستواهم ، ثم فى سنة : 1331 هـ. غادر تلك المدرسة باقلاع الاستاذ عنها ، ثم كان حينا فى اهله ، ثم راجع المدرسة (التانكرتية) اواخر 1331 هـ. فبقى فيها الى سنة :

(1) يقال هو حلس بيته أى ملازم له لا يفارقه

(2) الا الثالث فانه دون الحلبة فى الادب مع علمه وفضله .

1336 هـ. ثم اقام فى اهله ما شاء الله ، ثم التحق بالمدرسة (الالغية) حين كان فيها الاستاذ ابو العباس اليزيدى فكان اذ ذاك لا يغب الحضور فى الدروس التى ربما يلقيها الاستاذ ابو الحسن الالغى كما انه كان احـــد جلاسه ، واحد المشاورين في القضايا النازلة فى حضرته ، كما كان احد اوتاد الادب الالغى الفياض اذ ذاك ، فكان يدرس عليه كثيرون فى المدرسة فنونا من العربية ، كما يتلون عليه كتب الادب ، فنجب به ايضا اذ ذاك كثيرون ، بعضهم اليوم من الادباء المذكورين ، كما كان له هذا المركز نفسه قبل فى المدرسة (التانكرتية) من 1332 هـ. ولم يزل فى (الغ) مرابطا مكبا على المطالعة فى كل كتاب وجده ، والخزائن الالغية مفتوحة امامه ، ومقاليد البلاغة (الالغية) يقر كل واحد انها فى يده ، ويتعاطى بعض التدريس ، كمعاون لمن يكونون فى المدرسة ، فلما عزم على الاياب ، والاقلاع نهائيا عن الاخذ من المدارس ، وأعلن أنه اكتفى ، وان حوضه قال قطنى ، جمع له عميد المدرسة سيدى على بن عبد الله كل من فيها من الطلبة ، فمشوا معه على العادة حين يودع الاستاذ متخرجا ، حتى ودعوه غربى المدرسة ، فوق بئر (أيت عيس) فى جمع حافل ، خفقت فيه القلوب ، وترقرقت فيه الجفون ، فكان ذلك آخر عهده بالاستاذ أبى الحسن الالغى ، لأنه لم يعتم هذا ان لحق بربه بعد سنة أو سنتين ، كما كان أيضا خاتمة رحلته العلمية ، فلم يحن بعدها الهامة أمام مدرس ، ولامد بعد يده الى كاس استفادة فى حلقة مدرس .

هذه تقلباته التى أعرفها له ، وهؤلاء الثلاثة الاساتذة : سيدى العربى وسيدى الطاهر ، وسيدى على بن عبد الله ، هم الذين كرع فى بحورهم حتى اكتفى ، وبالثانى منهم تخرج وتــفــوق ، وتلك المدارس الاربعــة : الايغشانية ، والبومروانية والتانكرتية ، والالغية مآخذه التى منها رجع بخواف وقوادم لا تعرف الا التحليق الى الاوج ، والطيران الى هامة المعالى .

في دار احمد الايغشاني

كان برهة قليلة من الدهر ثوى فى دار الرئيس احمد الايغشانى ، فيما ذكر لى ، وكان ينوى فيه أن يتخذه استاذا خاصا لولده محمد بن احمد ، بعد ان لم يمكن له أن يجاور فى المدارس بعد ما سقط بيده فى المدرسة (التانكرتية) على الاغضيائى السملالى ، ولكن صاحبنا لم يكن سلس القياد ، بل خلق عزوفا أنوفا ، مستنكفا أن يكون تابعا مأمورا لمن لم يضرب فى المعارف بسهم ، فسرعان ما غادر داره ، ورجع الى المدرسة (الالغية) التى اتخذها موئلا من نحو 1338 هـ. الى نحو : 1344 هـ. ولم اتحقق الآن تفاصيل كل ذلك .

في المدرسة البوزاكارنية

كان بعدما رجع من (الغ) ثاويا فى قريته ، ولما كان له من علو الهمة ، وضيق الصدر ، لم يستطع أن يكون فى دار والده ، فلم يمكن الا أن ياوى الى المدرسة هناك ، وقد كان فى حين من الدهر ، واحسب ذلك بعد الاحتلال عزم عليه أهلها ان يكون أستاذ هذه المدرسة ، ولكن لم يتيسر ذلك له تابيا منه ، لما سنذكره من الناحية الاجتماعية من اخلاقه ، وفى هذا الحين ، فى سنة 1346 هـ تعاطى مع الاستاذ أبى الحسن الالغى المراسلة التى تقدمت فى ترجمة الاستاذ ، تتضمن من الاستاذ أن نجم الادب قد خوى فى (الغ) (1) بعده ، مما يدل على مكانته التى ذكرناها ، وانه كان حيثما نزل ، يتفجر معه من الادب ينبوعه وتتاجج به جلوته ، ثم لا يلبث ان ينضب بعد رحيله معينه ، وتنطفىء ناره ، وشهادة الاستاذ الالغى تكفى فى ذلك ، كما تتضمن ايضا تلك المراسلة ما كان اشتكى منه المترجم من انتشاب الاظفار من حرفة الادب فى جانبيه ، حتى لا يمكن أن يجد حتى الضوء ، فضلا عن غيره ، مما يدل على انه قد يجتمع الضب والنون ، ولا يجتمع المال والادب فى يد الاديب .

في المدرسة الازاريفية

كان اتصل بعميد هذه المدرسة حينا من الدهر ، وهو سيدى الحسن ابن الحسين ، الفقيه الشهير ، فكان اذ ذاك ربما انقطع اليه ، وربما ينقطع الى المدرسة (الالغية) كما ذكرناه ، وكان ذلك الفقيه معنيا بشانه ، اخبرنا انه يخصص له دارا على حدة ، فكفاه كل المؤن ، وفتح له خزانته العامرة ، وفيها وحدها سؤله ، واطلق له الرسن يفعل ما يشاء ، واكبر مقامه بين كل صادر ووارد لكنه لا يكاد يالف هناك ، فينطلق الى (الغ) ثم بعد ان انطلق من (الغ) نهائيا وبقى فى قريته ما شاء الله ، بدا له ، فرجع ايضا الى (ازاريف) ولا يزال ينتابه احيانا الى الآن 1357 هـ.

ديدنه بالاجمال منذ 1346 هـ

كان ربما يبقى عند والده فى قرية (بوزاكارن) فى دارهم ، متى تحمل معاملة والده ، او فى المدرسة ان وجد فيها مونسا ، أو يكون فى (ازاريف) كما ذكرنا او يكون عند الاستاذ سيدى الحاج محمد بن عبد الكريم فى احدى مدارس الاخصاص ، او المدرسة (العبلاوية) البعمرانية عند الاستاذ سيدى محمد اوبلوش القاضى ، احد المنتفعين به ادبا فى المدرسة (الالغية) وبعد

(1) خوى النجم كشوى افل وغرب .

الاحتلال لهذه الناحية سنة 1352 هـ. لم يزل على هذا ، وفى هذا الحين ، جرت المحاولة معه في الاستقرار فى المدرسة البوزاكارنية ، على يد القائد هناك كما احسبه ، غير انها لم تنجح فيه ومنذ : 1355 هـ. سمعت انه عند ابن عبد الكريم المذكور ايضا ، وهو من القراء الكبار ، أو عند اوبلوش ، فى المدرسة العبلاوية ايضا ، ومنذ دخول سنة 1358 هـ. سمعت انه التحق ايضا بازاريف ، حيث لا يزال يتردد بينه وبين زيارة والده ، وقد اقام حينا فى مدرسة (دودرار) برسموكة ، عند الاستاذ سيدى على بن الطاهر المحجوبى يدرس لمن هناك ، وحينا فى مدرسة ببعقيلة عند بعض الاساتذة الذين لم يتقوا الله فيه ، فوسوس عنه فى المراقبة ، مما كان هو السبب حتى فارق تلك الجبال الى (الاخصاص) وفى آخر الصيف الماضى سمعت انه اوى الى قبيلته وقد علمت انه ازداد حرج صدر بعد الاحتلال ، فتزداد ارجوحته فى الحركة الدائمة ، لا يكاد يستقر فى مكان :

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويـو ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

أخلاقه

يتعجب القارىء ان سمع ما كنا وصفنا به هـذا الاديب العلامة من التضلع الكبير ، ومن ثناء اقرانه واشياخه عليه كثيرا ، حتى لا تكاد تجد من يخالفهم فى ذلك ، من انه مع تلك المرتبة السامية ، وذلك الشفوف الكثير ، لم يكن له ما كان لأمثاله من علماء جزولة عامة ، او لأقرانه على الاقل ، كأبى العباس اليزيدى ، وأبى عبد الله ابن الطاهر ، وابى سليمان داود الرسموكى، فانهم ظهرت مكانتهم فى الوجود ، واستقروا وأجالوا قداح التدريس ، فخرجوا من يكونون حولهم هالة كبرى ، وينشر لهم ذكرا فى الآخرين ، ويبقى لهم خلودا فى الخالدين ، فكم مدارس عمروا ، وتلاميذ خرجـوا ، وفتاوى حرروا ، وقضايا فصلوا ، فكانوا دائما هم الاعلين .

حقيقة ان ذلك يستحق ان يثير عجبا ، لكننا ان صرحنا بما تشتمل عليه أخلاق شيخنا المولى عبد الرحمان ، وبينا ما له من حرج الصدر ، وضيق العطن ، والزيادة على ما يستحسن من الاستنكاف ، ومن علو الهمة ، ربما يبطل ذلك العجب ، بظهور ما هو على الحقيقة السبب ، ومتى ظهر السبب ، ذهب العجب .

كان حفظه الله وذكره بكل خير ، وجزاه عنا بما يجزى بـه احنى الاساتيذ ، عن أبر التلاميذ ، ضيق العطن الى الغاية ، قد يسبق ذهنه الى ما لم يجل فى حسبان صاحبه ، ثم لا يتروى حتى يرى الحقيقة فى التوبيخ والتنديد ، وربما يتجاوز عمل اللسان ، الى ما تعمله اليدان ، ولما له من علو الهمة عن المراتب الدنيوية ، لا يراعى أربابها ، فليكن الانسان أيا كان : عالما جليلا ، أو قائدا كبيرا ، او محترما بين ذويه ، فانه لأدنى خالجة تخطر

فى ذهنه ، يصليه سعيرا ، فلسانه تثريبا وتانيبا وعذلا لافحا ،
ولا ريب أن ملاك الامور فى هذه الحياة لا يكون الا بشيئين مخالقة الناس ومداراتهم ، والاغضاء عما يبدو منهم من المساوى ، ومن الطبيعى ان يتطلع المرء الى أن يكون له فى هذه الحياة ما يكتسب به رونقا فى الاعين واكبارا فى القلوب ، وحين كان المولى عبد الرحمن لا يعرف المداراة ، ولا كان له تطلع الى مركز من المراكز التى تجعل للانسان طفاوة تلفت اليه العيون ، وتقلب اليه الوجوه ، ولا رونق يوجه اليه الامال ، ليس بعجيب ان يفلت من يديه ما يستمتع به امثاله بل حتى من كانوا دونه من العلماء والادباء ، ممن يتقلبون بين اهل ومال ، وجاه وأتباع ، وشهرة مدوية ، وسمعة معطرة ، وغالب الناس ، بل كلهم الا قليلين لا يكادون يذكرون ، انما تستمد عقولهم من عيونهم وابصارهم ، فلا يحنون الهامات ، ولا يرفعون الاحترامات ، الا لمن يرون له شارة بأهل ومال ، ويسمعون عنه طنينا بين السنة المتحدثين واذ لم يكن للمولى عبد الرحمن لا اهل ولا مال ، ولا عرف له اتباع من العوام ، ولا كانت له جولات كالتي تعهد من أمثاله ، وتنتظر من نظرائه ، بل حين لم يوفق الى الاستقرار بين أهل ، وهو ما يوفق اليه كل انسان ، صرت تسمع من عارفيه لوما وعتابا فى جانبه ، ورأيت من العامة نحوه تجاهلا كثيرا حتى لا يكادون يصدقون من يخبرهم عنه بتفوق فى العلم ، وسمو فى الفهم ، وشفوف على الاقران فى كل الميادين .

ذلك هو تاثير ذلك الجانب من الاخلاق ، فى حياة شيخنا مولاى عبد الرحمان حفظه الله ، فانه الآن يناهز السبعين ، أو يقاربها بقليل ، وهو عزب خاوى الوفضة ، لا قرار له ، ولا ياوى الى معلوم ، ولا يملك راحلة الا حذاءه ، ولا صاحب الا من تبرعوا لاجلاله لوجه الله الكريم .

ان هذا الذى ينقص أستاذنا الكبير هذا يسمى عند علماء الاخلاق الخلق الاجتماعى ، ويسميه بعض الادباء المنكتين النفاق الاجتماعى ، وهو على رغم تعبير هؤلاء الادباء المنكتين ـ اساس الحياة ، والطريق الوحيد الى الانخراط بين أفراد المجتمع الحيوى المتموج فى هذه الدار ، فمن حرمه ولم يرزق منه ذرة ، فانه يحرم كل شيء ، ولا يكون له من احترام المجتمع ولو ذرة ، وما اولاه بأن ينخرط بين الصوفية الذين طلقوا هذه الحياة وكل ما فيها ، فلو كان صاحبنا من هؤلاء الصوفية المطرقين المنزوين الذين لا يهمهم شيء ، لما كان هناك من يؤاخذه على شيء ، لأن لذلك إيضا قيمته فى هذه الحياة ، حتى عند العامة ، لكنه ـ والحق يقال ـ مع حرمانه من هذا الخلق الاجتماعى مؤانس لمن يوافقه طبعه ، واديب مفكاه ممراح مفراح ، يكاد يطير على أجنحة الاريحية ، ان جالس من يتفتح له صدره ، ولا تثقل عليه مجالسته وقليل ماهم ، بل يشعر ان غمره ذلك بسعادة يتمنى لو افاض منها الى كل ناحية ، وما كان اجدر صاحب هذه المكانة فى الادب بسور سميك من ذلك الخلق الاجتماعى ليمكن له أن يتقلب كما ينبغى مع المتقلبين فى هذا الوجود ، لكن ذلك خلق جبل عليه لا يستحق عند المنصفين لوما عليه :

«ان التخلق ياتى دونه الخلق»

اما ما عدا هذا الخلق الاجتماعى وحده من بين طباع صاحبنا ، فهو على أتو (1) سديد ، وطريقة مستقيمة ، دينا ، وعلو همة ، واقبالا على شأنه ، لا يزاحم على المال ، ولا على الجاه ، ولا على المناصب ، فمن عرف كيف يتقى منه تلك النزوة التى يستثيرها منه عدم ذلك الخلق الاجتماعى ، فانه يجد منه نطفة صافية ، وسريرة طاهرة ، وودا متينا ، واخلاصا عجيبا ، وكل ما يمت الى المعاشرة العليا ، فانه أشكر الناس لمحسن ، وأغير الاخوان على كل صاحب يجلس امامه ، ثم كان وراء ذلك ازهد الناس فى الذى يتناطح عليه الاغبياء ، فلا يحسد ولا ينفس ، ولا يبتدىء بعدوان ، ولا تمتد عينه الى ملك الغير ، ولا يتعرض لنيله تصريحا او تلويحا ، مع دين مقام الفرض والنفل ، ومثابرة على اذكار واوراد ، من حزب القرآن وغيره ، وسور خاصة كل ليلة ، كالواقعة ويس ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر يوم الجمعة ويتحين كل ما ورد فيه شيء من الاجر ، وفى عمله ثواب ، واما القناعة بما تيسر فانه قطبها ، وهى التى استولت عليه غاية الاستيلاء ، وافرطت فيه افراطا كثيرا ، حتى نفض يده مما لا يمكن ان يحفظ العرض والدين والحياة الا به من التكسب ، والخير كله فى الامور ، انما هو فى الاوساط ، لا افراط ولا تفريط

«ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا»

«ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم»

ما دمت حيا فدار الناس كلهم — فانما انت فى دار المداراة
من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى — عما قليل نديما للندامات

فان فى التكسب من صيانة العرض والمروءة كنزا عظيما ، وما عاش الانسان بالفضل من عمله بيده

اقول قولتى هذه فى استاذى كمؤرخ ، واعلن ان فى اخلاقى انا ايضا بعض ما ذكرته عن استاذى ، فيا أيها الناس اعذرونا ، على ما جبلنا عليه ، فاننا لو كنا على خيار فى اخلاقنا لكنا لكم كما تريدون ونريد ، وليس الامر الا الى الاقدار لا الينا

توبته

كان حفظه الله فى ايامه المدرسية الاولى سادرا فى غلوائه ، كغالب المدرسين اذ ذاك ، ولم يزل والده حفظه الله يتعهده بالنصيحة ، حتى وافقت منه مرة ما وافقت ، فطوى اجنحته بسرعة ، ثم اقبل على نفسه يحاسبها ، فقضى ما عليه من الفرائض ، وادى ما عليه من التبعات ، وذلك

(1) الاتو بفتح وسكون : الاستقامة والطريقة .

سنة : 1332 هـ. ثم اقبل على التهجد والصيام ، حتى أفرط في ذلك ، وسمعت ان شيخنا سيدى الطاهر قال له اذ ذاك : رويدا رويدا ، فعليك بالرفق ، فان الله يعين على الرفق ما لا يعين على الخرق ، واكلف من العمل ما تطيق ، فان المنبت لا ظهرا أبقى ولا ارضا قطع ، فلم يزل على ذلك حتى رسخت فيه ملكة مراقبة الله عز وجل ، ثم صار يتراجع عن تزمته شيئا فشيئا ، حتى استعاد منه الادب أريحيته ، فيعلو أسارير وجهه بشر المعاشرة ، فيملأ الاندية بالفكاهة ، والنكت الادبية ، وبكل ما شئت ، فلا يمل ولا يضجر ، لكنه عند دخول وقت الصلاة يتغير كانه انقلب الى رجل آخر ، فلا تفوته أية صلاة في وقتها ، وان كانت ما كانت ، فعليها يصاحب من يصاحب ، ومن اجلها يفارق كثيرين ، بين اخ وصاحب ، وقد اعتنى من بين ما اعتنى به من كتب ، بكتب الصوفية ، فكان له من انظارهم شيء غير قليل ، يسوى به ميزان اعماله ، ويدخر بسببه ما يدخر من الاخلاص لوجه الله الكريم .

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخـرا يكون كصالح الاعمـال

كثيرا ما يؤذن بنفسه حين كنا معه في المدرسة (التانكرتية) يوم كان ياخذ فيها ، ويرى ذلك من أفضل اعماله ويقول ان المؤذنين اطول الناس اعناقا يوم القيامة

مكانته في العلوم

رأيت انه أكب على الاخذ نحو عشرين سنة ، ثم لازم بعدها مجالس الدرس عشر سنين او اكثر ، وهو الذى نعرف منه أنه يتكل على محفوظاته ، لا على كتبه ، لأنه لا كتب له ، فيكون دائما علمه معه في السوق ، او في البيت – كما يقول الشافعي : –

كما أننا نعرف منه دؤوبا متزايدا ، ونشاطا كبيرا في الازدياد من المعلومات ، فيزداد في كل يوم اما بالاخذ ، واما بالمطالعة ، ولا أظن احدا من اقرانه أكثر منه مطالعة أيا كان ، لأنني رأيته يكب على اى كتاب وجده ، لا يفرق بين كتب الادب وبين غيرها ، فكما ينشط لمثل (نفح الطيب) وابن خلكان ، وتزيين الاسواق ، ومروج الذهب ، وابن الاثير ، وممتع الاسماع ، ونزهة الحادى، وثمرات الاوراق والمستطرف وكل ما وجده من التواريخ ، كذلك يطالع الخازى وروح البيان ، وروح المعانى ، ثم يتجاوزها الى التفاسير الحديثة فيطالع تفسير الطنطاوى ، وقد استعاره عند بعض الالغيين ، ثم له أيضا ولوع بمثل الذهب الابريز ، والعهود المحمدية والاحياء ، وعوارف المعارف ، وديوان ابن الفارض ، وشرح تائيته الكبرى ، حتى انه ليحفظ من اقوال ابن الفارض، حتى من تائيته الكبرى ، فيورد منها في رسائله الادبية مثل ما يورد من اقوال ابى تمام والبحترى ، ومسلم بن الوليد ، وبشـار وحماد عجرد ،

والحسن بن هانى ، والخنساء والاعشى ، والنابغتين الذبيـانى والجعـدى ، وحسان وكعب بن زهير ، وجرير والفرزدق ، فضلا عن الاندلسيين الذين يستحضر لهم كثيرا جدا ، باكبابه على نفح الطيب ، حتى تلاه عشرات مرات ، وهو الرجل الذى رأيته يستحق أن يسمى رجل المطالعة ، فانه لا ينكر اى كتاب من اى نوع ، ادبيا أو صوفيا او حديثيا ، أو تاريخيا على اى لون كان ، عملا بقول الاديب المقتول ابن المعتز

قـلـبـى وثـاب الى ذا وذا   لـيـس يـرى شيـئـا فيابـاه
يهـيـم بالحسن كما يـنـبـغى   ويـرحـم الـقـبـح فـيـهـواه

ولا تكاد تراه فى كل لحظة ، الا وكتاب فى يده ، يفتتحه من اوله الى آخره ، فان جلس اليه متادب من الطلبة فى المدرسة ، يناوله اياه ، فيتلو عليه ، ويصحح له ما زلق فيه لسانه بالضبط ، وعهدى بـه ، وان كان ضيـق العطن ، كان واسع الصدر فى هذه الحالة ، لا يشمئز من ان يرى الانسان الصواب مرات فى ضبط كلمة واحدة ، فى كل يوم ، ولا ينهره ، ثم قيل لى انه حين ازداد حرج صدره بعدنا سرى اليه الحرج حتى فى هذه الحالة ، ثم هو لا يمل من كتاب كبير ذى اجزاء طوال كالمواهب ، والتفاسير المطولة ، فيتتبع الكتاب من مفتتحه الى مختتمه ، ثم لا يمنعه طوله من ان يبتدئه ثانيا ان تعلق له به غرض ، وكان ذا ذاكرة حافظة ، فكلما وقف على شىء يعجبه نثرا أو شعرا ، او حديثا او أثرا أو حكمة يكرره بغنته حتى يحفظه وربما يقيد ذلك فى ورقة ثم يرميها ، وليس له كاقرانه كنانيش يقيدون فيها امثال ذلك ، ففاقهم بان صدره خزانته ، فلا غرو ان كان فى المحافل الادبية اكثرهم حفظا ، واعلاهم كعبا ، فيستحضر من البخارى ومسلم ، بل من الجامـــع الصغير ، ولذلك يكثر دوران الحديث على لسانه ، وقد اخذ هذه الكتب عن اشياخه ، ثم طالعها وشرحها ، ومن اغرب ما فيه من الولوع بالمطالعة : انه يطالع الكتاب مرارا ، ثم يراجع مطالعته فينة بعد فينة .

وقد زرت مرة (الغ) حوالى 1340 هـ. فرايته يتتبع كتاب (المضاف والمنسوب) للثعالبى ، بالمطالعة مرارا ، فيستحضر منه كثيرا ، ثم لم يكن استحضاره كاستحضار بعض الناس الذين نعرفهم من المتادبين اليوم فى بعض النواحى ، يحاضرك فيستحضر ما طالعه عن قريب ، ثم لا يبعد عنه الزمان ، حتى ينساه ، فيحل غيره مما طالعه ايضا محله ، بل المترجم يستحضر اليوم ما كان طالعه من قديم ، وكما يعتنى بحفظ الادبيات والحكم ، يعتنى كذلك ، بحفظ الاخبار والاسمار ، والنكات ولطائف المرويات ، فينتشر كل ذلك من فيه بادنى سبب .

وللفقه منه جانب كبير ، فقد حفظ العاصمية (1) ودرسها مرارا ، وأظنه درسها للطلبة ، كالزقاقية وخليل ، والعمل الفاسى ، وقد درس هذه مرارا ، وقد سار فى الفقه خطوات اخرى ، حين كان يحضر فى مجلس الاستاذ أبى

(1) سألته منذ سنة قبل وفاته ، عما يطالع ، فاذا به يراجع التحفة .

الحسن الالفى ، فكان من المشاورين عنده فى النوازل الكثيرة التى لا تغب مجلسه ، ولا ريب ان ذلك يزيده بصرا فى ذلك الفن كبيرا ، لأن ذلك ميدان عملى ، وما كان فيه بين المدارس ميدان علمى ، وهل يتفوق العالم الا بالتمرن فى معلوماته بالعمل ؟

على ان شهرة المولى عبد الرحمان ، انما هى بالفنون الادبية ، فهى التى فاق فيها علما وذوقا سليما ، فهو نحوى ماهر ، ولغوى كبير ، وبيانى عبقرى ثم له وراء ذلك كله سليقة عجيبة ، وذوق سليم من المواهب التى يختص بها بعض الادباء عن البعض ، وارى ان ذوقه السليم الذى يقل نظيره بين ادباء جزولة اعلى من قرضه ، ومن عنده حفظت قولهم : (ماياتينا لايعجبنا وما يعجبنا لاياتينا) وكان يحتقر ما كان انشأه ، لأنه أدون من مقامه ، وهو كذلك حقا ، فانه وان كان وشيه اعلى من وشى كثيرين من أدباء جزولة اشياخه واقرانه فاننى ارى له من الذوق العجيب ما هو فوق منزلة اقواله بكثير ، وكثيرا ما يقول وهو فى سماء تفكهه :

اما الفقير (فلان) يعنى بعض العلماء الادباء الكبار فى انظار الناس ، فانى لأستحيى له ان صار يتكلم فى الادب ، وخصوصا ان كان يقول فيه ، ولم يكد يسلم فى نقده الا للاستاذ الكبير شيخنا سيدى الطاهر التامانارتى ، والا لابنه الاستاذ ابى عبد الله احيانا ، والا لصاحبيه أبى العباس اليزيدى وأبى عبد الله الحامدى ، وقليلين آخرين ، وأما غيرهم فكثيرا ما يتندر عليهم ، ويغمزهم ، فيملأ النادى ضحكا بانتقاده لهم انتقادا مرا ، ولكن هذا كله بين اودائه المخلصين لا غير ، لانه لا يكاد يقابل اى انسان بما يكره ، الا اذا افلت زمام نفسه من يده حين تعتريه نوبته التى تعتاده فاذ ذاك يقول كل انسان اللهم سلم سلم ، وفيما سوى ذلك فانـه يعـاشر ويثنى ويراعى وينصف ، ويغطى العيوب ، ويستر السوآت خصوصا من اودائه الاخصاء ، فلا يواجههم الا بخير ، وحسن وجه ، واخال ان مكانته فى الافلاق فى الشعر كانت تظهر اكثر مما ظهرت لو اتفق له وسط يتنوع فيه الشعر ، فيصف خوالج النفوس ، ومواقف الحماسة ، ومحاسن الطبيعة ، وما الى ذلك مما هو مجال للمفلقين ، واما لزوم الاخوانيات فقط ، بهذا اللون الذى نراه يتردد فيه الجزوليون اخيرا ، من نسيب بارد مكرر ، ومدح معاد الالفاظ ، حتى كانه نسخة واحدة مكررة ، فقلما تظهر فيه آثار يد صناع ، ولسان ذلق ، وفكرة وقادة ، وهل أتى على روح آداب العربية الا لزومها لهذه الترهات من القرون الوسطى الى الآن ، فمتى افل الابتكار من افق الادب فان الادب نفسه هو الذى افل .

هذه نفثة مصدور ، القيها من صدرى بمناسبة ترجمة هذا الاديب العالى الذوق ، الصحيح الميزان ، وما كل مرة يمكن ان يقال الحق الناصع ،

تلك هي يد المترجم في المعارف ، وذلك هو مشاركته الواسعة ، افلا يستحق ان يكون مفخرة جزولة التي يمثل ثقافتها العليا في هذا العهد ، لانه ما زايلها اول حياته ، ولم ير من وراء (تيزنيت) بلدا ، وطالما كنت أتمنى لو اتصل بالحياة الحديثة ، ليقع على خزائن طافحة بالكتب التي لا يمل مطالعة مثلها ، فيزداد ذوقه السليم ذلاقة ، كما يطفح علمه اكثر مما كان ، ولكن تلك أمنية قد مضت فلا سبيل لها اليوم ، بعد أن الم به ما ألم مما اعتكف عليه ، مما لا يقدر معه أن يغادره ، الا أن يشاء الله ، فتأتي دوافع خاصة ، تزحزحه عن مالوفه الى الحاضرة التي لا تليق الا له ، ولا يليق الا لها ، كما قوله بعضهم لسيدى الحسن بن الطيفور الساموكني

كانت عندى مجموعة قيمة من قصائده ، والمقطعات التي عرفتها له يوم كنت آخذ عنه هناك ، ولكنها ربما ضاعت في (الحمراء) فلم توجد بعدما فتشنا عنها هناك ، ولم يكن عندى الآن الا بعض شيء ، فمنه ما قدمه الى شيخنا أبي محمد سيدى الطاهر التامانارتي ، ومنه ما قدمه الى الاستاذ أبي الحسن الالغي ، ومنه ما تعاطاه مع اصحابه سيدى أبي العباس اليزيدى ، وابي عبد الله بن الطاهر ، والاديب أبي زيد الايسي ، والاديب أبي علي الكوسالي ، والاديب محمد بن علي الالغي ، والمجموعة التي كان منه في جانبي وفي جوانب بعض تلاميذه ، فلأسق من ذلك ما لم نكن ذكرناه في بعض تراجم هؤلاء الادباء

مما خاطب به شيخنا وشيخه سيدى الطاهر بن محمد هذه القصيدة التي هي من أوائل ما قال أواخر صفر : 1332 هـ :

تذكر فانهلت مدامعه الحمر ... واضحت تلظى في جوانحه الجمر
محب تسلى ما تسلى فمذ هفا ... نسيم الصبا خان التجلد والصبر
سرى فاثار ما أثار وغادر الـــجوى بين أحشائي يؤججه الذكر
سرى بروائح الاحبة بالحمى ... فيا حبذا المسرى ويا حبذا النشر
فبحت بلا سر لدى وهل فتى ... رمته المها باللحظ يبقى له السر؟
فصرت أكابد السها وحشاشتي ... تذوب أسى والحب مسلكه وعر
وأشكو مقاساة اللواعج معولا ... وهل تنفع الشكوى ولم يزل الهجر؟
أوالي الحنين دائما وأتابع الا ... نين فلا زيد يرق ولا عمرو
سوى أن عذالي تلح على بالـــملامة لو شوقي ينهنهه الزجر
ألم تعلم العذال أن ملامهم ... لدى الصب اغراء ونهيهم امر
فلله ما ألقاه اذ يعذلونني ... ولله ما يغشى الفؤاد وما يعرو
ألم يان للبين المشتت ينقضي ... مداه فقد أودى بمهجتي الصبر

الا فسقى الله العهود التى مضت بنعمان اذ زهـر التواصل مفتر
واذ لاح كوكب السعادة مشرقـا واذ غفل الواشى واذ ساعد الدهـر
فما كان الا أن سطـا فأباد مـا حبانى به ، والدهر شيمته الغدر
فبينا يـعـير اذ يغـير ، وبينما يصافيك اذ يبدى الجفـاء فيزور
ورب خليل قال اذ سـاءه الذى تبيـنـه منى فأزعـجـه الامـر
رويـدك لا تجـزع وكن متجلدا ولا تيأسن فالعسر يتبعـه اليسر
فامـا تلقـاك الزمـان بصرفـه ونالك منه الضر فاستحكم الذعر
وتقـت الى حسن التخلص فاقتصد هديت اماما دون طلعته البدر
وحط بـبـابه الرحال فـكل من غدا عائذا بالشيخ زايله الضير
ولازمه عن صدق الطوية واطرح سواه ورا ، اذ ليس كالثمد البحر
امام تسامى للمـكارم فاستـوى على عرشها فانحط عن قدره النسر
وشيخ هو الهادى اذا ماتراكمت دجا الجهل، لا الاقمار والانجم الزهر
تجمع فيه كل فضـل فأصبحت به تعتلى العلياء فالحمد والشكر
خصال كما هبت صبا سحر على رياض الربا وهنا وقد جادها القطر

❁ ● ❁

ألا يـا امام الدين للحادث الذى ألم فضـاق عن تحمـله الصدر
فليس له بعد الالـه سواك فابـــتدر لدعـا يجلى به صرفه المر
ومن بعد هذا فاصفحن عن الذى تقحمـه على غـبـاوته الفـكـر
ودونكها جهـد المقـل فان وفت وان أخطأت رشدا فقد وضح العذر
عليك سلام الله من ذى صبابة (تذكـر فانهلت مدامعه الحمـر)

وقال ايضا يعزيه فى زوج (1) له توفيت ، وقد قدم للقصيدة هذا النثر، فهاك الجميع

«سيدى الذى أدين بوداده ، واستمد على كل حال ، فى الاقامـــة والارتحال ، من فيوض أمـداده ، وأسعى على الدوام ، وتعاقب الشـهـور والاعوام فى هواه ومراده ، شيخى وعمادى ، ومتولى هداى ورشادى ، سلام الله على ذلك الجناب ، المقبل الاعتاب ، ورحمة الله وبركاته

هذا ، فعظم الله أجر سيدى فى مصابه ، ولا حرمه جزيل ثوابه ، فقد فتت منا الاكباد والافئدة ، وأجرى المدامع متبددة ، وحال بين الجفون والاغتماض ، وطـال على الاحشاء بالارتماض ، وانـا بمصابك يـا سيدى لمحزونون ، ومتجرعون ما نحن متجرعون ، فاحتسب رزءك ، واستعمل فى

(1) أم اولاده الكبار سيدى محمد وأشقائه .

الرضا بالقضاء كلك وجزءك ، ولا يفتك ما للمحتسب عنده ، فخير من العباس أجرك بعده (1)

فقد فارق الناس الاحبة قبلنا ... واعيا دواء الموت كل طبيب

فالقبر حتم لا محالة ، اما عن تصبر واما عن ملالة ،

وللواجد المكروب من زفراته ... سكون عزاء او سكون لغوب (2)

ولما لم يقبل الموت الفداء ، وأعوز الدواء لذلك الداء

هو الموت ما فيه وفاء لصاحب ... وهيهات انسان يموت لانسان

رجعنا الى ما تحملته فاقتنا ، ولم يفق طاقتنا ، من التعزية بأبيات ، دلت على صفاء المودات ، ومراعاة ما تجب له المراعاة :

يا امامي صبرا لهذى العوادى ... وتجلد وان أغارت بداد (3)

واحتسب رزءك الذى فتت الاكباد منا وقد كل فؤاد

وتدرع صبر الكرام فهذى ... هى دار الاغيار والانكاد

وتذكر قول الاديب المعرى ... «غير مجد فى ملتى واعتقادى» (4)

فالمنون هى السبيل وذو اللب فتى قد اتته فى استعداد

والحواديث لم تزل طارقات ... سنة الله قد خلت فى العباد

أين من قبلنا فكم جمعوا الما ... ل وكم حشدوا من الاجناد

من لدن آدم الى عهد نوح ... ثم منه الى جبابر عاد

ثم لبوا ندا المنون جميعا ... أيننا لا يجيب ذاك المنادى

سيدى رزءك الجليل عرانى ... منه ما عاق عن لذيذ الرقاد

وتحصلت من مرارته ما ... أورث القلب دائم الاتقاد

غير أن الخطوب هيهات والت ... وأمالت ركن العزا لانهداد

بعد غمائها انجلاء وهل بعد الدياجى غير الصباح البادى ؟

فارتقب مفرجا وأيقن بلطف ... من اله الورى الكريم الجواد

وتعز عمن دهتها المنايا ... وثناها باق ليوم التنادى

عوض الله سيدى الخير منها ... ثم لا طرقت حماه العوادى

---

(1) قال بعضهم يعزى عبد الله بن عباس فى أبيه

خير من العباس اجرك بعده ... والله خير منك للعباس

فاصبر نكن بك صابرين فانما ... صبر الرعية عند صبر الراس

(2) اللغوب الاعياء

(3) أغارت الخيل بداد كحذام متفرقة

(4) مطلع قصيدة وتمامه (نوح باك ولا تر نم شاد) .

مع الاديب سيدي محمد بن الطاهر الافراني

لابد أن يكون بينهما قواف كثيرة ، لانهما متقارنان نحو ستة عشر عاما ، غير أننا لا نملك الآن الا قصيدة رائية للمترجم فيه ، وهي :

قف العيس حاديها وعرج بذى قار ... وجد بنفيس النفس لا المدمع الجارى
فاما استبنت الربع ثم حللت فاشـ ... ـرحن حال صب مدنف نـازح الدار
ولا تأل جهدا في البيان وان هم ... جلوا آية الاعراض أو وسم انكار
فقد ما يرون الوصل عارا ولايرو ... ن من شدة الادلال هجرى من عار
واني على ذاك الجفا لم ازل مـكا ... بدا من رسيس حبهم لاعج النار
اذا اعرضوا اقبلت أو بخـلوا سمحـ ... ـت بالدمع أو خانوا فزند الهوى وار
وان خان ناس في الوداد تبرما ... فعهدى لا يغشاه طارق اغـيـار
فمن لي بان يـدروا بحالي وانني ... اذا جنني ليـلي أجـن بتذكارى
فلله مـا القى اذا هبت الصبـا ... تجاه الديار أو بدا البارق السارى
فلله مـا اشكو اذا عن ذكـرهم ... فمن لاعج وار ، ومن مدمع جار
الا رب لاح سامني الصبر قائلا ... الى ما ترى تصبو لغزلان ذى قار
أما تستفيق من ضـلالك فالشبا ... ب قد أدبرت أيـامه أى ادبـار
أبعد اشتعال الرأس شيبا تروم ان ... تحب، فهب من سنات الهوى الزارى
فقلت اتئـد فالقلب لا يستفـزه ... هوى العين اذ لا يرتضي خطة العار
وان الذى أهوى قديما هوى فتى ... صفا وده في الله من شوب أكدار
لمن معشر غـر هداة الانـام مـنـ ... ـقذيهم وهم على شفا جرف هـار
مصابيح ان ليل الضلال تراكمت ... دجـاه أزالوهـا بساطع أنـوار

❁ ❁ ❁

فيا سيدى محمد ابن الامـام من ... شذا صيته فاحت بـه كل أقطار
ويا ما جدا قد جمع الفضل مفردا ... ويـا من حباه الله اشرف مقدار
لأنت الذى أعنى بصرف مودتي ... وأنت الذى أعنى برائق أشعارى
فانـك والله العظيم أحـق من ... أخص بمحض الود يـا نعمة البارى
واولى بأن أشي الطروس بمدحك الشـ ... ـهي لو ان الفكر من حصر عار(1)
فعـذرا ففضل نلتـه لا يبينـه ... لسـاني ولا آتي عليه باكثـارى
ودونكها من جامد الفكر فاصفحـ ... ـن عن سقطي واغفر بفضلك أوزارى
عليك سـلام الله يـامن وداده ... ادين به عمرى ومن بعد اقبارى

---

(1) الحصر محركا : العي في اللسان

مع الاستاذ أبي الحسن الالغي

استحضر مما بينهما الرسالتين الفذتين ، وهما متقدمتان فى ترجمة الاستاذ الالغى فى (الجزء الاول) ، كما استحضر القصيدة القيمة التى قدمها اليه أواخر ذى الحجة 1335 هـ. وهى

طـيـف أزارتـه اثـار غـرامى ... واطـار عن عينى لذيذ منـامى
واتاح لى كل الجـوى وأبـاح من ... قلبى حمى مـا زال جـد حـرام
يا طيف هيجت لجوى وتركتنى ... أذرى المدامـع غير ذات نـظـام
وتركتنى ـ والحب يبديه البكا ـ ... أبكى الديار كما بكى ابن حذام (1)
وابنـت عن قلبى تصبـره وقد ... حاكى الوقـار رواسى الاعـلام
شوقا الى من مـا بدت الا صبت ... لجمالهـا المصبى ذوو الاحـلام
عفـراء فاقتهـا جمـالا مثل مـا ... قد فقدت وجدا عـروة بن حزام
تلك التى مع عفـتى وتنسـكى ... جلبت حمامى قبل وقت حمـامى
تلك التى هـام الفؤاد بها وقـد ... ذهب الشباب فلات حين غـرام
وعصيت فيها اللائمين، وذو الهوى ... من لا يطـيـع مـلامـة اللـوام
بانت فراعتنى ومـا راعت مـرا ... عـاتى العهـود ولا وفـاء ذمـام

❁ ❁ ❁

يـا هل تعـود لنا ليالينـا التى ... سلفت لـنـا بالجـزع كالاحـلام
أم حال دون مناك دهر لم تـزل ... غـاراتـه قـدمـا على الانـام
(مـالى وللايـام مـا استعطفتها ... الا قست ، مـالى وللايـام) (2)
مـا دأبـهـا الا معارضتى ومـا ... عاملـتـنى الا بـضـد مـرامى
ان رمت نقضا أبرمت نقضى، وان ... أبرمـت عاقب نقضهـا ابـرامى
أبغى افتكاكى جاهدا ، وتجد مع ... فقدانهـا المثـلـين فى ادغـامى
حتى متى عتبى ولا عتـبى لهـا ... لكـن تحـاول جهدهـا ايـلامى
والى متى ـ والمرء يعجز ـ اشتكى ... من غير اشـكاء : جـوى أسقامى

❁ ❁ ❁

يا من لمن من طول ماقاسى الاسى ... أفنى المـدامـع ، فالجفـون دوام
يا ذا الذى أودى الزمان بصبره ... وليغـلـبـن مـغـالب الايـام
ان رمت حسن تخلص منه فلذ ... ـ هذا هدى ـ بالسادة الاعلام

---

(1) من شعراء قدماء الجاهليين

(2) بيت شرق وغرب ، لانه ترجمة مولاى عبد الرحمن .

لله بالآلى اضحى الزمان بايده ... دون الورى من جملة الخدام (1)

لله ـ قد هديت الرشد باللائين قد ... احيوا لدين الله كل رمام

لولاهم ، أبقى وجودهم المهيمن ـ لم يزل فى حيز الاعدام

كلا ، ولولا الشيخ سيدنا ابو الحسن الذى قاد الورى بزمام

ما بان للسارين صبح رشادهم ... ولطال مسراهم على الاظلام

أحيا من الاسلام ما أفنى الردى ... فجزاه مولاه عن الاسلام

وأبان من هذى الشريعة كل ما ... عفى عليه الجهل مذ أعوام

غيث الورى فاستجده ، ليث الشرى ... فاستعده ، بحر العلوم الطامى

شيخ اذا استنجدته لكريهة ... صدق المصاع وكع كل همام (2)

ما ان تراه الدهر الا حازما ... والناس طرا فى عداد نيام

شيخ يواسى ان جفا الاحباب أو ... يوفى اذا خانت ذوو الاحلام

مستعبد الدينار والدرهام لا ... مستعبد الدينار والدرهام (3)

اى الخلائق لم يسد بخلائق ... سخرت لطافات ، بصرف مدام (4)

فاق ابن سعد وابن مامة والزبيدى فى الندى والعلم والاقدام (5)

ان حاك نظما معجزا لم يحكه ... لا ابن الحسين ولا ابو تمام (6)

ينسى البديع بديعه وبيانه ... يزرى على الحدقى والنظام (7)

أو معضل يوما الم فلا أبا ... حسن له ، الاه ، فى الاقوام (8)

فات الورى طرا فلا يلفى له ... ـ فاستقر اقطار البلاد ـ مسام

هذا العلا الباقى وكل علا وان ... طال المدى دهرا فغير مدام

سبحان من أولاه ما أولاه ، ما ... أولاه أن يثنى على الانعام

لله أبناء له ما فيهم ... الا يلود عن العلا ويحامى

من مثل سيدنا محمد من تبدى فى سماء المجد بدر تمام

طابت شمائله كما قد صافحت ... ريح الصبا وهنا زهور كمام

وكذا الفتى المدنى من ألقت له ... أقرانه رغما يد استسلام

---

(1) الايد القوة

(2) صدق المصاع أى صدق فى النجدة ، والمصاع كقتال وزنا ومعنى وكع جبن

(3) الدرهام لغة فى الدرهم

(4) الخلائق الثانية الطباع

(5) الزبيدى عمرو بن معد يكرب

(6) ابن الحسين المتنبى

(7) والبديع بديع الزمان الهمذانى والحدقى أى الجاحظ والنظام شيخه وهو مشهور

(8) هذه قضية لا ابا حسن لها مثل قديم وابو الحسن على بن ابى طالب وهو الذى قيلت فيه الكلمة أولا

ما زال يسعى للعلا حتى تبـو … ا من مراتبها اعز مقام
وكذاك سائرهم فكلهم كرا … م ما جبون لماجدين كرام
لا غرو ان حلزوا المقامات التى … ظهروا عليها راسخى الاقدام
ان الاصول اذا زكت ففروعها … تزكو ، كذاك الشبل كالضرغام

❁ ❁ ❁

ياشيخى اللذ قد هدانى الرشد بل … يا شيخ شيخى يا امام امامى
هذى ركاب مودتى ازجيتها … كم من مهامه جبتها ومـوام (1)
كم سرت معتسفا وما أهدى بغيـر الثاقبين عزيمتى وحسامى
وكم اقتحمت مهجرا لجج السرا … ب مخاطرا والمجد صعب مرام
حتى أنخت ببابكم والمرء يـر … شد فاقبلون ، وأكرموا المامى
انى أتيتكم على حبى الذى … مازلت قدما عن حماه احامى
فاجز المحبة بالمحبة ولاحز … من حبكم اياى خير سهام
واليكها شيخى نتيجة فكرة … غاضت فما امواهها بجمام (2)
وافتك ترفل فى ملاء مدائح … ازرت روائحها بمسك ختام (3)
تاهت بما فاهت بمدحكم على … ذكر الصبا ومراتع الآرام
مع انها حادت وان جادت حلى … عما يليق بقدرك المتسامى
اعيت مناقبك البليغ فما عسى … يجدى وان اطرت عقود نظامى
اما وفت ، والظن ذاك فمنكم … أو اخطأت فالصفح عن آثامى
لكنها وسعى ومن بذل الذى … فى وسعه فبمعزل عن ذام
وعليك يا بدر الهدى طول المدى … منى أتم تحية وسلام

وهى قصيدة ممتزجة ، فيها أحيانا نَفَس منسجم حلو ، كما ان فيها ايضا بضاعة مزجاة ـ وهذا حكم قائلها بنفسه لنا يوم قالها ـ

ووفد فى يوم الخميس متم ربيع الاول : 1337 هـ. الادباء الافرانيون على علامة (الغ) ابى الحسن على بن عبد الله بعدما أعرس لولده سيدى محمد ، عن اذن سيدى الطاهر ليزوروا منه ، فارسل معهم : (دالية ورسالة) فالدالية هى :

ايا أملى فوق سراك وسدد … لحضرة مولاى الامام وسيدى
وحط بها رحل الرجا منك واستلم … بجفنيك هذاك الثرى فهو اثمدى

---

(1) ازجيتها سقتها قدمتها والمهامه ج مهمه الفلاة وكذلك الموماة أو الموماء ، وجمعها موامى ، وجاب الفلاة قطعها

(2) بجمام بكثيرة

(3) الملاء بالضم ، جمع ملاءة ثوب فضفاض واسع ، وقوله : أزرت : يقصد فاقت .

وبس راحة فيها لذى الوجد راحة   وكفا هى الداماء فى صورة اليد
وأد بـهـا عنى هديـت تحيـة   يفاوح رياها شذا الزهر الندى
وقل يا امام الدين يا كعبة الندى   ويا موئل الامال يـا كنز مجتد
ليهنك أن اصبحت واحدها عـلا   وأن نداك الغمر مورد من صدى
وأن محيـاك الكـريم بـنـوره   يسير على سمت الهدى كل مهتد
فمن بعطف منك يهدى سنا الهدى   الى قلب عبد من جنا يـده ردى
وبالفضل منك اعطف على وفدك الذى   بـه ظمـا بـرح لأعذب مـورد
فهم ضيف نعماك التى غيثها همى   على مغور فى الخافقين ومنجد (1)
عشوا لسنا رحب الفناء عشى الذى   (يجد خير نار عندها خير موقد)(2)
يقودهم الوجد الحثيث وترتـمى   بهم همـة تدعـو لأكـرم معهـد
تطـير بهم للوصـل كل طمـرة   وتفرى بهم نجب السرا كل فدفد (3)
يشيدون انشاد التهـانى بنعمة   بها انقـادت الامـال فى زى اعبد
بامالاك سر الفضل نجلكم الرضا   قريـع العلا بـدر الكمال محمد
فلا زلت يامولاى تجنى جنا المنى   وترفل فى ثـوب الهنـا المتجدد
وتبصر فى أولادك الغـر كل مـا   تؤمـل من مجد وسعـد مؤبـد
بجاه رسول الله خـير وسيـلة   لنيل المنى والسؤل فى اليوم والغد
عليه صلاة الله ما حن عاشق   لنغمـة قمـرى الحمـام المغـرد

* * *

يـا كتـابى بالله قبـل يـديـه   عن فـمى كلمـا قدمـت عليـه

وانهى الى سيدى بعد أن تلوت   يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، ان ولدى وعبديـك : محمدا وعبد الله ، يردان على الحضرة العلية ، بقصـد الزيارة والتهنئة صحبة خالهما ، درة القلادة الناصرية ، ونقطة مركز تلك الدائرة الفخرية ، سيدى البشير ، والسعد يحدوهم ، والشوق لا يعدوهم ، ملتمسين اقبالا يشفى وجدهم ، وعطفا ينفى كدهم ، ودعاء يحتم سعدهم ، ويعم بخير الدنيا والآخرة وفدهم ، فلئن أخرهم العذر ، فقد قدمهم الشوق الحثيث ، والعهد الذى ليس حبله برثيث ، فالمعذرة الى سيدى من التقصير ، فى تأخير المسير ، والله يوالى على حضرة سيدى وفود التهانى ، ويريه فى

---

(1) همى المطر   نزل بكثرة ، ومغور   سالك الغور   ما انخفض من الارض ، وضده المنجد   والخافقان   المشرق والمغرب

(2) أول هذا الشطر

متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا   تجد خير نار عندها خير موقـد

وفيه أيضا اشارة الى بيت آخر وهو

متى تاته تعشو الى ضوء نـاره   تجـد حطبا جـزلا ونـارا تأججا

(3) الطمرة بكسر الطاء والميم   وفتح الراء المشدده   الفرس الطويلة القوائم ، وتفرى   تقطع   والنجب ج نجيبة   أى الفرس الكريمة النفيسة ، والسرى   المسير ليلا ، والفدفد   المفازة من الارض .

نفسه وولده غاية الامانى ، وليرحم سيدى غربــة الفقير ، وليجبر كسره بدعوة ، تفك أسره ، وتصلح امره ، والسلام رق الحضرة ، ومقبل اعتابها الفقير الطاهر بن محمد امنه الله

فرحب بهم الاستاذ أبو الحسن بقوله

لله يوم خميس جاد لى بلقا　　من كنت من بينهم قبل اللقاء لقى (1)

وقد تقدمت فى ترجمة الاستاذ فى (الجزء الاول) ، وخاطبه سيدى محمد بن الطاهر بقوله ، ويذكر هذه القصيدة :

مولاى يا من سناه أذهب الغسقا　　ومن شذا صيته قد طبق الافقا
ويا اماما حوى العليا وجدد من　　وسم السيادة والافضال ماخلقا (2)
ويا غماما به تحيــا القلوب اذا　　ما جادها مــاء سر منه قــد دفقا
وان تخلف صوب المزن فاض على　　ايــدى العفاة ندى راحاته غدقــا
ويــا أجل امرىء ينتــاب ساحته　　من سامه دهره الافلاس والرهقا
ويا حساما غدا يفرى طلا نفــر　　من كل غاو غدا فى الدين قد مرقا (3)
يهنيك مولاى ما الرحمان جاد به　　من نعمة سهمها قلب العدا رشقا
املاك نجلكم الارضى الذى قطعت　　نجب الركاب الى نعمائه الطرقا
محمد من سما فى افق مجدكم　　بدرا سناه جلابيب الدجى فلقا
فالله يبقيــكم حتى تشاهــد من　　اخــوته مــا يسر القلب والحدقــا
وقد اتيناك وفــدا ساقهم فــرح　　الى ذراك وشــوق ورجا صدقــا
فبشرتنا بنيل القصد منك حلى ،　　خلــق جبلت عليه لم يكن رنقــا (4)
وذا قريضك ام در تنــاسق فى　　لبات غيداء تصبى قلب من رمقــا (5)
أم الزهور حباها المــزن ريــقــه　　فعرفها بنسيم الوهن قد عبقا (6)
ام النجوم تــروق العــين بهجتها　　كالعيس ترعى بخضراء الربا فرقا
ام السلافــة دارت فى الندى على　　شرب فاضحى سليب الذهن مسترقا (7)

---

(1) لقى كفدا　أى ملقى ومطروح

(2) ما خلق　أى ما بلى وقدم

(3) الظلاج طلية　العنق ومرق السهم من الرمية أى نفذ منها ، ومرق من الدين　أى زاغ عنه ومال

(4) رنق الماء كضرب وفرح　كدر ولم يعد صافيا

(5) اللبات ج لبة وهى النحر　والغيداء　المرأة الحسناء الطويلة العنق

(6) ريق الشىء　صافيه　والعرف بفتح فسكون　الرائحة الطيبة وعبق　فاح وانتشر

(7) السلافة : الخمر ، والندى بتشديد يائه　المجمع ، والشرب ج شارب

جادت قريحة مولانا بـه فغـدا ... كاطيب الشهد فى لهاة من نطقا

أبدى الترحب بالوفد الذى هطلت ... عليه نعمـاه حتى حاذر الغرقـا

لفظ رقيق يحاكى طبـع ناسجه ... دع النسيم اذا مـا حرك الورقا

الى جزيـل مـعـان عز مدركهـا ... الا على فكـرة المرتـاد ما أبـقـا

(سجيـة تلك منه غـير محدثة) ... بل حازها عن كرام مجدهم سمقا(1)

مولاى وفـدك يبـغى أن يساعده ... رضاك يقضى على حساده حنقـا

فقابـلن باغـضـاء ومـغـفـرة ... وان تـاخر تقصيرا ومـا سبقـا

فقد أتـاك وما بين يـديه سوى ... خالص ودك لما لم يجد ورقا (2)

لا زال بـابك للآمـال موردهـا ... ما طرز الشعر من أمداحكم ورقا

منى على سيدى أزكى التحية ما ... مر النسيم بورد الروض فانفتقا

ثم الصلاة على أصل الوجود رسو ... ل الله من طاب خلقا شاكل الخلقا

وآلـه والصـحـابة الآلى بـهـم ... قد كمل الله نظم الدين فاتسقا

❀ ❀ ❀

وعند الرحيل ودعهم أبو الحسن بقوله

يا أيها الوفد لا زالت سحائب فضـــل الله ترويكم بالوابل الغـدق

ولابرحتم مدى الايـام تخدمـكم ... كل المنى خدمـة الاجفان للحدق

انـا أحلنا على الله الكريم جـزا ... احسانكم فسواه ذاك لم يـطـق

ثم على المصطفى المختار من مضر ... عليه ازكى سـلام طيب عـبـق

فاجابه ابن الطاهر بقوله :

ماهاج وجدى طيف فى الدجا طرقا ... ولا أرقـت لبرق لاح موتلـقـا

ولا اطبانى جمال الغانيات ، ولا ... قلبى غدا من معاناة الهوى قلقا (3)

ولا فؤادى بذكر البـان مكتئب ... حيران يعتاده ما اعتاد من عشقا

حسبى هوى نفر ازرت وجوههم ... بالزاهرات واضحى مجدهم فلقا

قوم بهم اظهر الله العلوم وقـد ... غطى عليها غمام الجهـل وانطبقا

وجـدد الله بالمـولى ابى حسـن ... منهم من الدين فى ذا القرن ماخلقا

شيخ تـعـلم منه البحر نائـله ... والليث صولته والروضة الخلقـا

يا سيدى اننى ضيف الم فجد ... على النزيل بما يحيى به الرمقا

من دعوة تكشف الغماء نفحتها ... فـذا العبيد ببحر كسبه غرقـا

عار على الحر ان خابت وسائل من ... أضحى رجاه بحبل جوده علقـا

دامت سعادتكم تـروق نضرتها ... (ماهيج الوجد طيف فى الدجا طرقا)

---

(1) سمق الشيء طال وارتفـع وتمام الشطر (ان الطبائع فاعـلم شرها البدع)

(2) الورق بكسر الراء وفتحها الفضة ، ويقصد : الدراهم

(3) اطباه الشيء بتشديد الطاء استهواه .

فرحب بهم ايضا الاديب المدنى بن أبى الحسن الالغى بقوله :

مرت صبا سحر بالرند والكثب	تنبىء أن نزول الحى عن كثب (1)
فعطرت سائر الارجاء مذ سحبت	أذيالها عن أقــاح القاع والهضب
واصبحت دولة الاحزان مدبــرة	عنا تغذ حثيث السير فى الهرب (2)
وقام يدعو منادى البين واحربـا	سلبت بالوصل ماعندى من النشب
فعسكر الجهر لما أن رآى البين مغــ	ـــلوبا ، فآب ولم يحصل على أرب
فانتــقم الله منهما بما اقترفـا	وظفر الله جيش الوصل بالغلب
وأقبل السعد يزهو فى غلائــله	يرنق السكر فى عينيه من طرب
ثمت شــن الهنا غــاراته فأتت	بما نحــاوله منه مــدى الحقــب
جاءت تبشر ان جاء البشير فبشــ	ـــرى نفس طاوى الحشا وجداعلى لهب
فتى اذا ما انثنى عن مجدهم نفر	سارع كى لا يفوت المجد بالطلب
تنميه أعراق صدق حين تنسبه	الى ذرى المجد والعلياء من رتــب
المعجز اللسن فى يوم المقــال بما	يبديــه من حكم الامثال والخطب
فقل لمن شاء أن يحــكى مآثــره	مهــلا فهــذا عــلاء غير مكتسب
وثان حلبة ذاك الفضل من بسقت	افنــان رفعته فى العجم والعرب
مولى العطا وحليف المجد بالحسب	محمدا بن الامام الطاهر النسب
وكيف لا ، وعروق أصله اتصلت	باشرف الخلق فى مجد وفى حسب
ثانى الرسول وذاك الغار ضمهما	ومنجد دائما فى كل مــا كــرب
فمرحبا بهما بين الــقــلوب فــلا	زالا من المجد فى عــال وفى الادب
وثــم مــنى على مثواهمــا ابــدا	ازكى السلام يحاكى الروض ذا عذب

فاجابه ابن الطاهر بقوله ـ وقد ذكر القبة التى بناها رب المثوى ، وما اجرى فيها من الاصباغ ـ :

غنى الحمام على لدن من القضب	فاوقد الشوق فى احشاء مكتئب
واومض البرق من نجد فاذكرنى	عهدا تقضى بوصل رائــق عجب
ايــام نلهو مع الاخوان فى سمر	والكاس تبسم عن ثغر من الحبب
والعــود يعبــق والاشعار مطربة	ما بين مدح الى التشبيب والادب
فى حضرة الشيخ مولانا ابى حسن	بدر الدياجى امام العجم والعرب
بيت حوى ما يروق العين من حسن	سماؤه كريــاض غــب منسكب
اسم جفونك فى صفــراء فاقعــة	أو ابيض يقق يزرى على الشهب
او اخضر ناضر ، او لاز ورديــة	او احمر مثل ورد ناضر الشعب
قد بالغ الشيخ فى تنميقه فــرحا	بالزائرين فهم فى مشتهى الطرب

---

(1) عن كثب محركا عن قرب

(2) أغذ السير : أسرع فيه

نزه به الطرف واسرد فى جوانبه قصيدة المدنى الموفى على الرتب
السيد الماجد ابن السيد الماجد ابـــن السيد الماجد ابن السادة النجب
قصيدة جمعت من البلاغـة مـا يقضى لمنشئهـا بالسبق والغلب
فهو امرء مذ نشا طفلا فليس له غير اكتساب العلا والعلم من أرب
يـا أيها المـدنى اللـذ لهمـتـه دانت صعاب العلا طوعا بلا تعب
أوليتنا من بنـات الفكر غـانية بكرا زهت تزدرى بالخرد العرب (1)
رحبت فيها بهذا الوفـد مقتفيا فى الجود والبسط والاكرام خير أب
فالله يبقيـكم يلجـأ لظلـكم المـــــلهود من روعته غـارة النـوب
منى السلام على مثوى كمالك ما (غنى الحمام على لدن من القضب)

واذ ذاك قال المترجم فى تقريظ ما قيل :

أشاقك البرق لـمـا لاح مؤتلقـا أم هاج فيك الدفين الطيف اذ طرقا
أم هب وهنا نسيم الروض، أم سجعت ورق تطارحك الاشجان والحرقـا
فبت والصب لا تخفى سرائـره ترعى السها وتعانى السهد والارقا
ولا تصيخ لعـذل العاذلين ، ولا للنصح فعل فتى بالنفس مارفقا
أذاك دابـك ، لا تنفـك ذا ولـه أما بدا البرق بالجـرعاء مؤتلقـا
عهدى بقلبك لايهوى الدمى زمنا فها هو اليوم فى اشراكها ارتبقا (2)
اليك عنى عذول ، ان قلبك ، او قلبى يبيتان ذا خـلوا وذا قلقـا
اشكو من الوجد فوق الوصف ان فتى دعاه داعى الصبا لاغرو أن عشقا
لكن شوقى ليس للكثيب ، ولا الى ظبـاه ولا للرسم قـد خلقا
شوقى الى غـادة غيـداء مطلعها (لله يـوم خميس جاد لى بلقا)
انشاء شيخ سما فوق السما شرفا أعيا المسامى فلتخسا العدا حنقا
شيخ أبان الهدى وقبله انطمست اعلامه فحكت فى الشهرة الفلقا
فظلـت السنهـا تثـنى مقرظـة حمدا وشكرا على ما اوضح الطرقا
لله نظم بـه بـدا الاوائـل من لطف تضمنه للغـير مـا اتفقـا
الى بديـع والـفـاظ رصـافتها تزرى بهـاء بنظـم الـدر متسقا
رحب فيه بـزور زار ساحـتـه مستمطرين نـداه الصيب الغدقا
بالسيـد الناصرى من سيـادته مذ أشرقت اشرقت كل الورى شرقا (3)
والسيد الطاهرى من تجمع فـيـــــه من شتيت العلاء كل ما افترقا
فالله يبقيهما نـور الرشـاد اذا ليل الضلال دجت ظلماؤه ائتلقا

❀ ❀ ❀

مولاى يا من هو الحصن الحصين فكـــل محتم بحماه يـامن الغـرقـا
هذا الذى سمح الفكر الكليل به فاغفر اذا ما استبنت الزيغ والزلقا

---

(1) الخرد ج خريدة الفتاة العذراء ، والعرب ج عروب الحسناء .
(2) ارتبق ارتبك أى وقع وتعثر
(3) الشرق محركا : الغصة

على هموم اعانيها فلو طرقت ثبير او طرقت ثهلان لانفلقا (1)
فلتقبلنها وجد لعبدكم بدعا يحل عنه وثاق الحزن والربقا
ثم السلام على علياكم من اخى ود صفا وده فاجتنب الملقا

وبهؤلاء اقتديت ، فقلت ناسجا على منوالهم فى القافية التى ذكرتها فى ترجمة سيدى سعيد التنانى فى (الجزء الخامس عشر) وهى التى مطلعها :

ابارق السفح فى جنح الدجى ائتلقا أم الهلال جلا لما جلا الغسقا

مع الاستاذ ابى العباس اليزيدى

بينهما شىء كثير من النظم والنثر ، يتضمن فى بعضه ما هو السحر الحلال فى الادب القديم ، وقد استوفينا كل ما عندنا من ذلك ، فى ترجمة الاستاذ اليزيدى فى (الجزء التاسع) ، وكانت بينهما مودة راسخة ، ووداد متين ، ومخالة تعجز الايام والليالى عن نقضها ، وكانا يحتطبان فى حبل واحد ، ويتجهان وجهة واحدة ، وقد عرف اليزيدى كيف يتجنب ما يستثيره ، ويعرف منه النزاهة ، وعلو الهمة الحق ، فامكن له ان يحتلب منه الصفاء ، كما يكون لكل من يعرف منه مثل ما لهذا اليزيدى نحوه ، وما كانت الرسالة التى كتبها اليه اليزيدى ، الا اعتذارا له عن شىء احس به يتكون نحوه من المترجم ، كما يوجد ذلك فى نفس الرسالة (اقراها فى ترجمة اليزيدى)

مع الاستاذ الحامدى

كان بينه وبينه مخالطة وامتزاج كثير ، حين كنا جميعا فى المدرسة (التانكرتية) يظلان ويبيتان على دراسة الادب ، لا يفتران ولا يكلان ، وبذلك نال الحامدى ما نال ، من تفوق أدبى كبير ، وقد جرى بينهما من آثار الادب شىء كثير وسنسوق ما بينهما فى ترجمة الحامدى ان شاء الله فى (القسم الخامس) من (الجزء الثامن عشر)

مع الاديب محمد بن علي الالغي

قال الاديب من قطعة نصحية مطلعها : ـ وهى من مبادئه ـ

سلام على مثوى الاخى ابى زيد ببلدة ذى الاحبال حيث ذوو المجد
وحيث أناخ العلم فيه مطيه تلقاه بالترحيب والكد والسهد
فهاك اخى منى النصيحة فابسطن فراش قبول تحظ بالفوز والرشد

---

(1) ثبير وثهلان جبلان معروفان فى بلاد العرب .

فاجابه المترجم وقد غير القافية على خلاف عادتهم غالبا ، وهي من اولياته وقد قدم أمام الجواب هذا النثر

من له مآثر جلت عن الحصر والتعداد ، واليه المكارم تعزى فمنه تكتسب وتستفاد ، سيدى محمد بن على الالغى ، لا زال فائزا بكل ما يأمل ويبغى ، آمنا حياته مكر كل علو يبغى ، سلام الله عليك ورحمته وبركاته

اما بعد : فقد وصلنا الكتاب ، وفهم الخطاب ، فسكرت والله لما طالعته كأني نشوان راح ، وانما ذلك لما أجد له من سرور وافراح ، فلقد أتيت بالشيء العجيب ، وأفدت والله كل معنى غريب ، فلله درك من أديب بارع مسام ، ومن قائد مطايا البلاغة من غير زمام ، وما ألطف قول القائل ، وما أفصحه غير حائد عن الحق ولا مائل :

ما كل من طلب المعالى نافذا ... فيها ولا كل الرجال فحولا

ثم انى حاولت الجواب ، والله اسأل ألا يعدل بى عن طريق الصواب ، فقلت :

فما الخود ان قلدن بالعقد والدرر ... وابدت جمالا يخجل الشمس والقمر
وما الروض اذ غنت به الورق والعها ... د قد جاده وهنا فنم له الزهر
وما أكؤس ضمت حميا تديرها ... معتقة غيداء ساحرة الحور
بأحلى وأبهى من قريض اجاده ... وهذبه فكر كما الصارم الذكر
حباه لى الشهم الاديب محمد ... قرين العلا نجل السراة أولى الظفر
حماة الذمار الصيد لا يحتمى بهم ... أخو شدة الا يعز وينتصر
لعمرى لقد ابدى معانى افحمت ... برقتها سحبان ذا العز والفخر
قصيد سما الاشعار قدرا ورتبة ... وأعيا أديبا بالبلاغة قد فخر
ولا غرو فالفكر الذى حاك برده ... سلالة من ان قال شعرا فقد سحر
فكيف يجارى سيد جد جده ... متى نام أقوام تجده على سهر
وهب جاهلا يبغى مباراته فهل ... ينال سوى عى يلازم والحصر ؟
أدام اله العرش رفعته على اللـ ... ـدات وكل الشاعرين من البشر
فخذها على غيض القريحة واصفحن ... وسامح وأصلح بالتأمل والنظر
فأنتم معادن الفصاحة دائما ... وانتم حجول للبلاغة والغرر

مع أبى زيد الايسي

رأيت مخاطبة جرت بين المترجم وبين الاديب سيدى عبد الرحمن الكلورتى وستوجد ان شاء الله فى ترجمة الاديب الكلورتى ، ومطلع ما لابى زيد :

دام علاؤك ادبارا واقبالا ... ونلت كل مناك الجاه والمالا

ومطلع الجواب المنسوب للمترجم

لله ما احلى بيـ ... ـنك يا همام وما احب

وقد اخبرني الاديب سيدى الطاهر بن علي ان هـذا الجـواب لم يـقـله البوزاكارني ، وانما قالته جماعة من تلاميذه ، امـرهم بذلك تمرينا لهم ، والمخبر من بينهم ، وتمام القصيدتين سنذكره في ترجمة سيدى عبد الرحمن هذا في (القسم الخامس) ان شاء الله في (الجزء الثامن عشر)

مع الاديـب الحسن الكوسالي

وقفت على قطعة يجيبه بها المترجم عن قصيدة رفعها اليه سيدى الحسن ، ولم تحضر عندى الآن ، وهو من الذين انتفعـوا بـه ايضا انتفاعات ما في الادب ، نصها :

بدت فاختفت منها البدور اللوائح ... مهـاة قريض هذبتها الـقـرائح
بدت والفؤاد قد تسلى عن الحمى ... فلما بدت طاحت بصبرى الطوائح
أجاد حلاها السيد الحسن الذى ... حوى رتبـا عزت فاقصر طامـح
جلاها عـزيزة المثـال فاحجمت ... فحول القريض المفلقون الجحاجح(1)
فأصبح مبديها وحيد الورى فلا ... مسامي فلتخسا العداة الكواشح
ايا ماجدا مازال مذ وطيء الثرى ... يدافـع عن سرب العـلا وينافح
اتيـت بمنظـوم عجيـب كانـه ... عقـود جمان أو زهـور نـوافح
بديـع ينسيك البديـع ورقـة ... تلوب لها حتى الصلاب الصفائح
فلو كنت في عصر السمي ابن هانيء ... لاحجـم وهو بالفهاهـة بـائـح
فيا من حوى المجد الاثيل بهمـة ... علت فعنت لها البدور اللـوائح
اليك ابياتي وان لم تسـاو فالـــقرائح من داء الهموم قـرائح
وهبني خليا مـا انتهيت لمثلهـا ... فاين من البحر الخضم الضحاضح(2)
عليك من الصـب القديم وداده ... سلام يـغـادى مجدكم ويراوح

وقال ايضا يخاطبه :

أهدى السلام الى الحب الرضا الحسن ... من حبه حال بين العين والوسن
شهـم تسنى له بفضـل همتـه ... من المكارم ـ فليهناه ـ كل سني
من لا يجارى بميدان الفخار فمن ... جرى ليفضي الى نيل مـداه يني
فهو الاديب الذى فاتت مكارمـه ... حصرا فماذا عسى يثني ذوو اللسن
هذا وان هـواك في الفـؤاد كما ... عهدت قبل فلم احل ولم اخـن
فلتعلمـن بـه ولتعملـن بـه ... يـا خير خل باصفاء الوداد عني
ثمت في كل حين مـا بـدا قمر ... (اهدى السلام الى الحب الرضا الحسن)

هاتان القطعتان فقط ، ما حضر عندى مما بين هذين الاديبين ، ولعل هناك اخريات تعاطياها ـ ربما نتعرض لها عند تعرضنا للاديب الكوسالي ان شاء

---

(1) جحاجح مفردة جحجاح السيد المسارع الى المكارم .

(2) الضحاضح جمع ضحضاح الماء اليسير .

الله (1) ـ لان للمولى عبد الرحمن ، تدفقا بمناسبات ، فيقول بنشاط حين كان لا يزال في المدارس .

بيني وبينه

دخلت الى المدرسة (التانكرتية) اواخر : 1332 هـ. فيما اخال ، ولم اجد هناك المترجم ، فقد كان اذ ذاك في اهله ، ولكن ان غاب شخصه ، لم يغب ذكره الطائح من كل لسان ، والمتداول في كل مجلس ، فكنت بمجرد انخراطي بين تلاميذ تلك المدرسة اسمع عنه ما يشوقني كثيرا الى التعرف به :

«والاذن تعشق قبل العين احيانا»

وبعد شهور فوجئنا يوما بمجيئه ، وكنت اتوقع ان أراه متجهما عبوسا ، وفق ما كان الطلبة يذكرونه عنه بعد توبته التي سافر عن المدرسة وهو متلبس بها ، متزمت بسببها ، ولكنني مع ثلة من قرنائي جالسناه اثر مجيئه في ذلك الاسطوان الذي تطلع منه مدارج السطح امام مصلى المدرسة ، وقد كنت اذ ذاك اسدر في غلواء الغرارة ، والنشاط يحفزني ، ونباهة الاسرة تستخفني ، والحرية التي لنا في المدرسة تقفز بي ، فقلت اثر جلوسنا حوله ، وهو يتأملنا ، ويصعد فينا بصره ويصوبه ، ليت شعري ماذا يشبه هذا المكان المبنى هكذا امام هذا المصلى ثم له بعد باب الى الخارج ، وعن يمين الداخل منه متسع ، وفي يساره مطلع المدارج ، قلت ذلك ، بتحذلق صبي يتعلم الجرأة ، ويدعى انه يأتي بما يستدعي التنكيت ، فقال البوزاكارني ضاحكا : أتريد ان أريك ما يشبهه : انه يشبه مكانا مبنيا امام مصلى مدرسة في (تانكرت) في (افران) يجلس فيه الآن صبية أنشط من الغزلان المقمرة ، لا يجد الخجل الى أساريرهم من سبيل ، فتمايلنا ضحكا من قوله حين شبه الشيء بنفسه ، ثم قال : ان تشبيه الشيء بنفسه معروف عند الناس ، وقال الشاعر

كأننا والماء حولنا قوم جلوس حولهم ماء

فكان ذلك أعظم دليل عندنا على أن الرجل قد طلق تزمته ، ثم رأينا منه بعد ذلك بتداول الايام ما دل على الاريحيه والمسايرة ، فكان معنا كأحدنا ، غير متعال ، فأمكن له أن ينفعنا ، واذ ليس له بيت خاص ، ولا شيء يعتمد عليه ، كان الراغبون من الطلبة في الانتفاع به تلاوة لكتب الادب يؤوونه ، ويشاركونه فيما عندهم ، ويحكمونه في كل ما يريده ، حتى ليدعون له التصرف التام في ذات أيديهم ، استدرارا لعطفه وتحريا في ادراك رضاه ، وهل ينتفع من مثله الا مع الرضا التام ؟ :

ان المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان اذاهما لم يكرما

---

(1) يأتي بين الوكاكيين ان شاء الله في (الجزء الحادي عشر) .

وقد كان للاديب الحامدى وصاحبه المرحوم الاديب سيدى محمد التملى السابقة اليه ، فحرصا عليه آتم حرص ، لا يجد معهما أحد فرصة فى التلاوة عليه ، الا أننى والاخ الاديب المرحوم سيدى محمد بن الطيب الدشيرى ، زاحمناهما عليه ، حتى كان لنا منه نصيب وافر ، فكان جزاه الله بكل خير هو الذى بذر البذرة الادبية التى أثمرت لنا ما نحن فيه الآن ، وكان أخيرا يحنو على حنوا خاصا ، ويرجو منى أن أكون بين افاضل المتادبين شيئا مذكورا ، ثم كان له مع ذلك فى تثقيفى وتقويم أودى ، يد ضاغطة ، فقد رآنى لا أحافظ على الصلاة ، فحملق الى يوما وفى يده سوط ، وقال : والله لئن لم تواظب على الصلاة منذ اليوم ، لترين منى يوما أسود ، وقد كان معروفا ان وعيده منجز ، فكان ذلك اليوم أول عهدى بالمحافظة على الصلاة ، وأتذكر اننى كنت غسلت ذلك النهار ثيابى ، فافتتحت الطهارة التامة وقضيت صلاة عام ، ثم بالغت فى التحفظ ، حتى غلبت على الوسوسة ، لكثرة الحاحى على نفسى ، وقد اتخذت لى سبحة ، ولازمت نوافل ، فلم يزل معى أيضا حتى أزال عنى الوسوسة من الوضوء والاغتسال بمراقبتى ، فهكذا ظفرت منه بالدين ، كما ظفرت منه بالادب ، والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ، فبأى لسان أشكره أم بأى يراع اخلد له ما اضمره له فى التاريخ ما يستحقه منى

وأول كتاب تلوته عليه : كتاب (حياة الحيوان) للدميرى ، وكأننى الآن استحضر اسفار يوم قبل طلوع الشمس ، أتلو عليه خطبة الكتاب ، ويفسر لى تلك الامثال التى تحتوى عليها ، كقولهم (تحككت العقرب بالافعى ، واستنت الفصال حتى القرعاء) (1) كما اننى تلوت عليه ايضا شيئا من (نفح الطيب) ومن (الطبقات) لابن خلكان ، ومن (قلائد العقيان) ومن (مروج الذهب) وكل (سيرة ابن هشام) نحو مرتين ، وقد كنت أحضر مع الاديب الحامدى عند تلاوته أو تلاوة صاحبه التملى عليه ، فكان كل ذلك سبب تقدمى فى ميدان الادب ، مع مؤاخذتى بحفظ كل ما يستحسن من القطع والقصائد فضلا عن الابيات المفردة

ثم انه صار يأخذنى بقرض الشعر ، فصرت اصوغ ما أقدر عليه ، وهو يشجعنى ويثنى على ، حتى قلت يوما قطعة تائية تحتوى على بضعة أبيات اتفق أن كانت كلها متزنة ، لها معنى يعرف ، فقال : ها أنتذا اليوم ابتدأت تصوغ صوغا عربيا ، فقلت له : أو لم اكن اقول قبل اليوم ما هو عربى ، فقال : انما كنت تهذى ، فاتركك على هذيانك تشجيعا لك ، لئلا تفتر همتك ،

---

(1) هذا مثل يضرب لمن يزاحم من لا يدرك شاوه وتحككت الخ أى تريد مغالبتها مع ان سم الافعى اخطر من سمها واستنت أى تسابقت والفصال ج فصيل ولد الناقة والقرعاء التى بها قرع وهو بثر ابيض من الامراض الجلدية ، وهذا كناية عن ضعفها

ثم صار يشجعنى حتى كنت أدعى أننى وأننى ، فصار بعض المبتدئين يتلون على ، تعظما وتنفجا ، مع انى لا ازال صفرا من الاصفار .

ومن نكته معى أنه قال لى يوما ان كل من فى المدرسة يعلوهم مقامك ، فرآنى مستبشرا بما قال مغتبطا ، فقال تنكيتا ، ولكن عليك أن تعرف أن كل من يعلوه مقامك ، فالموت خير له من الحياة ، وهكذا انفش ما كان فى منتفخا ، فكانت كلمة ما زلت أقولها الى الآن لكل من يرانى أعلى منه ، استنهاضا له ، لأنها كلمة حق ، وان صيغت فى صورة المزاح ، فهكذا صار يربينى ويهذبنى بقوله وبفعله المصوغ فى لطمات مباركة ، وقرصات ميمونة ، جزاه الله عنا خيرا بافضل ما جزى به المربين المثقفين .

ما ناصحتك خبايا الود من رجل ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتى فيك تابى ان تسامحنى بأن اراك على شيء من الزلل

وعلى تلك الحالة تفرقنا أواخر 1336 هـ. وأنا شاد فى الادب ، ولا أنسى ان نسيت كل شيء ما كان يصبر فيه معى حين أتلو عليه ، فاننى كنت منثلم الحافظة ، لا أعى كثيرا ، فسرعان ما انسى ضبط كلمة ، فلا يزال يعلمنى من غير معاتبة ، ولا تانيب غالبا ، وقد رآنى يوما وبعض الطلبة يتلو على ، أقول له : كم مرة أريتك كيف ضبط هذه اللفظة ، ثم ها أنتذا تحرفها من جديد ، فقال لو كنت اتخذ معك هذا الخلق لما كنت شيئا مذكورا

ثم بعد تفرقنا عن المدرسة اواخر 1336 هـ. والتحقت بحوز مراكش ثم بمراكش صرت كلما زرت البلد أتلقى معه ، وهو اذ ذاك يوجد فى المدرسة (الالغية) كثيرا ، فأخاطبه ويخاطبنى ، ويبلغنى عنه أنه يشهد باننى سأكون وأكون ، فيحفزنى ذلك الى الاستزادة فى الادب ، وكنت أريد أن أبرهن عن أننى فى زيادة بما أقوله وأرسله اليه ، فكنت أحرر اليه الرسائل الآتية ، والقصائد يحتوى عليها بعضها ، فيتلقاها بكلتا اليدين ، ثم هو يجيبنى برسالة كبيرة عالية ، أو يخاطبنى فى قدماتى الى (الغ) بقواف ، وكذلك أريه كل ما اقوله فى غيره ، كالقصيدتين اللتين قلتهما فى جانب شيخنا سيدى سعيد التنانى : الدالية التى أولها

صابت سحائب دمعى المتبدد مذ شمت بارق ثغرك المتنضد

والقافية التى مطلعها

ابارق السفح فى جنح الدجى ائتلقا أم الهلال جلا لما جلا الغسقا

فكان حين انشدته الدالية فى فرح عظيم ، وحين رأى منها كثرة التضمين قال : «ان هذه دالية قطفت من كل الداليات» فورى بالدالية التى تطلق على شجرة العنب المرفوعة على رفاف القصب ، كما قال فى القافية «انها السابقة فى الميدان دون اخواتها اللاتى عورضن بها ، والقصيدتان فى ترجمة شيخنا سيدى سعيد التنانى ، فى (الفصل الثانى) من (القسم الرابع) ثم لما أرسلت الى الاستاذ أبى الحسن الالغى رحمه الله القصيدة الميمة التى مطلعها :

اعاطي اكـؤس السلـوى نديمي وبي مـا بي من الشجو العظيم
اخرجها الاستاذ قرب مجيئها الى ناديه الادبى ، فالقاها فيه بمحضر شيخنا ابى محمد التامانارتى ، وكل اصحاب مجلس الاستاذ اذ ذاك ، ومن بينهم المترجم وقد اخبرنى أنهم لما وصلوا هذين البيتين :

ويتحفـه عن أخـلاق لـطـاف بالطـف من نسيـم فى وسيـم
فيحسبها لقـيـس وابن قيـس وأين النجم من مرقى النجـوم ؟

توقف بعض الجالسين فى المقصود بالوسيم فى الشطـر الثانى من البيت الاول ، فقال له المترجم : ان المقصود : فى روض وسيم . كما توقفوا أيضا فى المقصود بقيس وابن قيس فى البيت الثانى ، فقال : اما قيس ، فانه قيس ابن عاصم المنقرى ، المضروب به المثل فى الحلم ، وابن قيس ، الاحنف بن قيس الذى يضرب به المثل ايضا فى الحلم ، ولما وصلوا أيضا هذا البيت :

ولكن كيف ـ واعجزاه ـ دبـغ وليس بممكن ـ حـلم الاديـم

توقفوا فى معناه ايضا ، فقال لهم ان المراد كيف يمكن دبـغ الانسان الاديم الحلم ، وذلك بلا ريب ليس بممكن ، وحلم الاديم كفرح : افسدتـه الحلمة (وهى دودة تقع فى الجلد فتاكة) وهو حلم ، كفرح الانسان فهو فرح ، وهو من باب اضافة الصفة للموصوف ، والبيت يشير الى قول الشاعر :

فانـك والكتاب الى عـلى كدابغـة وقـد حـلم الاديـم

هكذا كان يفهم مقاصدى بسرعة ، وفى ذلك المجلس أعلنت النـدوة الادبية (الالغية) بلسان الحال والمقال : الاعتراف بأننى ممن ينظر اليهم بين الادباء الالغيين ، فكانت كالاطروحة التى تنال بها (الدكتورة) وقد أخبرت أن شيخنا التامانارتى ، أثنى كثيرا على نفسى اذ ذاك فى هذه القصيدة ، كما أن العلامة ابا الحسن الالغى ، قرأها على الفقيه سيدى الطيب بن ابراهيم الاكمارى فقال له هذه بلاغة ابن شيخك ، وقد كنت أتمنى ان يبقى ابن عمكم عندنا سيدى احمد بن سعيد ، حتى يستطيع أن يقول مثلها ، ولكنه استعجل الاوبة من المدرسة والقصيدة توجد فى ترجمة الاستاذ ابى الحسن الالغى .

ومثل هذا المجلس حولى ، مجلس آخر انعقد ليلا فى دار الاستاذ ابى الحسن ، حضره المترجم وشيخنا أبو محمد الالغى ، وابو العباس اليزيدى ، والفقيه سيدى عبد الله بن ابرهيم ، والاديب سيدى محمد بن على ، وآخرون

كان الوقت ليلا ، فاحييناها من العشاء الى منبثـق الفجر ، وكانت جلسة امتحان لى فى احدى قدماتى الى (الغ) نحو 1343 هـ ، فكان كتاب يتلى واحسبه (نفح الطيب) فتتجاذب الافهام ، وكان المترجم واليزيدى معى دائما ، فلا انسى تلك الليلة وما قاما به نحوى ما حييت ، وانما ذكرت كل هذا ليعلم من يبتعدون عن (الغ) كيف كان الجو الادبى فيه اذ الغ الغ ، واذ اهله اهله .

ثم انقضت تلك السنون واهلها   فكانها وكانهم احلام

كان المترجم ذكره الله بالخيرات يجرؤ على فى النصح الصريح ما لايجرؤ على نصح غيرى ، سواء كنت معه ام كنت نائيا عنه ، فينتقدنى ويقوم اعوجاجى ، فكم لطمة وكسعة (1) ورفسة وصفعة ، وركلة ، وقرصة ، تلقيتها منه فى المدرسة (التانكرتية) فى هذا السبيل ، رفعه الله بها مقامات ، ووفاه بها بأوفى المكايل ، وجزاه عنى خير الجزاء ، حتى اننى اذ ذاك ربما تثور على نفسى الجموح ، فأشتكى منه للاستاذ سيدى الطاهر التامانارتى ، فيزجره ، ثم لا يعتم (2) أن يعاود ، كلما آنس منى ثانيا عملا معوجا ، ولا ازال أتذكر ان أستاذنا لامه يوما عن ضربى لوما عنيفا ، فقال له : اما أن تقلع ، واما ان تقلع ـ يعنى اما ان تنكف واما ان ترتحل من اقلعت السفينة ـ وانا اليوم أعتذر اليه عن تلك الشكايات ، وأخلد له هنا شكرا خالدا أبدا ، ثم كان له معى هذا النصح الصريح بيراعته ، فاقرأ ما كتب الى فى الرسالة الكبيرة الآتية ، بعدما قرأ لى القصيدة البائية النبوية التى ارتكبت فيها الحوشى ، مطلعها

اتمنى القتل أيتها الصبابة   فقد أبقيت من رمقى صبابة (3)

فليمعن القارىء النظر فى الرسالة ، وقد ندد فيها بما ندد به على من الخروج عن الصراط المستقيم .

واحب من القارىء أن يتأمل فى تنديده بالتزام ما لا يلزم ، الذى كان له فى الادب القديم ما له ، وان أدى بأصحابه الى العسف عن الطريق ، كما أننى سمعت منه قبل ذلك الحين التنديد بالجناس الا ما أتى عفوا ، كما سمعت منه انتقاد الادب الالغى فى أنه يكثر منه فى الاخوانيات الدعاء ، وقال من أقبح القبيح فى القريض الدعاء الكثير ، قال والادهى والامر والاشنع ما نقرأه لهم من كثرة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى اخريات قصائدهم ، مع أن ذلك ليس مما يعهد من قصائد الادباء ، ومن أراد أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فليصل عليه فى غير هذا المقام ، ولكل مقام مقال .

كذلك هو المترجم يتعالى الى أن يسير بالادب الالغى مسير الادباء السالفين ، لكنه لم يوفق كثيرا ، بل ربما وقع هو نفسه فى بعض ما انتقده ، وما المرء الا ابن بيئته ، وقلما يجد منها متملصا ؛

أذكر اننى فى بعض وفداتى 1342 هـ. وقد عرفت شيئا من الادب الحديث ، صرت ألقى عليه ما يروقنى من روعته ، فيقول ما استبين منه انه

---

(1) كسعه   ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه

(2) لا يعتم   لا يلبث

(3) الصبابة : شدة العشق ، وصبابة الشىء : ما بقى منه .

كان ممن سيعتنق هذا الادب ، لو وفق على رؤيته فى ثوبه القشيب . ولنذكر الآن بعض ما جرى بيننا من النثر وغيره

قدمت مرة الى (الغ) وذلك أواسط المحرم 1342 هـ. فعند سماعه بقدومى أرسل الى هذه الابيات

بشراك قلبى فهذا الحب قد وفدا ... وأطفأ الوصل ما بالهجر قد وقدا
أهلا به من حبيب طالما احترقت ... وكابدت كبدى من بينه الكبدا
أهلا بمقدمه أبقى على خلد ... قد فارق الصبر مذ فارقت والجلدا

ثم ناولنى عند الوداع هذه القصيدة :

اللحب تبغى من ضلالتك الكتما ... وما تشتكى يقضى باظهاره حتما
الست اذا ما الليل القى رواقه ... تسامر من وجد ، تكابده النجما
الم تفقد النوم اللذيذ وقلما ... يرجى البقاء لامرء فقد النوما
تعاورك الاشجان ان هبت الصبا ... وتقضى عليك كلما ذكرت سلمى(1)
فان رسم دار لاح بادرت بالبكا ... عليه وهل يجديك ان تبكى الرسما ؟
وان ناصح اهدى اليك نصيحة ... لكى ترعوى أرعيته أذنا صما
أما هذه آى على حبك الذى ... تروم له ما اسطعت كتما ، ولا كتما
فياذا الذى طالت معاناته الهوى ... ولا يطبيه لائم أكثر اللوما
فاذ ظهرت آيات حبك فاعترف ... ودع جانبا ما يورث الشك والوهما
وبح باسم من تهوى وقل حبى الذى ... كلفت به واخترته للهوى قدما
هو السيد المختار نجل الآلى علوا ... واعلوا معال شارفت قبلهم هدما
حماة الزمان من يقم بحماهم ... (فلا يخش ظلما مااقام ولا هضما)(2)
بهم قد هدى البارى الى دينه الورى ... ولولا هداهم ما استبانوا له رسما
وقد قلدوا أعناقهم كل منة ... فكم بصروا عميا وكم أسمعوا صما
وكم نشروا علما وفى الله نشرهم ... وخير العباد عالم نشر العلما
وما زال هذا دأبهم عمرهم وما ... ألوا قط جهدا لا ، ولا ضيعوا حزما(3)
الى أن أجابوا الموت لما دعا وبالـ ... ـحرى أن يجاب الموت اما دعا قوما
فقام بأعباء الطريقة شبلهم ... ونعم الفتى يرجى لأعبائها نعما
محمد المختار سيدنا الذى ... سما للعلا فالتاح فى افقها نجما
فتى جد فى كسب المعالى فنالها ... (على خير حال لا وليدا ولا قحما)(4)

---

(1) تعاورك الاشجان الخ ، أى تتعاورك بالاقتصار على احدى التائيين

(2) ما بين قوسين قديم انما ضمنه

(3) ما ألوا أى ما قصروا الا يألو كدعا يدعو

(4) القحم الكبير السن ، وهذا شطر قديم ضمنه .

فما حبه منذ الشبيبة فى سوى — معاناتها حتى استوى سيدا ضخما
فها هو بحر فى المكارم كلها — فحدث اذن اذ لاجناح عن الدأما (1)
وقل فى خلال كالحياء لطافة — والا كما شققت عن زهر كما
وفى أدب قد نال منه بهمة — كبا النسر عنها كل مرتبة عظمى
فكم غادة أبدى فأنسى بيانها — جديسا ، وبذت فى بلاغتها طسما (2)
فما للايادى فى النثار مقاله — ولا للتميميين ادراكه نظما (3)
واما اذا عاطى علوم حقائق — فحسب السرى أن يحيط بها فهما (4)
ألا هكذا العلياء والمجد فافتخر — وما الفخر الا للذى احرز العلما
ودونكها منى تنث محبة — موثقة لا يخشى حبلها صرما (5)
فاما تجد مدحا فاعدد لها الرضا — واما تحد عن صوبه فاغفر الجرما
بقيت بقاء الدهر يا قمر الهدى — الى أن ترى بدر الهدى صادف التما (6)

فلما وصلت الحمراء ، كتبت اليه فى آخر رسالة من الرسائل الآتية :

واليك ابا زيد قصيدة من قصيدتك مستنبطة ، وقلادة بجيدك مرتبطة ، اقتطفها منها اقتطاف حاذق ، واختطفتها منها اختطاف باشق (7) ونصها

(أرى من فتى اخترته للهوى قدما) — (موثقة لا يخشى حبلها صرما)
غدا ناشرا علم المصافاة جهده — (وخير العباد عالم نشر العلما)
صفى اذا اقام فى الود خدنه — (فلا يخش ظلما ما أقام ولا هضما)
يربى مصافاة الصديق بلطفه — (الى ان ترى بدر الهدى صادف التما)
ويوثره بالوجد حين ذوو الغنى — (تسامر من وجد تكابده النجما) (8)
وتبصر عند الغيب مدحا كعنبر — (والا كما شققت عن زهر كما)
ومن خلقه عند الحضور عجائبا — (تروم لها ما اسطعت كتما ولاكتما)
دعته مصافاتى الى حمل عبئها — (ونعم الفتى يرجى لأعبائها نعما)
فقام بصدق خالص لا يرده — (ولا يطبيه لائم أكثر اللوما)
ففزت به والحمد لله كاملا — (على خير حال لا وليدا ولا قحما)
ونلت بما أبداه لى من عناية — (كبا النسر عنها كل مرتبة عظمى)
بقيت رشيدا فاقدا نوم مقلتى — (ويرجى البقاء لامرء فقد النوما)

---

(1) الدأماء البحر
(2) جديس وطسم قبيلتان من العرب القدماء بادتا
(3) الايادى قس بن ساعدة الايادى ، والتميميان الفرزدق وجرير
(4) السرى السقطى من رجال (الرسالة القشيرية)
(5) نث الخبر أفشاه
(6) مثل هذا يراد لالفاظه ولادبه لا لما يدل عليه حقيقة ، ولذلك ننشره غير معتدين بما فيه من المدح
(7) باشق طائر من الطيور الجوارح
(8) الوجد الاول : المال ، والثانى ورى فيه بالوجد بمعنى الحزن .

وضيـــع ، ولكن ان الـــه بحقيقـــة (فحسب السرى ان يحيط بها فهما)(1)
كفاني افتخارا كون (2) علمي بقدره (وما الفخر الا للذى احــرز العلما)
الا هكذا يــا صاح يصفــو مصادق (فدع جانبا مايورث الشك والوهما)
الا هــكذا كنــا عــرفــنــا جدوده (فكم بصروا عميا وكم أسمعوا صما)
ليهنا فقد انست قصائد صدقـــه (جديسا وبــدت فى بلاغتها طسما)

وقد نزل هذا التضمين من المترجم أحسن منزل ، وأذكر انه قال لى ان ما فى بعض الاشطار من قلب المعنى الاصلى الى معنى آخر ، ملك على مشاعرى ماشاء الله ، وما كان لتخفى عنه برودة كل هذا ، ولكن كان يشجعنى لأغانى الادب ، وان كنا نعانيه على هذه الطريقة التى كان لها فى تلك البيئة ما كان .

وقد كنت فى سنة : 1339 هـ. حين زرت البلد أيضا قلت له : ان شطرا خطر على لسانى لم أوفق للنسج عليه ، وهو :

«امن بعد تلك الكف أستوكف السحبا»

فبعد حين أتانى بهذه القصيدة :

امن بعد تلك الكف استوكف السحبا ومن بعد ذاك الخصب أرتقب الجديا
ومن بعد جــود السيد المــاجد الذى علا فى الندى كعبا فانسى الفتى كعبا (3)
محمد المختار من عــم صيتــه الــنــــــواحي طــرا فارتقى مرتقى صعبــا
احــاذر غــارات الخطــوب على أو ، أدارى زمانى أو أخاف له حربا (4)
ألا لا ، ومن حاباه من محض فضله بمرتبــة علــيــاء جاوزت الشهبــا
فاضــحى وقــد دان العبــاد لمجــده ولا جاحــد الا فتى فقد اللــبـــا
أيــا سيــدا مــا زلت أرعى ولاءه ، وأصفى له فى الله لا غــيره الحــبــا
ويــا نجل سادات مضـــوا لسبيلهم وقدكشفوا عن وجه دين الهدى الحجبا
وكم شمروا عن ساعد الجد جهدهم وجدوا ولم يالــوا دفاعا ولا ذبـــا
الى ان أعــزوه فــعــز جــنـــابه وكم حاولت أسد العدا نحوه وثبــا
ليهنك ان قد فــزت من ارث سرهم بكل المنى فليخس من قد ابى كربا
خصوصية قد خص رب الورى بهــا مقامك عفــوا ، لاعنــاء ولا كسبــا
وفــزت بــكل العلم ظاهــره كمــا بباطنه قد فــزت فلتحمد الربــا
أما فقت فى نظــم القريض جريرهم وهمامهم والتغلبى التى الندبــا (5)

---

(1) السرى الشريف ، وفيه تورية بالسرى السقطى

(2) الكون هنا مصدر كان التامة ان كان يقال فى مصدره كون كما يقال فيه كيان

(3) كعب الثانى هو كعب بن مامة من أجواد العرب ، والاول من كعب القدم ، وعلا كعب فلان علا مجده

(4) متعلق بأول البيت الثانى

(5) همام بن غالب : الفرزدق ، والتغلبى الاخطل .

وعبد الحميد فقت وابن العميد فى	نثيرهما بكل مـا ضمنا الكتبا (1)
كذاك عـلوم القوم احرزت لبـهـا	وأوردك الرحمان موردهـا العذبـا
الا هكذا تـوتى المـكارم والـعـلا	فمن حازها قشرا فقد حزتها لـبـا
فلازلت نجل الشيخ تعلو على السها	وحاسدك المقـوت لا زال منكـبـا
ودونكهـا مـنى اليك زفـفـتـهـا	ومـا مهرها الا المـودة فى القربى
فان قصرت عن واجب المدح فاعذرن	أبا عذرها اذ لم يساعده حرف البا

واما الرسائل التى تعاطيناها ، فقد وجدت له الى ، عندى الآن اثنتين :

الاولى

(سيدنا المختار السوسى ، الذى لانسى ولا تنوسى ، سلام تحف بك نفحاته ورحمة الله تترى عليك وبركاته .

هذا والعهود كما عهدت ، ورابطة الاخا كما عقدت ، ثم ان حامله اخانا الحنفى ، جال هنالكم وزار رباعه ، وطاف أنحاءه وبقاعه ، طالبا مستقرا يقر فيه قراره ، ويطيب به فى جفنه غراره ، ليشتغل بما عسى أن يقدر له من فهم يرقيه الى نصيب من كل علم ، فرجع ولم يتئد ، ولسان حاله ينشد :

طلبـت المستقـر بـكل ارض فـلم أر لى بارض مسـتـقـرا

وذلك لقلة معاريفه ثم ، فلم يؤبه له فى كل مكان نزل به او الم ، ثم انه لم يقر له قرار هنا ايضا وحق له ، ومن استبين عذره فهو فى أمان من كل معذلة .

ولا يقيم بدار الذل من أحد الا الاذلان عـير الحى والوتـد

وهل جميع الذل ، مجتمع الا فى بنى الجهل :

تعلم يـا فتى فالجهـل عـار ولا يـرضى بـه الا حمـار

فاستكتبنى اليك ، لعله يجد طلبته بين يديك ، يحدوه ما يسمعه عنك من حسن الاحدوثة ووفور الثناء ، مما تطفح ألسنة المحدثين عنك منه بافضل انباء ، فكتبت اليك اسعافا بمراده ، ومحبة فى بلوغ حاجته باسعاده ، فما كنت تعاملنا به فعامله به من تهيئة كل ما يتوقف عليه مما فى استطاعتك ، فهو منا حيث تعرف ونحن منك على المعهود ينتج ـ باسقاط الوسط المكرر ـ فهو منك على المعهود ، من انتاج الشكل الاول ، وانما وقعنا هذا الكلام المنطقى اعلاما لك باننا وان لم نخض فيه خوضكم ، فلنا بـه بعض المـام ، والابقع خير من الاسود كله ، وان رأيت ان ترب (2) الصنيع بـ : (الثالث من (الادب العربى) كما وعد به ، فما هى باول بركتكم) .

---

(1) عبد الحميد الكاتب لمروان الجعدى آخر الامويين ، وابن العميد وزير بنى بويه ، وكلاهما من الكتاب المشهورين ومن أقوالهم ابتدأت الكتابة بعبد الحميد ، وانتهت بابن العميد

(2) يقال: رب النعمة مثل رد يربها: زادها .

هذه هى الرسالة الاولى ، واما الثانية ، فانتظرها بعد ان نسوق اليك ما كانت جوابا عنه .

فقد كنت كتبت اليه من الحمراء ثلاث رسائل ، ولا أدرى ، أهناك سواها ام لا ، وسأسوق الآن ذلك للتاريخ ، ليعلم مختار 1340 هـ. كما علم مختار ما بعد ذلك ، ولست من الذين يخفون مباذلهم ليظهروا فى التاريخ كانما ولدوا من اول يوم كاملين ، (الاولى) فى جمادى الاولى : 1341 هـ.

تبغى اللقاء واين منك لقياه — والارض تذرعها خطا مطاياه
وترتضى أن تشيم من ثنيته — برق الرضا وتشم نشر عتباه
وتشتهى القرب والاقدار قاضية — بضد ما كان منك القلب يشهاه
بان فبان جميل الصبر عن دنف — يغنى عن القطر ما تجريه عيناه
اودعه حينما ودعه حرقا — تشبها ان جرت فى القلب ذكراه
صب يطارح ورق الروض ان سجعت — شكوى مقرطس سهم الوجد مصماه (1)
يرفل فى حلل التهيام مجتنيا — ورد السهاد كما افترت ثناياه
لا ترتجوا أن يفيق من تهتكه — أو ينثنى عن هوى من كان يهواه
فكيف يحلو مذاق للسلو له — والصبر كالصبر لفظه ومعناه
ياليت شعرى أهيل الود هل عرفت — ارواحكم ما ترى روحى وتلقاه
وهل درت ماجرى للصب منذغدا — لركبه فى ظلام الليل مسراه
لله ما يعتريه ان صبا نفحت — من نحو مربعه وهنا ويغشاه (2)
وما يصيب حشاه ان تذكر ما — مضى من العيش فى أوساط مغناه
عيش حلا اذ ثغور الوصل باسمة — واذجلا الانس مشرقا محياه (3)
والدهر طلق المحيا اذ أدار على — شرب الهوى السعد فى (الغ)حمياه
والصب نشوان يقطو فى الندى كما — تقطو البيادق فى الشطرنج والشاه (4)
والكأس تمرح فى أيدى السقاة كما — تمرح فوق رطيب الغصن ورقاه
والعود يتحف آذانا لنا ومعا — طسا بطيب صوته ورياه (5)
والقبض منقبض والبسط منبسط — والجمع مجتمع لا فرق يخشاه
والصدر منشرح والقلب مبتهج — والنفس بالغة ما تتمناه

---

(1) قرطس الرامى الغرض وأصماه وأقصده اذا اصابه بسهمه

(2) الوهن كفلس وموهن ، وقت من الليل

(3) جلا ظهر

(4) قطا فى مشيته مشى مشية القطاة

(5) العود استعمل اولا بمعنى آلة الطرب ، ثم رجع اليه الضمير بمعنى المتبخر به وذلك هو الاستخدام ولمثل هذا فى الادب القديم فى المدرسة الفاضلية مكانة فى الاذواق ، والمعطس كالمجلس الانف ، لأنه محل العطاس ، وريا العود رائحته .

والعين قاطفة زهر المحاسن من وجه كما اشرقت في الجو يوحاه (1)
وجه امام سما فوق السما شرفا واستسفلت مفرق الجوزاء رجلاه
شهم تسنى له ما نال من فخر لم يفترع احد من قبل علياه
فخر زواهره تلتاح من افقى فرع واصل رسول الله ماواه
بجده سيد الرسل يتيه اذا ، اهل المكارم عن اجدادهم تاهوا
بحر المكارم فليهنا الفقير ـ اذا لنحوه سائق الاسعاد ازجاه
قد طرز الفضل برد المجد منه كما قد طرزت حلل التقوى سجاياه
من سادة حبهم فرض وقربهم يغني القريب مماته ومحياه
لا يبتغي غير أن يدوم مجدهم لا أن يزيد فقد كمله الله

الشريف الذى به اذا عد ذوو المجد المحض الابتداء ، وبكماله في مجامع الكمالات الاقتداء ، وبنور غرته ، ونبراس فكرته ، في دياجي الليل ودياجير العويص الاهتداء ، من له بمطارف المجادة (2) ، ودرانيك (3) السيادة ، الاتزار والارتداء ، من ناولته العقائل ، من لطائف الشمائل ، من دسكرتها (4) الوريفة الظلال ، ما يزرى بلطافة الجريال (5) حتى انه :

لو لم تحدث عن شمائله الصبا لم تكتسب ذا الطيب في الاصال

المستولى على معاقل الشرف ، المحتل من منازل العلا عليا الغرف :

قد نال من شرف العلياء غايتها حتى استوت في انحطاط دونه الرتب

المجانس حسبه نسبه ، وحسنه أدبه ، فصار المثل الاعلى للمتادبين ، والمطابق خلقه خلقه ، وودقه برقه ، فاضحى مثلا عند المتخلقين ، فسكاب (6) مكارم الاخلاق عنده علق نفيس لا يعار :

---

(1) اليوحى: الشمس. ويقال اللفظة بالباء والياء.
(2) المطارف ج: مطرف كمحور وكمجمل: رداء من خز ذو أعلام.
(3) الدرانيك: ج درنوك ودرنيك، بضم اوله او كسره : هو نوع من البسط له خمل.
(4) الدسكرة : تطلق على القرية العظيمة ، والمراد هنا ما يشبه القصر ، لان الدسكرة في اللغة تنبيء عن مثل هذا المعنى كذلك.
(5) الجريال بالكسر: من أسماء الخمر.
(6) سكاب كحذام: فرس لبعض الاعراب قال فيها:
أبيت اللعن ان سكاب علق نفيس لا تعار ولا تباع
مفداة مكرمة علينا تجاع لها العيال ولا تجاع

«شغل الحلى اهله ان يعارا» (1)

ولا يباع : «وبيع الحلى من شيم الرعاع» (2)

حتى كان ابا تمام ، عناه بقوله الذى عطلت نفحات معناه البنفسج والبشام (3)

فلــو صورت نفسك لم تزدهــا ... على مــا فيــك من شرف الطبــاع

الذى روى عطاء راحته للعافين قدر همته الفخيمة ، ومن اصح روايــة من عطاء (4) وصدقت القطائف من عروش جوده ، فى انبائها بلسان حالها بانه فى عقد الكرام الدرة اليتيمة ، ومن اصدق نبا من القطا ، (5) المختال فى حلل العلوم ، المرح بين غايتى المنطوق منها والمفهوم ، المرتشف من ثغورها معسول رضاب الافهام ، المعلق فى نحورها ابحاثا كما مر النسيم العليل ، بالروض البليل ، المتفتح الاكمام ،

اهــم ببسط حجرى لالتــقــاط ... اذا حــاضرت بالدر النســيــق

نتيجة مقدمات المتقدمين ، ولب ماهية المتاخرين ، من جاءت رياسة الادب الى زهر كماله مرتادة ، والى ربع جماله منقادة :

ولم تــك تــصــلــح الا لــه ... ولم يــك يصــلــح الا لــهــا

العاشق للمكارم طفلا ، والمكرمات قليلة العشاق (6) والمتصرف فى شوسها (7)

---

(1) هذا بيت قديم رواها ابو احمد عن ابن الانباري عن شعلب، وهي:

حـى طيفـا من الاحـبـة زارا ... بعد مـا صرع الكـرى السمارا
مفشيا للسلام تحت دجا الليـــــل ضنينـا بان يـزور نـهـارا
قلـت ما بالنـا جفينـا وكنـا ... قبـل ذاك الاسمـاع والابصارا
قال انـا كما علمت ، ولكـن ... شغـل الحـلى أهـله ان يعـارا

(2) وهذا ايضا شطر بيت أوله :

«تبيع من السفاهة من حلاها»

(3) البنفسج : نبات ذو زهر طيب الرائحة، والبشام: شجر طيب الرائحة تتخذ عيدانه الخلالة التي تعد لاخراج ما يدخل ما بين الاسنان من الطعام.

(4) عطاء بن أبي رباح، من رواة الحديث، وقعت به التورية

(5) القطائف تستعمل لنوع من الحلويات، وقد استعمل الاكتفاء في هذه اللفظة ، مع التورية باسم القطا : الطير المعلوم ، ولهذه التورية مع الاكتفاء روعته في الادب القديم .

(6) هذا شطر بيت من قطعة تقدمت في ترجمة بعض الادباء الالغيين في (القسم الاول).

(7) الشوس ج اشوس: كل صعب شديد ينظر بمأخر العين ومؤنثه: شوساء

كلها ، فصار غرس الاماني في أنامله يثمر بالجود قبل الايراق ، استاذي وامامي ابو زيد سيدي ومولاي عبد الرحمان ابن الشريف ولي الله سيدي محمد الاجبالي الاخصاصي الحسني فعلي حضرته التي استسفلت كعوبها مفارق المجرة ، واجتمع فيه ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين من فنون المحاسن والمسرة ، من السلام ما يبهرج عرفا أرج ما فض من النوافج (1) ولطفا لطافة صبا تنسمها الصب من تلقاء نعمان وعالج (2) ، ومن التحية ما تتعطر بنفحة من عطرها الانحية ، وتحدث للفدم (3) بنشقة من زهرها الاريحية

هذا فاول ما أنهي الى سيدي أنني

وان عبرت عن شوقي بكتب   تلهب في أنامل اليراع

لا أقدر أن أصف بالمداد ، كل ما جرى على الخدود بعد البعاد :

كذا المرء ليست له قدرة   لكيما يبين كل مراد

سوى أنني في الوقت الذي قرأنا فيه فاتحة التوديع ، وأخيف فيه كل بالفراق وريع ، وجدت قلبي هو المودع لا انت ، وشاهدت تلك الساعة كيف قيامة الساعة وعاينت ، وزلازل الجوى تقلقل الحشا ، ومحمر الدمع دبج مصفر الخدود ووشى (4) ، والزفرات في اللهوات تعيد وتبدي ، والصب ينشد لو كان ذلك الانشاد يجدي

ويلاه مما أقاسي   اذ صرت في الناس سمعة

قد أحرق القلب مني   حتى كأنني شمعة

والتجلد حينئذ كأمس الدابر ، والسلو معدود من سكان المقابر

ان مر شيطان السلو بخاطري   فشهاب شوقي في المكان يصيبه

والصب تتلاعب بعظامه من رياح الجوى الدبور والقبول (5) ويخطر (6) في عرصات التهتك بين برود النحول

كفى بجسمي نحولا انني رجل   لولا مخاطبتي اياك لم ترني

فلو نحمل الجمل بعشر معشار ما به ، من أوصابه ، لعدها الكفار أعظم منة ، فطمعوا في دخول الجنة (7) :

---

(1) النوافج: ج نافجة: وعاء المسك ، والعرف بفتح فسكون : الرائحة الطيبة وارج يأرج كفرح يفرح: فاحت منه رائحة طيبة.

(2) نعمان وعالج من امكنة العرب التي يذكرها المتغزلون

(3) القدم: الغليظ الطبع لثقيل الظل.

(4) دبج ووشى: زوق .

(5) أي الريح الشرقية والغربية.

(6) خطر يخطر: مشى في زهو وتكبر :

(7) فيه إشارة الى الآية الكريمة: «والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط».

فلو كان ما بى من جوى وصبابة   على جمل لم يدخل النار كافر
والغريب ينشد متسليا ، حين رأى الوجد فى درجات الاذابة مترقيا
دعوه يذب نفسي ويضن ويجتهد   تروا كيف يعتز الغرام ويعتدى
فها هو ذا صيرته الذكر ، من احدى العبر
أبيت أهتف بالشكوى وانثر من   دمعى وأنشق ريا ذكرك العطر
سيدى ومولاى الاستاذ ، الذى اليه وحده لتلميذه هذا الغريب الناءى المعاذ والملاذ

ليت شعرى فى اية زاوية من زوايا السلو أنت جالس ، وتلميذك ينشد فى الوقت الذى أنت فيه ناعس ، قول ابن سهل شاعر الاندلس ، الذى يشده بكل ما يقول كل اديب ندس

ردوا على طرفى النوم الذى سلبا   وخبرونى بعقلى أية ذهبا
علمت لما رضيت الحب منزلة   أن المنام على عينى قد غضبا

وينشد حاله : (نذير الى من ظن ان الهوى سهل) (1) قول الاديب ابن سهل :

كم ليلة بتها والنجم يشهد لى   صريع شوق اذا غالبته غلبا
مرددا فى الدجا لهفى ولو نطقت   نجومه رددت من حالتى عجبا
نهبت فيها عقيق الدمع من أسف   حتى رأيت جمان الشهب قد نهبا

سيدى ، انظر الى هذه الاحوال كيف بنا انقلبت ، والى هذه الايام كيف سلبت ما وهبت :

ومن يامن الدنيا يكن مثل قابض   على الماء خانته فروج الاصابع

وكيف رجعت الى التنكير بعد التعريف ، والى التبديد بعد التاليف ، بعدما كانت لنا مساعدة ، منحدرة فى قضاء حاجنا صاعدة ، نامرها فتاتمر ، ونزجرها فتزدجر

اذ جانب العيش طلق من تالفنا   ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا غصون الانس دانية   قطوفها ، فجنينا منه ما شينا (2)

واذ ثغر الوصل مفتر ، وعود العيش مخضر ، والايام كلها أمان ، والناس ناس والزمان زمان ، والدهر غلام ، والدنيا ـ كما قال الفتح (3) ـ تحية وسلام ، واكؤس التهانى بيننا مشعشعة ، ومنفسات الامانى الينا مرتفعة (4) ولنا

---

(1) من مطلع قصيدة للمتنبى، وأوله :

عزيز اسى من داؤه الاعين النجل   عياء به مات المحبون من قبل
فمن شاء فلينظر الى فمنظرى   نذير الى من ظن ان الهوى سهل
وما هى الا لحظة بعد لحظة   اذا نزلت فى قلبه رحل العقل

(2) والقصيدة لابن زيدون. وهصر الغصن يهصره، كملكه يملكه : أماله وكسره من غير بينونة .

(3) الفتح بن خاقان، في أول كتابه: (قلائد العقيان).

(4) المنفس بضم فسكون فكسر: النفيس.

مع اللدات في مناهل اللذات ، الورود والصدور ، والقلوب لكثـرة محبتها كادت الى المعانقة تخترق الصدور

يـا رب اخـوان تـخـلـتـهـم لا يملكـون لـسـلوة قـلـبـا
ودت قلـوبـهـم لو اخـترقـت أضـلاعهـم وتعـانقـت حـبـا

كان اجتماعنا اجتماع المتلاقين ، في خلوات المتعاشقين ، وللهوادى (1) وللايدى اعتناق واستلام ، وللدنيا عن ثغور الندامى ابتسام :

لقد حسنت بـك الايـام حتى كانـك فى فـم الدنيـا ابتسام

وهم يتجاذبون أهداب الانبساط ، ويتهادون في رياض القصف بين حلل الافراط ، وجام (2) الانس بينهم يدار ، ونسمات البحوث كالقبل تتلاعب بورود الخدود وآس العذار كذلك كنا أزمانا ، قبل ان يبدو للزمان فرمانا ، والوية النكت الادبية على عذباتنا (3) خافقة ، وأعين السعادة الينا بالاتفاق رامقة ، ونحن نرفل في أردية المحبة الخالصة ، ونورها يضوء على جباهنا كما ضاء در على خالصة (4) وجود التواصل في حدائق اخائنا مغدق ، وفنن (5) الاجتماع مثمر في روض ولائنا مورق ، وشموس السرور في سمائنا مشرقة ، ومذانب (6) الحبور بين أزهار صفائنا متدفقة ، ونحن سكارى بمدامة محادثة الطف من النسيم ، ونشاوى بخندريس (7) منافثة أبهج من الوجه الوسيم ، ونحن ننشد حالا ومقالا

«هكذا هكذا والا فلا لا» (8)

ونتجارى في ميدان الايناس ، اذ :

---

(1) الهادي العنق.

(2) الجام الكاس

(3) العذبة بفتحات ثلاث طرف العمامة يرسله الشخص فوق قفاه .

(4) خالصة جارية لهرون الرشيد ، قال فيها أبو نواس

لقد ضـاع شعـرى على بابـكم كمـا ضـاع در على خالـصـة

فواخذه الرشيد على هجوها ، فقال ما قلت الا

لقد ضـاء شعـرى على بابـكم كمـا ضـاء در على خالـصـة

فقيل هذا بيت ضاعت عيناه فضاء

(5) الفنن الغصن.

(6) المذنب كمحور : جدول الماء الصغير.

(7) الخندريس من اسماء الخمر .

(8) وأوله وهو للمتنبى

«ذى المعالى فليعلون من تعالى»

لانـهـد الا من صـدر غـانيـة ولا كميت سوى من الكاس (1)
وكل لصاحبه ملائم ، فانتفى الملوم واللائم ، ولا رقيب ، يحاول ان ينظر الينا شزرا من بعيد فضلا عن قريب :

وقـد سكت الوشاة اليوم عنا أقـر الخصم وارتفـع الـنـزاع

ولا ضعف الا في الالحاظ المراض ، ولا علة الا في نسيم الرياض ، ولا خوف الا من سلب ذلك الاتفاق ، بهجوم الفراق :

فما في الناس اشقـى من محب وان وجـد الهوى حـلو المـذاق
فيبكى ان نـاوا شوقـا اليهـم ويبكى ان دنـوا خـوف الفراق

ثم ما كان الا كخطفة باشق ، او نشقة ناشق ، أو رشقة راشق ، حتى :

كان الذى خفـت ان يـكونـا انـا الى اللـه راجـعـونـا

فكانه :

غيض العدا من تساقينا الهوى فدعوا بـان نغـص فقـال الدهـر آمينـا

(الله أكبر) يا لها من وقفة استوقفت الابصار ، وساعة هبت فيها ريح فيها اعصار ، وياله من وداع ودعنا فيه النفوس النفيسة ، وأركبنا فيه البـين عيسه (2) فهنالك سالت النفوس المتسليات ، فكيف بالمتهتكات ، وذابـت القلوب المتجلدات ، فكيف بالمتفتتات

هو البين لا يقوى على حمله القلب ففى موقف التوديع يفتضح الصب

ثم بعد ذلك انطوى فى الاحشاء ما لست أنشره (وكان ما كان مما لسـت أذكره (3) او يتوب الزمان من ذنبه ، ويبذل بعد الخليط بقربه ، ويغرم من حلو العيش ما اتلفه (والمتلف الشيء غارمه) (4) ويرجعنا اليك أيتها الحضرة التى

اذا ظفـرت منك العيون بنظرة أثاب بها معيى المطى ورازمه (5)

---

(1) النهد والكميت : من اوصاف الخيل ، وقع بذلك التورية بنهد الجارية والكميت من اسماء الخمر. وقد وضع الجارة بين المضافين. والصحيح. ولا كميت من سوى الكاس : ومثل هذا اللحن لا يزال يقع لبعض الناس اليوم :

(2) العيس : كرام الابل، وتطلق ايضا على الابل البيض يخالط بياضها سواد خفيف .

(3) شطر لابن المعتز من قطعة . وتمامه

«فظن خيرا ولا تسل عن الخبر»

(4) وأولـه :

ففى تغرمى الاولى من اللحظ مهجتى بثانية والمتلف الشيء غارمـه

(5) أثاب الرجل: رجعت اليه صحته، والمعيى: من اعيا ولم يقدر على النهوض بعد، والمطى جمع مطية: الدابة ونحوها مما يركب ويستوى فيها ـ المذكر والمؤنث، فالبعير مطية والناقة، ورزم البعير كجلس ونظر: كان لا يقوم هزالا .

فحينئذ تشاهد ايها الميمون ، في جسمي المغبون :

ضعفا اذا كنت من قبل سمعت به — ما كنت الا الى البهتان ناسبه

فرج الله عن كل كئيب ، ورد الى الاوطان كل غريب ، وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ، وبالاجاعة جدير) .

انتهت الرسالة التي كنت اتخيل فيها البين المضني ، وأدعي انني استوحشت في (مراكش) اشتياقا الى (الغ) ، وانا اذ ذاك معذور ، لاني لما تفتح لي مراكش قلوبها، وتحلني بين ضلوعها ، فها أنذا اليوم بعدما فارقتها، وذقت البين حقا رأيت عيانا ما كنت اتخيله في تلك الرسالة ، تحذلقا وتسكعا في طرق كلام الفئة وتلفيقا ، فليت شعري كيف أكتب اليوم الى هذا الاستاذ، لو تمكنت من الكتابة اليه ، أم كيف أشكو اليه ما لاقيته حقيقة من صدمة هائلة تلقيتها بأم دماغي ، يوم نفيت عن (مراكش) فالدهر أبو العجائب ، فكم من متأدب مثلي يتفصح بذكر لواعج الفراق ، وصدمات الدهر ، وأحزان البين ، في وقت كان فيه خلو الفؤاد ، مقرور العين ، مثلج الصدر ، ثم لا ينشب أن يلقيه الزمن في الذي يصفه ، فيرى مشاهدة ، ما يدعيه تخيلا ، ولهذا يجب على المرء أن يتفاءل بالخير والمسرة دائما ، وأن يلقي عنه كل تخيل اسود .

تفاءل بما تهوى يكن ، ولقلما — يقال لشيء كان الا تكونا

ذاك هو مختار : 1342 هـ. وهذا هو مختار 1358 هـ. فكيف يكون مختار مابعد اليوم (1) ، ولله الامر من قبل ومن بعد

الرسالة الثانية في اواخر 1341 هـ

سلام كما قد فاح من كمه الزهر — والا كما فاحت شمائلك العطر

والا كما تأرج المنتدى الذي — تفتق فيه نظمك الفذ والنثر

على قدرك السامي على كل رتبة — سمو مقام حل منزله البدر

سيدي فبحق العيون الدعج (2) والمباسم الفلج (3) والحواجب الزج (4)

(1) وهذا هو مختار 1381 هـ يمكث الان في (الرباط) وقد استتم 63 سنة من عمره. واحاط به اولاد. ويشير اليه مشيرون غابطون وحساد فالله يختم بالحسنى . ويحفظ دينه وعرضه فقد صرنا نحن بانفسنا من حلقات التاريخ. فاللهم سلم سلم.

(2) دعجت العين كفرح: صارت شديد السواد مع سعتها :

(3) فلج كسمع: تباعد ما بين قدميه او يديه او اسنانه ، والمقصود هنا الفلج في المبسم أي الثغر

(4) الزج جمع ازج، والحاجب الازج: ما رق في طول.

والقدود المتاودة (1) والخدود المتوردة ، والمقل المحورة (2) والثغور المفترة ، ومعسول الريق ، والخصر الرقيق ، لو شاهدت بحر شوقي الثجاج ، المتلاطم الامواج ، وصنع البين في جسمي المتلاشي بلواعج التذكرات ، المتقسم بين ايدي التفكرات ، لشاهدت العجب عيانا ، ولاحظت لافعال البين بيانا ، فذا اخوك ينشد يا اخي ، فمن شاء فلينظر الي (3) :

مـا كنت اعرف ما مـر الفراق الى	أن ذقت منه فصار الصبر كالعسل
اسيافـه فعلت بالقلب مـا عجزت	عن بعضه مرهفات البيض والاسل
واعجب البين ان الصب يسال عن	حبيبه وهو طول الدهر لم يسل(4)

سيدي : مالك لم تجدد عهد من ليس له في سواك جمل ولا ناقة ، بارسال سلام فضلا عن بطاقة ، أما علمت ان الاعراض عن المكاتبة ، عرضة لقطـع المحابية :

عسى روضـــة تهـدى الى انيقـة	تدبـج اسطارا على ظهر مهـرق
احـلى بها نحرى عـلاء وسؤددا	واجعلهـا تاجـا بهيـا بمفـرقى

أما علمت ان الاشتياق اليك ، جلب لى من الهيام من حيث ادرى ولا ادرى ، ما لم تجلبه لابن الجهم : عيون المها بين الشطين الرصافي والجسرى (5)

هذا فان عدونا هذه الاشواق الفائضة ، ومنابع الصبر الغائضة ، فان الانعامات الربانية والحمد لله ممتدة أى امتداد ، ومطردة اطراد الماء في الواد، والسلام عليك يتحف ما بين جنبيك ، وهاك قصيدة ارمقها وانتقدها كاخواتها:

لو كان طرفي يوم البين مغضوضا	ما كان مني البنان اليوم معضوضا
كلا ولو فض ختم الصبر في شغفي	ماكان في الجفن ختم الدمع مفضوضا
كلا ولـو رض هذا الهجـر وصلهم	ماكان قلبي بالاشجان مرضوضا(6)
لى منهم من تـبـدى وانثـنى ورنـا	فأخجل الشمس والاملود والبيضا(7)
بى شـادن فتكت بالاسـد مقلتـه	القى السلاح لديـه الجـلد تعريضا

---

(1) المتأودة: يقصد هنا المتمايلة التي تتلوى في مشيتها تيها ودلالا بالجمال

(2) احورت المقلة وحورت كسمع: اشتد بياض بياضها وسواد سوادها

(3) قال المتنبي: من قطعة مرت قريبا: فمن شاء فلينظر الى فمنظري الخ

(4) الابيات بنت وقتها لكاتبها. او لا يحس القاريء بالفهاهة المعهودة من هذا الكاتب:

(5) قال علي بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر	جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري
اعدن لي الشوق القديم ولم اكن	سلوت ولكن زدن جمرا على جمر

الى اخر القصيدة الطنانة

(6) رض الشيء يرضه كمده يمده: دقه وحرشه أي فتته.

(7) الاملود الغصن، والبيض ج أبيض، والمقصود : السيوف.

الحافظه عـرضت قلـبى على تلـف ... والوجد يبدى لذاك العرض تحفيفا
يرنو فينفض عن اجفـانه سقمـا ... ما كان الا على المشتـاق منفوضـا
أى موثـق عقد الحـلم عنـدى لـو ... لم يفد بالسحر من جفنيه منقوضا
وأى بـحـر سـلو خضـت لجتـه ... لـو لم يكن مـاؤه بـدله غيضا (1)
مـا زال بالقلب حتى راضه شغفـا ... وذو الجماح اذا ما رضته ريضا (2)
قـم يـا نديـم وزن صرح منادمتى ... بالراح والكأس تذهيبـا وتفضيـضا
وطارحـن حديـث الميتـين هـوى ... صبا ، كما زعموا بالوجد ممضوضا
واذكر حديث بنى (الـغ) فذكرهم ... اذكى من الزهر فى الاسحار مفضوضا
فالذكر صار اذا استحببت منى أن ... استن فى حلبـة الافـراح مفروضا
قـوم بوصـفهـم اشى فابـدع ان ... اغربت يومـا ولفقت الاعاريضا (3)
التاركو قـدر من كل الاصابـع لا ... تـشـير الا الى علـيـاه مخفوضـا
جالـوا على صهـوات للبلاغـة قـد ... أعيت على الشاعر الكندى ترويضا (4)
والنازلون على هـام الفصاحـة فى ... اوج يرد طمـوح الطرف مغضوضا
اهيـل (الغ) ومن بهجرهم تركـوا ... قلبى على حـرق الاشجان معروضا
أمـا دريتم بـأن الصـب غـادره ... صرف البعاد لقى بالوجد مقروضا (5)
واستنشقـت اذنـاكم ان اعيـنـه ... ما مضمضت قبل هذا البين تغميضا
أيـامه بعدكم سـود وقـد عهـدت ... ليلاته فى ظـلال شملكم بيضـا (6)
قـد سود العيش بعد المنتـأى زمن ... يـا طالمـا شيم لا يـالـوه تبييضا
ونبـه النأى اجفـان الهمـوم وكم ... شيـم الدنـو يـواليهن تغضيـضا
وقوضت روحـه مـذ ركبه اخـذوا ... يولـون اخبـيـة التوديـع تقويضا
ليصـبرن لمـا يقضى القضـاء بـه ... فالصبر جبر الجليد كلما هيضا (7)
ويبذلـن على رغـم الـغـرام كـما ... يرضى الالـه عسى يرضيه تفويضـا

(1) الدل والدلال التغنج والتمنع.

(2) قال بشار:

لا يـؤيسنك مـن مـخـدرة ... قـول تـغـلـظه وان جـرحـا
عـسر الـنسـاء الى مـيـاسرة ... والمهر يسلس بعـد ما جمحـا

(3) أغرب: أتى بالشيء الغريب

(4) الشاعر الكندي: أي امرىء القيس.

(5) لقى كفتى: أي ملقى مطروحا، ومقروضا: أي كأنه مقطوع بالمقراض وهو المقص.

(6) مأخوذ من قول ابن زيدون:

حالت لبعـدكم ايـامنا فـغـدت ... سودا وكانت بكم بيضـا ليالينا

(7) هاض الجناح او العظم: كسره بعد ان كسر وجبر، والمقصود هنا الهيض المعنوي.

الرسالة الثالثة، اواخر شوال 1341 هـ

احاديث عشقي عند اهل الهوى صحت — وآياته اوحت من الشجو ما اوحت
واجفان عيني تغرق البحر زاخرا — بوادر دمع من عوارضها سحب
عيون الظباء باللحاظ قوادحي — فما صلدت مني الزناد ولا شحت(1)
ادارت على شرب الجوانح كاسها — مداما من السلوان آفاقها اصحت
فاهلا بتلك النجل اهلا براحها — فلا عاش من من سكرها نفسه استصحت
هي النجل كم ابدت خوارق سحرها — وكم ابهمت من مظهرات وكم اضحت
فمن لم يكن في حبها متهتكا — فدعواه في دين الصبابة ما صحت
فيا لي من صب جوانحه دجت — بليل الجوى لا، لا وربك ما استضحت(2)
ويا لي من صب تبحت وجده — تبحت صرف الراح او وجده ابحت(3)
ايا هاجري روحي تعلل شجوها — ولولاك ما امست بشجو ولا اضحت
وتستلهم التثليج منك جوانحي — ولولا الهوى ماستلهمته ولا استوحت
فحتى متى تلوى الطلى عن اجابتي — واصوات شوقي من ندائك قد بحت(4)
وحتى متى تلوى الطلى عن انارتي — بكتب ومنك الشمس كل الدجا نحت

مولاي ، هذه هي الرسالة الثالثة ازجيها اليك ، واضعها بين يديك ، بعدما قدمت الاولى والثانية ، وزحفت بالسابقة والتالية ، فهل انت حي فيرجي أو ميت فيسجي (5) أم تحسبني اعيش هنا بغير ذكرياتك الحلوة ، التي هي عندي في كل حجة ادبية : الصفا والمروة « نسيتموني فاقبلت انت ومن معك من الادباء ، وكل الالفيين الالباء ، على انتهاب آدابكم غضة طرية ، وعلى اجتناء كل عيشة راضية هنية ، كأنكم أديتم كل الحقوق ، وامنتم من وصمة العقوق

اوردها سعد وسعد مشتمل — ما هكذا يا سعد تورد الابل
ان دام هذا السير يا سعود — لا جمل يبقى ولا قعود

---

(1) صلد الزند: اذا لم ير بعد قدحه. وهو المقصود بشحت.

(2) استضحى: طلب الضحى. والمقصود مطلق النور.

(3) شيء بحت: خالص.

(4) الطلى: جمع طلية بالضم، وهي العنق.

(5) يسجى: يغطى.

فانني اولى (1) ولا اكون فى اليتى حانثا ، لئن لم ار منك أو من اليزيدى او ممن كان لكما ثالثا (2) جوابا يبرد الغلة ، ويبرىء العلة ، ويرد الحياة الى الفؤاد ، بسوقه كل ما هو منكم عين المراد ، من نقد كل ما بين يديكم مما مع هذه الرسالة ، ومع ما قبلها ، رائشين أو كاسرين نبلها (3) لا زحفن اليكم بلوم يكون أوله عندكم وآخره عندى ، فلينظر كل واحد منكم ما يعيد وما يبدى ، فان ونيتم فستعرفون من انا

«وعداوة الشعراء بيس المقتنى» (4)

وانا من الانتظار على احر من الجمر ، فاقض ما انت قاض من الوصل أو من الهجر ، وهذه جملة أخرى مما صدر عنى اخيرا بين يديك ، فاقلب فيه عينيك ، ثم اصدع بالحق ، فالحق احق ، والسلام عليك وعلى من معك ، ومن ماشاك او قدمك او تبعك واليك قصيدة نبوية التزمت فيها ما لا يلزم ، وقد قدمتها الى الحضرة النبوية :

اتمى القتل ايتها الصبابة ... فقد ابقيت من رمقى صبابة
اذيبى اللحم فى جسمى ومن لى ... بعظمى أن تفتته الابابة (5)
وزيدينى لظى قبض مزيل ... بافق الحب عن بسطى ضبابة
وزورى فى ذرى ذل مزير ... قصور العز روحى ، أو قبابه
ولا تستنكفى افناء صب ... يرى الافنا الى الابقاء بابه
فمن اهواه لا يرضى محبا ... سوى ان شاء للجسم اجتبابه (6)
فكيف العذر لى ان لم اماثل ... لبرق فى رضى حبى هبابه (7)
ويا خجلى اذا ما لم يشابه ... نحولا فى الهوى جسمى هبابه (8)
ايبغى السلو لى خلو يخلى ... اذا ما شامه وجدا كبابه (9)
ويعذلنى العذول ولو رآه ، ... لنا دم فى مراقده حبابه (10)

(الى آخرها ، وهى كلها على هذا النمط المتكلف المعنى والقافية)

---

(1) آلى يولى: حلف .

(2) هو الاديب محمد الكثيري قاضي تافراوت اليوم. واليزيدي هو احمد الاستاذ الكبير المرحوم .

(3) راش السهم الصق به ريشا ليخف في الهواء متى أطلق من القوس.

(4) شطر للمتنبى.

(5) الابابة بالفتح والكسر: الاشتياق.

(6) الاجتباب: القطع.

(7) الهباب بالكسر. السرعة.

(8) الهباب بالفتح: الهباء.

(9) الكباب بالضم. الكثير من الابل والغنم.

(10) الحباب بالضم. الحب :

هذه هى الرسائل الثلاث التى ارسلتها اليه اذ ذاك مواليات فى شهور متقاربة ، فاجابنى بتلك الرسالة الطويلة الممتعة ـ وستاتى ـ وقد وجدت أخيرا رسالة رابعة ، ارسلتها اليه من (فاس) بعد ان اعتنقت الادب الحديث وعزمت على ان اطلق الادب القديم ، وهى هذه :

«استاذى : مولاى عبد الرحمان البوزاكارنى ، بعد اهداء اطيب التحايا واكرم السلام الى سيادتكم ، انهى اليك انني بعدما بت الدهر عـرا تلك المواصلة المواتية فى تلك الايام ، ما كتبت اليك سوادا فى بياض ، لا لأنى نسيتك ، معاذ الله من نسيانك ومن نسيان امثالك ، بل لعلمى ان الاستمداد بالكتابة اليك انما يكون من سويداء قلبى ، فاشفقت عليها لكونها خزانـة ذكراك فقط ، لا لكونها بين جنبى ، ومنسوبة الى ، وكل ما له ادنى اتصال واقل مساس بك ، فهو اجل لدى من كل شيء ، لكن لما اتى الوادى فطم على القرى (1) وشب عمرو عن الطوق (2) وجاوز الحزام الطبيين (3) وبلغ السيل الزبى (4) واعمى الحب واصم ، تناولت اليراع رغم ارتعاش كفى ، وتمايلى بكثرة الاشواق ، واهتزازى بنسمات الذكريات فاستمددت من السويداء ، وانا ذاهل عن حرمتها التى اكتسبتها بك .

«فالحب قد يهتك الاحماء والحرما» (5)

فحررت اليك هذه الرسالة ، فوضعت لديك ما تستبين منه النفس الولهى من جوانحي شوقا اليك ، وتلهفا على ان تتصل منك بما تقرأ منه سلامتك ، وسلامة كل الاخوان هناك .

❁ ❁ ❁

واتذكر ان هذه الرسالة هى آخر ما تلقاه منى المترجم ، لاننى اندهشت من الادب الحديث الذى لاقيت طلائعه فى (فاس) بعدما نزلت فيهـا اول (1343 هـ) فصرت اتنكر للذوق القديم ، ولا ريب ان ارباب الذوق القديـم

---

(1) القرى كغـيى. جدول الماء، وطم عليه غمره

(2) عمرو بن هند، اراد أهله ان يجعلوا له الطوق في عنقه، كما كانـوا يصنعون به وهو صغير، فقيل في ذلك ما صار مثلا يضرب وهو شب الخ

(3) الطبى بضم فسكون. الحلمة (بالتحريك) الزائدة في الضرع مثل يضرب عند اشتداد الامر وبلوغه منتهاه

(4) الزبى جمع زبية وهي حفرة تحفر للاسد في رأس الرابية التي لا يعلوها ماء، وهذا مثل يضرب ايضا عند اشتداد الامر وبلوغه الى غاية بعيدة.

(5) شطر بيت، والاحماء جمع حمى ما يحمى ويدافع عنه ، وكـذلك الحرم وهو جمع حرمة

ـ ومنهم المترجم ـ لا يرضيهم منى ذلك ، فكذلك ذهب المختار الالغى وأدبه المتكلف اول : 1343 هـ. وجاء مختار آخر ، وادب آخر ، وذوق آخر بعد ذلك ، فكما ان آثار المختار القديم هى للالغيين فاستحقوا ان يحتويها ديوانهم هذا ، فكذلك آثار المختار الحديث هى للادباء الجدد الذين هم اليوم فى الحواضر وفى بعض القرى ، وفى (بونعمان) وفى (اداوتنان) وفى (تارودانت) وفى (اداوكثير) (1) حيث ترفرف الالوية الجديدة فوق ادباء جدد يتلمصون اليوم مما كنت تملصت منه قبلهم .

ولكونى اليوم أؤرخ الادب الالغى ، وهو كله قديم ، حشرت فيه كل ما اجده للمختار القديم رحمه الله ، ولا عتب علي فى ذلك ، ولو كنت فى اخبار الادباء المحدثين وفى تاريخهم لما اطقت ان اذكر كل ما لى فى ذلك العهد ، لانه يعدونه كما اعده معهم من سقط المتاع (2) ومن البهرج الذى يجب نبذه وطرحه فى سلات المهملات ، كذلك اغتنمت هذه الفرصة ، فاعطيت لذلك المختار القديم حظا بين ادباء ذلك الجيل الذى عاش بينهم ما عاش فرحم الله ذلك المختار ، وسامحه فيما تكلفه .

رسالة المترجم

هذا هو جواب تلك الرسائل الثلاث التى ذكرت قبل الرابعة ، وقد امتزج فيها الجد بالهزل تظرفا ، وهى :

«الحب الذى لا اعدل به احدا ، ولا اجد من دونه ملتحدا (3) ولا انسى ما بينى وبينه ابدا ، ولا يفنى الابد محبتى له وان افنى لبدا (4) اذ هى منذ قديم راسية راسخة ، لا تزول أو تزول الاعلام الشامخة ، ولا تنسخ محكمها نواسخ السلو بل هى للنواسخ ناسخة ، فلا ينسى قديمها ، ولا يحلم اديمها (5) ولا يشاب بكدر خالصها وصميمها .

ودن الصبا وهلم جرا شيمتى حفظ الوداد فكيف عنه ارجع

السيد الحبيب ، الذى حافظت على محبته ان لا تتغير من الدبيب الى الدبيب» (6)

---

(1) اعني الحسن البونعماني. والحسن التناني. ومحمدا الرداني. ومحمدا الكثيري

(2) سقط المتاع بفتح السين والقاف. اهونه واقله قيمة.

(3) ملتحدا ، ملتجأ

(4) لبد كعمر. آخر نسور لقمان عليه السلام (في حكاية معروفة)

(5) الاديم. الجلد، وحلم الاديم يحلم كفرح يفرح. فسد ووقعت فيه الحلمة بالتحريك، وهي دودة تقع في الجلد فتاكله ويتشعب

قال :

فانك والكتاب الى على كدابغة وقد حلم الاديم

(6) اي من دبيب الصغر الى ذبيب الكبر.

السلام على تلك المعالى ، التى لا ينتهى الى ادناها (ولا ادنى فيها) معالى

قصر القــول فالجــنــاب عظيم   من يطاوله اعجزتــه السمــاء

والرحمات والبركات ، تنتحيك فى الروحات والبكرات

هذا ولا زائد على المحبة العبقة الريا ، المشرقة المحيا ، الصافية الحميا فلا اتغير ، على ان الانسان قد يتغير (1) ولا كان لى فى الحب ان اتخير (2) فلا ازيد على العتاقة ، الا العلاقة ، ولا بقدم العهد ، الا المراعاة غاية الجهد

ويزيــده مـر الليــالى جـدة   وتقــادم الايــام حسن شـبــاب

ولا بالبعد اتسلى بزينب او دعـد ، وان اسقيتنى بالبعد فاتحة الرعـد (3)

لا تحسبــوا نايكم عنــا يغيرنــا   اذ طالمــا غــير الــنــاى المحبيــنا

❀ ❀ ❀

وانى وان شطت بى الدار عنكم   بجسمى فقلبى عنكم غير مشتط

ثم انه وردت رسائلك ، وتكاثرت فى الجواب عنها وسائــلك ، وعهــدت الى بالانتقاد على ان دأبى فى امثالك ـ واين امثالك ـ التسليم والاعتقاد ، وهبنى انتقاد فمن لى بمطاوعة المفصل ، وهل انا فى ذلك اذا عانيته الا كما قيل اكثر الحز واخطأ المفصل) (4) وقد قرصتنى فى الاخرين بابر العتاب ، ان لم الق بالا للجواب ، ظانا بى الظنون (لامور تكون او لا تكــون) (5) وليست تلك الظنون من جنابكم لائقة (اعيذها نظرات منك صادقة) (6) فوالله يا احب الاحبة الى ، وأعــز الاخوان واكرمهم على ، مــا هــو الا ان قرأنــا الاولى من الصحائف ، وعثرنا على ما اشتملت به من حلل البدائع والمطارف

فوجمنــا من المــهــابــة حتى   لا كــــلام مــنــا ولا ايــمــاء

---

(1) تلميح الى قول عمر بن ابي ربيعة في رائيته المشهـورة .

لئن كان اياه لقد حال بعدنا   عن العهد ، والانسان قد يتغير

(2) شطر من قصيدة لابن عنين وهو

لو كان لي في الحب ان اتخيرا

(3) يعني سورة «المر» ويقصدون المر من المرارة .

(4) المفصل: بفتح الميم وكسر الصاد. احد مفاصل الجسم، واما بكسر الميم وفتح الصاد ـ وهو المتقدم ـ فاللسان، والحز، القطـع :

(5) شطر بيت واوله.

سهرت اعــين ونامت عــيــون   لامــــور تــكــون او لا تــكــون

(6) قال المتنبي .

اعيذها نظـرات منــك صادقــة   أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فانتهى اقتدارى وحق له ان ينتهى ، ووهت عزماتى وما كان من شانها ان تهى .

وكـدت اضـ . . . . اعجابـا برؤيتها ومن رأى مثل ما ابصرت منها خ .

لما شاهدت من عجـائب تصير الايـادى باقلا (1) وتشيـب حتى مـن كان عذاره باقلا (2) من قصائد ، هى لافكار الناظرين مصائد ، وابيات ، هى على براعة ناظمها من ابدع آيات ، وسجع مليح ، يهزأ بشق وسطيح (3) وبلاغة لو رآها قدامة (4) ما لبث من هيبة بيانها قدامه ، وفصاحة اغرب فيها وابدع ، فاقصر عنها عبد الحميد ولم ينفعه حفظ كلام الاصلع (5)

قـد تصرفـت في الكتابـة حتى عطـل الناس ذكـر عبد الحميد

وقواف لو رآها عويف (6) لا فرد عنها ، ولم يحظ بالحظ اللفـاء منهـا (7) ونسيب ، يصير ابن ابى ربيعة اجنبيا منه غير نسيب ، ومديح منمنم ، يهز الى المكارم نفس النكس والبرم (8) والغاز (9) ، تنـادى على المحاول فكهـا بالاعجاز ، فلما تبينت من معجزتها ما تبينت ، وايقنت منها مـا ايقنت ، آمنت ان لا اديب ممن هو اليوم على وجه الارض الا انت .

فعلمت انك لا تنال بحيلة فلويت رأسى تحت طى جناحى

واحجمت عن تلك المعارك العظام ، وانشد لسان الحال :

«تـنـكـب لا يـقـطـرك الزحـام» (10)

---

(1) قس بن ساعدة الايادى الفصيح المشهور ، وباقل بن عمرو الهـلالي مشهور بالفهاهة.

(2) بقل وجه الغلام. نبت شعره .

(3) كاهنان عند مبعث الرسول (ص) ويذكران بالسجع في كلامهما.

(4) قدامة بن جعفر من قدماء الادباء المنتقدين للشعر والنثر، ولـه فيهما كتابان مطبوعان.

(5) الاصلع . علي بن ابي طالب ، فقد قيل لعبد الحميد . مـا بلغ بك هذا المبلغ في الفصاحة، فقال. حفظ كلام الاصلع .

(6) عويف القوافي مشهور بقوله .

ساكذب من قـد كان يزعـم اننى اذا قلت قولا لا اجيد القوافيا

(7) اللفاء كسحاب. القليل الخفيف.

(8) النكس بكسر فسكون. الرجل الضعيف الدنىء الذي لا خير فيه، والبرم بفتحتين. البخيل اللئيم. قال البوصيري

وفارق الناس داء القحط وانبعثت الى المكارم نفس النكس والبرم

(9) كانت ألغاز في ابيات مما ارسل الى المترجم .

(10) قـال .

فقلـت لمحـرز لمـا التقينـا تنكـب لا يقـطـرك الزحـام

وقطره عن فرسه. القاه عنه.

وسلمت تسليم انقياد ، لا تسليم جدل وعناد ، فلما طـال على الوجـوم ، ناجتني النفس بـان العار كل العار ، والمعـرة التي لا محيص لك عنها ولا فرار ، ان لا ترى تدور حول ذلك الحمى وتحوم ، وانشدت :

هم القوم فاجهد في اتباع سبيلهم   وان لم تكن شبها لهم فتشبه

فبينما انا في التروي ، والتململ لذلك المهم والتلـوى ، اذا بـ (الثانية) وردت ، فرأيت نفسي بعدما تشجعت عردت (1) فعرا العزم تلاش ، وبقيت احير من خداش (2) فلم تزل تلك الحيرة ، ولا فترت تلك الفترة ، حتى جاءت (الثالثة) قائلة لي انذارا ، وخائفة على ما لعله يكون تبابا وتبارا (3) المعقل المعقل ، فقد جاء نهر الله وبطل نهر معقل (4) فثنيت من عناني مـا كان مسترخيا ، وعلمت انك لا تعارض ما دام السعدان مستلقيا (5) فيالها رسائل حلاها ناظمها بحلل البديع فابرزها ، فجعلت تنادي باعلى صوتها هل من مبارز فاعوزها :

من اراد انتقادها فهي هذي   عرضة البحث فليكن جد باحث

والحاصل ان كل ما بعثت به رمقناه بعين الرضا اجلالا ، ثم بعين النقد امتثالا ، لا استهانة بالمحبة واخلالا ، فوجدناك لم تدع للقائل مقالا ، ولا لطرف (6) النقد مجالا ، الا ما يعتري قصيدتك البائية كثيرا ، وعددت خطبه يسيرا ، ولو رشدت لعددته كبيرا

يغمى على المرء في أيام محنته   حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

من استعمال الغريب الذي لم يزل عند الادباء مهجورا ، بل اتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، والشعر سبيله ان يخلـو من التكلف ، وان يكون ما بين الفاظه الالتآم والتآلف ، لاسيما مع خطر الجناب النبوي (7)

---

(1) التعريد ـ النكوص عن صف القتال، قال كعب بن زهير في (بانت سعاد)
اذا عـرد السود التنابـيـل

(2) قال ـ تكاثرت الظباء على خداش   فمـا يدري خـداش ما يصيد

(3) التباب والتبار بالفتح ـ الهلاك والدمـار

(4) معقل بن يسار الصحابي الحافر لنهر في البصرة ينفع الناس، ولكن اذا جاءت سيول الامطار استغنى عنه الناس فقيل ذلك المثل

(5) مثل عندهم، والسعدان ـ نبت له شوك، وهو من افضل ما ترعاه الابل

(6) الطرف بالكسر ـ الفرس الكريم

(7) كان هذا الحوشي في القصيدة النبوية الماضية

اتمى القتل ايتها الصبابة   فقد ابقيت من رمـقى صبابـة

الذى من بخسه حقه ، ولم يوفه ما استحقه ، هوى كما هوى باجرامه من قنة النيق منهوى (1) واذا لم تطر (2) ذلك الجناب الرفيع ، الا بمثل ذلك الشنيع ، فالسكوت اصوب ، ومراعاة الادب مع ذلك الجناب اوكد واوجب .

فرب سكوت كان فيه بلاغـة   ورب كـلام فيه عتب لعاتب

وعليه ، فنكب من الغريب الى المألوف ، وعن المنكـور الى المعروف ، فتلك طريقة الادباء قبلك ، فسدد لما سددوا اليه نبالهم نبلك ، وتحرز عن الالتزام المؤدى الى ذلك العيب الذى سارت بتقبيحه الرفاق ، وعن جميع المحسنات الا ما كان على سبيل الاتفاق :

اذا احببت قـول الشعر فاختر   للفظك كل سهـل ذى امتنـاع
ولا تقصـد مجانـسـة ومكـن   قوافـيـه وكـله الى الطـبـاع

فلا تسلك بعدها تلك الطريقة التى هى طريقة المتعسفين ، يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ، فاستحضر ما وصى به ابا عبيدة ابو تمام (3) وتتبعه من البدء الى التمام ، تعثر على المرام ، والسلام .

وربما سنح لك الاعتذار عن الغريب ، بأنك هناك غريب ، وكل غريب للغريب نسيب ، وبقول ابن خميس :

مـا ذاق طـعـم بـلاغـة   من ليس للحوشى ماضغ

فان ذلك لا ينهض حجة ، بل هو عدول عن واضح المحجة ، أما الاعتذار الثانى فقد ردوه على ابن خميس ردا ، وعدوه من مخترعاته التى انفرد بها عدا ، وهبهم سلموه ، فانما ذلك فى غير ذلك الجناب الفسيح الرحاب ، المقبـل الاعتاب ، وأما هو فكل يقول بملء فيه باجتناب ذلك فيه ، واما الاعتذار بالاول ، فلا نحتاج فيه لشفاء الغلة ، ببيان العلة .

اذا كان وجه العذر ليس بظاهر   فان اطراح العذر خير من العذر

وكاني بك وقد تألمت من تقريعى هذا ، حتى تكاد نفسك تفيظ (4) وجوابك

---

(1) قـال.

وكم موطن لولاى طحت كما هوى   باجرامه من قنة النيق منهوى

والاجرام جمع جرم بالكسر الجسد وقنة الجبل اعلاه والنيق بالكسر ارفع موضع فى الجبل

(2) اطراه يطريه ـ مدحه وبالغ في الثناء عليه

(3) توجد هذه الوصية في كتب الادب، ككتاب (جواهر الادب) وغيره

(4) من مزاح الاستاذ مع تلميذه، وسترى اخواتها بعد، والميدان الادبي يتسع لكل شيء، وفاظت نفسه تفيظ بالظاء المشالة ـ خرجت . وفـاض الماء بالضاد

اذن : (فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) على انى ما فهت الا بالذى انت عالم به من نفسك جد عالم ، فهل انا فى ذا يا لهمدان ظالم (1) بل الحامل على هذا التقريع ، المتصرف فيه اللسان بين التاصيل والتفريع احتمالك المعهود ، ومراعاتك سالف المواثيق والعهود ، والحامل ايضا على ما فاض به اللسان من ملامك فيضا ، غيرتى ان يطرق شعرك خلل ، أو ان ارى فيه شيئا من الزلل

محبتى فيك تابى ان تسامحنى   بأن اراك على شيء من الزلل

وأما غير هذا مما اشرت فيه الى النقد ، فغير خفى عليك ، ولا مجهول لديك اذ انت فى هذا الشأن ، وان قلنا ما قلنا من اعل الحل والعقد ، وانما امرت بما امرت قمعا للنفس وهضما ، ولولا المروءة وحسن الظن لما لزمك ذلك حتما ، فجزاك الله العظيم النوال ، بالمولودة فى قول من قال :

(ومولودة لم تعرف الطمث امها   وليس لها روح ولا تتحرك) (2)
(يقهقه منها القوم من غير رؤية   وصاحبها من عارها ليس يضحك)

ولقى عدوك العزيز الجبار ، ما لقاه رقيب ابن الابار (3) وغير هذا مما ضمنته الرسائل ، ما المسؤول عنه باعلم من السائل ، ونحن على المحبة المتجددة ما تعاقب الملوان ، وما حيل بين العير والنزوان (4) واما ما اخبرك به فلان من تعرضي للنقض عروة عروة ، من غير استظهار منى على ذلك بحول ولا قوة ، فقد كذب على حمار الاشجع (5) وارتقى هضاب الترهات وافترع ، ووالله ما فهت الا بافظع من ذلك واشنع :

---

(1) قـال

وكنت اذا قوم غزونى غزوتهم   فهل انا فى ذا يا لهمدان ظالم

(2) يعني ما يندفع من النفس أن انحل وكاء الاسافل من وراء مما يسمع ولا يرى

(3) قطعة لابن الابار الذي فعل بمحبوبه وبالرقيب معا ، انظر ذلك في (نفح الطيب)

(4) قال صخر

أهم بأمر الحزم لو استطيعه   وقد حيل بين العير والنزوان

(5) قـال

يا ابنة اما لا تلومى واهجعى   وانمى كما ينمى حمار الاشجع

يعنى بذلك اخانا الاديب احمد اليزيدى ، فقد كان كتب الى ان المترجم تصدى لكل ما كتبت به اليه ، فنقضه عروة عروة ، وكل هذا انما يجول فى ميادين الممازحة .

وقد نقلوا عنى الذى لم افـه به   وما آفة الاخبار الا رواتهـا

وستعلم اذا جمعتنا المجامع : انى فالج (1) بن خـلاوة من تلك المعامـع ، واعلم اننا الى لقياك ، واجتلاء محياك ، فى غاية من الشوق ، ومكابدة ما جاوز حد الطوق :

فاجدوا المسير بل ان قدرتم   ان تطيروا مع الرياح فطيروا

والسلام .

اخوكم الدائم الاخاء ، فى حالتى الشدة والرخاء عبد الرحمن بن محمد الاحبالى ، جعله الله واياكم من القبضة التى قال فيها هؤلاء للجنة ولا ابالى ، بفضله وطوله ، وقوته وحوله ، ويرحم الله عبدا قال آمين والبخيل من يبخل عند الدعاء بالتامين :

آمين آمين لا ارضى بواحدة   حتى اضيف اليها الف آمينا

قولة بعضهم في المترجم

هذا ومما يتعلق بالترجمة : ما كان قيل اذ ذاك فى طليعة تراجم حررها قلم بعض الادباء السوسيين ، على النمط القديم الذى لا يخفى ما فيه ، وقد قيل عن المترجم فيها :

«معدن البلاغة والفصاحة ، ومشرق الوضاءة والصباحة ، من سلالة الشرف ، ومن المرتقين فى المجد الى اعلى الغرف ، ينجد لسانـه فى اللسن ويتهم (2) ويظهر ما شاء بيانه ويبهم ، واتاه مقوله فقال ما شاء ، فى الانشاء ، وطاوعه فكره فوشى ، كيف شا ، ان قال ، حل العقال ، ولم يبق لغيره مقال ، وان كتب اغرب ، وان نثر ، بهر ، وان شعر ، سحر ، سهمه فى غـرض الترسل مقرطس ، ونهاره فى الكتابة مشمس ، لا يجارى فى جميع الخصال الا جرى ، ولا يبارى فى كل الكمالات الا برى ، جاء والادب عريت افراسه ورواحله ، واقفرت من الوراد سواحله ، وانسابت فى جحورها اراقمه (3) وعادت مجاهل معالمه ، وعفا مغناه ، وخفى لفظه ومعناه ، ونضب ماؤه ، وفنى ذماؤه (4) وكسدت أسواقه ، وخوى (5) نجمه ، وعفـا رسمه (6) وشعثت

---

(1) فالج بن خلاوة ـ قال يوم اللقـم ـ انني بريء مما فعله انس من قتل الاسرى فصارت البراءة من امر ما تنسب اليه، لان براءته صارت مثلا

(2) انجد قصد نجدا ـ محل بالحجاز موقعه مرتفـع ، وانهم قصد تهـامة وهي ايضا ناحية بالحجاز وموقعها منخفض

(3) اراقمه جمع ارقم ـ الحية

(4) الذماء بالفتح ـ بقية الروح

(5) خوى النجم كقضى ـ افل وغرب

(6) عفا الرسم ـ انمحى

رؤوسه ، وافلت اقماره وشموسه ، فقام منذ فارق المهاد ، على سوق الاجتهاد، فعانق الكد ، وجبه من صد ، ودار على قطب يقين متجدد ، واستنار بنور فكر متوقد ، بهمة تصدم ثبيرا (1) وتذر السماء دبيرا ، مع ذكاء وقاد ، وفكر نقاد ، وعزم وحزم منعاه الرقاد ، مشمرا عن سوقه ، مواصلا فى راح التعلم بين صبوحه وغبوقه ، مواظبا على اهتصار افنان فنون العلوم ، واستخراج كنوز المنطوق منها والمفهوم ، وملازما ارتشاف تلك الشفاه ، صارفا عن غير ذلك فاه ، لا يمل جده ، ولا يفل حده ، ولا يخبو زنده ، ولا يسلو غرامه ، ولا يسكت عن السجع حمامه ، حاسرا عن ساعديه ، صابرا للغربة عن والديه .

لا تحسب المجد تمرا انت آكله لن تدرك المجد حتى تلعق الصبرا

حتى صار ثمر الادب طريا ، وقصره عليا ، ومقامه سنيا ، فتربع فى دست (2) اعتلائه ، وترصع دره بعلائه ، فعادت ايام البحترى بلطافة شعره ، وعصر الفتح بن خاقان بانسجام نثره ، وقامت سوق عكاظ (3) بجزالة المعانى والالفاظ ، وايام الرشيد بكثرة المتأدبين حول قصر ادبه المشيد ، فاعتدل به الزمان ، وامتد به لاندثار الاداب السوسية رواق الامان ، فتبلجت من قريحته قصائد ، للعقول صوائد ، ومقطعات ، ساطعات ، ورسائل موشحات ، كخمائل نافحات ، انشرح بها صدر الادب ، وانقضى بها العجب ، قواف واسجاع كالقصور ، عليها الحسن مقصور ، كانها برود الحدائق الموشية الازهار ، او انوار الشمس المشرقة فى رابعة النهار ، تكاد تشرب رقة وحلاوة ، وانسجاما وطلاوة

هى تجرى مجرى الاصابة فى الرا ى ومجرى الارواح فى الاجسام

وله من نثره وشعره ، بل من جوهره ودره ، ما يجلو ظلم الفكر ، ويرتفع بروايته عند الغير»

السجع

اقول : ان رأيى الخاص فى السجع ، انه اذا خف على السمع ، وقبله الذوق السليم ، فانه من الآثار الادبية التى لا ينبغى ان تطرح بالكاية ، لا فى الادب القديم ، ولا فى الادب الحديث ، فانه من الشعر المرسل ، أو من النثر المقيد ، فسمه كيف شئت ، وايا كان ، فلا تزال له مكانة فى بعض الكلام ، حتى فى هذا العصر الحديث ، وان كان الكلام المرسل الطافح بالبلاغة المتدفقة السيالة الذى يحوى من الشعور الحى ما يتراءى نظيره من بعض الاشعار البليغة ، هو اعلى واغلى واجلى وانصع من غيره ، والجمع بين السجع الطويل ، أو الفواصل المتزنة ، كما يوجد فى غالب القرآن ، كما حرره ابن الاثير ، من معجزات القرآن ولا يزال ادباء اليوم من كبار الكتاب ، يتعالون

(1) ثبير ـ اسم جبل ببلاد العرب

(2) الدست بالفتح ـ صدر البيت الذي يجلس فيه المحترم في المجلس

(3) عكاظ ـ كغراب، احد أسواق العرب الثلاثة في الجاهلية، يذكر ويؤنث

الى مثل ذلك احيانا ، كما نراه من رسالة الاستاذ الامام من سجنه في القضية (العرابية) او في كلام امير البيان شكيب ارسلان ، فيعلو بعضه حتى يكاد يسجد له ، ويقارب البعض الآخر حتى يكاد ينبذ ، والذى يجب ان ينبذ من المسجوعات ما كان مثل هذا الفصل الغريب ، الذى مر بالقارىء قريبا ، حيث يتلاعب بالالفاظ من غير ان تمشي شبرا واحدا الى المعانى التى هى المتع الوحيدة فى الاثار الادبية للارواح ، فاعرف ذلك وسر فى طريقه تهتد ان شاء الله ، ولا تكن من المقلدين لا لهؤلاء ولا لهؤلاء (1)

فترة المكاتبة بيننا

انقطع ما بينى وبين المترجم مولاى عبد الرحمن استاذى الخاص فى الادب القديم ، منذ ان تعرفت بالادب الحديث ، فغرقت هناك فى (فاس) ثم فى (الرباط) بين الادب الحى ، وبين اهتصار فنون من العلم ، كادت تذهب باشتغالى بالادب وحده ، ثم لما أبت الى (الحمراء) 1348 هـ. واندمجت فيما انا فيه من التعليم انقطعت اواصر الكتابة بيننا ، بل لم تجر نقطة مداد فيما بيننا منذ 1343 هـ. فيما احسب ، الا ان تكون الرسالة المتقدمة للمترجم فى شان اخيه ، وهى التى ذكرتها قبل صفحات ، فقد جاءتنى نحو 1349 هـ وايا كان ، فقد انقطعت تلك الوصلة الادبية التى جمعت ما بين قلبينا ، لان لكل واحد وجهته ، ثم لم تتيسر ملاقاة اخرى ، ننعش بها ما فى الافئدة ، اللهم الا ملاقاة فى موسم سيدى احمد بن موسى ، تذكرتها الآن ، كانت فى أوائل 1351 هـ وكان ذلك فى عشية خميس الموسم ، ثم افترقنا الى الآن ، وحين نزلت بـ (الغ) مفتتح : (1356 هـ) ظللت اسأل عنه ، كما كان يسأل عنى فيما يبلغنى ، ولكن اللقاء لم يمكن ، فلم يبق الا ذلك الاخلاص الذى طوينا عليه الافئدة منذ يوم تعارفنا

نبذة مما حفظته عنه

رأى صاحبى عمـرا فحاول وصفـه ... وكلفنى من ذاك ما ليس فى الطوق
فقلت لـه عمرو كعمرو ، فقـال لى ... صدقت ولكن ذاك شـب عن الطوق

وانكـد الناس عيشا من تكون لـه ... نفـس المـلوك وحـالات المساكـين

ما ماحضتك خبايا الـود من رجـل ... مـا لم ينلك بمكـروه من العـذل
محبتـى فيك تـابى ان تسامحنـى ... بـان اراك عـلى شىء مـن الـزلـل

انشدنيهما يوما معتذرا من شىء سامنى به ، وقال : ان من يريد لك الخير يود لو كنت تطير اليه ، ولا يجد لنفسه راحة ، حتى يراك فيما يريد ، ولو قدر لحملك على ذلك رغم انفك ، ثم انشد البيتين

اذا لم يكـن عـون من الله للفتـى ... فاكثـر مـا يجنى عليـه اجتهـاده

(1) فى رسالة (نجوى الصديقين) وفى (الرحلة الثانية) من (خلال جزولة) قطعتان لى حول السجع .

تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني
ولو تسال الايام عني ما درت من اين مكاني ، ما عرفن مكاني

فان نحن اثنينا عليك بصالح فانت كما نثني وفوق الذى نثني
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة لغيرك انسانا فانت الذى نعني

حسنت نظم كلام توصفين به ومنزلا بك معمورا من الخفر
والحسن يظهر فى شيئين رونقه بيت من الشعر او بيت من الشعر

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال

قالوا الفقيه فقلت : الزور ما قالوا ليس الفقيه سوى من عنده المال

يا لهف نفسي على شيئين لو جمعا عندى لكنتاذن ـ من اسعد البشر
كفاف عيش يقيني ذل مسالة وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى

ولا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان : عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثى له احد

الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرا اذا امكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى فلا خير فى اللذات من دونها ستر

الى غير ذلك مما لا استحضره الآن ، اننى حفظته فاه لفى ، وغالب ما حفظته فى ذلك الدور كان من عنده ، ولكن حين كنا نحفظ ايضا من شيخنا سيدى الطاهر وولده ، خفت ان اتوسع فى كل ما عندى عن ذلك الحين ، فاخطىء فيما حفظته من غيره فانسبه اليه

ومما يتعلق به اننى كنت مرة معه ، فرأى تلميذا اكتحل ، فتضاحك عليه فقال :

ان تكتحل يا قرد مفتخرا به فالقرد اقبح ما يكون اذا اكتحل

وكذلك كنت معه مرة اخرى فى نزهة الطلبة فى قرى (تانكرت) ، فبتنا عند سيدى محمد بن العربى فى قرية (ايرز) فقال عند حضور الصينية والمقراج

اذا ما اتى ناديك هم مروع فترياقه والله كاس تنعنع

وقال ايضا اذ ذاك وقد سكت الطلبة عن النشيد

الا أنشدوا يا ايها القوم انما سكوتكم هذا هو الحصر البحت

هكذا البيت او مثل هذا ، واذ ذاك عرفت لفظة البحت بمعنى الخالص ، وهذا هو ديدنه يواتيه القول فى كل حين ، فيلقى الابيات على عواهنها ، وقد دخل مرة الى محل صغير كان شيخنا سيدى الطاهر يبنيه فى داره ، وهو روض صغير ، يتدفق جدول ماء فيه ، فقال ارتجالا :

هذا لعمري منزه قد صارا　　لحسنه يستوقف الابصارا

فتلقفه البناء ، فكتبه بالمغرة على جدول الماء ، وعهدى به لا يزال هناك ، ومثل هذه الابيات التى تلقى هكذا ، وان كانت ساذجة ، يتلقفها المبتدئون فينتفعون بها ، وله فى مثل ذلك كثير ، يرسلها فى مفاكهاته .

وقد خاطب يوما خياطا بقوله ضمن قطعة :

انى اشتريت سراويلا لالبسه　　فهل تخيط لنا تلك السراويلا

تلاميذه الاخصاء

هو دائما متصدر للنفع فى أى مدرسة كان ، وخصوصا فى الادبيات ، واستحضر الآن ممن انتفعوا به كثيرا فى المدارس التانكرتية والالفية والعبلاوية :

1) الاديب الحامدى
2) الاديب محمد التملى ثم الدمناتى
3) الاديب ابن الطيب الصواغ
4) الاديب الحسن الكوسالى
5) الفقيه سيدى احمد بن عبد الله الاساكائى
6) محمد المختار : جامع هذا الكتاب
7) الاديب الطاهر الالغى
8) الاديب احمد بن سعيد الاكمارى
9) الفقيه ابن الطيب بن ابرهيم الاكمارى
10) الاديب محمد الكثيرى
11) الاديب محمد أوبلوش البعمرانى القاضى
12) اليزيد أوبلوش ابن اخيه
13) سيدى محمد بن ابراهيم التاكاتنى
14) سيدى احمد بن بريك البعمرانى
15) محمد عبد الرحمن ابن القائد عياد الجرارى
16) سيدى محمد بن ابرهيم البعمرانى .

وهناك آخرون انتفعوا به كثيرا لا نعرفهم أو لا نستحضرهم الآن ، وربما يكون فى (ازاريف) من اقتبسوا منه ، ممن لا نعرفهم اصلا .

هذا ما تيسر لنا ان نكتبه ، حول استاذنا الكبير المولى عبد الرحمان ، وهو أول من غرس فينا حب الادب ، ثم تعهده بالسقى حتى فرق الدهر بيننا ، وليت شعرى هل يتسنى لنا ان نجتمع ثانيا حتى اتلو عليه كل هذا ، لانظر ايوافقنى على كل انظارى التى اودعتها هنا ، أم يخالنى من الخارجين عن الصراط المستقيم ، فجزاه الله عنا افضل ما يجزى به من بث علما فى هذا الزمان الذى قل من يبث فيه العلم فى الصدور .

أمنية الاجتماع قد تمت

في موسم من المواسم (الالغية) التي افتتحت سنة 1361 هـ. اثر ما افرج عني بعد النفي في (سوس) زار المترجم (الغ) فظفرت بامنية التعهد لما كان ماضيا بين الاستاذ وتلميذه ، ثم ترادفت بيننا التحايا ، فمنه الى ، ومني اليه كما يقوله ابن زهر في القطعة التي تشوق فيها الى احد اولاده .

في الحواضر

حططت رحلي بمراكش في مختتم 1364 هـ. فاقبلت على التدريس ثانيا وصارت حلقة جديدة منهم تنتظم حولي ، وبينما انا في درس صباحا في جامع «باب دكالة» نحو 1367 هـ. اذا بالمترجم اطل علي بوجهه المشرق من قبل ان تشرق شمس الضحى ، فنزل عندنا ، فصرنا معه في ادبيات ومعارف وقد اشرقت به الحمراء ، فطابت له ، كما طاب لها ، ثم لازمنا نحو سنتين الى ان ظهر له ان ينتقل الى (البيضاء) و (الرباط) ، فصار يتردد بينهما عند احباء اكبروه وعرفوا قدره ، ورأوا منه فريدا في التحصيل يقل مثله في الحواضر ، فكيف بالبوادي .

وبعد ما لازم (البيضاء) ما شاء الله ، انقطع الى (الرباط) مقيما اقامة القى فيها عصاه ، فصار يتصل بعلماء (الرباط) من شيخنا سيدي المدني ، فمن دونه كساداتنا العلماء سيدي الحاج محمد بن عبد الله ، وسيدي عبد الواحد ، وسيدي عبد الله الجراري ، وسيدي مصطفى بن مبارك ، وسيدي مصطفى الغربي ، والتطواني وامثالهم فتمضي له معهم مجالس وبحوث ، فاطال علماء العدوتين العجب في استحضاره خصوصا في الادب واللغة والسيرة ، وشواهد الابيات ، ثم طاب له ان يستقر اخيرا في مسكن معين ، لا يكاد يغادره الا للرياضة التي يلازمها على رجليه صباح مساء ، ثم انقطع عن غالب المعاريف ، وقد اقبل على كثرة النوافل والاوراد ، حتى ان وقته بها عامر ، لكنه لم يستدبر المطالعة ، وقد تفتح ذهنه ، فادرك ما كان غائبا عنه عن هذا العصر العجيب ، حتى انه وطني غيور ، وقد ندم على عدم اتيانه للحواضر قبل في ريق شبيبته .

وبعد : فقد قال لما قرئت عليه هذه الترجمة (1) : ان فلانا اطراني بما ليس في ، ورفعني الى مكانة انا دونها بكثير ، ولكن حسن الظن من التلاميذ للاساتذة ربما كان هو الحامل له على ذلك ، فقلت انا لما وصلني هذا : الحمد لله على ان الاستاذ لا يزال حيا ليقابل القارئون من الحواضر ما كتبته عنه ، وبين مكانته السامية في المعارف ، فها هو ذا عينه فراره ، وهو بنفسه مصداق كل ما كتبته عنه .

---

1) نعم اخفيت عنه ما كتبته عن اخلاقه ، لانه رحمه الله لا يتحمل ذلك .

ومحصل ما يقولون عنه بعد ما يرون منه ما يرون ان البادية التى خرجت مثل هذا العلامة الماهر المستحضر ، الذى علمه معه ، لبادية زاخرة بالمعارف ، وهو طغراء ما بلغته العلوم العربية فى (سوس) وكفى سوس شرفا ان يكون مولاى عبد الرحمان البوزاكارنى ، ميزان التفوق والتحصيل ، وما يوم حليمة بسر .

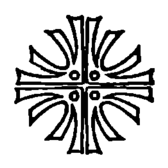
وكل من رأى الاستاذ يلمس هذا بالنظرة الاولى ، وهو برهان سوس يوم يقال لنا : «هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين»

وفـــاتـه

كان من عادته ـ كما ذكرته ـ التريض على رجليه فى كل يوم ، ويتخير أن يمشي في وسط الطريق ، وقد كاد يهلك مرارا بالسيارات المسرعة ، وفى ليلة الاثنين بعد اسبوع من وفاة الملك محمد الخامس ، خرج وحده للرياضة ليلا من دكان احد اصحابه ، فتفقد فى اليوم الثانى فلم يوجد ، وفى صبيحة الثلاثاء قام اصحابه بالتفتيش عنه حتى وجدوه فى محل يوضع فيه من دهستهم السيارات ، وقد حمل ميتا مجهولا ، لا تعريف معه ، فدفن عند العصر فى موكب حضرته نخبة رباطية فى مقبرة (علال بن عبلا) وحوالى قبره .

فهكذا ذهب مولاى عبد الرحمن القائل

مـا لى وللايـام مـا استعطفتها الا قست مـا لى ولـلايـام



محمد المقدم السلامى

1299 هـ - حـى

نسـبـه

محمد بن محمد بن مبارك بن على بن الحسن بن عبلا . من فخذ (اد على بن الحسن) من (ادا وسلام) وهم منتشرون فى هذه النواحى ، وقـد كـان السلاميون قاطنين فى (الصحراء) حتى كانوا فيما يقال - هم العمدة لاحمد الذهبى فى حملته الى (السودان) ثم انتقل بعضهم الى تخوم (سوس) من الصحراء . وقد ذكروا فى زمن المرينيين وهم اليوم كثيرا ما يكونـوا من فريق (الركايبات)

متعلمة

اخذ القرآن عن عمه الحسن بن مبارك . وهو استاذ حمزاوى اتقن السبع وقد اخذها عن سيدى عمر من اد امنو التاجكالتى وعن اساتذة من ابـن حسان من (جبالة) ثم تصدر لتعليـم السبع التلاميذ . وكان يشارط فـى (بوكرفا) فى مدرسة (أملو) من (أيت الخمس) ببعمرانة وفى المدرسة من (اصبويا) توفى 1334 هـ. ودفن فى (اكوك) وحين اتقن المترجم عليه القرآن التحق بالمدرسة (الالغية) حيث اخذ كل ما معه من العلوم ، وذلك فى شوال سنة 1317 هـ. قال انه حضر فى عقيقة جامع هذا الكتاب التى كانت فى مفتتح ربيع الاول سنة 1318 هـ. وسبب مجيئه الى (الغ) ان لصوصا ذهبوا بغنـم الشيخ الالغى فجاء الشيخ والفقيه سيدى على بن عبد الله ، فنزلوا فـى (تاكانت) عند والده ، فذهب معهم الى (فاصك) فاسترد الغنم . قال فباتا فى الرجوع عندنا فى الدار ، وقرأنا الحزب ، فاعجب الاستاذ سيدى على بن عبد الله بحفظى للقرآن ، فاقترح على الوالدان يذهب بـى لأقـرأ عنده فى مدرسته فكان ذلك هو السبب ، قال فمكثت فى المدرسة من هذه السنة 1317 هـ. الى 12 رجب 1330 هـ. وقد كان مقدما لطلبة المدرسة وكان يذكر بينهم كثيرا بنجابة وباقدام ، وبحوادث مضحكة كانت تصدر منه اريحية وتندرا .

مشارطاته واعماله

شارط حينا فى مدرسة (المسايديرة) بالساحل سبع سنين ، ثم تزوج 1336 هـ. ثم الى (مسجد الجمعة) فى (ادا وساكم) ثـم الى مدرسة (الخميس) من 1340 هـ. الى 1351 هـ. ثم لازم داره ازاء مدرسة (الخميس) فى (تاكراكرا)

و كان يشتغل بالافتاء والحكم فى النوازل هناك فى (بعمرانة) وكما كانت هناك دار له فى (الخميس) من (ايت بوبكر) كانت له اخرى ايضا فى (تاكانت) وقد اصيب بكريمتيه اخيرا كما ابتلى بمخاصمة فى حقول له ، ترامى عليها اناس وقد كان يطيل المكث فى (ايت بوبكر) مبتعدا عن القائد المدنى ، لانه قتل اباه وعمه - فيما يقول - ويتربص به الفرص ليلحقه بهما ، ولذلك لم يطأ (تاكانت) مسقط رأسه الا بعد موته وقد احتوش رسومه القائد الحنفى بوساطة الفقيه سيدى احمد بن ابرهيم . (هذا كله حكاه لى من فيه . وعليه عهدة كل ذلك . ولم ابحث أذلك كله صحيح أم لا) قال اننى بعدما نزعت منى الرسوم ارسلت الى الفقيه قصيدة اهدده بها ، فردها الى ، ونص ذلك :

الحمد لله الذى قد انجزا — لكل عبد ما نواه بالجزا
وصلواته على الزكى — محمد ذى الخلق المرضى
يا أيها القاضى افق مما دهاك — واصح من السكر الذى قد اعتراك
الله ان تكون ممن سيرته — هى العداوة فتبد وعورته
ويلك فالحسام واقف عليك — حتى يريك ما يرومه لديك
ومانع الحق مع العلم يذوق — مصاصة من الذى كان يسوق
اذ كل من الد فى الظلم يرى — من باسه نوعا بحق لا امترا
ان لم تبادر دفع ذى البيان — يسبقك قطعك بهندانى
مخالف المنهاج عمدا كفرا — بربه لجهله وما درى
وعالم بعلمه لم يعمل — هوت به الاهواء نحو الهمل
كم عالم بعلمه فلتعلمن — معذب من قبل عباد الوثن
افضل ما للمرء علم وحجى — ان جمعا له ففكره انتجا
علم بلا حجى تشتيت قلب — لكونه من نقم للرب
وربما غلب قلبا الوسن — فصار مائلا عن الباب الحسن
خذها من السلامى الضعيف — بعون رب قادر لطيف
يا رب نجنا من الضلال — وحزبه فى سائر الافعال
بجاه من بجاهه توسلا — نال به كل المنى تفضلا
صلى عليه ربنا وسلما — ما دام نور القمرين فى السما
وآله وصحبه الاخيار — والانبيا والاوليا الابرار

وله ابن عم يسمى مباركا وهو مبارك بن على بن الحسين بن مبارك بن على ابن الحسن بن عبلا اخذ القرآن عن والده المتوفى 1362 هـ. والعلوم عن الحاج مسعود . فقد لازمه ست سنوات . ثم شارط فى مسجد أكنيبيش من ماسكينة ست سنين اخرى - ثم بقى فى (الرباط) ماشاء الله ثم ادى فريضة الحج ثم انقطع فى (المدينة المنورة) عاما يتعلم تجويد القرآن ثم رجع 1376 هـ. الى اهله حيث لا يزال الى الآن . وولادته سنة 1352 هـ. وله عم يسمى على بن مبارك اخذ القرآن عن اخيه الاستاذ الحسن بن مبارك ثم جاور فى المدرسة (الالغية) ما شاء الله نحو ست سنين فمر بالفنون ، وحفظ من المتون .

وهو مسكين يغلب عليه عدم الاهتمام بالاستزادة فى معلوماته ، ولذلك انخفض ميزان ما اخذه كثيرا عما كان عليه ، وولادته 1293 هـ. ولا يزال حيا 1379 هـ.

منشداته

انشد سيدى محمد المقدم السملالي فى جلسة جلستها معه للاستاذ ابى الحسن الالغى ما قاله ارتجالا لما قدم الى (فاصك) فى القضية المتقدمة :

اتيت لامر حافز (فصك) وهى بلـــدة قد خلت من كل حسن واحسان
فالفيتهم قوما برابر يدعو ن انهم فى العرب من غير برهان

وهى قطعة فيها خمسة ابيات ، لا يستحضر منها الا البيتين ، وتوجد القطعة كلها فى محل آخر

وانشد ايضا لابى فارس الفشتالى من قصيدته المشهورة التى يخاطب بها المنصور الذهبى :

جيش اواخره بـبـابك سيله عرم واوله بـ (كاغو) محدق
جيش الصباح على الدجى متدفق فبياضه لسواد ذلك يمحق

وانشد ايضا للاستاذ الالغى يخاطبه هو وسيدى احمد اليزيدى فى معانى ان :

يا أيها الاخوان ان ان لفى وثاق لغز ففكاها على عجل
ان لم تغيثا صريخها فانكما بالعجز عنها لفى بحبوحة الخجل

ثم اتبع ذلك هذا البيت الذى فيه اللغز :

ان زيد فان عمرو الكريما ان مستهزئا وان حليما

من فوائده عن المدرسة الالغية

حكى ان من عادات الطلبة فى المدرسة (الالغية) ان كل من فاته الركوع من الركعة الاولى من كل صلاة يغرم بسيطة حسنية ، وان كل من لم يدرك الوقف الثالث من الحزب صباحا ومساء ، يغرم ايضا مثل ذلك ، ومن طلع عليه الفجر ولم يسخن الوضوء فى نوبته يغرم بسيطتين اثنتين ، ويعيد يوما آخر ، وان كل من لم يحضر قراءة الختمة القرآنية فى القبة عند قبر الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله يغرم اربع بسيطات ، وان كل من فاتــه المجلس للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة بعد الحزب ، الى صلاة العشاء ، يغرم ايضا اربع بسيطات ، وفى شعبان وفى رمضان حين يسرد البخارى ، كل من لم يسبق الى المجلس ممن عندهم نوبة التلاوة ، فانه يغرم ايضا اربع بسيطات ، ويحرم التلاوة ذلك النهار ، وان كل من تخلف عن خدمة معتادة فى دار الاستاذ سيدى على بن عبد الله او فى مكان الحصاد من

حقول الاستاذ يغرم ايضا اربع بسيطات والعادة ان تدور النوبة على جميع الطلبة ، فى ترصد كل ما يريده الاستاذ من بعث رسول ، او خدمة خاصة ، ومن لم ينتدب اذا ندب الطلبة يغرم ايضا اربع بسيطات ، ويعيد يوما آخر ، ولكن ان عين انسان بعينه ، فانه يذهب بعينه ، ويعين ثلاثة لغسل ثياب الاستاذ مناوبة كذلك ، وفى يوم اتيان نساء اهل (تاكانزا) بالحطب للمدرسة يغرم كل من قاربهن اربع بسيطات ، ومن قطع الدلو او حبله اللذين يستقى بهما من بير المدرسة عمدا ، يصلحه ويغرم اربع بسيطات ، واما شراء الدلو والحبل اصالة او اصلاحهما ان تقطعا فعلى هرى المدرسة ، ومن سرق النعنع من حوض من احواض الطلبة - لان لكل واحد حوضه الخاص - يغرم ثمن النعنع لربه ، ويغرم اربع بسيطات ، ومن سرق من بيت آخر شيئا نهارا يجلد خمسين بحضور جميع الطلبة ، قال مر بنـا اربع سنين ولم يجلد للسرقة الا واحد من (ساموكن) وفى الخامسة واحد يسمى محمدا التابرجتى السملالى ، وفى السادسة سرق من هرى المدرسة فجلد من اجل ذلك مجاطى من (ايت كرمون) وسيدى احمد بـن محمد اخـو الفقيـه سيـدى ابراهيم التاغجيجتى ، وقد اشترى منهما رجل يلقب (أوصاص) من القرية ، فجلد معهما ايضا ، وهذه السرقة وقعت : 1323 ه.

واما العادة اذا اراد الطلبة الذهاب الى موسم من المواسم (كتازروالت) او مجتمع من الحفلات الاهلية - المعاريف - مثل (اربعاء أودرار) و (بومروان) و (للا تعزى) و (اسيف مقورن) و (تارصواط) و (أكجكال) ، حيث يجتمع عادة طلبة المدارس المختلفة ، فالمعهود ان يتهيأ الطلبة من كل مدرسة لذلك ، فاول ما يصنعون قبل الوقت باسابيع ان يقسموا بينهم نحو ثلاثة آلاف بيت من الشعر العربى على انواعه ، تغزلا وفخرا وهجوا واخـوة واعتـذارا والغازا وعلى حسب مفتتح الابيات ، نحو (الا ليت شعرى) أو (سلام عليكم) ومثل ذلك ، مما يعتبر فى اول كل بيت ، والكل على وزن الطويل ، فيكب كل فريق على نوع من ذلك ويكون معنا زيادة فى الاحتياط من يستطيع ان يقول بيتا بديهة يضمنه المعنى المطلوب ان لم يحضر عندنا ما نجيب بـه ، وعندنا والحمد لله فى المدرسة الالغية كثيرون ، ثم تتكون لجنة تنظر فى معانى الابيات ، ليوجد جواب كل بيت ، فمثلا اذا افتخر مفتخرون عليهم ببيت ماذا عسى ان يكون جوابه ، وكذلك فى (الهجـو) وكذلك فى (الاخـوة وحسن الارتباط) ، وكذلك فى (التغزل) ، وهلم جرا ، وهذه هى العادة اذ ذاك فى مجتمعات الطلبة فى المواسم والحفلات العمومية (المعاريف)

قال الحاكى : وكانت اللجنة تتكون من نجباء الطلبة ، ليطابق كل بيت بجوابه ، وقد كانت اللجنة فى سنة منتخبة فى هذا الحاكى ومن سيدى البشير بن ابى بكر الآغوديدى ومن سيدى احمد بن محمد اليزيدى ، قال فذهبنا الى موسم (اربعاء اودرار) من (رسموكة) فتقابلنا حينا مـع طلبـة (ازاريف) وعلى رياستهم سيدى الحسن بن محمد - الفقيه الشهير بعد ذلك -

فقلنا لهم بيتا ، فاجابونا بجواب غير مطابق ، فقلنا لهم على لسان سيدى احمد ابن محمد اليزيدى

اذا قلت شعرا فالتمس لموافق ببحر وبالمعنى ولا تتضخضخ

ومقصوده بالتضخضخ التنكيت باستثقال الكلمة وحوشيتها ، ثم ارتج عليهم ، فقلنا لهم ـ وانا هو القائل ـ :

اجيبوا او اتركوا الجواب فانما تناضل ابناء العلوم التجاوب

وهكذا يقضون ايام تلك الاجتماعات ، بقراءة ارباع القرآن ، يتخللها الشعر هكذا بتلحين خاص ، يعليه القائلون بكل ما فيهم من جهارة صوت ، بغنة خاصة ، وبصوت واحد ، يتداولون ذلك طائفة فطائفة ، طائفة من كل مدرسة، وقد تدور النوبة على الطوائف الحاضرة ، التى قد تكون اكثر من عشرين ، خصوصا فى المواسم الكبرى ، كموسم (تازروالت) وقد يكثر شعراء يقولون الشعر بانفسهم فيتركون المحفوظات ، فيتخابطون بابيات هى بنت وقتها ، وقد كان قبل هذا الوقت يتصدر ابن مسعود البونعمانين ، والمحفوظ الادوزيين وبعض النخباء الصوابيين ، وامثالهم من طلبة المدارس المشهورة اذ ذاك ، وقد يتلاغزون على قلة ذلك فيما بينهم ، وقد حكى المترجم انهم كانوا مرة فى معروف ـ حفلة ـ (اسيف مقورن) مع طلبة (تاهالا) فابتدا هؤلاء بقول شاعر منهم :

فان اهيل الحصن لا علم عندهم بجيده الا كعلم الاباعر

واهل الحصن هم اهل (دوكادير) الالغيون ، فاجاب الالغيون بقول شاعرهم سيدى احمد اليزيدى ملغزا :

الا أيها الارغى زن لى كليمة وها هى (اداريتم) ان دريتم

ويقول المترجم :

نسائلكم بجيلكم ان تبينوا بنطق الاصول والزوائد فاعلموا

(يعنى بينوا وزن اداريتم واصوله من زائده) فعجز طلبة (تاهالا) عن الجواب ، فغلبوا ، فزادهم سيدى جامع المجاطى قوله :

وانتم بحمد الله اجدر قائل بتصحيح موزون وما الغير يعلم

وقد يقع فى هذه المجتمعات على من يسقطون فى قراءة ربع من ارباع الاحزاب تصفيق وتعيير ، وصراخات من الطوائف الاخرى ، وقد ينقلب ذلك الى تضارب غريب .

وقد وقع مرة فى (تاراسواط) ان وقعت بينهم وبين التاهاليين مهاجاة ، فقال هؤلاء البيت المشهور :

وكنت ارى زيدا كما قيل سيدا اذا انه عبد القفا واللهازم

فاجاب الالغيون بالبيتين المشهورين :

ايـا من رمانا بالبراعة واختـفى ... ولم يتعـرض للقنـا والصوارم
هلم الى الميدان ان كنت صادقـا ... ليعـلم من عبد القفـا واللهـازم

ثم اجابهم التاهاليون ببيت آخر نسيه الحاكى ، فاجابهم الاليغون بقولهم :

لئن ضمنا عند التنـازع مجلس ... سقيناك كاس السم لا شك ناقعا

ثم ابتدأ التاهاليون ربع (لكن الله يشهد) من حزب (لا يحب) فاذا بهم سقطوا، فتصايح بهم الالغيون والحاضرون ، ثم تجاوزوا ذلك الى الترامى عليهم ضربا ففروا ولم يبيتوا هناك بعد .

قال : وذهبنا مرة الى موسم فى (رسموكة) فبتنا فى (ايـت القاسم) بـ (بعقيلة) فتلاقينا هناك مع طلبة مدرسة (اكفى) ومعهم الحاج الاحسن البعقيلى الذى كان قطب التيجانية بعد فى (البيضاء) وهو اذ ذاك ياخذ هناك ، فتوافق الفريقان على العادة قرآنا بقرآن ، وشعرا بشعر ، فقالوا بيت الحطيئة :

ابت شفتـاى اليـوم الا تكلمـا ... بهجو فلا ادرى لمـن انـا قائـله

فاجابهم الالغيون بقول الشافعى

فمن رام تقويـمى فانى مـقـوم ... ومـن رام تعويـجى فانى معـوج

وقد كان مع الاكفيين سيدى احمد بن الحاج البعقيلى من (أسيف أودرار) وكان مولعا بالالغاز ، فبادر بلغز فاجابه الالغيون بمثله ، فى قولهم :

الفدنى فريد العصر ما جمع سالم ... اتى لمـذكـر وبالـيـاء يـرفـع

فلما عجزوا عن الجواب قال لهم الالغيون الجواب المشهور :

وفى سالم الذكور حالة رفـعـه ... مضافـا الى يـاء فبالياء يـرفـع

ثم مال الجميع الى التصالح ، فقال الالغيون :

ومـا حسن فى العذر الا قبوله ... اتى ذاك عن خير الورى سيد البشر

ثم انقطع التجاذب بين الفريقين .

وفى موسم فى (تازروالت) قال الالغيون للازاريفيين فى معرض الالغاز :

الا أيها الشبى ان كنت بارعـا ... وكنت لاقـوال العـلوم تفصل
فما الفرق فى تفسير ميت وميت ... فنحن لذا التفصيل منك نعـول

فاجـابـوا

فمن كان ذا روح فسمـه ميتـا ... ومـا الميت الا من الى القبر يحمل

● ❁ ❁

هذه صفحة من صفحات ذلك العصر بين المدارس فى المواسم ، وقـد كانت من اواخر الماضى عصر سيدى على بن عبد الله الالغى وابـن مسعود ،

وسيدى المحفوظ الادوزى ، يوم كانا تلميذين ، فكانا يتقارضان على هذا المنوال

قال المترجم : هذه سيرة المدرسة (الالغية) من 1317 هـ. الى 1330 هـ. يوم فارقتها ، وقد كان عدد النجباء فى الطبقة العليا احد عشر

1 ـ الحاكى
2 ـ محمد بن على التاكانتى
3 ـ عمر بن على اخوه
4 ـ البشير بن ابى بكر الاغوديدى
5 ـ جامع الاصليتنى المجاطى
6 ـ محمد بن الحسين بوكرع البعمرانى
7 ـ عبد الله بن مسعود التيييوتى الالغى
8 ـ احمد بن محمد اليزيدى
9 ـ ابن الحسن اليزيدى الكبير
10 ـ محمد بن عدى البعمرانى السيمورى
11 ـ موسى بن الطيب الالغى

هؤلاء فى طبقة واحدة فى المختصر والتلخيص والسلم وجمع الجوامع وامثالها والطبقة التالية الشادية فيها :

1 محمد بن عابد اليزيدى
2 ـ محمد بن الحاج احمد اليزيدى ،
3 ـ عبد الله بن ابرهيم الالغى
4 ـ محمد بن بلقاسم التملى الاعسرى
5 ـ محمد التملى
6 ـ على بن عبد الله البعقيلى
7 ـ احمد الاهرييى التاجارمونتى
8 ـ محمد بن بلقاسم التاجارمونتى
9 ـ محمد بن مبارك الوفقاوى
10 ـ ابراهيم القاسمى البعقيلى
11 ـ الحسن بن عبد الرحمان الاعرج
12 ـ الحسن بن الحنفى الحضيكى
13 ـ محمد التيقى السملالى
14 ـ محمد بن ابرهيم الاخصاصى ، ولم يبطىء ، وليس بالاخصاص الالغى .
15 ـ الحسن بن احمد الاخصاصى
16 ـ محمد بن على الاستاذ الالغى
17 ـ الحاج احمد الضارضورى
18 ـ الحاج الاحسن البعقيلى ولم يبطىء

والطبقة الثالثة

1 ـ البشير بن الطيب الالغى
2 ـ المدنى ابن الاستاذ الالغى
3 ـ صالح بن احمد الالغى
4 ـ علي الافقيرى الالغى
5 ـ احمد بن الحسين الاعضيائى
6 ـ محمد بن بومليك الايزربيبى
7 ـ محمد بن اليزيد الوفقاوى التافكاغتى
8 ـ يحيا الاكمارى من ادبو الشهباء
9 ـ احمد بن صالح الشاكوكى الافرانى
10 ـ محمد بن مبارك أولموش
11 ـ اليزيد التاغجيجتى
12 ـ محمد بن احمد الصالحى الالغى
13 ـ محمد بن احمد الوارحمانى
14 ـ عابد الوارحمانى
15 ـ المحفوظ بن الهاشم الايغشانى

قال : وهناك آخرون هم لهؤلاء كالنخالة للدقيق ، وقد كنا (47) غالبهم نجباء وهم الثابتون المثابرون الصابرون على لاواء (الغ) وعلى شدة ضنكه ، وصبارة برده ، والذين لم يبطئوا هناك اما من هذه الشدة ، واما لكونهم بلداء ، كسيدى محمد ابن ابراهيم الاخصاصى ، فانه لازم سيدى الحسين بيبيس حتى ظن انه استفاد كثيرا ، ولكنه لما ورد الى المدرسة آنس ان فيها من لا يدركهم نجابة فلم يالف لذلك كثيرا فى المدرسة ، فغادرها ، وكذلك آخرون

ومن اغرب من التحق بالمدرسة هناك غريب زعم انه من الجزائر ، حليق الذقن اشقر ، فتقبل على انه يريد التعلم ، فاعانه الاستاذ بجبة وسلهام ، فيعتكف فى بيته وحده ، ولم يحفظ القرآن ، وتظهر عليه لوائح الخوف ، حتى لفت اليه الانظار بسبب ذلك ، فتسلل يوما من المدرسة برفيق من الاستاذ الى (املن) فخفى عن الاعين ، ويقال انه هو الذى اتصل بالحاج احمد الفارضورى التاغجيجتى وقد عرفه فى المدرسة ، فاخذ بضبعه ، فوصل بينه وبين حكومة الاحتلال ، وقد تبين انه جاسوس اجنبى ، اقول ، حكى لى الفقير المتجرد محمد بن المنصور الاوريرى انه حين كان عاملا من العملة بعد 1338 هـ. فى (الجديدة) وافق يوما اوربيا يتقن الشلحة ، فظلت المحادثة بينهما ، حتى قال له الاوربى انني كنت فى مدرسة (الغ) وانا متستر ، ولا استلفت نظر احد ، حتى الاستاذ لا يظن بى شيئا ، الا ان شيخكم سيدى الحاج علي كان كلما لاقاني يمد فى بصره مدا عجيبا ، ويحملق فى الى أن اغيب عنه ، وفى كل وقت اقول : انه سينبه علي ، لانه بلا ريب ادرك بالمعيته من انا ، ولكنه

سترني ، ولو كشف للناس عني لرجموني ، ولا ازال اشكر له ذلك ـ ولعل ذلك الطالب هو هذا الاوربي والله اعلم ـ

قال : كان الاستاذ سيدى علي بن عبد الله كثيرا ما يبكر الى المدرسة قبل الفجر ، وفي يوم وجدنا اسرنا الذى سرق هرى المدرسة ليلا وجلدناه هو واعوانه ، بعدما حرسنا على من يسرق من الهرى حتى وقعنا عليه ، فحين وجد الفقيه السارقين صار يكرر : لا حول ولا قوة الا بالله ، ثم اكتفى من الطلبة بالجلد ، فاطلقوا وقد ادوا الغرامات التي جعلت على كل من انتهك حرمة المدرسة ، واما الذى اشترى المسروق ـ وهو أوصاص كما تقدم ـ فان ماله قد بيع ، فادى منه ثمن المسروق ، بله الغرامات التي جعلتها قبائل مجاط وبعقيلة وحربيل على من اجترح شيئـا في حرم زاويـة (دوكاوير) قال صاحبت مرة الاستاذ والشيخ سيدى الحاج علي ، والفقيه ابـا القاسم التاجارمونتي الى (تامانارت) والاستاذ والشيخ والفقيه على بغالهم ، وانا على رمكة لي ، فمررنا باعرابي ينقر الصلاة نقرا ، فامسك الشيخ اللجام حتى اتم الاعرابي الصلاة ، فعلمه كيف يصلي برفق ، على عادته مع كل من لاقاه من النصيحة والتعليم (اقول) قد وقع للمترجم انه زار استاذه علي بن عبد الله ، فتعرض له مجاطيون ، فجرحوا فرسه ، فرجـع الى دار الاستاذ ، فدوويت الفرس ، فلما جاء الاستاذ من سفر كان فيه قال له بادىء ذى بدء ان مصانع الخير تقي صاحبها مصارع السوء ، قال : وكنت مرة مشارطا في مسجد من مسجد (ايشوكاك) نصف عام ، ثم رجعت الى المدرسة فابـى بعض اصحاب المسجد ان يؤدوا لي ما عليهم من نصيب الشرط ، فاغرت على غنم لهم ، فسقت منها رؤوسا حتى ادوا لي ما عليهم فرددتها اليهم .

من منشداته

وانشد للاستاذ سيدى الطاهر بن محمد الافراني

واحســن اعــداد الندامى ثـلاثـة — الى الخمس وانف الزيد عنه اذا ظهر
ومـا ان ترى مثل الكبـاب مفرقـا — يـدا لـيـد ممـن بمجلســه حضر
وتقـديـم طـاجـن عليـه موكـد — وان عز فانظر سمن افضل مـا بقر

وانشد ايضا لبعض القدماء

ارى الناس في الدنيا كراع تنكرت — مراعيه لـم يظهـر لعيـنـه مرتـع
فماء بـلا مرعى ومـرعى بغـير مـا — وحيـث تـرى مـاء ومرعى فمسبع

هذا ما تيسر في ترجمة هذا الاستاذ الحول القلب المقدام ، اكتب عنه هذا وهو يراىء بعينيه امامي من غير ان يبصر بهما ما اتهلل بـه حـين يفيض علي بما يشاركني فيه القارىء الكريم

وللطلبة الالغيين حكايات عنه يحكونها تندرا ، وربما لفقوا عنه حكاية ، كما يلفق الناس عن جحا ، وماذاك الا لكونه ابا غرائب وعجائب وهو جرىء لا يخاف ، ولا يزال حيا الآن مختتم رجب الفرد 1381 هـ. وله ولـد انخرط أولا في الجندية ، ثم في الشرطة ، وفقه الله .

سيدى محمد بن احمد السلامى التاغونيتى

نحو 1306 هـ = بعد 1345 هـ

نسبه

محمد بن احمد بن مبارك بن خليفة .
من فخذ (بنى افردوا) القاطنين فى قرية (تاغونيت) لازم شيخنا سيدى الطاهر ابن محمد كثيرا فى مدرسة (تانكرت) ثم التحق بالمدرسة (الالغية) فلم يبطىء فيها ، ثم رجع الى سيدى الطاهر ، لأنه لا يطيق مشقة (الغ) ولا صبارة قره ، ولا ضيق معاشه ، ولا اخلاق الالغيين ، فلازمه أيضا حتى تخرج . فرجع الى أهله ثم شارط فى مسقط راسه سنين ، حتى مات وهو لا يزال شابا
قال ابن عمه سيدى محمد بن الحسين السلامى التاكانتى المتقدم قبله ، اننى عاشرته . فهو وسط فى كل معلوماته . مع مشاركته فى النحو والفقه واللغة ، مع سهولة أخلاق . ولطف شمائل . وكرم بذات اليد ، يالف ويولف رحمه الله .

منشداته

ذكر بعضهم انه حفظ منه يوما

لجلسة مع أديب فى مذاكرة	أحلى الى من الدنيا وما فيها

وحفظ منه أيضا

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد	ذخرا يكون كصالح الاعمال

وحفظ منه أيضا

هى الدنيا تقول بملء فيها	حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركم منى ابتسام	فقولى مضحك والفعل مبك

وحدث آخر انه حفظ منه هذه الابيات فقط من القصيدة المعلومة

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه	فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها	فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا انا قليل عديدنا	فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا	شباب تسامى للعلا وكهو

ولا يخفى ان الابيات من لامية السمو أل المشهورة ، وتسمى جرومية الادباء .

محمد بن على التاكانتى

نحو 1304 هـ. = 6 ـ 3 ـ 1379 هـ.

نسبه

محمد بن على بن مبارك بن الحسين بن على
من فخذ (اد على) من (أيت بوفولن) الفريق المشهور من قبيلة (الاخصاص) ولم نعرف علما قبله فى فخذه .

متعلمه

اخذ القرآن عن الاستاذ احمد بن هادا الاخصاصى الايدغازالى ، وقد كان يشارط فى المساجد ويعلم القرآن بهمة وكان يتقن بعض القراءات زيادة على قراءة ورش كقالون والبصرى والمكى ولعله أخذ عن احمد أنجار او عن آخر من طبقته ، توفى نحو 1346 هـ. وكان أخذه عنه فى مسجد (تاكانت) قريته ، وفى مساجد اخرى يسافر معه اليها

واما مشيخته فى العلوم فقد اخذ أولا عن العلامة مبارك بن مسعود البعقيلى يوم شارط فى (بوزاكارن) ثم انتقل عنه الى (الغ) حيث مكث حتى نال ما نال على يد الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، والاستاذ على بن عبد الله ، وقد كان عاصر هناك ابن عمه المقدم السلامى وقد فارق (الغ) حوالى 1327 هـ. او بعد ذلك بقليل

مشارطاته واعماله

بعد أن تخرج جاء الى دار أهله ، فشارط حينا فى مسجد قريته ، ثم كان موثقا يحرر للناس عقودهم ، لما لهم فيه من الثقة ، ولم يكن يتعاطى الافتاء ولا فض النوازل ، لأن هناك ازاءه فقهاء أعلى منه شأنا فلم يعد أن يقرأ للناس عقودهم ، ولم يبطىء فى ذلك ثم كان يسعى فى معيشته بالفلاحة ويحترف الى ان أسن ثم فلج فى الجانب الايسر ، فبقى كذلك عامين وشهرين الى ان توفى يوم الجمعة سادس ربيع الاول 1379 هـ.

همته واولاده

قال واصفه ان له عزيمة نافذة وهمة عليا واكبابا على الحفظ ، وله خزانة كتب صغيرة جمعها من كديده وله ولدان احمد والحسن حفظ اولهما القرآن .

محمد بن عبد الله اوبلوش

(1301 هـ. = 1343 هـ)

نسبه

محمد بن عبد الله بن يعزى بن مبارك ، وينتهى نسبهم الى سيدى على بوجمعة ، وهو شريف من اخوة الوزانيين كآل مولاى احمد الشيخ الوادنونى وكالبوشواريين ، وقد اخبرنى سيدى ماء العينين القاطن الآن فى (بوزاكارن) انه راى مشجر بعض (آل او بالوش) هؤلاء ومعه ظهير لبعض السلاطين تضمن تنفيذ بعض الايدغازاليين ليخدموا زاويته ، وهؤلاء من ابناء عمومة مولاى احمد الدرقاوى الشهير ، وابوه عبد الله ملقب ببلوش ، صحفوا لفظة عبد الله الى ذلك تصحيفا عجيبا ، فقد اعتادوا ان يصحفوا عبد الله الى (بلا) فزادوا الشين ، فقالوا بالوش

مآخذه

اخذ القرآن عن الاستاذ الحسن بن الحسين الايدغزالى فى قرية (وفقا) من (اد غزال) ثم انه افتتح المتون فى محل لا نعرفه ، ثم الى المدرسة الايغشانية عند استاذنا سيدى عبد الله بن محمد الالغى ، وقد كان معنا هناك 1331 هـ. ثم بعد ذلك انتقل الى المدرسة (الالغية) فاخذ عن الاستاذين ابى الحسن والتاجارمونتى . بل كان ايضا عندهما قبل ان يلتحق بسيدى عبد الله .

جملة من اخباره

شارط فى مدرسة (ادغزال) سنتين ، فكان يجول فى النوازل ، وكان ذا جراة لا ترده العقبات ، ولا تفتر عزماته الازمات ، ثم بعد ذلك انتشبت خصومة بينه وبين احد ابناء عمومته ، بسبب زوجه مع رجل ، حاكت يد الشيطان فيها ما هو عادتها ، فقد اسرت اليه ان المذكور راودها عن نفسها ، فملكته الغيرة ، فوغل عليه وهو مضطجع بقدوم ، فشدخ راسه ، فهرب الى (تالعينت) عند القائد عياد ، فبقى هناك عند الفقيه محمد بن احمد الايكرارى، وقد زاول عنده بعض دروس ، وكان يتسرب ليلا احيانا الى داره ، وربما طرقها نهارا ، وربما مر بارباب الدم ثم لا يبالى لشجاعته ولم يزل على ذلك حتى سقط بمرض فى داره ، فمات حتف انفه ، فلا نامت اعين الجبناء .

بعض آثاره

له رسائل حسنة ، يلم فيها بادبيات ، وقد وقفت على مراسلة بينه وبين الاديب الحسين التالعينتى ، ونصها من الحسين اليه :

(الفقيه الذى تدانت له فروع العلم واصوله ، ومضت فى يديه ظباه ونصوله ، ابو عبد الله سيدى محمد أوبلاوش الايدغازالى الشريف الاجل المبجل ، الذى اليه شوق وصله لا يوجل ، سلام احلى من ماء التسنيم ، وارق من النسيم ، على الروض الوسيم ، على مقامك الكريم ، وقدرك الجسيم .

(وبعد) فكيف غادرتنى ذلك النهار بلا جواب ، ومتى كانَ يعد من الصواب ، وانا اليوم على الاياب ، الى مكان اولئك الاحباب ، فاكتب الى باحوالك كلها ، وتنكب عن بعضها الى كلها ، والسلام)

الجــواب

(سلام من المشوق الى لقياك ، والنظر الى محياك ، فحياك الله وبياك ، ايها الاديب الفقيه ، النحرير النبيه ، سيدى الحسين ، الذى هو قرة العين .

(وبعد) فماذا اقول لك ، فاننى هنا فى قفص ، لا اجد من قنص ، ولا مناص لى عن اظهار خلاف ما اكن ، ولا يعلم الا الله مقدار حـب فى فؤادى كذلك الجبل مستكن ، فالكيس لا درهم فيه ولا دينار ، فكيف يمكن ممن شغفت به المزار ، وقديما قيل :

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه ان الدراهم تدنى كل انسان

ولعلك تظفر بما لم اظفر به فى هذا المقام ، فسر بنا معا الى الامام ، واعذرنى فيما تكلفته والسلام)

ومداركه على كل حال وسطى ، وان كان معاريفه من اهل (تالعينت) يعلون من رقم معارفه اكثر مما يقوله الالغيون ، على عـادة الالغيين الذين لا يعدون المحصل عندهم حتى يكون فى الفقه خليل بن اسحق ، وفى النحو خليل ابن احمد ، وفى اللغة الفيروزابادى ، مما هو فوق جهد المتوسطين من امثال المترجم .

ومكلف الايـام ضد طباعها متطلب فى المـاء جذوة نـار



عمر بن عبد الله اوبالوش

(نحو 1310 هـ = 1359 هـ)

نسبه

عمر بن عبد الله بن يعزى بن مبارك ، وهو اخو المذكور قبله ، وشقيقه لابيه وامه .

بعض اخباره

اخذ القرآن عن استاذ اخيه المذكور قبله ، ثم اتصل بالمدرسة (الالغية) فاخذ عن ابى الحسن والتاجارمونتى ، وقد لبث هناك ما شاء الله ، شارط حينا فى مسجد (وفقا) من (ادغزال) ، مكث هناك سنتين ، وهو دون اخيه فى مشاركته ، وان كان هو ايضا نجيبا ، وكان يحفظ كثيرا من الادبيات ، ومن منشداته على ما حكى لى بعض معاشريه :

اذا لم يكن فى الود سخط ولا رضا ... فاين حلاوات الرسائل والكتب

اذا المرء اعيته المروءة ناشئا ... فمطلبها كهلا عليه شديد

الناس مشتبهون فى ايرادهم ... وتفاوت الاقوام فى الاصدار

هو الحب فاسلم بالحشاما الهوى سهل ... فما اختاره مضنى به وله عقل

لم فى الهوى العذرى او لا تلم ... فاللوم لا يدخل اسماعى
شانك تعنيفى وشانى الهوى ... كل امرىء فى شانه ساعى

ارى حللا تصان على اناس ... واعراضا تذال ولا تصان
يقولون الزمان به فساد ... وهم فسدوا وما فسد الزمان

كل له غرض يسعى ليدركه ... والحر يجعل ادراك العلا غرضه

هكذا يفوح بادبيات على عادة من يمرون بـ (الغ) فمن لم يستطع ان يصوغ يستطيع ان يحفظ ثم ينشد ، رحمه الله .

سيدي مبارك الايكيسلي

نحو 5 12 هـ = 21 ـ 2 ـ 1358 هـ

نسبه

مبارك بن الحسن بن عبد الرحمن بن بلقاسم بن مبارك بن عبلا بن ابرهيم بن عبلا . وينتهي النسب الى الشيخ يعزى ويهدى دفين زاوية (اسا) ومن اولاده علماء وصلحاء نتتبع من نعرفه منهم بعد ان نذكر جد الاسرة .

يعزى ويهدى ـ بفتح الدال

هو الشيخ الكبير الشهير ، ولا نعلم عن حياته الا ما في هاتين الوثيقتين، الاولى التي هي مختصرة من مذكرات حياته ، وهذا المختصر مبتور كما ستراه والثانية رسالة خاصة بهؤلاء ، فهاك الجميع

الوثيقة الاولى

(الحمد لله الذى قضي وقدر ، وحكم ودبر ، واخفى واظهر ، احمده واشكره ، واستعينه واستغفره ، واؤمن به فلا اكبر منه ، واصلى على نبيه وعبده ، ومظهر حبه ووده ، محمد نبيه الكريم ، وعلى آله واصحابه من بعده .

(وبعد) فاني اذكر جملة من اخبار الرحلة التي وقعت في سالف العمر ، مما جرى ووقع لابائنا وآباء آبائنا الاقدمين وغيرهم من تلاميذهم ، وما كان في عصرهم ، من الملوك والامراء الذين جاهدوا ورابطوا بالنفوس على عزة (1) من يرى تقلبها وشواهدها ، وذكر ما عرض فيها ولها وفيها ، من غرائب الامر في النفع والضر ، لان ذلك يزيد في الايمان ، وينقل من التقليد الى الايقان ، والله الموفق للحق ، وهو المستعان ، ثم اقول ، وفقنا الله واياك : ان خروجنا من العدم الى الوجود ، كان في اول سنة ستة واربعين وستمائة ، كان ذلك عند طلوع الشمس يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر الله الحرام ، فما اتى على السابع الا وانا بعين الله سبحانه ، لا مستند لي سواه ، وبالله التوفيق .

---

(1) كذا في هذه الكلمة ، وليعرف القارىء من هنا ان المقصود بآل يعزى ويهدى هم اجداده لا اولاده الآتون وسنحتاج الى هذا فيما يأتي من البحث عن المقصود بهم .

(فصل) فى وفاة الوالد رحمه الله ورضى عنه ، اوصى بثلث متخلفه للمؤذنين - وجعل ام ابى وصية على ، وكانت جدتى للام فقيهة صالحة ، فقالت لبنتها المذكورة ، لو أوصيت بثلث ينفق على هذا الولد ، واوصيت امك على الباقى فهى مسرفة لا تبقى على شىء ، فقد تركت الصغير يموت جوعا وعطشا فقال انا اعرف بما اصنع ، فاما وصيتى بالثلث فهذا المال ميراث ، انى لم اغير فيه شيئا ، قدمت منه ما اوصيت به لموضع انا احوج اليه من الولد وغيره . فبنيت به بيتا فى الجنة ، واوصيت امى بالباقى لاخرج من الدنيا وهى راضية عنى ، لانى ان اوصيت غيرها فلا ترضى عنى ، وولدى هذا توكلت فيه على الله - ثم قال يا ولدى استودعك الله . او قال انت فى ودائع الله ، ثم توفى رحمه الله ، وكان قد سمانى على اسمه محمد ، فلما توفى اختلفت جدتى فى تسميتى ، فتمسكت امه بتسميته ، وصارت تدعونى محمدا ، وكذلك غيرها من الاهل ، ونقلتنى أم أمى الى اسمى ، فكانت هى ومن والاها تسمينى ابا يعزى ، ثم غلب على هذا الاسم ، لجريان تسميتها لى على الغلبة ، (الثانى) انها كانت محسنة فى حقى ، والقلوب مجبولة على حب من احسن اليها ، (الثالث) انى لما كبرت آثرت هذا الاسم لوجوه ثلاثة احدها ان هذا الاسم لم تغيره ألسنة العامة ، بخلاف غيره ، الثانى ، اخترت الاسم الذى سمانى والدى على اسمه هو ، لانه الاسم الذى اختص به النبى صلى الله عليه وسلم ، كما جاء عنه بالبشارة ، اذ قال تعالى (محمد رسول الله ، والذين معه) ولذلك قيل انه لم يسم به احد قبله ، الثالث ، انه محبوب بالذات ، واقع فى نفسى موقعا جميلا ، ومن بورك له فى شىء فليلازمه ، وانما اشرنا بالتغيير فى ألسنة العامة ، لانهم يقولون محمد بالسكون او بالفتح او بضم سواهم اوله . ويستعظمون ذكره على وجهه للمواطاة فيه ، وقد انفعل النبى صلى الله عليه وسلم لتغيير تسميته اذ قال ان الله صرف عنى أذى قريش وسبهم ، يسبون ويشتمون مذمما ، وانا محمد ، وانما جاء اسمى على الاسم واللقب ، فاسمى ابو يعزى ويهدى ، جاء من رؤيا الجد العالى الامير المنصور ، رحمهم الله ، واكتسب ذلك من امه ، وذكر خبرها كما سيأتى فى هذا الكتاب ان شاء الله ، وكان من ذوى شرفين شرف النسب ، وشرف المروءة ، اى شرف المروءة انما هو فى سلامة دينه وخلقه ومروءته ، والشرف الحسبى التقوى ، لقوله عليه الصلاة والسلام لا اشرف اكبر من التقوى ، لقوله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم)

(فصل) فى فضائله رضى الله وذكر رحمه الله قال وقعت فى هذه المدة وقبلها مبشرات ، ودلائل خير ، ان شاء الله (منها) ان جدتى للاب رأت فى منامها وامى حامل ، كانها اعطيت لوحا من ذهب مكتوبا ، فاخبرت المعبر ، فقال ان كنت حاملا فولدك عالم ، فقالت وقفت على الولادة ، وحكى عن امه انها كانت رات كانها تنظر الى البحر ، حتى غرقت فيه ، واخذنى البحر ، وكان البحر اخذنى ، فقيل لها العلم ليستغرقنه (ومنها) ان امه كانت بين سنة ويقظة ، وفقدته ، ولم يوجد فى موضعه ، ثم طلبته فوجدته ، والخبر

سياتى ان شاء الله ، والله اعلم ، ثم لما بلغت ثلاث سنين حدثتهم جدتى للام انى ظهر فى من التمييز امر غريب ، كالاستدلال على التوحيد ، وقبول ما تلقيته من ذكر المعجزات واخبار الصالحين ، فكانت تربينى بتعلم ذلك ، والقائه الى ثم القتنى الى المكتب ، وانا ابن خمس سنين ، ولازمته ، ولم اهرب منه يوما واحدا ، ولا عجزت عن حفظ لوحى ، ولو فى حالة واحدة ، وظهر من الصلاح هداية كبيرة ، فكانت الجدة تمشينى على ذلك على حسب امكانها ، فتعلمنى الطهارة والصلاة وتدلنى على تقوى الله سبحانه ، وتلقننى ذكر سهل بن عبد الله ، اذ قيل له قل فى صباح كل يوم ومسائه (الله معى ، الله حافظى ، الله شاهدى ، الله ناظر الى) من قالها لا يعصى الله فمنع من المعصية ، وكان ذلك حفظا له ، رحمة الله عليه ، فلم تزل تعاهدنى بهذا وامثاله مدة صغرى ، وتذكرنى بحكاية اهل الصلاح ، وتعلمنى اليقين والايمان ، وتعمل فى ذلك بما يكون فى قلبى وما يدلنى على الله ، وينفرنى من الاعتماد على غـير الله (ومن ذلك) انها كانت مدة مديدة تعطينى حلاوة وطعاما طيبا حتى كنت لا اعرف الوالدة قط ، من احسانها الى ، فالله تعالى يقبل منها فاذا جيئت اليها وطلبت غدائى قالت لماذا طلبتنى ، فانما الرزق من عند الله ، فاطلب مولاك الكريم عساه يفتح لك ، فتمد يديها ، وامد يدى معها بالدعاء ساعة ، ثم تقول انما يكون رزق الله فى الركون الى الله تعلى ، ففتشه من الاركان ، فنقوم فنفتش فاقع عليه هناك ، فتقول يا ولدى أرايت مولاك كيف يرزقك ويعطيك ، ويحصل لى من الفرح بالله ما يملأ قلبى ، ويغمر وجودى ، فتكرر ذلك على مرارا ليثبت فى قلبى ، فكان ذلك مقدمة لثلاثة امور ، اليأس من الخلق ، والرجاء فى الله ، ولزوم التوكل على الله سبحانه ، وكان ذلك منى كانه جبل راسخ . والحمد لله وبه التوفيق

(فصل) فى زمن التفريط والخذلان وينبغى للعاقل ان يحترز بنفسه ويجهدها على تقوى الله ، ثم قال رضى الله عنه ، بلغت سن اليافعة ، وهو العشر سنين فما فوقها ، ووجدت منى ثلاثة أشياء التشوف الى الشهوات والتراخي فى العبادات ، والالفتات الى المخالطات ، فاحتجت من ذلك الى ثلاثة أمور ، منهض للعبادة بقدرة الغفلة ، ومعـين على التصون فى الاغماض فى الافعال والاقوال العادية . وصارم عن الخلطة فى الجملة ، الا من الخلطة بنسبة دينية واستراحة فى الامور ، فعاونتنى امى على ذلك ، وهذه هى الاولى .

(فصل) الثانية فيما ظهر من الحكمة الربانية ، وبالله تعالى التوفيق على ذلك ، وذلك انى طالما اراد الله تعالى ان يفتح علينا بها انه هو الرؤوف الرحيم ، فالحمد الله على موافقة فتحية ، لما كان بعد ايام كثيرة عما ذكر اعلاه اخذت فى الضحك مع اصحاب لى ، فجمعت ثلاثة احاريم (1) وعملت بهـا عمامـة واحدة . كما يفعل المشارقة ، ثم دخلت بها المسجد ، وذلك عند ضحى يوم

---

(1) ثياب يغطى بها الراس ولا تزال اللفظة بهذا المعنى فى اللغة الدارجة

الجمعة ، فاذا انا بأناس جلوس ، معهم رجل احمر اللون ، ادعج العينين ، حسن الهيئة والقد ، عليه جبة على طرفها حلقة من الحمرة ، فدعاني فجيئته على استحياء ، وقعدت بين يديه متأدبا ، وذلك من الله لا بقصد مني ، فدعاني وقال لي : كذلك تكون ان شاء الله ، وذكر ان الفقهاء يتجملون بذلك قديما ، ثم قال لي : الله تعلى يتوجك ، او ما في معنى ذلك ، وأنسني تانيسا حسنا ، فما كان سواد تلك الليلة وبياض ذلك النهار ، الا وقد فتح الله على بتوبة ارجو منه قبولها ، والفتح بمثلها عاجلا في عافية ، ولما كانت ليلة السبت الموالية لتاريخه بت مع جماعة طلبة وغيرهم ، لما يعتاده الطلبة وغيرهم من الضحك والفرح وغيره ، مما لا يكره ولا يحرم ، فقال قائل فلنذكر كما يفعل الفقراء ، قصدوا بذلك محاكاتهم ، قصد الاستخفاف بهم ، فما كان الا أن ذكروا ، فكانما سرى سر ذكرهم لقلبي حقيقة لا شعور لي به قبل ، وكنت اولا لا اعلم ما الفقر ولا الفقير ، فبالله تعالى ما اصبحت يومي ذلك حتى عزفت نفسي عن كل شيء سوى طلب الاخلاص ، اعاد الله تعالى علينا ذلك بمنه وكرمه .

(فصل التفقه) الثالثة لما اصبحت اتيت المسجد للموضع الذى اعتاد فيه اصحابي ، فلم اجد فيه احدا ، فاشتغلت بالذكر ، وكنت لا ارى الاشتغال به شيئا ، وكنت لا اصحب العباد ، وانما هو الكلام المرسوم وحده ، فأذهب الله ذلك كله من قلبي في هذه الحالة ، وجاء اصحابي لما يعتادونه مني ، فلم يعرفوا مني خردلة ، فتركوني على حالتي ، كما تركتهم على حالتهم وقد لزمني قبض تام في انشراح يسعني معه وجود العلم والتصرف على وفق همتي لا غير ، ونهضت في يومي ذلك اطلب الخلاص قائلا ، لا نجاة الا باستدراك ما فات من عمري ، فعرض لي طلب علم حالي باعتبار ما اتوجه اليه ، عالما انه لا يجوز الاقدام الا بعلم في مبادئي العمل في التوجه ، وعند ما صح عزمي على ما ذكرت من طلب علم الحال لارادة الخلاص ، وقعت بصيرتي على رجل كنت اراه كثير حركة اللسان بالذكر ملازم الكتاب ، مواظبا على الخير في ظاهر الامر ، فسألته عن كتاب ينفعني فيما اريده ، فدلني على (بداية الهداية) وكنت اعرفه قبل بالخبر ، فطلبه لي بعض الاصحاب الذين كنت معهم قبل هذا الوقت ، فجاءه رجل منهم بنسخة كتبت بخط الامام الشافعي(1) رضي الله عنه ، فاعطاني ذلك ، ثم دخلت مجلسا ممتلئا بالناس ، فجلست آخر المجلس ، فقيل لي ارتفع الى صدر المجلس يا ابا يعزى ويهدى ، فقال انا الصدر ، فاينما جلست فهو صدر المجلس فانشدت اقول بلسان الحال :

نحن الكواكب في الظلام الحندس	حيث انتهينا ثم صدر المجلس
ان يذهب الدهر الخئون بوفرنا	عنا فلم يذهب بعز الانفس

(فصل في علم الجيش وعلم الثواب (2)) ومنه تسميته ابا الجبال بكثرة العلم

(1) كـذا

(2) كـذا

والكرم والسخاء والتواضع ، لاشتهار ذلك كله عنه ، لان الله تبارك وتعالى مدح العلماء ، رضى الله عنهم ، كما اثنى على نفسه بقوله (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط) وبقوله تعالى (ومن آيته الجوارى فى البحر كالاعلام اى كالجبال) وهى (الرابعة) فيما ذكره رضى الله فى اخباره عنه وعن اشياخه ، كان محمد السراج وغيره من الفضلاء يحكى عنه من اخبار القدماء والامراء قبلنا والخلائف المتولين للامر من الملوك ، واهل الشأن المعلومين ، وكذا ما حكوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وكذا خبر سلفه رضى الله عنه من جد الى جد الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، ومستقرهم فى الارض ، وما جرى ووقع فى احوالهم المرضية ، وكل ما ذكر فى بلده من اخبار الصالحين ومجدهم وتقدمهم فى الفضل والصلاح . وكل ما صنع فيه هو واجداده ـ وبلده يسمى (أسا) واخبر فيما سيأتى ان شاء الله رواية انه رئيس زاوية (اسا) عمر الله بذكره وتقواه حرمها ، وذلك ما يرويه عن أشياخه ، فهو محسن بدلائل القطع بحيث لا يصيبنا فيها ولا وهم ، وسيأتى فيه جدول فيه تصوير لحركاتهم وغير ذلك من الامور المقدمة الازلية ، والمحادثات بعد البحث وللملوك المثبتات قدرهم (1)

(فصل) فيه تنبيه على اخبار رياسته رضى الله عنه ، روى انه رئيس اهل الله فى البقعة المباركة المشرقة بنور العرفان المشار لها فى المستدبر والمستقبل بالاختيار له فيها من الله لا من تلقاء نفسه ، لا يخاف فيها ما وراءه وعن اشياخنا فى افراطه لما ظهرهن من الترغيب والتمييز اللائق به بكل حال، (2) نسأل الله السلامة من الزيغ ، وحظوظ النفس والشيطان ، وكان يقول فى دعائه رضى الله عنه (اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ، ولا تردنا على اعقابنا بعد ان هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ، ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما اللهم لك الحمد على ما قضيت ، تباركت وتعاليت ، لا منجى ولا ملجأ منك الا اليك ، يا متابع النعم ، ياكريم العطايا) ويقول (الحمد لله ، اللهم لك الحمد بكل شىء تحب ان تحمد به ، على كل شىء تحب ان تحمد عليه ، اللهم لك الشكر بكل شىء تحب ان تشكر عليه ، حمدا وشكرا دائمين بدوامك عدد ما علمت ، وعدد كلماتك ، واضعاف اضعاف ذلك ، اللهم لك الحمد ، ولك الشكر ، على كل ذلك) وكان رضى الله عنه يكرر هذا آخر الليل مائة مرة ، ويكثر من التهليل كثيرا بحركة لسانه به وكان كثير الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويستنجد بقراءة القرآن ، ويلازم الخلوات حتى ظهر فيه حسن الاجابة ، وتخلص له تحقيق الانابة ، حتى أعلنه الله بالاعتصام بحبله ، وعصمه بالتعرض لفضله ، حتى مدت له الارض مدا ، وتوجهت له الخلائق ، ووجلت له القلوب محبة له

---

(1) هكذا هذا الفصل الذى لا يكاد القارىء يخرج منه بنتيجة تامة الا ما كان من ان آل يعزى ويهدى المقصود بهم آباؤه الاولون ، وسنحتاج الى ذلك.

(2) كذا فى النسخ التى بايدينا

واشرقت له النفوس بطاعة تحقيق الاستغاثة من الرؤوف الحنان المنان ، وكان منتجع الضعيف الطالب ، وميسرا بـه رجوع العاسف الهارب ، واجرى الله عليه احسانه على المعهود ، ومد عليه سرادق ظله الممدود ، وقد فتح الله تعالى عليه من نعمته ابوابا لا يقدر العاقل على احصائها ، لكونها فى عالم غيبه ، ولقاه بحكمه ولطفه ، وساق اليه الناس سوقـا حثيثا ، كالغيث النافـع ، واوفاهم بركة وغيثا مغيثا ، حتى عمت بركته الآفاق طولا وعرضا ، وكادت تنال ببسطة المتناول ، حتى انطق الله تعالى ارض الله ارض بلاده بالبشارة التى وعدها ، وحقق بالنظرة فيه وعدها ، واطلعت بالعمارة سعدها ، ووقعت الانوار فى كل ربوة ذات قرار ، واصلت فى الارجاس بنـور نصال البرق حقوقها بالمشاهدة ، وبالبحث عن ذلك بالسؤال للقريب والبعيد ، والخلق متباشرون فانجلت عنهم الوساوس والظن والشك ، وطابت النفوس وغابت النحوس وفى هذا الخبر كفاية خوف التطويل ويرجع الكلام الى تنبيه اخباره ورياسته على الجملة كما سيأتى بيان ذلك ان شاء الله .

(فصل) اعلم ان رواته المشهورين ثلاثـة رجال ـ مشهورون بالفضل والعلم منهم ابو يعقوب يوسف بن عمر بن يسار الازرق المصرى ، وابو الازهرى عبد الرحمان بن عبد الصمد ابن عبد الرحمان البغدادى ، وهـو غـير عبد الرحمن بن ابى القاسم راوية مالك ، وابو بكر بن عبد الرحمن الاصبهانى الاعرابى ، فبهؤلاء الرجال جاءته آثار اجداده من جد الى جد الى سيدى عيسى بن صالح (1) الذى هو اول من ظهرت به الامور الخافية ، بلوامع نور الحقائق الواردة عن الاشياخ المهلة فى غسق ظلمات البواطن. وبانت حقائقهم باظهار الشريعة التى من استند اليها امن ووقاه الله من سائر السوء ، نفع الله بهم وبأمثالهم ، وعلى من اتبع طريق الاستقامة ، فهم اهل الدلالة الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم التى ينبغى للانسان ان يجتهد فيها ، ولا يغفل عنهـا فيهلك ، ويجب تمسكه بها على كل مكلف عاقل ، التى يجب ان يعقدها الانسان مع اللحم والدم ، ويبقى فيها الى يوم يلقاه ، وواجب على العاقل ان يحب الله على كل حال ، ويحب المصطفى صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وينبغى له حيثما ذكر الله فليذكر معه نبيه صلى الله عليه وسلم وذلك راس كل حكمة ، واصل كل خير يبقى للانسان .

(فصل) والحكايات عن بعض الاشياخ المتقدمين قبلنا ، والآثار عنهم ، كابى مسعود ، ومحمد المبارك بن ابى الاسد ، وصفات ما ذكروا حكاية عن الشيخ ابى محمد الصالح الشبكى ، نفعنا الله به وابو يعقوب الاسود ، ومحمد بن احمد الاضغانى ، وغيرهم الذين هم مشهورون ومعروفون فى بلد (اسا) المشار لهم اولا وآخرا رحمهم الله . وقدس مضاجعهم ورضى عنهم

(فصل) ذكر هنا اسم ابى يعزى ويهدى واسمه وكنيتـه ، ولقبـه ، ومولده ومدته وبلاده ، ووفاته وهاهنا سبع مطالب ، اما اسمه فابو يعزى

(1) استحضر هذا ايضا للبحث الآتى وعيسى بن صالح من اجداده الادنين

ويهدى ، بل محمد مكنى ، واسمه محمد ، وسماه ابوه على اسمه ، وسمته جدته للام مع اقاربها بذلك ، وكنيته ابو يعزى ، ولقبه ويهدى ، ولهذا يقال له ابو يعزى ويهدى ، ان الله تعالى قرن اسمه بالهداية ، وجعله ممن اهتدى ، وحكى ابو موسى ابن على بن حاتم الزاجى ، قال أهديت الى الشيخ المذكور هدية عظيمة فى حال كونه طفلا صغيرا ، أو اهديت له بالوجهين ، فعلى هذا يقال لـه ويهدى ، فانها من احسن القصائد ، وانفـع المقاصد ، تغمده الله برضوان رحمته فى الاجلة والعاجلة ، واسكنه مع المصطفى صلى الله عليه وسلم فى فسيح جنته ـ أما اسمه فيعزى ويهدى محمد محمد بن موسى بن ابى بكر بن يوسف بن عيسى بن صالح بن ابى زيد بن ابرهيم بن الحسن بن على ابن محمد بن على بن عبد الله بن احمد بن بلقاسم بن محمد بن جعفر بن محمد المسمى الجوزى ابن القاسم بن الناصر ابن عبد الرحمان ابن ابى زيد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن ابى بكر الصديق رضى الله عنـه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه ومؤنسه وخليفته من بعد موته ، توفانا الله على ملتهم (مع الذين انعم الله عليهم من النبيئـين والصديقـين والشهداء والصالحين) يارب العالمين وادخلنا الجنة بشفاعتهم ، ونفعنا بمحبتهم آمين اما كنيته ابو يعزى ولقبه ويهدى ، واسمه محمد بن محمد ، اما مولده فولد فى اول سنة ست واربعين وستمائة ، ولد بمدينة (مراكش) فى دار (1) الامير العالى بالله الملك مولانا يعقوب المنصور ، رحمهم الله ، واما بلده ووطنه ـ فمستقره ببلد (أسا) واما نسبه فبكرى رضى الله عنه ، من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مات ابو بكر رضى الله عنه ودفن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هكذا (2) دفن رضى الله عنه فى روضة الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة رضى الله عنها ، واما البلد الذى مات فيه ابو يعزى فانه مات فى وسط الزاوية فى بلد (أسا) ودفن فى بقعة خلوته هنالك ، رحمه الله ، واما مدة عمره فائنتان وثمانون سنة ، وقد توفى اول ربيع الاول عام ست وعشرين وسبعمائة عند ضحى يوم الجمعة ، ثم صلى عليه من الخلائق من لا يحصى عددهم الا الله ، واتخذ الفقراء بعده ذلك اليوم موسم رباطه وهو اليوم الثانى عشر من ربيع الاول ، ويجتمع فيه الفقراء والصالحون ، ويخفى الخاصة بين العامة ، سوى الظاهرين للخلائق وهم مشهورون فى كل قرن ، وعلى كل ذلك صح قوله عليه الصلاة لا بد من كل قرن من قائم بالحق يجدد امر هذه الامة ، ويصلح فسادها ، ولذلك يظهرون على هذا الوصف ، نسال الله دوام ذلك والله المستعان .

---

(1) كان يعنى القصبة التى بناها يعقوب فى حياته وتوفى يعقوب 595هـ.
(2) وكان الاشارة لشىء صور فيه القبور كما هى .

(فصل) فى الاصول ، فالمراد بالاصل الفصل بين الكلام المعتاد ، والخوض فى فائدة المواد ، والفصل بين الكلام المتقدم ، والكلام المتاخر ، حتى لا يمزج المتقدم بالمتاخر ، والمتاخر بالمتقدم اولا ، لان المتاخر عقب عن اول واما بيان ما هنا فى هذه الرحلة فبسبب مخافة الاشكال من حالة الى حالة وتبديل الاشياء ، والتجدد بذلك ، وجاء فى ذلك بيان عجيب ، وفضائل عجيبة ، والكتابة شارحة الاشياء ، ومبنية لها ، والكتابة واجبة ، وامر بها وخوطبت بها الامم الماضية ، واما دلائل استعمالها فى الخطب فسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الخطباء قبله وبعده .

* * *

انتهى ما وجد من هذا المقيد العجيب الذى ندخل فيه ثم نخرج ، ولا نستفيد الا ان بعض مقتطفات محرفة او مصحفة عن (مذكرات) احكم نسجها الشيخ (سيدى يعزى ويهدى) وقد رايت من هذا المقتطف نسخا لا يكاد يمت بعضها الى بعض . وانما اجتهدنا فاخترنا ما بين يدى القارىء على ما فيه من تخليط ، وعدم تساوى المقاصد ، وانتفاء الانسجام فى المعنى المقصود ، وسنثنى للقارىء هذا المقيد بمثله فى الموضوع ، ثم نتكلم بعد ذلك على ما نعرفه عن آل (يعزى ويهدى) الذين ملات قبورهم القديمة (سوس) طولا وعرضا .

وثيقة أخرى في ءال يعزى ويهدى

هذه كراسة تنسب للعلامة محمد بن سعيد المرغتى ، الذى كان من اهل هذا البيت نسوقها اولا على وجهها ، ثم نكر عليها بالايضاح ، وقد سقطت الصفحة الاولى من نسختى)

(يعزى ويهدى ورضى الله عنه ، ونفعنا ببركته آمين هو سيدى يعزى ويهدى بن محمد بن موسى بن ابى بكر بن يوسف بن عيسى بن صالح بن ابى زيد بن ابرهيم بن الحسن بن على بن محمد بن على بن عبد الله بن احمد بن بلقاسم بن محمد بن جعفر بن محمد المسمى الجوزى بن القاسم بن الناصر بن عبد الرحمن بن ابى زيد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق . فقد توفى الشيخ المذكور فى اول ربيع النبوى عام 727 هـ. ودفن فى بقعة خلوته بـ (أسا) وقبره مشهور عند الخاص والعام ، ولا يرد دعاء زائره ابدا ، وهو معلوم باجابة الدعاء عند ضريحه المبارك ، ولا سيما ان كان زائره ذا نية صدوق ، والحمد لله رب العالمين ، فقد ولد فى اول سنة 646 هـ. بمدينة (مراكش) فى دار الامير العالم بالله يعقوب المنصور ، وبلاده ومستقره زاوية (أسا) وله مناقب كثيرة لا تحصى ولا تستقصى ، لا تحملها القراطيس ولا الدواوين ، رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا ببركته آمين ، فقد رأيت كتابا منسوبا له على كراماته وفضائله ، انه رجل جميل ظريف ، شجاع سخى ، لم يكن احسن منه فى زمنه ، وهو احمر اللون ، واوجه الناس

واهيبهم ، وهو طويل القامة ، لحيان اجنى (1) العارضين ، واسع الصدر ، واسع الجبهة ، ووجهه مدور منور ، كدائرة القمر ليلة البدر ، وعليه هيبة عظيمة ، ووقار عظيم ، وهو فارس بطل ، قد ذهب بالفروسية والشجاعة كلها ، وكذلك جميع اولاده رضى الله عنهم ، وانه يعطى الفروسية ويمنحها من اراد بقدرة السميع العليم ، وكذلك جميع اولاده اذ جعله الله على باب الفرح (2) سانية وعلى باب العلم الظاهر والباطن ، مع جميع الاسرار الربانية والخصال المحمودة ، وجعله الله هو وذريته على سائر الماء الخفى تحت الارض وقد رايت في مناقبهم ان كل موضع سكن فيه (ايت يعزى ويهدى) لا بد فيه من الماء ، ولو لم يكن فى الاصل ، فانه لا بد ان ينبع الله فيه الماء ، ويخلقه فى كل مكان سكن فيه (أيت يعزى ويهدى) وهذه الكرامة مما خصهم الله تبارك وتعالى بها ، وكذلك المطر اذ جعل الله ذرية الصديق سبب الرحمة للمؤمنين من المطر والمياه تحت الارض ، واعطاهم الله العلم الظاهر والباطن الى غير ذلك من جميع الاسرار واما سيدنا ومولانا ابو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، فهو اكسير كل ولى ، ومنه ياخذ الاكيسر كل من يريد الله فتح بصيرته من الاولياء ، وهذا لا يجهله كل ذى عقل وبصيرة ، فقد اكرم الله ذريته بعطايا جزيلة ، وكرامات كثيرة ، رضى الله عنهم ، ونفعنا ببركاتهم آمين وقد ذهبت يوما من ايام الله تعالى ناويا لزيارة ضريحه المبارك ، فتلقيت عنده رجلا سائحا وهو من عباد الله الصالحين وعليه اثر الخير فسالته من أى قبيلة ، ومن اين هو ؟ فقال انا جيئت من مدينة (تونس) ورايت عنده كتابا عجيبا على مناقب (ايت يعزى ويهدى) ومن جملة ما رايت فيه ان الشيخ المذكور هو الذى احدث صنعة البارود (3) الى غير ذلك مع المكاحيل من جميع الآلات وفيه ما يتعجب منه الانسان ، لانه حكيم غاية من دهاة الحكماء ، ومن دهاة العلماء ومن دهاة الاولياء ، رضى الله عنه ، وانه بلغ فى الحكمة امورا عظاما لم يدركها الحكماء المتقدمون ، حتى بلغ النهاية الكبرى ، والغاية القصوى ، فى الحكمة والعلم والهندسة والولاية بما لا يصفه الواصفون ، وقد نسخت منه جله ، وتركت الباقى للاطالة ، وانما المراد فى هذا التقييد ذكر اولاده مع اولاد اولاده الى جدهم (4) الكبير رضى الله عنهم اجمعين ، وخزائن الملوك معمورة بمناقبهم ، فهيهات هيهات ان يبلغ المريد نهاية ذلك كله ولا تحمله القراطيس ولا الدواوين ، فان ذريته كلهم صلحاء رضى الله عنهم ، اجمعين ، ولا تخلو ذخيرة كل سلطان قديما وحديثا من مناقبهم رضى الله عنهم ، فانهم يعتنون بنسخها وجمعها ، لما رأوا فى ذلك من البركة وصلاح

---

(1) جنئى كفرح ، اذا اشرف كاهله على صدره ويقال تسهيلا فى أجنأ أجنى

(2) كـذا

(3) هنا موضع المثل (دون هذا وينفق الحمار) فاولية البارود معروفة .

(4) لا تنس هذا ايضا فى البحث الآتى .

الملك ، وتسخير الخلائق ، وجلب المنافع ، ودفع المضار ، ويثبت الله ملكهم بسبب ذلك ، اذ بسيوفهم يدفع الشر كله ، ويجلب الخير كله ، الى غير ذلك مما خصهم الله تبارك وتعالى به ، ورضى عنهم ، فهم على الجملة سبعة منهم الولى الصالح ، والغوث الفائح ، سيدى عبد الكريم بن يعزى ويهدى ، ومسكنه ببلد (ادا براهيم) وعليه مدرسة يقال لها (اكادير مقورن) واخوه الولى الصالح ، والقطب الفائح ، سيدى صالح بن (يعزى ويهدى) واخوهم الولى الفائح ، والشيخ الكامل ، سيدى ابرهيم واخوهم الولى الصالح ، الشيخ الرباني ، سيدى محمد بن (يعزى ويهدى) البغدادى (به عرف) فهؤلاء اشقاء اولاد الشريفة بنت مولاى يعقوب المنصور (1) ، ثم اخوهم الولى الصالح ، وهو قطب الاقطاب ، سيدى نوح بن (يعزى ويهدى) واخوه الولى الصالح ، والقطب الواضح ، والعلم المحقق ، سيدى يحيا بن (يعزى ويهدى) واخوهم الولى الصالح ، والعلم المحقق ، والمتبرك به حيا وميتا ، والسر الرباني ، والكرامات الباهرة ، سيدى على البدالى (به عرف) وهم اشقاء ، فهؤلاء اولاد القطب الكامل سيدى (يعزى ويهدى) ومن اولاد سيدى عبد الكريم سيدى الحاج أيوب بن عبد الكريم ، وسيدى محمد ، وسيدى احمد ، وسيدى داود ، وسيدى يوسف ، وسيدى سليمان ، وسيدى بلقاسم ، وسيدى سعيد ، ومن اولاد سيدى صالح بن (يعزى ويهدى) سيدى محمد ، وسيدى احمد البدالى (به عرف) وسيدى على المدفون في (شعبة الظلال) يعنى (تيسكليون) بباني ، وسيدى سعيد ، وسيدى موسى ، وسيدى عمرو ، ومن اولاد سيدى ابرهيم بن (يعزى ويهدى) سيدى محمد ـفتحاـ بن ابرهيم ، وسيدى عثمان ، وسيدى سليمان، وسيدى عبد الله ، واما اخوهم سيدى محمد بن (يعزى ويهدى) (سقط هنا اولاده) واما اولاد سيدى نوح بن (يعزى ويهدى) فهم سيدى على بن نوح ، وسيدى عبد الله بل عبد المالك ، وسيدى محمد ، وسيدى الحسن ، وسيدى داود ، ومن اولاد سيدى يحيا بن (يعزى ويهدى) سيدى يعقوب بن يحيا وسيد احمد ، سكن (بودكان) ببلد (ادا براهيم) وسيدى ابرهيم بن يحيا ابو السحاب كنيته المدفون بـ (اداكران) بهشتوكة وسيدى محمد سكن بـ (طلحة) بارض سوس الاقصى (تاحرارت (2) ومعهسيدى عبد الله ، وسيدى على ، وسيدى عبد الكريم بن يحيا ، ومن اولاد سيدى على بن يعزى ويهدى ، سيدى محمد بن على ، وسيدى يوسف ، وسيدى احمد ، وسيدى صالح ، وسيدى عبد الرحمان ، وسيدى مسعود بن على ، سكن بـ (تيريود) ببلد (ايت ياسين) فوق (بوكرفا) فهؤلاء احفاد الشيخ الكامل سيدى (يعزى ويهدى) وكل واحد منهم له مناقب كثيرة ، وكرامات شهيرة ، واخبارهم مشهورة، فهؤلاء هم اصول(3) (ايت يعزى‌ويهدى) اينما ذكروا شرقا وغربا ، كلهم صلحاء ، رضى الله عنهم ، وكذلك سائر ذريتهم ، فهم قبائل

(1) تقدم ان الذى ولدت ، بنت يعقوب هو الشيخ نفسه لا اولاده ، فليتأمل

(2) تاحرارت او تامرارت ، لا ندرى هل الحرف حاء أو ميم فليحرر ذلك

(3) لا تنس هذا فيما يأتى

البركة الصديقية ، وهم سيف الله فى ارضه ، فكل واحد من هؤلاء السادات له ذرية صالحة ، حتى تناسلوا ، وبعد ذلك (1) قاموا بالعزم والحزم ، وتوكلوا على الله ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، وهزموا النصارى ، حتى احتوى فتحهم على اكثر المغرب من (تونس) الى (الساقية الحمراء) فتلك البلدان كلها لهم اوطانا أجبالا وأودية ، وما لا نهاية له ، اذ بسيوفهم الصوارم ادركوها وبشجاعتهم وفروستهم ملكوها ، وبخيولهم الجياد حرسوها ، فقد مضت منهم حلبة من السلاطين وهم ايمة المسلمين العادلون ، يحكمون بالعدل ، وهــم مشهورون بالرحمة للمؤمنين ، وبالنقمة للكافرين اذ أعطى لهم النصر أكثر من غيرهم ، واما الدليل على ثبوت امامة جدهم سيدنا ابى الصديق رضى الله عنه فى الكتاب والسنة والاجماع فهو قوله تعالى (ستدعون الى قوم اولى باس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وقد دلت هذه الآية الكريمة فى ذريته رضى الله عنهم انهم هم المجاهدون فى سبيل الله ، اكثر من غيرهم ، فان اكثر قبورهم فى كل مكان فى الفيافى والقفار ، والبادية والعمارة ، وكذلك رؤوس الاجبال والاودية ، والسواهل والوعر ، وكذلك سواحل البحر ، الى مسيرة ثلاثين شهرا على البحر فى الطول والعرض ، وكذلك نواحى القبلة من بلاد (الشرك) الى بلاد الصحراء ، وكذلك وادى (درعة) ومعادره من بدئه الى منتهاه ، وكذلك جبل (باني) واحوازه طولا وعرضا ، وكانــوا يستغلون جميع زيتون وادى (درعة) ويسمى فى ذلك الوقت (وادى الزيتون) وكذلك جميع المياه التى صدرت من جبل (تيسينت) كلها لهم ، ارضا واشجارا ومن ثم الى (مدولة) والى (ويدان ايت هارون) ومن ثــم الى (تامانارت) والى (تاغاجيجت) والى زاويتهم فى (اسا) واعلم ان جميع الصالحين المذكورين جلهم مدفونون مــع اولادهم واولاد اولادهم فى جبل الحرب ، وانهم قتلوا فى سبيــل الله مــن النصارى والروافض وغيرهم الذين لا يؤمنون بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فان النصارى فى ذلك الوقت يقولون جبل سوس كلها اجبال الحرب ، الا جبلا واحدا يقول له النصارى (جبل التوسيط) ويقول له المسلمون (جبل العلم) وبعد ذلك يقول له النصارى (جبل مورو) ويقول له المسلمون (جبل العفو والبركة) لانه راى المجاهدون العفو والبركة تنزل على من طلعه ، كنزول المطر على الارض العطشى ، والحمد لله رب العالمين ، فقد دفن فيه المجاهدون باعلاه اشتاتا ، من جملتهم القطب الواضح ، سيدى الاكرم سيدى محمد بن صالح بن يعزى ويهدى ، واما موضع آخر معلوم عند النصارى بـ (قصبة دار النصارى) وهو موضع بسوس الادنى ، يقال له (الدار) فمعلوم عند اهل ذلك البلد ، ويقول له المسلمون تلك الدار الآخرة ، منسوب لدار النعيم ، فقد كانت فيه فتنة كبيرة مع النصارى الساكنين هناك ، ومن جملة من مات فى هذه القصبة المذكورة التى هى (الدار) الشيخ العارف بالله ، والغوث الواضح، موسى بن عبد القادر ، المدفون بـ (جبل درنــة) ببلد هناك يقال لــه (ايــت

(1) هذا يدل ان المقصود بايت يعزى ويهدى هم ابناءه لا آباؤه .

ايكاس) فقد مات رحمه الله فى الفتنة ، بادر الى باب القصبة ، ومات الثلاثة المذكورة فى القصبة المذكورة للنصارى : سيدى على بن يحيا العلام (به عرف) وابن عمهسيدى موسى بن عبد القادر ، وابن عمها سيدى ابرهيم بن ابى بكر واما موضع آخر ، يقال له بلغة الروم (افغ) وبازائه واد من جهة اليسرى ، يقال له (وادى الدفلى) ففيه مسجد مبارك ، وفى وسطها عين ، وهى لاولياء الله الكاملين ، ايت يعزى ويهدى ، المدفونين فى داخل المسجد ، منهم الولى الصالح الطاهر الشيخ الربانى ، سيدى محمد بن ابرهيم ، وابن عمه سيدى احمد بن عبد الكريم وسيدى يوسف بن عبد الكريم ، وابن عمهما سيدى احمد بن الحسن بن نوح ، واخوهم سيدى على بن الحسن ، وعمهم سيدى على ابن نوح ، وتلك البلدة كلها لهم ارضا ومياها ، واما موضع آخر فى جبل الحرب يقال له بلغة اهل الازمنة (هوت العلك) وفيه من المجاهدين كثير دفن فيه الولى الصالح ، سيدى سليمان بن عبد الكريم ، وابن عمه سيدى عثمان بن ابراهيم ، واما موضع آخر يقال له بلغة العجم (تيميتار) فقد دفـن فيه القطب الربانى ، سيدى ابرهيم بن على ، وابن عمه (وادى الحرب) سيدى على ابن على ، بينه وبين الوادى ستون ذراعا مالكيا ، وفى احوازه ثلاثة من الاولاد لسيدى احمد بن يحيا ، ومنهم سيدى محمـد وسيدى عبد القادر وسيدى يوسف ، واما موضع آخر يقال له (تالمست) ففيه جماعة من (ايـت يعزى ويهدى) واما موضع آخر فى ارض الحرب يقال له (رباط الثور) ففيه جماعة من (ايت يعزى ويهدى) وبازائه واد لهم ، وفى احوازه جماعة منهم مفترقين على رؤوس الاجبال ، وموضع آخر يقال له (أورتى) فيه جماعـة يقاتـلون ويقتلون هناك على موضع يقول له الروم (زكندر) وفيـه كثـير من المعادن والاموال ما لا يحصى الى قيام الساعة ، واما (رباط زكندر) ففيه مسجد مبارك، فقد بنوه على النصارى فى ايام وقعة (زكندر) وتركنا كثيرا من ذلك للاطالة ، وكثير من الفتن وقعت بينهم وبين النصارى الساكنين بواد هناك ، ورئيسهم يقال له (زنب) وشتتهم هؤلاء المجاهدون رضى الله عنهم ، وموضع آخر يقال له (أزكروز) فيه جماعة كثيرة ، منهم فيه الشيخ الكامل ، سيدى الياس بن محمد ، دفن بـ (تيفنوت) وموضع آخر يقال له (امغيض) (1) دفن فيه الربانى الصالح سيدى الحسن بن على ، ومنهم سيدى ناصح المدفون بموضع يقال له (تازونت) (ومنهم) سيدى على بن صالح المدفون بـ (أساكا) ومنهم سيدى أبو الرجاء فى (تيزى) التى بسوس ، ومنهم سيدى ابو صالح بن على دفـن بوادى (ايت عثمان) ومنهم الولى الصالح سيدى الحاج على بن عبد القادر ، دفن باعلى (جبل الذيب) وفى قبلته موضع للنصارى ، يقال له بلغة الروم (ميسان) وفيه بيت مال النصارى ، اخزاهم الله ، ومنهم الولى الصالح سيدى سعيد بن احمد دفن بموضع يقال له (تيركت) ومنهم الولى الصالح سيدى

1) مغيض محل معلوم بسكتانة وكذلك تازونـت ، ولعلهما همـا المقصودان وكذلك هناك اساكا

احمد بن عبد الله المخفى (به عرف) دفن بموضع هناك يقال له (ايكلى) ومنهم جماعة مدفونة بـ (تازموت) نيت يعقوب بسملالة ، ومنهم جماعة دفنوا بموضع يقال له (زكيض) ومنهم خمسة اشياخ دفنوا بموضع يقال له (وينتجكال) (1) ومنهم جماعة دفنوا بموضع يقال له (تليت) ومنهم الولى الصالح سيدى الحسن بن على دفن بموضع يقال له (الوكوم) ومنهم جماعة دفنوا بموضع يقال (مسجد السوق) ببلد (زدوتة) وموضع آخر يقال له (تيسفروين) دفن فيه القطب الواضح سيدى محمد بن صالح ، وكنيته أبو صالح ، وهو معلوم باغاثة لمن استغاث به من اصحابه ، ومعلوم باجابة الدعاء عند ضريحه ، وهو سيف الله فى ارضه ما وضع على شىء الا قطعه ، ومن مناقبه انه حكم على جميع قبائل الجن ، وعلى الارواح العلوية والسفلية ، وعلى جميع العفاريت فى البادية والعمارة ، فانهم يطيعونه ، ويمتثلون اوامره ، ويضربهم ضربا شديدا، ويسجنهم ، وذلك كله بامر الله تعالى ، فسبحان الفاعل المختار ، وقيل انه بلغ النهاية القصوى فى الولاية الربانية ، والاسرار الصمدانية ، حتى قيل ان له قدوة وقوة وتاثيرا فى كل شىء ، وله تصريف فى جميع الامور ، دنيا واخرى ، وهو يتصرف فى مماته ، كتصريفه فى حياته ، ويستحى منه جميع الاولياء ، وقد حكى عنه انه اذا غضب على امور ، وامال عمامته ، تميل الدنيا كلها ، واذا سواها استوت كما كانت ، وله غير ذلك ، وهو رجل ظريف ، حسن غليظ ، مربع القد ، لحيان شجاع بطل فارس ، دم العرب ، وكان رضى الله عنه ، من دهاة الفرسان ، ومن دهاة الاولياء ، وكان اذا ركب على جواده كانه جبل عظيم ، وعليه هيبة عظيمة ، ووقار عظيم ، وكان تخافه النصارى من كان ومن يكون ، ويضرب به الامثال ، وله صيحة مشهورة فى الجهاد ، اذا صاح على النصارى تموت صبيانهم ، وتسقط نساؤهم ، فزعا منه ، وقد اسلم على يده جيل كثير من النصارى والروافض ، رضى الله عنه ، وقد ذكر فى مناقبه انه يكون صفا واحدا فى الجهاد ، وانه كان من الابدال مدة طويلة ، ثم انتقل الى القطبانية الكبرى ، وقد روى عنه ان الجن المؤمنين ، والارواح الروحانية ، يزورونه اكثر من الانس ، وانهم اكثر من الانس خدمة له ، وتخضع له جميع الخلائق ، وانه مطلع على ضمائر العقلاء وغيرها ، وتلك البلدة كلها لهم ، وسكن البلدة طويلا من الزمن مع اخوانه سيدى سعيد بن احمد وسيدى موسى بن صالح ، مدة كثيرة ، ثم بعد ذلك ارتحل من عندهم جماعة من اعمامهم من حفدة (سيدى يعزى ويهدى) وسكنوا معهم فى ذلك المكان مدة من اعوام ، وذلك يقال له (ابو هداء) وفى احوازه كثير من اخوانهم وقرابتهم كلهم جاهدوا فى سبيل الله ، منهم الولى الصالح سيدى جعفر المدفون بموضع (الركن) ومنهم جماعة بموضع يقال له (ايليغ) ومنهم جماعة بموضع يقال له (اك) وتلك كلها لهم ، ومنهم سيدى يعزى بن عبد الرحمن ، ومنهم سيدى

---

(1) محل معروف فى وادى (أوحميدى) ازاء (تازناخت) و (تليت) ازاء (زكيط) .

عبد الله بن علي ، دفن بـ (تيفرميت) ومنهم سيدى ابرهيم بن صالح دفن فى (تيزكموضين) وبازائه جماعة نحو ثمانية اشياخ ، منهم الصالح سيدى على ابن يعزى دفن (تيسينيت) ومنهم سيدى ابرهيم بن صالح دفن فى (تيسينيت) ومنهم الولى الصالح سيدى عبد الله المهداوى دفن بـ (عين الضب) فى (الشرك) وتلك البلاد كلها لهم من ذلك المكان الى (زمول) هو واخوانه (ايـت يعزى ويهدى) وكانوا يحرثون المعادر كلها ، فلما هزموا النصارى من (زاكورة) من واد (درعة) ملكوها بالكلية ، وذلك آخر الفتوحات ، ومن قبل (زكورة) يحرثون وادى (درعة) كلها ، ويستغلون من (الخنك) الذى براس (الكتاوة) و (الغزلان) الى امام زاويتهم بـ (أسا) ومن ثم الى (وادى نون) الى (الساقية الحمراء) بلا منازع ، ومنهم (سيدى يحيا بن يعزى) دفن بهشتوكة بموضع (نكارف) وابن عمه دفن بـ (الكرانة) ومنهم جماعة دفنوا بـ (هوت الجندل) يقال له (أفينيس) ومنهم جماعة في (تيغيسريت) ومنهم سيد عصره سيدى احمد بن صالح ، دفن بـ (مراكش) وهو مشهور عند الخاص والعام (1) ومنهم سيدى خالد بن يحيا ، ومنهم سيدى محمد بن يعزى دفـن ببـلد (انكنافن) بحاحة ومنهم ابن عمه سيدى محمد الذيب دفن بـ (اقرقاو) ومنهم سيدى حسين ابو زمور ، ومنهم الشيخ ابو زكرياء دفن بمدينة (سلا) ومنهم سيدى محمد بن عبد الله ، دفن بموضع يقال له (بونعمان) وحوله كثير من اخوانهم ، وجميع اولاده وعين (بونعمان) لهم ، ومنهم الشيخ سيدى ابو عبد الله ، دفن بموضع يقال له (همانة) ومنهم الولى الصالح سيدى سعيد (أمهيل) بمجاطة ، ومنهم سيدى على بن محمد الشيخ (به عرف) دفن بوادى (درعة) ومعه من اجداده نحو ثمانية ، ومنهم الشيخ سيدى يعقوب دفـن ببلد (سوس الاقصى) ومنهم جماعة كثيرة دفنوا ببلد (تيدسي) بـ (الخنك) من (تيغسريت) الى غير ذلك ، تركناهم للاطالة ، رضى الله عنهم اجمعين ، وجزاهم الله عن المسلمين خيرا واحسانا ، ونفعنا ببركتهم ، فطوبى لمـن احبهم ، ويعظم حرماتهم ، ويوقرهم وويل ثم ويـل لمن يبغضهم ويحقـر حرماتهم ، اللهم اجعلنا ممن احب ابا بكر الصديق وذريته الى يوم الدين ، لانهم هم المجاهدون ، اكثر من غيرهم ، فانه قال (واصلح لى فى ذريتى) الى قوله (وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) ولهم رضى الله عنهم مناقب كثيرة ، وكرامات باهرة ، لا ينكرها الا جاهل او سفيه ، وقال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل انت ومحبك في الجنـة ايها الصديق ، قـد سمى بالعتيق لعتقه الدنيا وما فيها ، وابا الايمان لصدقه والصديق الذى سبقت له العناية قبل الكون ، وجهده وبغضه الكفار ، وكفاك بشارة وفرحا وسرورا

1) هذا اسمه ـ كما ترى ـ احمد بن صالح ولو كان اسمه محمد بن صالح ، لظنناه المشهور بحومته الذى عليه مسجد بناه المرينيون وترجمة هذا المراكشي مجهولة وقد يكون فى اصل هذا الكتاب تحريف محمد بأحمد وما أكثر التحريف فى الكتاب فيكون هو المقصود ، والله اعلم

ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد يوم القيامة من قبل الله عز وجل ، ويقول يا ابا بكر الصديق خذ مفتاح الجنة ، ومفتاح النار ، فابعث من شيئت الى الجنة ، وابعث من شيئت الى النار ، وقال صلى الله عليه وسلم ما طلعت شمس من بعدى ولا غربت على رجل افضل من ابى بكر الصديق ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام وصلاة على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، انتهى وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى) .

❀ ❀ ❀

هذه هى الوثيقة الثانية حول (آل يعزى ويهدى) وهى كاختها المتقدمة ضمت الخالص والبهرج ، والصحيح وغير الصحيح ، كما سنتكلم على ذلك فيما بعد ، حين نستتم تراجم اهل هذا البيت الكريم ، وهاك ايها القارىء الآن ما يلقى لك بعض الضوء ، فى شيء من النظام عن هؤلاء المذكورين فى هذه الوثيقة الثانية ، فان الذى وجدناه صحيحا فيها هو مدافن اولائك ، وقد عرفنا الكثير منها ، وخفى عنا البعض ، وما ذلك الا لجهلنا بمقابر كل قرية قرية فى (سوس) الواسع الاكناف ، المترامى الارجاء ، بالنسبة لقراه المنتشرة فى سهوله وجباله ، شرقيه وغربيه ، وانما حكمنا على ذلك كله بالصحة لقياس من نجهل مدفنهم على الكثيرين الذين عرفنا مدافنهم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

اولاده واحفاده

الثانى (1) عبد الكريم بن يعزى ويهدى . رايت نعته بـ (الولى الصالح والغوث الفائح . ومشهده فى قرية (اكادير مقورن) من قبيلة (تاغاجيجت) وحوله مدرسة علمية قديمة .

الثالث سيدى صالح اخوه وقد وصف ايضا كما رايت ـ بمثل ذلك الوصف ـ وهو مدفون فى (خنك اننكن) من قبيلة (ايت مربيض) تحت جبل (بانى) جهة (تامانارت) .

الرابع سيدى ابرهيم اخوهما الموصوف ايضا بالولى الفائح ، والشيخ الكامل .

الخامس سيدى محمد اخوهم الموصوف بالولى الصالح الشيخ الربانى ، ويلقب بالبغدادى واخال اننى سمعت بقبره فى (راس الوادى) وهؤلاء الاربعة اشقاء ، وامهم بنت يعقوب المنصور ـ كما رايت ـ

السادس سيدى نوح ، الموصوف بالولى الصالح ، وانه قطب الاقطاب ـ ولا ندرى اين دفنه

السابع سيدى يحيا الموصوف بالولى الصالح والقطب الواضح والعلم المحقق . وهناك من يذكر بهذا الاسم لعله غيره دفن فى (هشتوكة) العليا فى (نكارف)

(1) الاول هو الشيخ يعزى ويهدى

الثامن سيدى على البودالى ـ به يعرف ـ الموصوف بالولى الصالح والعلم المحقق والمتبرك به حيا وميتا ذى السر الربانى والكرامات الباهرة ولا ندرى ايضا مدفنه وهؤلاء الثلاثة اشقاء ـ كما رأيت .

التاسع سيدى الحاج ايوب بن عبد الكريم بن يعزى ويهدى ، المعلوم المشهد فى (ادا وشقرا) فى (افران) وهو جد الرؤساء البنيرانيين ، واخوته هم محمد وداود وبلقاسم ، وسعيد ، واحمد ويوسف المدفونان فى داخل المسجد فى (وادى الدفلى) وسليمان المدفون فى (هوت الملك) فى جبل الحرب ؟ ـ كما قال ـ

العاشر سيدى محمد بن صالح بن يعزى ويهدى . وهناك اخوانه (على) المدفون فى المحل المعروف بـ (تيكليوين) فى جبل (بانى) وسعيد ، وموسى ، وعمرو . واحمد بن صالح فى (مراكش) لعل احمد هذا اخوهم (ومحمد بن صالح الذى عليه مشهد ومسجد فى (مراكش) المجهول التاريخ ، لولا انه يسمى محمدا لقلنا انه هو ، وقد بنى منار مسجد فى اواسط عهد المرينيين) أو ان هذا الكاتب غلط فيه فسماه احمد ، الله اعلم .

الحادى عشر سيدى محمد بن ابرهيم بن يعزى ويهدى ، الموصوف بالولى الصالح ، الطاهر الشيخ الربانى المدفون فى داخل المسجد فى (وادى الدفلى) وله اخوان هم سليمان ، وعبد الله ، وعثمان ، المدفون فى (هوت الملك) فى جبل الحرب ؟ مع بعض اهله ـ كما قال ـ ثم سقط فى الاصل اولاد سيدى محمد بن يعزى ويهدى ، اما لكونه لم يعقب ، واما لان الناسخ نسيهم ، الله اعلم .

الثانى عشر ، سيدى على بن نوح . واخوانه عبد الملك ، ومحمد ، وداود ، والحسن الذى له ولدان يسميان احمد وعليا ، وهما مدفونان ، فى داخل المسجد فى (وادى الدفلى) مع بعض أهلهم .

الثالث عشر ، سيدى يعقوب بن يحيا واخوانه ، سيدى احمد الساكن فى (ودكان) فى بلاد اد ابرهيم وابرهيم ابو السحاب فى (هشتوكة) الذى بنيت ازاءه المدرسة العلمية التى عمرها آل (تاويريت وانو) الى الزمن القريب فى (ادا كاران) وسيدى محمد القاطن فى (تحررات) أو (تامررات) فى بسابط سوس ـ يعنى ما نسميه الآن (راس الوادى) وعبد الله . وعبد الكريم ، وعلى الملقب بالعلام ـ أى رافع العلم فى الحرب ـ المستشهد فى الجهاد فى باب قصبة وقع فيها . سقط هو وابناء عمه موسى بن عبد القادر . وابرهيم بن ابى بكر . وذلك فى (ايت ايكاس) .

الرابع عشر ، سيدى محمد بن على ـ البودالى ـ بن يعزى ويهدى واخوانه يوسف . واحمد ، وعبد الرحمن . ومسعود ، القاطن فى (تيريود) من بلد (ايت ياسين) فوق (بوكرفا) وصالح الذى له ولد يسمى عليا دفن فى (أساكا) .

هؤلاء اولاد الشيخ يعزى ويهدى واحفاده الاقربون ، رتبناهم ، كما رتبهم صاحب الكراسة

الخامس عشر سيدى محمد بن صالح بن يعزى ويهدى وقد وصف بالقطب الواضح ، والسيد الاكرم المجاهد - ولا نعلم له مدفنا -

السادس عشر ، ابرهيم بن على الموصوف بالقطب الربانى المدفون فى (تيميتار) وفى (وادى الحرب) قبر اخيه على بن على وحواليه احمد بن يحيا ، ومحمد ، وعبد القادر ، ويوسف من اهله

السابع عشر ، سيدى الياس بن محمد دفين (تيفنوت) الموصوف بالشيخ الكامل

الثامن عشر ، الربانى الصالح سيدى الحسن بن على المدفون فى (امغيض) وهناك الحسن بن على آخر دفين (ألوكوم) وليس ، بالحسن بن على الشريف العلامة من اصحاب سيدى محمد بن ناصر . وهو فى (عين سيدى الحسن بن على) قرية معروفة هناك ، ولا يزال عقب هذا يورون الماء للناس وهم من الشرفاء الادريسيين

التاسع عشر سيدى ناصح المدفون فى (تازونت) .

العشرون سيدى ابو الرجاء دفين (تيزى) فى سوس وهناك ابو الرجاء آخر مدفون فى (ايليغ) بالفائجة .

الواحد والعشرون : سيدى ابو صالح بن على المدفون فى (ايت عثمان) وهو اليوم مشهور فى (أيت أوبيال) جيرانهم .

الثانى والعشرون : سيدى الحاج على بن عبد القار المدفون فى اعلى جبل الذيب ؟ - كما قال -

الثالث والعشرون : سيدى سعيد بن احمد فى (تيركت) من (انداوزال) مشهور الى اليوم حوله مدرسة علمية قديمة ، وهناك سعيد بن احمد آخر ذكر فى الاصل بعد ابى صالح ، دفين (تيسفروين) .

الرابع والعشرون سيدى احمد بن عبد الله - المخفى - به عرف ، المدفون فى (ايكلى) أو (أكلو) لا ندرى .

الخامس والعشرون : سيدى محمد بن صالح ابو صالح دفين (تيسفروين) وهو علامة جليل مدرس ، لا تزال آثار مدرسته وزاويته الى الآن . وقد رايت فى الاصل ما وصفه به بالاطناب من اوصاف عالية ، وشهرته لا تزال الى الآن طنانة فى (الفائجة) وهو قديم جدا .

السادس والعشرون   سيدى جعفر المشهور الى الآن فى مقبرة (الركن) محوطا على قبره ، وقد وصفه بالمجاهد . وذكر بعضهم انه رأى محررا بيده ، يدل على انه عالم . وذكر سيدى مولود اليعقوبى انه احس به يوما وهم يقراون القرآن حول قبره يقرأ معهم ، ثم صار يدعو معهم ، ولسيدى مولود هـذا روحانية غريبة ـ وهو صدوق ـ وكان سيدى الحسين اليعقوبى يزوره كثيرا ويقول ، من اراد ان تقضى حاجته فليزره اولا قبل زيـارة سيدى محمد بـن يعقوب   وهو كما ترى من هذه الاسرة اليعزاوية   وان كان اهل (الركن) يقولون انه من اجدادهم القدماء ، والله اعلم .

السابع والعشرون   سيدى موسى بن صالح ، القاطن فى الفائجة وابرهيم بن صالح دفين (تيزكموضين) وهو مشهور ، وهناك ابرهيم بن صالح فى (تيسينت) .

الثامن والعشرون سيدى على بن يعزى دفين (تيسينت) وهو مشهور خارج البلد ، فى خلاء وهناك محمد بن يعزى دفين (نكنافة) بجاحة لعله اخوه .

التاسع والعشرون : سيدى عبد الله المهداوى . هو ايضا خارج (تيسينت) فى (المشمس) وقبره مشهور الى الآن ، وقد خلا محله من العمارة . واشتهر فى (عين الضب) كما سمى به محله الآن .

الثلاثون : سيدى خالد بن يحيا ـ فلا يشكل مع خالد بن يحيا الكرسيفى المتاخر عنه ـ .

الواحد والثلاثون   سيدى محمد (ووشن) القرقاوى الحاحى ، ولـه عقب كثير الى الآن . ويتنازع نسبه هؤلاء والركراكيون وغيرهم . وقد وقفت فى كتاب (شفاء القلوب فى مناقب سيدى محمد بن يعقوب) انه من اصحاب الشيخ سيدى محمد بن مبارك (التاستاوتى) فان صح ذلك فانه متأخر من اهل القرن الحادى عشر . قال انه عالم جليل ، وقعت منه خوارق .

الثانى والثلاثون : سيدى حسين أبو زمور .

الثالث والثلاثون   الشيخ ابو زكرياء فى (سلا) (اقول) ان هـذا مشهور الزاوية فى (سلا) من قبل القرن الثامن . وكنا نظن انها احدى زوايا ابى زكرياء الحاحى المسمى الى الآن سيدى أبى زكرى فى قبيلة (ادا ويسارن) المشهور الطريقة وقد ذكره ابن قنفد فى كتابه (انس الفقير) كما ذكره ابن مرزوق فى كتاب (المسند الصحيح الحسن) فليحرر ذلك ، والله اعلم

الرابع والثلاثون   سيدى محمد ـ فتحا ـ بن عبد الله فى (بونعمان) عليه قبة صغيرة ، وهو غير محمد بن عبد الله آخر عليه قبة كبرى لان هذا متأخر جدا ادركنا اولاده لصلبه . وقد ذكـر ابن خلدون هذا المكان وسماه (زوايا بنى نعمان) ولا يزال بقايا منهم فى قرية (أدواد اكرامن) كما ان هناك

قبابا صغرى كثيرة مشيدة على قبورهم ، منهم ابو مهدى شرقى مصلى المدرسة ، وعلى بن عبد الله . ويبيورك عليه بيت ، وعلى بن مسعود الذى دفن اليه لدتنا الاستاذ احمد بن محمد بن مسعود المعدرى فى بيته . وعبد الرحمن (بوتانريض) فى بيت ايضا دفن اليه الاستاذ سيدى عبد القادر الوادنونى المتوفى اخيرا فى المدرسة البونعمانية .

الخامس والثلاثون سيدى ابو عبد الله الهمانى المسمى الآن سيدى (بوعبدلى) وعليه مشهد ومدرسة علمية قديمة قائمة وموسم تجارى كبير سنوى . وقد تكلمت عليه فى اول (الرحلة الرابعة) كما ان ذكره جرى فى (الرحلة الاولى) وهو من اهل القرن السابع

السادس والثلاثون سيدى على بن محمد الشيخ دفين (فزواطة) بـ (درعة) ولا يزال معروفا الى الآن . ولا يزال عقبه متسلسلا الى الآن .

السابع والثلاثون سيدى يعقوب فى (سوس) ولم يبين اين دفن .

❁❁❁

هؤلاء من ذكرهم صاحب الرسالة ، القينا عليهم نظرة ، واجتهدنا ان ننظمهم كما ترى ، فنذكر كل واحد وحده . او نذكره مع اخوانه .

❁❁❁

هؤلاء الرجال القدماء من (آل يعزى ويهدى) ـ وسترى المتأخرين منهم ـ وكل من قرأ ما تقدم من الوثيقتين عن هؤلاء الذين يذكرون بانهم ابناء الشيخ (يعزى ويهدى) المتوفى ـ كما رايت ـ سنة 726 هـ. يتعجب من كل ما نسب اليهم لان الجهاد وتطهير البلاد من غير المسلمين انما كان فى مختتم القرن الاول . وفى طوال القرن الثانى . على ايدى المخلصين للاسلام من البربر من بنى دغوغ والركراكيين والصنهاجيين والريفيين اثر الفتح الثانى لموسى بن نصير سنة 87 هـ. ولم يكد يأتى مولاى ادريس 172 هـ. حتى كادت جوانب المغرب تطهر من غير المسلمين . وقبل مجىء مولاى ادريس يمكن ان تكون هذه الحروب المذكورة فى أخبار (آل يعزى ويهدى) فى (درعة) وفى (سوس) وفى الجبال كلها ثم جاء عهد مولاى ادريس وعهود اولاده . وعهود بنى مدرار ، كما يجىء القصار الى المنسوج بعد تمام نسجه ، يبيضه ويصقله ، حتى يكون ثوبا براقا مؤنقا . وكل ما ذكر من الكفاح فى هاتين الوثيقتين يمكن ان يفهم على انه نسخة من نسخ الكفاح فى اول الاسلام فى هذه البلاد . واما ما بعد القرن الثانى وهلم جرا ، فليس فيه ادنى حركة من هذا القبيل فاذن ما معنى كل ما فى هاتين الوثيقتين . هل ذلك كله انتحال وكذب وتمويه ؟ وما معنى نسبة ذلك لاعقاب هذا الشيخ ؟ فالحقيقة ان ذلك لا يمكن ان يقبله اى مطلع له ادنى المام بتاريخ المغرب . فلم يبق الا ان نقـول ـ احتـما لا ـ ان المقصود بآل (يعزى ويهدى) اسلافه الاقدمون ، وقد تكون هناك طائفة منهم

تسربت في أول عهد الاسلام الى (سوس) فكان لها عمل مجيد فى اعلاء شان الاسلام ، ثم لما اشتهر الشيخ ، بعد ذلك وهم اسلافه ، صاروا ينسبون اليه ، هذا هو الممكن ، واما ما تقدم من ان اهله بعده هم المقصودون باصحاب تلك الاعمال الكفاحية فى نحر الكفار فينفيه الواقع (نعم) ان (آل يعزى ويهدى) موجودون حقا ، والمقابر القديمة فى كل انحاء سوس مكتظة بهم - كما اكتظت بالركراكيين القدماء ، ثم بقيت اخبارهم فى الاسمار ، حتى تحول ما فى الاسمار الى الكتابة ، فنشأت تانك الوثيقتان ، هذا ما عندنا الآن ، والله اعلم .

فلنرجع العنان الى تتبع الوهداويين المتأخرين عن القرن العاشر وهم منتشرون الى الآن . فى نواح (بونعمان) و (أكال ملولن) و (اسا) و (ادا وتنان) و (ايت صواب) و (اكلو) و (الاخصاص) و (مجاط) فقد رايت ان ابناء ياسين الذين هم بنو أبى النيران . وبنو يحيا بن يدير ، وبنو باها بن عيسى ، وبنو بلا بن عيسى ، وبنو محمود ، وبنو بلقاسم بن ابرهيم ، يزعمون انهم كلهم من (آل يعزى ويهدى) هكذا رايت فى مخطوط نقل عن اصل مؤرخ بـ 818 ﻫ كما وجدت فيه ان ايت على وايت موسى المجاطيين اصلهم من صنهاجة . وقد كان مذكورا ما يؤيد هذا فى الكلام على بعض امجاد الصنهاجيين فى ترجمة الشيخ سيدى محمد بن يعقوب (1) وهناك ايضا ، ان اولاد عبد الكريم بن (يعزى ويهدى) هم ايضا فى (تانكارفا) فى (ايت بعمران) وهم اخوان من كانوا فى (ادبنيران) وبعضهم باق فى (أسا) وبعضهم فى (حاحة) ومنهم سيدى محمد (ووشن) الفرقاوى المذكور آنفا بين رجالات الوثيقة الثانية وهذا نسبه محمد بن ابرهيم بن محمد بن موسى بن ياسين بن على بن ايوب بن عبد الله ابن على بن حسين بن عمر بن ياسين بن عبد الله بن مسعود بن عبد الرحمن ابن مسعود بن على بن ايوب بن عبد الكريم بن يعزى ويهدى الى آخر النسب المتقدم ، ومحمد بن ابرهيم دفين (أدميم) من (هوارة) هو ابن ابن محمد بن ابرهيم ووشن المذكور .

واولاد سيدى نوح فى (أنسا) من (راس الوادى) . وذرية صالح فى (تاكضيشت) وذرية سيدى يحيا فى (تامكروت) فى (درعة) انتهى ما وجدته فى مخطوط تسلسل بالموقعين عليه فى اوقات مختلفة .

السابع والثلاثون - سيدى محمد - فتحا - بن سعيد المرغتى ، وقد رايت رفع نسبه الى الشيخ (يعزى ويهدى) ولم تحضر عندى الآن تلك السلسلة ، و(مرغت) المنسوب لها قرى فى قبيلة (الاخصاص) تبعد عن (تيزنيت) بنحو 15 كيلومتر ، وهاك ما قاله فيه العلامة اليفرني فى كتاب (صفوة من انتشر)

ومنهم الشيخ الامام ، شيخ الاسلام ، خاتمة المحدثين ، وسراج المريدين ابو عبد الله محمد بن سعيد المرغيتى السوسى ، و (مرغيتة) مداشير فى عدد (الاخصاص) بسوس ، وهى بالميم المفتوحة فراء مهملة ساكنة ففين

---

(1) فى الجزء السادس عشر

معجمة مكسورة (1) ، كان رحمه الله اما ما فى علوم الحديث والسير ، له ائيد الطولى فى ذلك ، واليه المرجع فيما هنالك ، مع المشاركة فى العلوم الاخر ، والدين المتين ، والورع التـام ، وكان محترما معظما عند الخاصة والعامة ، لهم فيه اعتقاد عظيم ، قـال شيخنا الاديب البارع ابو العباس احمد بن عبد الحى الحلبى الشافعى ، فى شرحه على (مناجاة) الشيخ عبد الله البرناوى ما صورته ، وادركت الامام العالم الصوفى ، سيدى محمد بـن سعيد المرغيتى السوسى الاصل والمنشأ ، والمراكشى الدار والمدفن ، بجامع (المواسين) من (مراكش) انه كان يعبد الله بعد صلاة الصبح ، الى طلوع الشمس بالفكرة ، فوالله لكنت اجلس امامه ، وقبالة وجهه ، ولم ار منه شعرة تتحرك ابدا ، ولا طرفه ، وكنت انظر الى حدقته ساكنة ، حتى كأنه ميت ، ولو فرض ان الارض انقلبت بما فيها ، والسماء سقطت على الارض ، لم تتحرك منه شعرة ، حتى تطلع الشمس ، فيتحرك حينئذ ، ويكلمنى ويبدأ بالكلام ، فعرفت ذلك منه ولازمته ، ورايت منه هذه الحالة سنة ، وهى مدة اقامتى بـ (مراكش) وذلك عام ثمانين والف واخذت عنه عدة علوم ، واجازنى فى اربعة عشر علما من العلوم الظاهرة الاسلامية .

وقال فى (الاعلام) وكان من عادة صاحب الترجمة تاخير صلاة الصبح بالناس الى الاسفار ، بناء على انه لا ضرورى له ، وان مختاره الى طلوع الشمس فروى انه انكر عليه ذلك ، فقال انى رايـت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لى اصبت فى تأخير الصبح وذلك ان قصده فى ذلك الرفق بالضعفاء ، ويمن تفوته الجماعة فى مساجد التغليس ، وفى (المحاضرات) للامام ابى على رحمه الله ، قال حدثونا عن صاحب الترجمة ، انه ورد على استاذنا ابى عبد الله ابن ناصر زاويته بـ (درعة) فكان المؤذن اذا اذن ينكر عليه ، ويقول له : استعجلت ، فلما اكثر فى ذلك انهى الامر الى الاستاذ ، فخرج اليه ، فسار معه الى صومعة الجامع الكبير ، وذلك فى عشى النهار ، فجلسا باعلى الصومعة يتحدثان ، والمؤذن الذى كان ينكر عليه فى مسجد الخلوة ، بعيدا منهما بنحو مد البصر ، وبقيا فى حديثهما ، حتى غربت الشمس ، فقال له الاستاذ قد تبين الوقت ، قال نعم ، وبفور كلامهما قال مؤذن الخلوة (الله اكبر) وجعل يؤذن ، فعجب من هذا الاتفاق الغريب ، وعـلم ان الاذان كل يـوم كان على الصحة ، فلم يعد للانكار عليه اهـ ، قال ابو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى فيما وجد بخطه ، اخذ صاحب الترجمة عن سيدى عبد الله بن على ابن طاهر، وعن سيدى ابى بكر السكتانى ، عن الشيخ محمد مولاة الاسكندرانى عن البدومدى ، عن القسطـلانى ، عن ابـن حجـر ، وعن على الاجهـورى ، عن احمد الفراط ، عن السيوطى ، وعن ابرهيم اللقانى ، عن سالم السنهورى

---

(1) ينطق به اليوم بكسر الميم وسكون الراء والغين معا وقد قرأنا فى كتاب (الاعلام) لامام المؤرخين المعاصرين الشاعر الفحل الزركلى انـه تردد فى ضبط الكلمة ، باختلاف من نقل عنهم ترجمته .

عن عبادة الزيتى ، عن الاقفهسى ، عن خليل ، ومن اشياخ صاحب الترجمة ايضا عبد الواحد بن عاشر ، وسيدى عبد الهادى وسيدى العربى الفاسى ، وسيدى محمد الجنـان ، صاحب حاشية خليـل ، وسيدى الحاج محمد ابن القاضى ، وسيدى احمـد بن محمد الوولتى هـ ، واخـذ ايضا عن ابى القاسم الغـول ، وعن ابى مهـدى السكتـانى ، وعن ابى العباس احمد السـالمى المراكشى ، وغيرهم وكان فى ابتداء امره يقرض الشعر ، ويعانى صنعة الانشاء ، واستكتبه بعض امراء الدولة السعدية ، فابى الله الا ان يرقيه لخدمته ، ويميطه عن خدمة ابناء الدنيا ، فازدرته عين الامير لما حمل اليه ، وكانت له مشاركة فى علم الطب ، وتصدر للعلاج مدة ، ثم تركه بسبب ان انسانا حمل اليه الهراقة ، وفيها بول ، وادخلها عليه المسجد ، فقال ان علما يؤدينى ان اكون سببا لدخول النجاسة للمسجد ، لا اشتغل به ، وقد كان مقصودا به قبل ذلك ، وكانت له محبة كاملة فى اهل البيت ، شديد التعظيم لهم ، كثير التسليم لهؤلاء المنتسبين ، لا يبحث عن عوراتهم ، ويغض عن عثراتهم ، وكان الناس يرون ان له نجاحا فى الجدول ، وبركة فى الامور ، ولـه منظومة فى (علم الجدول) فى المخمس الخـالى الوسط ، شهيرة ، وحدثوا عنه انـه كان اذا لم تقبل شفاعته عند الامـراء فى بعض الامور المهمة ، يكتب جدولا يضعه تحت عمامته ، فاذا رآه الامير هش له ، وقضى مآربه كلها كما تمنى ، ومن تآليفـه (المقنع) فى عـلم التوقيت ، وشهور العام ، وشرحه بشرحين ، وقد وضع الله عليه الاقبال ، فعكـف الناس على اقرائه وقراءته وانتفعوا ، مع انه مزجى البضاعة فى ذلك الفن ، وانما اعتمد فيه على قواعد تلقفهـا تقليدا من شيخـه ابى العباس الوولتى المتقدم ، وكان قرأ عليه (منهاج) ابن البناء ثم نسيه لما تشبث بعلم الحديث ، وصرف له وجهته ، ومن تآليفه ايضا (الاشارة الناصحة لمن طلب الولاية الصالحة) و (المستعان ، فى احـكام الاذان) نظمـا و (مختصر اليعمرى) فى السير ، ونظمه ولده نظما حسنا ، و (قصيدة) فى اكل الدجاج ، و (جواب) طويل عن تصريف اسماء الله فى الامور ، الدنيوية ، و (قصيدة) فى علم الجدول و (فهرسة) حسنة ، اشملت على فوائد وفتاو ، وغير ذلك وله شعر حسن ، الى ان قال :

وله رحمه الله شعر رائق ونظم فائق فمن ذلك قوله :

من لم يكن يرضى بما قد قسم	فهو ظـلوم ظـن ان قـد ظـلم
يسخط حيث السخط لا يقتضى	نفـعـا ولكـن ضره قـد عـلم

توفى رحمه الله سنة تسع وثمانين والف ودفن قريبا من ضريح شيخه ابى بكر السكتانى ، وكانت ولادته سنة سبع والف) .

(اقول) رايت ان المترجم له شعر رائق ، ونظم فائق ، ثم لم يسـق مما قال الا هذين البيتين ، وقد امدنا الاخ المؤرخ سيدى محمد المنونى بكناشة

يوما ، وهو يجهل ما فيها ، فتتبعتها مع الاديب البونعماني ، فاذا بها كناشة المترجم ، قيد فيها ما يولف ان يقيد في الكنانيش فكان من بين ما فيها قواف كثيرة له مع بعض نثر فجمعت كل ما في الكناشة من القوافي لكتاب السوسيين الذي هو منهم مولدا ومنشئا - كما رايت من ترجمته - فهاك ما وجدناه نسوقه كما هو ، ونحن من عشاق الادب ، ومن الحارصين على احياء ادب كل سوسي ايا كان لان ذلك من معروضات الكتاب .

قال في مدح كتاب ورد عليه من اخوان :

وشته يد الاداب فاعتدلت به ... تقاسيمها فالحسن عند ابتسامه
فما استوقف الابصار الا وقد جلت ... به كل لون من بديع اقتسامه
تضوع نشر النشر منه كأنما ... تدفق في الكافور مسك ختامه
تلالأ زهر المجد للعين فيه مذ ... أفاض عليه الفكر صوب غمامه
فسرحت طرف العين في روضه وقد ... يذكر جمع الشمل حسن انتظامه
ليالي كانت غرة الدهر فانتضى ... على الشمل فيها البين عضب حسامه
فهل كان الاومضة فسرورها ... امور تتعاطاها امرؤ في منامه
حنانيك فاصبران ربي بفضله ... سيعقب عسر البين يسر التئامه

قال وقعت بيني وبين الشريف الحسني ابي الحسن النجار بجبال غمارة وحشة فانقطع عن مجلسي فكتبت اليه مستعطفا :

سلوا ما لهذا الحائر المتردد ... يسائل اهل الحي في كل مورد
غريبا كئيبا هائم القلب لا يرى ... على كل حال في الورى غير مفرد
يقايض انس الخلق جل اوانه ... بأنس أزل البطن نحض مفدفد (1)
له منه في الفيفاء أي مؤنس ... قد اعتاد منه الامن في كل مرصد (2)
ومهما يحاور لا يحر من جوابه ... سوى زفرة تقفى بدمع مبدد (3)
تثير عوافي الربع منه شجونه ... وآونة يشجوه كل مغرد
وتطرقه عند الدجاخيل وجده ... فيمسى أسيرا عندها كالمصفد
يخال نجوم الليل طال وقوفها ... له مشفقات مالها من تحيد
أذو حاجة أم ذو غرام موله ؟ ... امسترشد فليهد ؟ أم شان منشد ؟ (4)
نعم نابه والمرء ليس بسابق ... سهام خطوب الدهر مهما تسدد
نوائب لو راعت جميل بثينة ... لها عن جمال عندها متوقد

---

(1) هو ازل وهي زلاء : لخفة الوركين . ونحض كسهل فهو نحض : اكتنز لحمه. والمفدفد : العادي هاربا من نحو سبع.

(2) الفيفاء : الصحراء

(3) ما أحار المسؤول : لم يجب رلم يرد ؛

(4) انشد الضالة : اذا وجدها فيفتش عن صاحبها .

اجـل وخطوب لو دهت قيس عامر غـدا من هـوى لـيـلاه اى مجرد
حنانيك يـا قلبى المـعـنى تلهفـا على ساعة فى الدهر دون تاود (1)
حنانيك هم أو فاسل لن تعد والذى قضى وانحدر ان شئت بعد أو اصعد
قضى بالهوى حتى تلظت حجيمه فقال اخسئوا فى غمها والتنكد
فواكبدى من لى باطفاء حرها بماء وصال يا له من تبرد
فيا للورى لله در مهذب يداركنى من فضله المتأيد
يداوى جراح المرء يوما بمرهم من الوصل شان الفاضل المتمجد
يبلغ عنى والمبلغ عندنا له بين أجناس الورى ايمايد
ابا الحسن النجارى الحسنى الذى له رتبة فوق السماك وفرقد
وما نسبة النجار من حرفة له نعم هى شقت من نجار منجد
نجار اضاءت مهيع الرشد شمسه فسار به نحو العلا كل مهتد
غدت انجم الاحساب عند طلوعها افولا لدى غرب الخمول المؤبد
ولم لا وتدرى منتهاها اذ انتهت الى المصطفى الندب النبى محمد
صلاة الذى ارضاه بعد عطائه عليه من التسليم فى كل مشهد
وقل أيها المولى فهذى تحيتى توافيك فاقبلها بحق التودد
تحية عبد احرقت نار هجركم حشاه وهل بعد الحشا من تجلد
امولاى حتى م̃ الصدود وعبدكم تعذبه بالهجر يا خير سيد
امولاى حتى م̃ الصدود ألم تكن شفيقا على اهل الوداد المؤكد
امولاى هذا الهجر طال وانما بوجهك تحيا النفس فى كل معهد
أمولاى هذا الهجر طال فان يزد فسلم على الدنيا فقد حان ملحدى
باجدادك الاعلام طرا توسلى وعنصرهم خير البرية احمد
لتصفح على جرم العبيد مواصلا له قم اذا ما شيئت بعد او اقعد

وقال فى الاستعطاف

متى يرى حبك المكروب تسعفه بالوصل يا ساكن الاحشاء والكبد
فانت تعلم ان القلب محترق من حبكم بدليل اللون فى الجسد

وكتب الى شيخه القائد على بن ابرهيم الاندلسى المتطبب سؤالا ، وهو

يا ايها الندب الرئيس النجيب فدحرت فى أمر عظيم غريب
وانت فى الاشكال قطب النهى بل انت فى الاشكال نعم المجيب
فكيف صار الماء دون الهوا أشد ترطيبا وهذا عجيب

(1) اودته بالتسديد فتأود أى عطفته فانعطف .

فاجاب برسالة بين فيها ما سئل عنه ، فذيلها بهذه القطعة :

توقفت خلي بامر غريب | مبادى أوائل علم الطبيب
تفهم كلامي على حده | وعول عليه لكي لا تخيب
اما قد قرات بأن الهوا | لطيف يغوص بكل صليب
وكل لطيف اذا ما التقى | بجسم كثيف ينيع خصيب
تولى عليه بجدته | وجففه عند وقت قريب
وجوهر ماء الغلظته | وسر أصيل ولين غريب
تولى عليه بندوته | واولاه لينا وجسا رطيب
ولولا اقتصرت عن الاعتنا | بعلم يتيم حقير غريب
لبحت فنونا بعلم الهوا | وكل اسطقس (1) لكل لبيب

قال : كان شيخنا ابو عبد الله المكلاتي الفاسي غائبا في (سلا) فسألت عنه ولم يكن لي بغيبته علم ، فلما قدم كتبت اليه وقد قدم منها مريضا :

ما نرجس الا جفان عندى ولا | يا قوت خد لونه واضح
مع وجنتين كالسماكين في | يمناهما خال هو الرامح
بينهما اشم سبط كما | يبدولك القرنفل اللاقح
وتحته عنا بتاروضة | والدرس من بينهما لائح
ارشفه عن طوعه تارة | وتارة وهو بناطائح
في ليلة اطول من هجره | نام بها رقيبنا الكالح
الذ من لقيا أديب الورى | في العصر فهو الام والشارح
لا يمترى في فضله ممتر | ولم يكدر بحره مائح
سألت عنه قيل لي قد أتى | بحر (سلا) وبحرها طافح
فقلت يا قوم يريكم بذا | بحرين ذا عذب وذا مالح
لكن سلا فهل سلا بعده | قلبي وهو في (سلا) نازح
كم ليلة بت صريع الهوى | طرفي للنجم بها طامح
وليلة كان سميرى بها | شوق يشق حمله الفادح
لما بدت من دهرنا فرصة | بالوصل صاح بالهنا صائح
بشراك عوفيت من السقم لا | باس طهور أيها الصالح

قال هذه رسالة كتبتها عن لسان من يريد ان يبعث بها مع الحجاج عام 1044 هـ.

الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ، ارسله رحمة عامة لجميع الخلق فدخلوا في دين الله أفواجا وأمما ، فاستبانوا به رشدهم ، فجعلوه قصدهم أمما (2) حتى رفعت لهم راية الرشد والنجاح

(1) كذا. لعله وكل تقص. من تقصى يتقصى تقصياً.
(2) قريباً وهو بفتحتين.

وبان لهم منار الحق والصلاح ، ناداهم منادى الهدى حى على الفلاح ، فبادروا مسرعين الى معانقته ، وقد طالما كويت اكبادهم بنار مفارقته ، ففتح لهم المحبوب جنة الوصال ، ورفع عنهم حجب الانفصال ، فناداهم لسان الحال ، الذى هو افصح من لسان المقال ، ادخلوها بسلام أيها المومنون من الاثام ، سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزى المحسنين .

تمتعوا بوصال الحب فى غرف ... من الامانى وحلوا احسن الحلل
طوبى لهم وصلوا المحبوب واغتنموا ... من قربه غاية المرغوب والامل
تراهم عنده من كل مغتبط ... نشوان من خمرة الاشواق او ثمل
فكل ما كابدوا فى البعد مغتفر ... بالقرب فاحتملوه كل محتمل
يا لو تراهم اذا حفوا به حلفا ... وكلهم غرق فى دمعه الهطل
يشكون بعد مزار كلهم قلق ... مستعجل نحوه خوفا من الاجل
لكن عبدك يا مختار قد بركت ... به الذنوب فاغرته على الكسل
كيف السبيل الى لقياك يا أملى ... عجزت عنك وما لى فيك من حيل
لم يبق لى غير تسليم اشيعه ... اليك تقبله يا خاتم الرسل
منى السلام ومن رب الانام اذن ... تبليغه والقبول منك فاقتبل
منى سلام كريم طيب عطر ... عليك يا سيد الارسال يا أملى
منى سلام جسيم مشرق عبق ... عليك يا خير مبعوث الى الملل
قصدى الشفاعة ياخير الورى فلقد ... ضاقت بى الارض من ذنبى ومن وجلى
فامتن بها يا حبيبى انت ضامنها ... عن الاله لمثلى مكثرى الزلل
مستشفعا بضجيعيك اليك ابى ... بكر وثم أبى حفص وكل ولى

من العبد الفقير ، الحقير الى السيد الكبير الخطير ، من المذنب العاصى ، الى المشفع فى الدانى والقاصى ، من المحب المشتاق ، الى حبيب الملك الخلاق ، من الخائف الهيمان ، الى محل الامن والامان ، قطب دائرة الوجود ، وانسان عين الجود ، سيد الاولين والآخرين ، وامام المتقين وحبيب رب العالمين ، سيدى ومولاى ، وقرة عينى وسمط محياى ، سيدنا محمد بن عبد الله النبى الامى الزكى الاواه ، المصطفى المختار ، الذى سلمت عليه الاحجار ، واجابت دعاءه الاشجار ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم ، ومجد وعظم ، عبدك فلان ابن فلان الفلانى يقرئك السلام ، ويقبل بافواه الاقلام ، تربة بلدك الحرام ، لما عجزت الاقدام ، عن الاقدام ،

ولما نأيت ولم استطع ... اسير لحضرتكم بالقدم
سعيت اليكم برجل الرسو ... ل وخاطبتكم بلسان القلم

ومراده يا سيد الانام ، الشفاعة يوم القيامة ، له ولولده واهله وفرعه واصله ونسله ، فانت على ذلك قدير ، وبه من ربك تعلى جدير ، وسلام الله وصلواته ورحمته وبركاته عليك يا كهف الاثام ، ويا بدر التمام ، وعلى صاحبيك ابى

بكر وعمر ، ما جادت سماء بمطر ، وما غنت حمام على شجر ، ورحمة الله وبركاته .

وقال حين سمع ضرب طبل الحجاج بمراكش 1044 هـ.

خفق اللواء لزائرين المجتبى ... والطبل صاح الا هلم ليثربا
ولهم الى ذالك الضريح تسارع ... وتشوق وتحنن قد اطربا
شبوا بذاك جوا نحى فلقد غدت ... جمرا تهب لها العصوف من الصبا
سحت أوائل ادمعى فكانني ... ابغى التبرد للذى قد ألهبا
واذا سمعت غدا` تسير ركابهم ... طار الفؤاد لنازلين على قبا
ويح الفؤاد لقد تردى فى الردى ... لما ارتدى برداء وجد واحتبى
ولقد اراك تثبتا وتجلدا ... يوم الوداع وعنده الجزع اختبى
حتى اذا رد القياد جمالهم ... وتوسطوا بعد التحمل سبسبا
الف البلابل واستبان هيامه ... وعصى العواذل فى هواه وأسهبا
حتى يحم لقاؤه ويحط عن ... وجه الوصال نقابه المتنقبا
سل عن دموعى الجاريات اذا اتوا ... سلعا وعن جفنى الذى قد اسكبا
جفن اذا كتم الفؤاد غرامه ... نمت عليه دموعه فتصببا
أبغى الزيارة والمقادر قد ابت ... بل حق ذاك لها فذنبى سببا
كيف السبيل وان لى قلبا اذا ... خاطبته بهدى تولى او صبا
ام كيف يدرك رشده المرء الذى ... تهوى به مهما تهب صبا الصبا
الا اذا مسته رحمة ربه ... بمحمد المختار كان تقربا
خير البرية سيد الخلق الذى ... يرجو شفاعته الذى قد أذنبا
شمس الهدى علم الندى مجلى الصدى ... مردى العد انا فى الردى عمن كبا
انسان عين العالم القطب الذى ... فلك النجاة عليه دار وصوبا
سر الوجود وعينه وأساسه ... ونتيجة الكونين منتخب النبا
ملك المحاسن والمحامد والندا ... فمن ادعاها دونه يك أكذبا
لبس الجمال على الجلال فكل من ... يلقاه يوما احبه وتهيبا
ثمر النبوة قد جناه فى الصبا ... ففدا له قوتا به قد انجبا
آياته تحكى الجبال تعاظما ... والشهب نورا والمسوك تطيبا
لو رام جامعها على طول المدا ... حصر الاعجزه القليل واتعبا
حسن البيان خطابة ومواعظا ... هطل البنان سماحة وتوهبا
طلق الجبين اذا الانام قد اجتدوا ... هامى اليمين اذا الاوام تغلبا
وحنينه وأنينه دابا هما ... للدين او فى الدين لن يترهبا
يا طيب ملقاه فما عنه غنى ... ولذاك حن الجذع يوم تجنبا
وتعلقت شوقا به وحش الفلا ... وتانست وكذاك سارعت الظبا
ولقد أطاعته الجوامد فاعتبر ... بالسرح اذ كانت سواجد رغبا
وكذا الرمال تماسكت فى مشيه ... والصخر لان لرجليه وترطبا

والايتان بشق ذى ، ورجوع ذى ، غدتا كذلك آيتين لتندبا
أمر العصا والارض فائتمرت له هذى بقبض والعصى ان تقلبا
اما السحائب فهى طوع يمينه فتظله وتهل وبلا صيبا
وهى المجانس غير ان يمينه لم تلق قط كما السحائب خلبا
والصخر سلم ، والذراع تكلمت نصحا كما نصح الانام تحدبا
وكأن تسبيح التراب اجابة لفؤاده لما رماه وحصبا
أبدت مزيته بفىء سرحة ونبات أخرى حوله كى تحجبا
زهقت بواطل ذى العناد بحقه بقضيبه سقط الصليب وكبكبا
بالسيب والسيف ارتدى فمن اهتدى فله الندا ومن اعتدى فله السبا
ورد المكارم فى صباه فلم تزل تصفو مواردها له كى يشربا
حتى تملأ من مفجرها امتطى ظهر البراق الى المعالى مركبا
وله هنالك اخوة سبقوا له بعثا وقد سبق الجميع تقربا
ولذاك أم القوم افضلهم فلم يثن العنان وخلف خلى الموكبا
حتى اذا طوى الحجاب بحضرة قدسية سمع الندا وتاهبا
فهناك فاز المصطفى بحبيبه وقضى مشاربه الاله ورحبا
صلواته تغشاه مع بركاته مع آله وصحابه تحكى الكبا
فهم لخير الخلق خير صحابة كل غدا لهدى الخلائق كوكبا
وهم الا لى ضربوا الرقاب لنصره وهم الكرام طبيعة وتادبا
نعم الرسول نبينا وشفيعنا وملاذنا من كل هول أكربا
طوبى لأمته به سبقوا الورى دنيا واخرى اذ تساموا منصبا
كنا به خير الورى شرفا به اذ كان خير الرسل لا تتعجبا
فهى العناية من تنل نال المنى وهى الارادة من تخص ولو ابى
يا مبدأ الكونين يا قطب العلا يا خاتم الارسال أنت المجتبى
يا طيب الانفاس يا أمل الورى يا غاية السؤل المرجى للحبا
يا سيدى هذا عبيدك قد دعا سبعا لتشفع فيه يوم استعتبا
يوما تعارضه جوارح سبعة هن الشواهد كى تبين وتعربا
أو لست يا نعم الرسول حبيبنا أو ليس جاهك عاليا ومرجبا
أو لست يا مولاى أراف بالفتى من نفسه وكفى بذلك موجبا
واذا استغاث بك امرء وجبت له حقا حمايتكم ونال المطلبا
فانا امرؤ بك مؤمن وموحد لله ربك خفت ان اتعذبا
كن لى مجيرا يا مجير الخلق من ذنب تراكم كالجبال مع الربا
انى وحق علاك ما لى ملجأ الا اليك اذا اتى السيل الزبا
فلطالما فرجت كربة بائس لولاك عز خلاصه وتنكبا
ولطالما يسرت من متعسر وكشفت ما هال الفؤاد وشغبا
ولطالما أغنيت صاحب عسرة فغدا باثواب الغنا متقلبا
ولقد تواتر عنك فى السبب الذى يدلى به خبر اضاء وأعجبا

حبى وتسميتى هما السببان لى ... يوم القيامة حق لى أن اقربا
ولقد امنت من انقطاعهما اذا ... ما ضرنى ان فاتنى أن أنسبا
وعليك من ملك الورى الصلوات ما ... (خفق اللواء لزائرين المجتبى)

قال كتبت الى اخواننا طلبة بلدة (أبزو) حرسها الله

حمامة لا خانت هواك قوادم ... فطيرى الى (أبزو) فدتك الحمائم
وطيرى الى جو السماء وحلقى ... على (القلعة) الغراء حيث الاكارم
وطوفى بها سبعا طواف معظم ... كما طاف بالبيت المشرف قادم
نعم وانزلى يا حرة الطير وسطها ... وحيى كما حيا وسلم خادم
على السادة الاخيار فى قلعة الهدى ... وفيما حواليها قعود وقائم
سلاما به تحيا النفوس وتغتدى ... عليهم به طول الدهور النواسم
وقولى لهم منوا على ابن سعيدكم ... خواطركم لله فالحب لازم

فكان من جوابهم متمثلين به

سمعت حمامة هتفت بليل ... وقد حنت الى الف بعيد
فأزعجت القلوب وأقلقتها ... فما زلنا نقول لها أعيدى

ومنه

هواكم فى فؤادى لست انساه ... وذكركم فى لسانى ما أحيلاه
وشخصكم لم يزل فى خاطرى أبدا ... وحبكم فى صميم القلب مثواه

ومنه

فؤادى وجسمى من هواكم معذب ... وقلبى على جمر اللظى يتقلب
فان لم يكن منكم وصال ولا لقا ... فلا شك أنى للمقابر أذهب

قال ولشيخنا الاديب أبى فارس الشاطبى يرثى زوجه رحمها الله :

خيل المنية للبرية كامنة ... غارت على عرسى وكانت آمنة (1)
والشمس من دارى خبت أنوارها ... واحلولكت فكانها متداخنة
من حر انفاسى تصاعد فاكتست ... منه العوالم فهى دابا حازنة
حتى تؤدى بعض واجب حقها ... ان الغرابة كل حق ضامنة
ذات السماحة والحنانة والرضا ... فكأنها أم علينا حاضنة
اسفى على فقد الرفيقة انها ... برماح صعب فراقها لى طاعنة
تركت فؤادى بعدها متوجعا ... لما غدت تحت الجنادل ساكنة
ذهبت وفى خلدى اقام خيالها ... تبدى لنا جدر الديار محاسنه
فى طاعة الرحمن افنت عمرها ... لا تبتغى لهوا وليست ماجنة
الله يرحمها ويغفر وزرها ... وتحل فى دار الكرامة آمنة
فعلى رفيقتنا سلام الهنا ... يهدى لها يوم النشور مئامنه

---

(1) انظر هل يقال غار على العدو كما يقال اغار . فلم نره فى القاموس

فاجبته ولم أبلغ ما أردته

لا غرو يا نعم الحبيب اذن فلا ... تجزع لها فلكلنا هى كامنة
أحسنت حين نعيتها من بعد أن ... عزيت نفسك كى ترى متطامنة
ولقد تعزى كلنا من بعدما ... كنا نفوسا فى الجوى متضامنة
وعليك من رب الانام سلامة ... يهدى لك الرضوان أنت وآمنة

واجاب الاديب الاريب سيدى على بن الحسن المراكشى

فؤادى من وقع المنايا (بشامنة) ... وجيع فلا تجزع ففى الخلد آمنة
فمثلك لا يستغرب الموت والردى ... لعلمك ان خيله لك كامنة
على كل قطر كل وقت يشنها ... شمائله عمت وعمت ميامنه
وان كنت تنعى موت عرسك رحمة ... ففى رحمة الرحمن بعدك قاطنة
وان كنت تشكو رقة لفراقها ... فقد راقها ما فيه فى القبر عاطنة
وان كنت تبكى عن هوى وصبابة ... فظاهرة رحمى الالاله وباطنة
تصبر ولا تجزع ففى جزع الفتى ... له فتن تبقى على القلب ساكنة
وما الصبر الا عن جليل تجلد ... صدور ذوى الابصار كانت مساكنه
اذا العرس منها الغرس قد كان ناجحا ... فما هى الا للسعادة راكنة
فهذا ابو حفص به قد تشرفت ... تكون بما يدعوه فى الخلد عادنة
وتضحى بفردوس العلا بين حوره ... على رفرف خضر ترى وهى سادنة
وتمرح ما بين الازاهر نخوة ... وتقطع من صحراء خلد ميادنه
وأنت أبا حفص تصبر ولا تكن ... جزوعا بما عنك الحنانة بائنه
فانت بحمد الله لست بمن ترى ... له خلق بين البرية شائنه
فما كان من بلوى المصائب سطرت ... بلوح على كل الورى فهى كائنة

وقد عزى فيها ابن الاديب الشاطبى ، لانها امه ، وهو ابو حفص المذكور فيه ، والتزم خمسة حروف الميم والطاء والكاف والدال والهمزة فى كل ثلاثة ابيات حرف فأجاد ما شاء .)

قال وعزيت بعض الاصحاب فى ولد مات له ، فقلت :

ابت حرقة الاحشاء الا اشتعالها ... ولا فرقة الاحباب الا اشتمالها
هو الدهر لا يرثى لباك لو انه ... بكت عينه يوما دماء أسالها
تنبه لى ريب المنون فابصرت ... على البعد عيناه المنى فسعى لها
كذلك قدما دينه رب نعمة ... رآها على حر فغار وغالها
ولو أننى بدلت منه ابتليته ... ببين ولكن منية لن أنالها
فلم يبق الا أن لبست تجلدى ... لدى كل بلوى مستلذا وصالها
والا فما يغنى بها جزع الفتى ... كذلك لو يبغى الجهول نزالها
ولست بدهرى جاهلا حيث اننى ... اذا حالت الايام انكرت حالها

ولكنني ثبت الحجا متوقع — لدى كل حال تعتريني انتقالها
وارثى بحكم النفس للماجد الذى — ثنته على سراء ضراء لا لها
فقلت وبعد الدار لم يثن همة — صرفت لحسن العهد مني اشتغالها
تعز ابا زيد بنفس كريمة — وأكد بحسن الصبر منك جمالها
تعاظمت في نفس الزمان فلم يزل — يجنبك الجلى وينفى وبالها
فلما رأى عن غيبة منك فرصة — تبادر اذ لم يلف قط مثالها
على أنها صدع الفؤاد وانما — يرى مثلك الحر الكريم احتمالها
لديك من القرآن أعظم قدوة — فحكمته للنفس تشفى اعتلالها
وهذبها منك الحديث واجره — وبالعلم رب الخلق اصلح بالها
ولو لم تكن الا بصحبة ماجد — ظفرتم اتاحت للهموم انسلالها
تسل فان المجد والعز والعلا — بخدمته الغرا استفدت كمالها
وزيرية العلياء أعلت منارها — وليدية قد امنتك اختلالها
فلا زال عن تلك المعالى أساسها — ولا فقد الاسلام الا زوالها
ولا زالت الاقدار تعنو لقدرها — على رغم ذكره اذا ما استطالها

وكتبت الى بعض الطلبة في (ايليغ) بسوس

الى (اليغ) سلام لا يعارضه — (وادى النفيس) ولا ثنية الفول (1)
بليدة كل ما تهوى النفوس بها — ذات النزاهة والارباح والسول
قد قيل لي سبحت خيل الكساد بها — يوما وجالت بها في العرض والطول
فقلت لا شك في ان مصيبتها — بالعين والعين قولا غير مجهول (2)

واجـــاب :

قد خيب الله آمال التجار بها — فنال اهل (اليغ) منتهى السول
لو نفقت قلتم غلت بها سلع — فمثل هذا الكساد غير معقول
فليسترح من أراد منكم سفرا — لسوس وليجتنب ثنية الفول
أزكى سلام على انجاد حضرتكم — مع أمان مدى الازمان موصول

قال وهنيت امير المؤمنين نصره الله ببرء ابنة له

لك يا بديع سوامك الخضراء — يا مجرى الانهار في الغبراء
حمد وشكر ليس ينتهيان ما — من الاله بوافد السراء
سر العبيد بما يسر مليكهم — من برء ثمرة قلبه الغراء
فأذاقها نعم الشفاء بفضله — وأراح من سقم ومن ضراء
فبسجدة وبمريم ونسائها — حصنتها وبسورة الاسراء (3)

قال وقلت في بعض المكاتبات لمن طلبوا مني الاشتراط معهم

يا رائد الحى هل ابصرت ركبانا — أم نافعى الدمع ان الحب قد بانا

---

(1) يعني ما يسمى بالشلحة (بيباون). مكان على طريق (امسكروض)
(2) تلميح الى حديث: العين حق
(3) سور من القرءان.

ان الالى ودعتهم غير قالية ... نفسى لقد أودعوا الاحشاء نيرانا
ما كان الا لهم ودى وما اخذت ... منه النوى بل تزيد القلب تحنانا
لم يمنح الدهر منهم غير آونة ... مرت فياليتها قد كانت أحيانا
غابوا وياليتهم آبوا وان بخلوا ... بالاوب يوما كفانا الطيف ان كانا
قامت قيامتنا لولا تعللنا ... أهل الهوى بالامانى حين يغشانا
فكم أسالت بروق أرضهم مطرا ... من أدمعى فغدا وكفا وتهتانا
وكم أطار منامى نوح ساجعة ... وكم أثار نسيم الريح أشجانا
لو أن وجناء علكوما تبلغنى ... مغناهم حيث كان الشمل أزمانا (1)
افرى بها لا ابالى حيثما صفعت ... أديم خرقاء للاحباب عجلانا
أقصى مناى اذا انخنت ناجيتى ... ببابهم واصلا بالحمد شكرانا
لكن قصارى محب أعوزته منى ... طيب التحايا لهم سرا واعلانا
فقلت منى سلام طاب فائحه ... على الافاضل اجمالا ووحدانا
مع السعادة غاديه ورائحه ... يأتى ويوتى من الرحمن رضوانا
وان تفضلتم يوما بمسئلة ... عنا وفضل علاكم ليس ينسانا
فلتعلموا والاه الخلق يشهد لى ... أنى على حبكم فى الله مولانا
لقد اتانى والانباء سائرة ... أن قد ظننتم بنا غدرا وهجرانا
فقلت كلا معاذ الله يا سكنى ... أن أخفر العهد أو أنساه نسيانا
لكن سابدى الى الاحباب معذرتى ... حتى يروا غير ذلك العذر بهتانا
ولتكتبوا يا سراة القوم رغبتكم ... فينا ومقصدكم فى العيد تبيانا
وعينوا والسماح من عوائدكم ... ما قد بذلتم لنا فضلا واحسانا
الله يكلؤكم طرا ويعصمكم ... بجاه خير الورى عجما وعربانا
ازكى الصلاة كما غنت سواجع فى ... دوح الرياض له والآل اعيانا

قال : وكتبت ايضا لبعض من كاتبنى ولم أعرفه قبل فتعرف هو الى

انى وحق الذى اولاك حكمته ... فى كل فن فكنت منتهى الطلب
لزاد شحط النوى فى حب حيكم ... فصرت للنفس منه منتهى الارب
قد كنت احسب قبل اليوم ليس لنا ... الى علاك المشيد الركن من سبب
فلم يرعنى سوى استفتاح رسلكم ... باب المودة كم فى الدهر من عجب
ولا أرى من يرانى فى الورى سكنا ... غير الحبيب ابى العباس ذى الرتب
فاقراه منى سلاما عن تفضلكم ... على المحب بفضل منك ولتجب

وكتبت ايضا اليه

اعد حديث امرء قد ابتكرا ... نحو المعالى فكان كيف ترى
فكان لو نال ما يشاء فتى ... بمجده نال كلما ابتدرا

---

(1) العلكوم: الشديدة من الابل. للذكر وللانثى.

ما كان احلى حديث كل فتى ... حدث عنكم واسهب الخبرا
يكون مهما يصف علاك كمن ... يعين الشمس او يرى القمرا
فكم تمنى الفؤاد زورتكم ... فلم يقدر له الذى اعتبرا
وكم كننت الهوى وبحت به ... لهاتف الشوق اذ دعا سحرا
فكان محصول ما يؤمله ... قلبى من الامر كلما ائتمرا
يا هاتف الشوق قد دعوت لهم ... لو أن سيرى لأرضهم قدرا
عسى الزمان المطول يا سكنى ... يقضى على مطله فننتصرا
على الحبيب الذى يسير لنا ... منه السلام السلام معتكرا

قال ، وقلت فى المداعبة وختمت البيت الاخير بكلمة بربرية

أتيت الى القشاش فى سوق بلدة ... وعندى جوع مثله قط لم ألقا
فقلت له مالى أراك معبسا ... أليس محالا جوع زائركم يبقى
وقال بلى هل من فلوس فقلت لا ... ولكن أجر الله خير لكم حقا
فقال بصوم العام لا ذقت عندنا ... بأجرك من هذى الموائد ينوقا (1)

هذا ما وجدته فى (الكناشة) وهاك ما وجدته ايضا فى مجموعه الكبير الذى يسمونه بالفهرس الكبير ، مع أنه لا يتصف بوصف الفهارس ، وانما هو مجموع فوائد ، على الغالب ، قال قلت فى (بستان المسرة) ونحن فيه مع مولانا الوليد فى زمن فصل ربيع

يا صاحبى أديراها فلا عجبا ... هذى المسرة سرتنا كما وجبا
وذى منازه دار الملك مشرفة ... على الحدائق تحكى حولها شهبا
وذا النسيم وقد حيا القصور بها ... وغنت الطير فاستصغى لها القضبا
وفى الارنج خدودهن فى حلل ... خضر وذا السر ويخطى عندها الرقبا
كانما قطع الازهار واختلفت ... ألوانها درر قد خالطت ذهبا
وهذه قبة المولى يحف بها ... من كل لون يريك حسنه العجبا
راقت ورقت معانيها وقد ضحكت ... لها (المسرة) واهتمت لها طربا
كانها قد ابانت من ازاهرها ... حسنا مناقب مولانا التى اكتسبا
اجل ويحكى شذاها كلما عبقت ... آثاره عندما قد مال او وهبا
فالله يبقى له الملك السعيد كما ... يبقيه للملك يحمى العجم والعربا

وقلت مخاطبا لبعض الصوفية من اصحابنا وقد بلغنى أنه عمى

أسير الهوى مستعتب الحدثان ... فما لى بما القاه منه يدان
وما كنت لولا اليوم احسب اننى ... سيسلبنى ثوب الامان زمانى
دعانى الهوى حتى وطيئت بساطه ... فسدد سهم البين ثم رمانى
فنادى صريحا حين انفذ مقتلى ... بسهم النوى اى عبد كيف ترانى

---

(1) معناه (ولو حبة) بفتح الياء والواو وسكون النون .

فقلت حبيبا حل فى القلب دائما ... حلول شهود لا حلول مكان
فقال اصطبر تحمد لدينا فان تكن ... جزوعا فما للجاز عين تدان
فقلت رضا بعد الرضا يصحب الرضا ... فهاذا القضا ارضاه كيف اتانى

وكتبت الى بعض الاخوان معتذرا عن جفوه

متى يراك محب عنده أمل ... اعيته فى وصلك الاسباب والحيل
أم كيف يرجو وصالا من تكنفه ... من الوشاة ومن عداله جمل
مما يؤنس قلبى بل يؤيسه ... انى علقت غزالا ما له مثل
كم حاولونى لو أنى قد اطعتهم ... على التسلى بروض زهره خضل
واشهدونى من ظرفهم عجبا ... والعود فى النار والاحكام تمتثل
واشهدونى من طرفهم عجبا ... يسقيهم العنب المعصور يا رجل
كم عاتبونى وكم سلوا وكم طعنوا ... فيه وكم ولهوا عقلى وما عقلوا
كم يعلموا كيف استشفى بعذلهم ... اذا اعترانى من شوقى له خبل
اما تراهم اذا اصغيت اطمعهم ... أنى سلوت ونار الحب تشتعل
وصاحب رام منى ان انادمه ... اغضبته وهو ما فى حبه خلل
لكن ابادر فى تفريج كربته ... لبسط عذرى والاشراف تحتمل
فقلت يا سيدى يا خير معتمد ... يا أنس قلبى انت السؤل والامل
قد منعتنى امور لست اذكرها ... مهلا فلا يستفز حلمك العجل
يكفيك ياجوهر الا حساب ان فقدت ... جواهر الثغر معها الاعين النجل
كيف وغابت دنانير الوجوه وهل ... يرى بغير دنانير فتى ثمل
فان عذرت فمن فضل عرفت به ... قدما والا فيا لهفى وما العمل
لكن عظيم وداد منك يحملنى ... على التجنى فلست الدهر انتقل

فاجابه اعزه الله بقبول العذر فقال من نظمه :

يا سيد اطال ما اودى به الخجل ... أعياه وصل حبيب عنده أمل
قد اعتذرت الينا الآن نقبله ... بحيث تغنيك عن تفصيله الجمل
يكفى المحب وداد أنت تعلمه ... فلا جفاء يخاف مارسا جبل
كأن قلبك سال فى تقلبه ... عنه ويدنفه التشبيب والغزل
فى روض انس بهى لا نظير له ... لو أنه للذى نهواه يشتمل
فاسمح بفضلك يا نجل سعيد ولا ... تأخذ علينا فان القوم ما عقلوا
ودع مقالة كل العاذلين سدى ... ولا تبال بلوم ان هم عذلوا
ودم على عهده نظفر بمنيتكم ... ان الذين اداموا عهدهم وصلوا
ولا تحد ان بدت منه منافرة ... فالجيد الحاد من قد كان ينعزل
وقر عينا وطب نفسا فلست ترى ... الا المسرة فى اردافها الجدل
وارفل وزد فرحا تنفى به قرحا ... فوصل حبك هو الخمر والعسل

ايـام وصـلك كالاعيـاد جملتهـا — وشمس سعدك قد اطلعها الحمـل
قد طال من اجله مـا قلت مكتئبـا — متى يـراك محب عنـده امـل

وقلت في رسالة

خليلي هل للدهر عن صرفـه زجـر — والا فهـل للقلب عن الفـه صـبر
فان قلت لا فاصدق وساعد على البكا — وامـا نعم فيما سوى البذل فالعذر
فاقسمت من ديـن الهوى بعهـوده — وبالشمس ليل الانس فرقه الفجر
وبالود والاحسان والصدق والوفـا — وبالوصل منهم قبل ان يحدث الهجر
وبالعتب والاعتـاب والزور واللقـا — ومـا هو سر بـين ذلك او جـهـر
لما طاب عيش الحب من بعد بعدهم — بشيء من الدنيا ولا انشرح الصدر
فحسبهـم منـا اذا مـا مضت لنـا — سنون حسبنا العام منها كما الشهر
يطيب لجـلاسي الحديـث ولم يطـب — لقلبي سوى ما فيه يجرى لهم ذكر
جرى خاطرى في القلب ان نسيمكم — يـبـرده فـازداد من وده الحـر
ولا عجـب فالشيء يـعـلو بضـده — ومن بلل يبدو لنـا الثر والقطـر
وسلم على الاحباب يـا ابن عطيـة — بفضلك من في السهل او ضمه الوعر
ابـو سالم قـاضي القضاة وصحبه — كذاك ابو مهدى الذى خـانه الدهر
ولا تنسـون الحب من فضل دعـوة — بهـا تدرك الامال او يغفـر الوزر
عليك من البـارى الكريـم تحيـة — تعـمـكم منهـا السعـادة والاجـر

وقلت في تضرع لله

يا فاتح السهل لا تخبر رجا كرم — يـا رحمتي كم مشرد اليـك ركـن
هنا يكون العطا التوفيق كلا أيـا — من لم يزل صمد اجب وجد بمنـن
وصن وكن لي وهب لي حسن خاتمة — وسيلتي أنـبـيـاء بعثـت بسنـن

وقلت في رسالة زيارة قبر مولاى عبد السلام بن مشيش

فياليت هل يبدو لنا (زالغ) وهـل — نرى صرخ (دار الرمك) او يسعد الدهر
نـزور (بني عمـار زمورة) بـهـا — نسر وفي بطحائها يعـذب الشكـر
فناتي (بني زروال) في طيب ارضها — (بني احمد) جزها ولا تسبك الخمر
ودع عنك (اخماس الجهالة) وارتحل — الى (علم الاعلام) يبدو لك البـدر
فقف عنده واخلـع نعالك واغتسل — بـ (عين معين الشاذلي) يصلح الامر
وسر صاحب التيسير واصعد الى العلا — هناك ورب البيت قـد دفـن السر
اذا ابـصرت عينـاك روضتـه التى — بها تشرق الدنيا وينمو بهـا الفخر
فسـلم وعظم خاضعـا متـأدبـا — لسيدنـا (عبد السلام) لك الاجـر
امـرغ يـا مولاى خـدى لديـكم — واسبل دمعي حيث قابـلني القـبر
وادعـو وأبـكي ضارعـا متوسـلا — بقـدرك عند الله قـد مسني الضر
انادى بـكم يـا قطـب كل موحـد — نهـارى وليـلي قـد اضر بي الفقر
عساك تريـني فضلك الظاهر الذى — يؤمـله كل الـورى العبـد والحـر

اغثني وقل يــا فقر زل عن محبنــا	هو (ابن سعيد) عبدكم ذلك الغمر
بــجــدك خــير العــالمــين تــوســلى	اليك فلا تهمل عبــيــدك يــا بحر
علــيــه مــن اللــه العظيــم وآلــه	سلام يحاكى نــوره الانجم الزهــر

وكان بعض الاصحاب رأى مني مالا يرضى الله ، فقال لى

ايا بن سعيد بيس مــا انت صانع	متى انت للرحمن ويحك راجـــع

ووقف فكملت انا شكره هذا ، مع ابيات أخرى

اطعــت على عصيانــه النفس كلمــا	دعتــك الى ســوء الفعــال تســارع
فلا بكتــاب الله ويحك تــقــتــدى	ولا لحديــث المصطفى انــت تــابــع
فكم سمعت اذنــاك زاجــر وعظــه	كفاك هدى لــو ان قلبــك سامــع
اضعت وبيــس الفعل واجب حقــه	وما حظ هذا النفس عندك ضائــع

ذلك ما وجدنا له من القوافى التى تكون مصداقا لما وصفه به المؤرخ اليفرنى ، وله فهرسان كبير ملأه بالفوائد من الطب ، ومختار الاشعار ، وحكم ومسائل فقهية وصغير اجاز به الشيخ سيدى محمد بن ناصر واخاه الحسين ، وهو الذى وقفت عليه اولا ، ثم وقفت ثانيا على الآخر فقد ذكر فى الصغير انه زار سنة 1051 هـ (درعة) واخذ عند هذان كتــبــا فى الحديث والتفسير وفى المــواقيت وفى الحساب ، فاجازهما عن ابى بكــر السكتانى الا مغارتى الذى اخذ عنه فى مسجــد (بــاب دكــالة) ومسجد (الحلفاويين) وعن عبد الله بن على بن الطاهر ، اجــازه هــذا 1037 هـ. فى (مضغرة) ببلاد (تاغلا) فيها وقت امتحان الشرفاء هناك ومن عبد الواحد بن عاشر فى (فاس) وعن ابرهيم الكلالى المزيانى ، اخذ عنه فى (غمارة) وكذلك اخذ عن الجنان الفاسى . وجرى ذكره فى كتاب (خلاصة الاثر) فقال بعد كلام (واخذ عنه عالم لا يحصون ، وتخرج به فى التصوف كثيرون ولازمه افاضل عصره وممن اخذ عنه وتخرج به الفاضل العلامة ابرهيم السوسى ومحمد الوفرانى وكانا كثيرا ما يديمان ذكره فى مجالسهما ويذكران عنه وقائع غريبة (1) ، وحين نشأ فى (سوس) قبل ان يذهب الى (الحواضر) فلا بد ان ياخذ عن بعض السوسيين ولكن لم نعرف له استاذا منهم ، الا عبد الرحمن التامانارتى ، وابا مهدى عيسى السكتانى ومما يتعلق به انه حين علا شأنه فى (مراكش) جاء اليه اهله المرغتيون ، فاسترجعوه الى بلدهم لانهم اولى بعلومه ، لينتفعوا به على ما زعموا ، فشارط فى مدرسة (مرغت) فكان كل واحد منهم متى اراد ان يكتب رسما ياتى اليه ، ويناديه (يا ابن عدى) اريد كاغد لتكتب لى فيه شهادة ، فيعطيه الكاغد من عنده ، ويكتب له مجانا وربما ينزل عليه ضيفا ، وحين اكثروا عليه بجفائهم قال

---

(1) وهذان الاديبان ربما يذكران في (مترعات الكؤوس)

كلمته المشهورة (يا مراكش يا كبدى اما فى مرغت فاين كاغدك يا ابن عدى) يعنى لا يسمونه ابن سعيد ، فاقلع الى (مراكش) حيث استقر الى ان لاقى ربه وقد اثنى عليه الحلبى نزيل (فاس) ثناء جما وقد اشتهر له ولدان عالمان مؤلفان يحيا ومحمد ، وهما مراكشيان منشئا ومتعلما ومولدا ، وقد راينا مؤلفا لمحمد من الخزانة الحمزاوية ، الفه 1084 هـ. فى حياة والده

الثامن والثلاثون القاضى محمد بن عبد الله المرغتى

لم نقف له على اثر ولا على ترجمة ، الا ان محمد بن سعيد ذكره فى الكناشة المتقدمة بقوله

(وقلت مهنيئا لاخينا وابن عمنا الفقيه الاجل النبية الاحفل ، ابى عبد الله السيد محمد بن عبد الله المرغتى حين تولى القضاء عام (ووضع حروفا لا نعرفها)

بشر السجع باللقا يا هزار	أم تذكرت يوم شط المزار
سجعة فوق نبعة قد اسالت	دمعة هجت لوعة يا هزار
يا خليلى سائلا الحى عمن	غادرونى رهين شوقى وساروا
عد يا عن هواى فيهم ولكن	اديا عن جواى اذ ما يثار
علهم يانفون ان يخفروا من	حبهم عهده فهم اخيار

او يرقو المستهام كسير القلب لا وصل يرتجى لا انجبار

سميانى فلا اقل اعتبارا	من خطورى ببالهم اذ يثار
قد كفتهم وسيلة العهد لولا	انهم فى الهوى تعدوا وجاروا
ان للحب صولة فانج منه	يستوى عندها مجار وجار
حجتى حيثما ناوا فاعتداء	واذا ما لقيتهم فاعتذار
مرآها على قليبى زمان	فيه كاس المنى علينا تدار
حيث شملى وشملهم واطمأنت	بالامانى كيفما شيئت دار
قد دعا للهوى ودهرى نؤوم	بدرتم فكان منى البدار
كم رياض قطفت زهر الامانى	عندها لا بها اذى او غيار
كم ليال غنمت وصلا جميلا	عندها لا بها رقيب يغار

غفل الدهر فاختسلسنا رغيد العيش منه فلم يشنه ازورار

مثلما ادرك ابن عبد الاله العز منه ولم يخنه انتصار

شد قوم الى العلا ثم اضحى	بينهم لا يشق منه غبار
انهم حلبة فجلى وصلوا	قصب السبق حازه اذ اغاروا
يا ابن عبد الاله فانعم هنيئا	نلت عزا ولم يشبه انكدار
اطلعت بدرك المنير سعود	حيث لا رصد منتج واختيار
لم تزل تنبئى البرايا لديكم	ان ستعلوكم مزايا غزار
ثم لم تلبث ان علوت عليهم	حين اصفاك للقضاء الخيار

خطة تنتقيك ان تلتقيها ترتقيها وفى قراها القرار (1)
نحمد الله ولنهنيئك فيها اذ يهنيك يا ابن عم الفخار
دم بما قد وليت منها شهابا للورى دائما به يستنار
ثم انا اذا نهنيك ندرى ان تلاقاك السيد المزوار
فله الفضل اولا وانتهاء شكره واجب به الاقرار
عادة منه تقتضيها سجايا مسك دارين اصلها او نضار
عالم عامل رضى لو ذعى زانه الحلم والوفا والوقار
من له فى العلوم باع مديد حسبك اليوم صيته واشتهار
واحد العصر جهبذ ولسان تفلق الصخر قد جلاها اقتدار
كم بدا فى هدى اولى العلم قطبا حوله فى المدا يكون المدار
حاطه فى كماله وعلاه ربنا جل الواحد القهار
لاعدمت الرزايا فى الدهر ان لم يبدلى اليوم فضله والنجار
او لم اعرف من حقه قبل أو لم يملك القلب حبه والاوار
وسلام على معاليه يحكى عرفه المسك دائما والبهار

التاسع والثلاثون محمد بن عمرو الاسريرى
الاربعون احمد بن محمد بن عبد الله
الحادى والاربعون عبد الواسع بن محمد بن عبد الله
الثانى والاربعون احمد بن محمد بن عبد الواسع
الثالث والاربعون عبد القادر بن محمد بن عبد الواسع
الرابع والاربعون محمد اكليد ـ كما لقب به ـ
الخامس والاربعون على بن محمد اكليد
السادس والاربعون عبد الرحمن بن على بن محمد اكليد
السابع والاربعون محمد بن عبد الرحمن ابن من قبله
الثامن والاربعون محمود اخوه
التاسع والاربعون احمد بن محمود بن عبد الرحمن
الخمسون محمد الامين بن محمد بن محمود بن عبد الرحمن
الحادى والخمسون محمد الغزال
الثانى والخمسون ادريس بن محمد الغزال
الثالث والخمسون الحاج عبد العزيز بن عبد الرحمن بن على بن محمد اكليد

هؤلاء كلهم من اخوان (الواهداويين) من صميمهم وهم آل الشيخ محمد ابن عمرو الاسريرى وستأتى تراجمهم فى (الجزء الثانى عشر) ان شاء الله

---

(1) القري بالفتح : الظهر.

الرابع والخمسون   ابرهيم بن سعيد

قريتـه (ايت صواب) تسمى (ايكر أوزاغار) واسرتـه تسمى ايـت الطالب تنتسب الى (يعزى ويهدى) وهو ابن عـم سيدى مولـود بن همو الصوابى استاذ بعض الاساتذة الالغيين   التحق بعد ان اتقن القرآن حفظا بالمدرسة (الجشتيمية) فاخذ هناك عن الحاج احمد الجشتيمي وعن سيدى محمد ابن محمد الايسى الشهير بهموش   وقـد كان اذ ذاك يتولى جـل الدراسة بالمدرسة لضعف سيدى الحاج احمد   ولكثرة اشتغاله بالزوار   ولذلك اشتهر صاحب الترجمة بانه من الاخذين عن سيدى هموش مع انه لا بد ان يلم بالاخذ عن رب المثوى وصاحب المدرسة الجشتيمية سيدى الحاج احمد رحمه الله

ثم بعد ان اكتفى من الاخذ سافر عن اهله ، وغـابت عنهم اخبـاره اعواما . وبعد حقبة آب اليهم . فذكر انه كان يشارط فى جبل (درن) طوال تلك الاعوام ، ثم شارط فى مسجد (أداى) بـ (حربيلة) فقام هناك بتعليم كتاب الله الكريم سنوات ، وكان ابن عمه مولود المذكـور ممن يتعلم على يده فاجتمع هناك ما ينض له من شرطه حتى اجتمع له مال ، وتوفرت له ثروة   فمال الى مداينة الناس ، وارتهان حلى الاسر ، فتفشى له بذلك ضغن وحسد من بعد الاثرياء الادائيين ، فصاروا ياتمرون فيمـا بينهم كيـف ينقضون عليه ، ويفتكون به ، حتى يستاثروا بكل ما تحت يده ، وهو غافل عما يبرم حوله ، حسن الظن بالايام . فكاد الدست يتم عليه والناس اذ ذاك من عز بز ، لو لم يحضر الحسين بن الحاج الشلحى من رؤساء ايت على بـــ (مجاط) وهو صاحبه الى (اداى) فسرى اليه الخبر بالاحبولة التى تنصب لابرهيم الفقيه صاحبه ، فاوعز الى ذويه بـ (مجاط) فراحوا عليه باربعين بغلة ، فجمع كل ما لديه ليلا ، فادلجـوا بصاحبهم وبماله ، فاصبحوا فى قبيلة (مجاط) آمنين ، فنجا من مكـر الادائيـين ، ثـم شارط فى مسجد (ايزروالن) ما شاء الله ، ثم انقطع الى داره فى قبيلته . يزاول فض النوازل وفصل الخصومات ـ والمحكمون يتواردون عليه من كل جهة ، واخيرا التقى بالشيخ الالغى ، وقد رأى عليه رويا حسنة ليلة يصبح على قريته ، وذلك فى اواسط 1304 هـ. ثم لم ينشب ان مات ضحية اطماع جيرانه ، وذلك انه جمع ثلة من الناس يغرسون له تينا فى مكان ، فقام اليه غلام اغراه جيرانه به   فعارضه فى الغرس   فاهوى اليه صاحب الترجمة بشىء فى يـده يخوفه به ، فمال عليه الآخر ببندقيته ، فالهب راسه برصاصة ، فسقط مضرجا بدمه ، وهكذا قضى كما يقضى كثيرون من امثاله ، فى هذه الجبال ، المشهورة بسفك الدماء منذ القـرن السادس (كما ذكـر ذلك عبد الواحد المراكشى فى كتابه (المعجب) حين تعرض لذكر (سوس) وقد زاره وشاهد بعينه كيف ترخص فيه الارواح ، وتسفك فيه الدماء مجانا) وكانت له رحمه الله جرأة ورباطة جأش اكتسبها من كثرة تنقلاته فى الاسفار . وبكل اسف

لم نقف له على اثر الى الآن . وكان له اخ يسمى محمد بن ابرهيم ، كان اخذ ايضا في المدرسة (الجشتيمية) ، وكان نجيبا لقنا ثم اعتبط قبل ان يزهر ، وان تجنى منه الثمار وكانت وفاته قبل 1285 هـ.

حدثني الفقير سيدى باعيد الصوابى المتجرد بلديه بهذه الترجمة وزاد على ذلك انه كان فانيا في محبة الشيخ الالغى منذ اخذ عنه ، ويحمد الله على انه حى حتى لقى شيخا حيا عظيما من الاشياخ الكبار كالشيخ سيدى احمد بن موسى ومولاى عبد القادر الجيلالى في علو الهمة وفي انهاض القلوب فقد قال انه يحس بحياة قلبه منذ لاقى الشيخ رحم الله الجميع توفى نحو 1306 هـ. وولد نحو 1260 هـ.

الخامس والخمسون عبد الرحمن من (اكال ملولن) من (بعقلية) من اسرة (آل الدقيق) — ايت بوكرن — المنتقلة من قرية (أدوار ايكرامن) من (بونعمان) فقيه مشهور في النصف الاخير من القرن الماضى ، اخذ عن سيدى العربى بن ابرهيم الادوزى . توفى — لعل — نحو 1300 هـ.

السادس والخمسون مسعود بن عبد الرحمن ابن من قبله ، تخرج من (ادوز) بالعلامة محمد ابن العربى ، وطال عمره الى ان توفى نحو 1365 وديدنه التوثيق ، وتعليم كتاب الله ولهذين اسلاف من العلماء لم نعرف اسماءهم ، اثنى عليهم العلامة ابو فارس الادوزى في اثناء كلام له في نازلة ذكروا فيها ، ويظهر ان الذين اثنى عليهم يعيشون في القرن الثانى عشر ومن هذه الاسرة الرئيس ابرهيم بن احمد الذى كان يخوض مع الخائضين حينا في (بعقلية) توفى نحو 1350 هـ.

السابع والخمسون البشير العزيى الافرانى

اديب ناشئ من اسرة كان مر فيها العلامة المؤرخ محمد الصغير ، صاحب (صفوة من انتشر) و (نزهة الحادى) وغيرهما من المؤلفات وقد كان والد محمد الصغير نزل (مراكش) ففيها ولد ابنه هذا ونشأ وقرا ثم استتم في (فاس) واخذ عن آخرين من غير هاتين الحاضرتين ، فكان علامة (مراكش) مشاركة في الفنون كلها ، وقد رفع راية الادب ، وناهيك بكتابه (المسلك السهل ، على توشيح ابن سهل) وتصدر للتدريس في العلوم خصوصا التفسير ، فظهر منه في الحفظ آيات باهرة ، ذكر صاحب (رحلة الوافد) الذى كان رفيقه في احدى مدارس (فاس) ان الذين ينفسون عليه مكانته في المشاركة ، يتصدون له اثناء درس التفسير ، كل واحد منهم في علمه الذى اتقنه ، فيورد عليه اشكالات ، فيجيب كل واحد بديهة من اعلى المنبر بما يلقمه حجرا ، وترجمته واسعة ، وليس من شرطنا ان نتوسع في اخباره ، وانما جرنا اليه ذكر البشير الذى هو من آله ، وقد اخبر الاستاذ محمد بن على ايكيك انه راى عند هذه الاسرة رسائل منه الى من كانوا احياء اذ ذاك

من اهله ، وقد غلط من حدث استاذنا سيدى عباسا المراكشى بانه من اهل زاوية (تازكارت) وهى زاوية هناك للركراكيين فانه ليس منهم قطعا ، وانما هو من هذه الاسرة البكرية ، وقد رايت فى (رحلة الوافد) نسبته البكرية وهى حقيقية لا مجازية (1) ، وقد كان شيخنا سيدى الطاهر بن محمد حدثنى ان العزيين هؤلاء بكريون وردوا من (امانوز) ثم حدثنى الواعية الاديب سيدى البشير بن المدنى الناصرى انهم شعبة من شعب آل (يعزى ويهدى) كما ذكرت ذلك فى (الرحلة الثانية) من (خلال جزولة) ولو ثبت انهم وردوا من (امانوز) لكانوا اخوة اهل (اكادير) من (امانور) وهم ايضا بكريون الا انهم ليسوا وهداويين

نشأ رافعا لراية الاداب سيدى البشير فى ذلك الوادى الذى اسميه (وادى الادباء) وقد نشأ تحت كنف شيخنا سيدى الطاهر بن محمد رافع راية الاداب ، فكان من نجباء تلاميذه ، وقد كان استاذنا مولاى عبد الرحمن البوزاكارنى يثنى عليه كثيرا ، وقد اعتبط شابا قبل ان تشرق شمسه فى كبد السماء ، ولو طالت حياته لكان له شأن فى الميدان الادبى ، وقد توفى بعد 1326 هـ. وقد رايناه فيما تقدم يشارك فى تابين الاديب الطاهر الناصرى بقصدة نونية

كان يفد على (الغ) ويزور العلامة سيدى العربى الساموكنى يوم كان فى المدرسة (الايغشانية) فكانت ادبيات تدور حواليه ، وقد ذكر بعضها فى ترجمة سيدى العربى الساموكنى فى (الجزء التاسع) ومن غرر ما بين ايدينا له من الادبيات حوله ما تعاطاه هو وشيخه الافرانى ، وننقل ذلك عمن نقل العزيين من خطه ، قال :

(ولكاتبه الضعيف الغريب البشير بن بلقاسم العزيبى وصل الله غربته ، وفرج كربته ، يهنئ شيخه صاحب الادب المفرد ابا محمد التامانارتى رضى الله عنه ببنت له اصلحها الله ما نصه :

وافت فاعشى العيون النجل مرآها	شمس الضحى فى سماء المجد مغناها
صالت على الخود حسنا فسجدن لها	يا طيب ارواحها يا طيب معناها
زانت بطلعتها ارض الفضاء كما	زانت بطلعة بنت الشيخ ارجاها
مولاى يا روح جسم المكرمات ومن	عالج سقم العلا عزما فداواها
هنيئت بالبنت زارت شمس ساحتكم	اكرم بها ثمرة قد طاب مجناها
نادى بها السعد مشتاقا اليها كما	كانت حجور العلا نادت ببشراها
شمس تفوق ذكا نورا بأن بها	ضوء الجديدين لاذا اليوم اضواها
يكفلها السعد والنسوان قاطبة	يخدمن مطلعها يحملن مسراها
انبتها الله تالف المبرة تر	جو الخير تاتى من الخيرات اعلاها
معصومة وبحور العلم اخوتها	من الدواهى وجن فغرت فاها

خذها على قدر جهد المستطيع فقد قيل ويعذر من جهده فاها
فان وفت فهي من آثار نعمتكم اولا فعذر غريب الدار اقصاها
تبغي الرضا منك والاقبال سيدنا وعطفتي منك ما اشهى واحلاها
لا زلت في اهلك الاقمار تلحظكم عين الرعاية عين الاله احماها
ولا تزال وفود السعد تقصد با ب السيد المعتلى بالمصطفى طاها
صلى عليه الـه العرش ما مدحت قريحة الصب رسم دار ليلاها
والآل والصحب من فى النصر والصدق والاقدام للحرب امثالا واشباها

فاجاب شيخنا ذو البركة العظيمة بما صورته

مليحة غازلت عيني عيناها فاصبح القلب من جملة اسراها
دعت فؤاد الخلي للصبابة من بعد مشيب عذاريه فلباها
قصيدة نظمت زهر الربيع حلى فراقني لفظها اذرق معناها
من بحرها الدر الا انه كلم من نشرها المسك لابل دون رياها
جاءت بها فكرة (العزى) سيدنا الـــبشير من قد تردى العز والجاها
يهنئي العبد بالبنت التي برزت والسعد يخدمها من فضل مولاها
هبت صباها وجنح الهم منسدل فرنح القلب مغداها ومسراها
اسمت في روضها سرح العيون فما احلى واطيب مرآها ومرعاها
ايه بني فقد جريت جهدك في شأو البلاغة حتى نلت اقصاها
رفقا فديتك بي ان القريحة قد ذوت نضارتها وغاض سقياها
بان الشباب بلذات الصبا واتى الـــمشيب واها لايام الصبا واها
لولا المشيب لا نضيت القريحة في شاو القريض الى غاية مرماها
فقد اثرت بهذه الخريدة ما قد شب نار الجوى منى وأذكاها
فالوجد يبعث وجدا مثله فلذا تشجى المحبين اطيار بمبكاها
فانت لا شك فرد العصر واحده فته فحق لمن بالعلم قد تاها
فوالذى جعل الاداب منزلة تبدو به رتبة الانسان ان فاها
لأنت عندى اخص الناس كلهم محبة محضة قلبى اصفاها
فالله يقضى بجمع الشمل في دعة فتقتضى النفس منه متمناها
وتنقضى مدة البين المشت فما امر ايامه طعما وانكاها
بجاه افضل من لاذ العفاة به خير الورى المصطفى قطب الهدى طاها
عليه ازكى صلاة الله دائمة ما حن نحو الحمى متيم تاها
وآله الغر والصحب الكرام ومن دان بملته المثلى ووالاها

وللمترجم من الاولاد الذكور اثنان ، محمد والطيب ، فالاول من حفظة كتاب الله يشارط في المساجد ، ولا يزالان معا حين الى الآن ، 1381 هـ. وقد كان الطيب العامي يبيع من املاك والده ، لأن اسرة (اد عزى) من الاسر ذوات الاملاك من العقارات ، ويكون منهم حفظة القرآن .

الثامن والخمسون   محمد بن عبد الله بن الحسن الايدرقى الاكلويى
عالم جيد فهامة تخرج بابى العباس احمد أوجمل   تولى القضاء فى عهد الكيلولين ـ 1315 هـ. 1318 هـ. ـ فسار سيرة حسنة ، ثم انكمش بعدهم ، ولم ينشب ان انقضى اجله 23 ـ 6 ـ 1318 هـ. ولم يكن محترما فى بيئته   واجداده من اسرة الرؤساء البنيرانيين المجاطيين الوهداويين وقد ذكر هؤلاء فى (العشرين) من هذا الكتاب ، وقد درس حينا فى مدرسة (أكلو) .

التاسع والخمسون : محمد ـ فتحا ـ ولد من قبله فقيه نوازلى اخذ عن والده ، وعن ابى العربى الادوزى ، كان حينا فى مدرسة (اكلو) وقد جلا الى (المعدر) بعد الصدمة اثر انجلاء الكيلوليين ، وقد عدا عليه عاد اواخر 7 ـ 1326 هـ. فاهلكه رحمه الله

الستون   احمد بن محمد اخو من قبله

يذكر كأخيه بالعلم ولعله اخذ ايضا من (ادوز) شارط ايضا فى تلك المدرسة حينا ، ويذكر بكل خير ، وصلنا خبر وفاته ، 1358 هـ. وهو آخر علماء اهله فيما نعلم

الحادى والستون   عبد الكريم التيزنيتى

فقيه اخذ عن سيدى محمد بن عبد الرحمن الاغرابويى التيزنيتى ، حتى حصل معارف لا باس بها ، وكان فاضلا خيرا ، زوجه استاذه المذكور بنته لوجه الله ، ولم يزل يتمتع بسمعة طيبة الى أن توفى 5 ـ 1348 هـ.

الثانى والستون : سيدى محمد بن احمد الاساوى

هو محمد بن احمد بن الحسين بن محمد ـ فتحا ـ بن ابرهيم بن مبارك ابن سعيد بن محمد   هكذا ساق نسبه وقال انه ادرك فى اسرته بالمتواتر من عند الاجداد انهم من (آل يعزى ويهدى) وان من اجدادهم الاعلين من يسمى عثمان بن ابرهيم ، كما ان منهم ايضا من يسمى عبد الرحمن الذى يقال لهم بسببه (آل عبد الرحمن) وهم ثلاثة افخاذ (آل بوغدا) واسم بوغدا هذا محمد ، وهو الاخير من آخر تلك السلسلة ، والفخذ الثانى (آل الزبير) والثالث (آل الزبور) قال المترجم ، يشاع اننا ابناء سرية تسرى بها الشيخ (يعزى ويهدى) وهناك من ينافسونهم ويدفعونهم عن هذه النسبة ، وهم (آل بيجان) و (آل حمو) التقوا معهم فى عثمان بن ابرهيم يزعمون ان (آل عبد الرحمن) ليسوا من صميم (آل يعزى ويهدى) هذا كله صرح به المترجم ولم يكتمه عن التاريخ . مما يدل على طهارة سريرته ، وصفاء نطفته ، والا فان كثيرين من امثاله لا يقدرون على مثل هذه الصراحة ، وهكذا يكون الاحرار
ومحمد ـ فتحا ـ بن ابرهيم رجل صالح ، لا تفوته صلاة الجماعة فى المسجد ، فيما تواتر عنه ، والحسين ابنه حافظ لكتاب الله ، ويتعاطى

التجارة حياته ، ويعد من اكابر قومه ، واحمد بن الحسين حافظ لكتاب الله كان يشارط حينا ، ويلازم صلاة الجماعة فى المسجد توفى 12 رمضان 1364

واما سيدى محمد بن احمد المترجم فقد ولد عاشر ذى القعدة 1330 هـ. فتلقى بعض القرآن اولا فى مسقط راسه (زاوية اسا) عند الاستاذ على بن العربى الاساوى المتوفى فى نحو 1338 هـ. بعد ان اسن الى ثمانين وكان يتقن القراءات السبع ، وكان مباركا معتقدا ، خرج كثيرين فى القراءات ، وفى حفظ القرءان ثم عند الاستاذ الحسن بن ابرهيم الاساوى ايضا ، وكان يجتهد فى التعليم ويحمل التلاميذ على الجد ، وعليه ختم المترجم الختمة فى القرآن ، ثم منعه من اتباع القراءة مرض مزمن استوفى فيه عاما ونصفا ثم استانف الاخذ ، الا ان الشدة التى يلاقيها فى التعليم من اهله حملته حتى فارق مسقط راسه الى قبيلة (ايت صواب) ثم جال قليلا الى ان استقر به القرار فى قرية (اسكن) عند الفقيه سيدى على بن الحاج داود فالقى هناك عصاه الى ان استتم حفظ القرآن ، واخذ عنه بعض المبادىء ، وقد كان اثيرا عنده ، ثم من هناك الى مدرسة (ايكونكا) عند الفقيه سيدى الحاج محمد بن الحاج عابد البوشوارى ثم رجع ليودع سيدى على بن الحاج داود الذى كان فارقه بلا وداع ، لداع لذلك من اجل بعض الطلبة ، فلم يطلق سراحه بعد فنوى ان يلبث هناك لولا ذلك الداعى الاول نفسه الذى عاد ايضا ، فغادره الى مدرسة (ايمزى) من (ازور ايغالن) وفيها اذ ذاك الفقيه سيدى احمد بن على (ايخولفن) الصوابى (ايت يحيا) المتخرج بسيدى محمد بن عبد الله اقاريض الصوابى فاكثر الاخذ عنه ، رغم انه يختلف كثيرا الى المراقبة لفصل الدعاوى لازمه الى ان توفى عن نحو 55 سنة ، ثم رجع الى استاذه على بن الحاج داود فاخذ عنه ايضا كثيرا ، ثم اخذ بعد ذلك عن الاستاذ سيدى محمد الحدورى ما شاء الله ثم عن الاستاذ سيدى محمد بن احمد التيوازينى تلميذ سيدى الحاج الحبيب

هذا وقد طالت سنو رحلته هذه فى تلك الجبال الى اثنتى عشرة ولم يكن يرى خبرا لاهله ، الى ان وردت عليه رسالة من والده يوما فابكته كثيرا ، فاجابهم بأنه حفظ القرآن وحصل العلم . ووعدهم بالمجىء فى موسم (المولود) الذى يقام فى (اسا) فلما ذهب تلقاه والداه معا بكل فرح ثم استاذن والده لمراجعة اتمام دروسه ، فزوده واذن له ، ثم صار يتعهد زيارة بلده فينة بعد فينة ثم التحق بمدرسة سيدى (مسعود افولوس) ثم راجع ايضا الاستاذ على بن الحاج داود ثم الى الاستاذ احمد بن محمد التودماوى فى (هوارة) وكان محصلا ممتازا . ولقلة المؤونة انتقل الى الاستاذ سيدى الحاج ابرهيم فى مدرسة (ادا ومنو) لتوفر المعيشة فيها وفى اوائل رمضان 1364 هـ فارقه لزيارة اهله ، فصادف والده فى آخر ساعات حياته ، فودعه واقبره ـ وقد كان يطلب الله دائما ان يحضر وفاته ـ ثم

استاذن والدته فى الرحلة لاستتمام اخذه ، فتوجه الى (تامانارت) وقد كان هناك فى المدرسة الفقيه سيدى محمد بن الحسن (أوسايا) ـ القاضى الآن ـ كما لاقى الفقيه سيدى احمد بن محمد السليمانى الالغى كاتب القائـد ـ الاسناذ فى المعهد الردانى الآن ـ ثم رجـع الى (وادى نون) وكاد يشـارط هناك لولا ان بعض الفقهاء خاف ان يكسف ما له من نور ، وسوس لارباب المحل ، ثم توجه نحو (تامانارت) بـ (اقـا) بـ (طاطا) فـ (تيسينت) الى ان انتهى الى (سكتانة) فاذا به وجد العلامة القاضى الحاج اسماعيل الذى يقيد الافاضل بقيود الاحسان ، وفى مدرسة (تاكاركوست) العلامة الحاج احمد الجرارى فوجد المترجم جوا علميا فائضا ، وفكرا مشحوذ اماضيا من هذين وخزانة مفعوعمة بانواع الكتب ، فلم ينشب ان سبح فى معلومات جديدة ، وافهام غير ما كان يعهد ، فياخذ عن هذين السيدين ، فاغتبط اغتباطا من يجد الفوائد على الموائد ، فى ذلك العام المجد بـ 1945 م. ففى تلك البيئة صارت الغشاوة تنجاب عن عينيه ، وتتسع دائرة فكره ، وهو مقبل على الكتب الحديثة

ثم شارط فى مدرسة (تاكاركوست) اولا ، ثم فى مدرسة (واورست) وقد الف هناك واعلن مبداه علانية ، فاصطدم اولا هناك بمن يخالفونه فى مبدئه الذى يعلنه ازاء الطرقيين وامثالهم ، ثم كان ذلك هـو السبب حتى اوخذ ايضا بمبدئه الوطنى ، فبعد ان وقعت هناك اعمال وطنية نسب اليه انه من محركيها ، فنفى الى مسقط راسه ـ حيث سجن ما شاء الله فى ابان الازمة المشهورة من 1370 هـ. الى ان نفى الملك ، ثم افرج عنه ، والزم ان يبقى فى بلده ، الا انه تملص الى (البيضاء) ، حيث افتتح له مكتبا للتعليم فى الظاهر ، ولكنه فى الحقيقة غريق الى اذنيه فى الاعمال السرية الكفاحية السائدة اذ ذاك ، وفى مذكراته التى ود ان يفصل فيها كل ما حضره اولـه فيه يد الخبر اليقين عن اعماله فى ذلك الميدان ، ثم لم يزل فى تلك الدوامة يطلع ويهبط ، ويظهر ويخفى ، حتى انفرجت الازمة باعـلان الاستقـلال ، فتعين حينا قاضيا فى (ايغرم) ثم فى محل آخر حوالى (تافيلالت) ثم اختار الله له فابعده عن الوظائف ، فاشتغل بخويصة نفسه الآن 1381 هـ.

أما آثار قلمه ، فانها كثيرة ، ولكن لم يحضر عندى الآن الا صفحات من مذكرات حياته ، افاض فيها وفصل ، ولكنه لما جـاء الى الحـوادث لخـص ، فحثثته ان يفيض فى الجميع باسهاب ، لان تلك الصفحات الذهبية التى خطها المقاومون الاحرار بدمائهم جديرة ان تخلد وحين اتسعت نواحيها ، وكان غالبها مما مر تحت الكتمان يجب على امثاله حملة الاقلام ان يسجلوا كل ما امكن مما حواليهم ، سواء شاركوا فيه وشاهدوا او كانوا منها على يقين ، ولعله يجمع ذلك كما جمعه الاخ سيدى عمر الساحلى ، وكما يجمعه امثال ذلك غيرهما ، فتجتمع مواد مهمة لمن سيكتب فى صعيد واحد ذلك التاريخ المجيد .

والمترجم اليوم يقطن فى (البيضاء) وهو نير الفكر ، يهضم ما يطالعه ، ولا يقلد فى افكاره ، ومبدأه سلفى فى العقيدة ، كما ظهر ذلك فى مراسلة بينه وبين الفقيه سيدى محمد ابن الحسن اليعقوبى المنشورة فى اوائل هذا الجزء نفسه وفقه الله لكل خير ، واعانه على المصلحة العامة التى يسعى دائما فيهـــا

الثانى والستون ابرهيم بن عبد الله الاساوى

قال فيه الحضيكى فى (طبقاته) (ابرهيم بن عبد الله الاساوى من ذرية (سيدى يعزى ويهدى) كانت له بين الناس وجاهة ، توفى مريضا ببلدة (اسا) اواسط شوال عام اثنين وستين والف

الثالث والستون : مبارك بن الحسن بن عبد الرحمن بن بلقاسم بن مبارك بن عبد الله بن ابرهيم بن عبد الله من عقب المذكور قبله ، هذا هو الذى سبقت رجالات الاسرة كلها بسببه ، لانه هو الذى كان على شرطنا لاخذه من المدرسة (الالغية) ، ولد نحو 5 و 12 هـ. ثم بعدما حفظ كتاب الله فى مسجد قريته ، التحق بـ (الغ) الذى كان التحقت بـه اذ ذاك ثلـة من اهل تلك الجهة فلازم الدروس ما شاء الله ، الى ان رجع الى اهله ، وقد كان تولى رياسة اهله فى زمن الاحتـلال رسميـا كشيخ ثم ازير المطبق لزلـة وقعت منه شهورا ، فكاد ذلك ينسيه معارفه ، وان كان الطابع الذى نزل عليه من العلوم لم يزل عنه بالكلية ، وعلى كل حال لم يتيسر له ان يظهر مثل ظهور اخوانه المتخرجين من (الغ) فى ميادين الاداب والعلوم بالدراسة وان كان يحفظ كثيرا من الادبيات ومن المتون كما حدثنى عنه من يعرفونه ووفاته فى قريته (ايكيسل) سنة 1358 هـ. وقد كنت وقفت على قطعة خاطب بها اديب (الغ) سيدى محمد بن على المترجم ، ولكن لا تحضر عندى الآن . وقد كان يفد على اساتذته الالغيين كثيرا ، كما يعتمدون عليه ايضا فى بلده .

الرابع والستون : محمد بن مبارك ولد المتقدم قبله .

اخذ ايضا من المدرسة (الالغية) وهو وسط فى معلوماته ، وقد جلست معه ساعة فكان ينشد كثيرا من الادبيات بمناسبة الاحاديث بيننا ، مما يدل على ان له نصيبا مما يحتف به الاخذون من المدرسة (الالغية) ، وقد ضاع منى سجل كتبت فيه ما كان انشده لى اذ ذاك ، ولا يزال حيا الآن 1381 هـ.

وبعد فهؤلاء من تيسر لنا ذكرهم من رجالات آل (يعـزى ويهدى) من ابنائه واحفاده الذين وصلتنا اخبارهم ، سواء كانوا علماء او رؤساء ، وقد علمنا مما تقدم مقدار الدوى الذى تطن به الاسمار عن آل (يعـزى ويهدى) ولا نكاد نشك انه ان وقع منهم مـا يقال عنهم فى الجهـاد ، فانما ذلك من اجداد (يعزى ويهدى) لا ممن بعده ، وقد تكلمنا على ذلك قبل ، والله اعلم بغيبــه .

الفقيه
سيدى الطيب الركائى

نحو 1278 هـ = بعد نحو 1305 هـ

كان العم ابرهيم بن احمد الالغى يذكره لى من بين تلامذة العلامة سيدى محمد بن عبد الله الالغى ، وقد كان ياخذ عنه من نحو 1300 هـ. وربما بقى فى المدرسة (الالغية) بعده حتى ياخذ عن الذين درسوا فيها ، بعد مؤسس المدرسة سيدى محمد بن عبد الله المذكور ، فياخذ عن سيدى الحاج محمد اليزيدى ، وعن الشيخ الالغى ، وعن الاستاذ ابى زيد السالمى ، فضلا عن خليفة الاستاذ ، وصاحب المدرسة بعده ، العلامة على بن عبد الله ، الذى تسلم المدرسة ، فقام بها خير قيام ، قال الحاكى ، عهدى بسيدى الطيب تلميذا نجيبا ، يحفظ المتون ، ويستحضر ادلة المسائل ، وهو فى الرعيل الاول ، وقد ابطا فى المدرسة (اقول) اننى استقصيت كثيرا ، واستفسرت كل من له المام باخبار الركائيين عن سيدى الطيب هذا ، فلم اجد عنه خبرا بعد ما غادر المدرسة (الالغية) ولو كان راجعا الى (الصحراء) لعلا شانه ، لان الصحراويين يحترمون علماءهم غاية الاحترام ، فتتكون له هالة واسعة ، وشهرة مدوية ، فاما سافر الى ما وراء (الغ) و (سوس) فاندغم فى القرى أو فى الحواضر ، حتى قضى نحبه نكرة من النكرات ، واما توفى وشيكا اثر مغادرته للمدرسة ، والله اعلم اى ذلك كان ، وهو على كل حال نجيب ، فليكن كيف كان ، ولينزل اين ينزل

ولم ادر من القى عليه رداءه   على انه قد سل عن ماجـد محض



محمد بن الحسين بوكرع البوعمراني

« نحو 1303 هـ. قبل 1333 هـ »

نسبه

محمد بن الحسين بن محمد بن احمد (ومحمد هذا هو الملقب بوكرع ، وكان اعرج) من اهل قبيلة (ايت عبلا) البعمرانية ، وكان ابوه الحاج الحسين بهمة من البهم بين فرسان القبيلة ، لا يصطلى له بنار ، ولا يزال ذكره شائعا الى الآن بالشجاعة والرجولة الفذة حافظ لكتاب الله استشهد فى (قضية الجنرال) (1) 1335 هـ.

متقلبه في التعلم

لم اتصل على التحقيق بشىء من اولياته فى التعلم القرآنى ، ثم العلمى قبل ان يتصل بالمدرسة (الالغية) الا اننى سمعت بانه اخذ اذ ذاك عن الفقيه المؤرخ الايكرارى ـ وهذا صحيح ـ وان اخذه عنه كان قبل ان يلتحق بالمدرسة (الالغية) وقد كان فى المدرسة (الالغية) من اوائل العقد الثالث من هذا القرن ، وكان يشارك سيدى صالح بن احمد بن عبد الله بن صالح الالغى فى البيت ، وقد كانت له خصيصى بالاستاذ التاجارمومنتى مدرس المدرسة ، وهناك مقطعات يخاطبه بها ، نقلنا بعضها مما عندنا فى ترجمة هذا الاستاذ كما كان يجارى فى الحلبة الادبية ابا عبد الله ابن على واترابه، وثوى هناك سنين ، الى ان آب الى اهله 1327 هـ.

صدوره من (الغ) مجازا

ساقت الى الاقدار الاجازة التى ودعه بها استاذه ابو الحسن الالغى مصادفة ، من غير ان اسمع بها قبل ، او يجول حولها ذكر فى الانديـــة

(1) هكذا تسمى الحملة التي قادها الجنرال (لاموط) الى (ايت بعمران) بعد موت القائد حيدة بشهور .

(الالفية) ، وهذا ادل دليل على عدم الاعتناء بالآثار ، وكم لمثلها من نظير ، وقعنا عليه مصادفة من غير ان نسمع بحديثه قبل عند آل الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، والبحث يثير دفائن الكنوز ، والكسلان المفرط يقول اين توجد كل هذه الآثار التى يقع عليها (فلان) ويسعد بذكرها فى كتابه ، ولو كلفوا بالبحث كما كلف (فلان) لوقعوا على مايقع عليه ، بل ربما على أكثر

نص الاجازة

(حمدا لمن اجاز المحسنين عملا بالحسنى ، فاباحهم دخول حضرته ، ومن عليهم بزيادة التحلى بنصرته ، والتملى بنظرته ، وهداهم لسلوك مجاز ادراك الحقائق ما بين اطناب وايجاز ، وكانت قلوبهم اوعية الخير على الحقيقة والمجاز ، والصلاة والسلام على ممد الاوائل والاواخر ، والحائز من عظام الخلائق بين الخلائق على كل لسان خالقه اسمى المفاخر ، والمبعوث من اشرف القبائل واطيب العناصر ، وعلى آله واصحابه الذين انتصروا للدين فكانوا خير ناصر ، صلاة وسلاما يدومان ما تشرفت بذكره وذكرهم المنابر ، وعلى حملة شريعته الذين قرروا الشرائع والاحكام ، وهجروا فى تنقيح العلوم لذيذ المنام ، وشهى الطعام ، وتركوا اوطانهم وفارقوا اخوانهم وقطانهم ، وكان ممن سلك هذا المسلك ، رغبة فى الانتظام فى سلك العلماء ، واعتناء باقتناء ما تتميز به النجباء والحكماء الاخ فى الله ومن الله ، ولله نهواه الفقيه الاواه ، سيدى محمد ابن الحاج الحسين من (بنى بوكرع) العبلاوى ، فانه صاحب واحسن الصحبة ، ونصب فى اكتساب العلم فجعله للعين نصبة ، حقق الله امله ، وتقبل عمله ، حتى حصل فى ذلك اوفر نصيب ، واسام سوام الفهامه من الادب مرعى خصيب

ولما ازمع الرحلة لبلده ، وقوض خيام الغربة ، وانحلت عرى جلده ، وحب الوطن من الايمان ، وكانت الاجازة من قواعد هذا الشأن ، ومن الامور التى يعتنى بها الكامل من الانسان ، اجزته بما تجوز لى روايته ، وتحقق لى درايته ، من معقول ومنقول ، وما لى من التقارير والنقول ، مما اخذته عن اشياخ اعلام ، وافاضل عظام ، على الشرط المقرر ، والركن المحرر ، من كلمة (لا ادرى) ، فى كل ما كان الشك الى حقيقته يسرى ، فانها لذى العلم جنة ، ومن لم يتترس بها اصابته جنة ، واوصيه بالتقوى ، فانها السبب الاقوى ، وان ينزه العلم عن ادناس الاطماع ، فالزهد فى الدنيا لكل خير جماع ، ويرحم الله العبدرى اذ قال لولده :

قبيح ان اكون عصيت ربى وتقفو اثر والدك العصى

فرب مبلغ اوعى من سامع ، واوصيه بالاخلاص ، فهو روح الاعمال ، قال صلى الله عليه وسلم الناس كلهم هلكى الا العلماء ، والعلماء كلهم هلكى

الا العاملين والعاملون كلهم هلكى الا المخلصين ، والمخلصون على خطر عظيم ، وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له ، واقام الصلاة وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض وروى البيهقى مرسلا ان رجلا قال يا رسول الله ما الايمان : قال الاخلاص ، وقال : ما اليقين : قال : الصدق وروى الحاكم ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصنى قال اخلص نيتك يكفك العمل القليل ، وروى الحافظ رزين العبدرى : من اخلص لله تعالى اربعين يوما نبعت الحكمة من قلبه على لسانه ، الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على ان الاخلاص روح الاعمال اعظمها قوله صلى الله عليه وسلم : انما الاعمال بالنيات الخ . وانا اقول للمجاز ، واجيزه بما اجازنى به الشيخ الربانى خاتمة المحققين سيدى الحاج احمد بن عبد الرحمن التملى ، نصه

(وبعد) فانى لست اهلا لان اجيز لكن لظن من سيادتكم حسن
اقول رجاء النظم لى ولكم بسلك سادتنا الساعين فى خير ما سنن
اجزتك بالمروى عن والدى وغيره من شيوخ فى العلا هجروا الوسن
اجازة اطلاق واوصيك بالتثبت الحق خوف الزيغ عن اصدق السنن
واخذ كمال الحذر من زينة الدنا التى قل من لم يلق فى حبها الرسن
فما لم ينق القلب من غير حب ربنا لم يلق النور من واهب المنن
نسال الاله العرش حفظا لنا معا من الموجبات الطرد والختم بالحسن
بجاه اجل الخلق من كل عن بلو غ حق مديح فى حلاه ذوو اللسن
صلاة وتسليم عليه وآله وصحب اناروا ما تبدى وما بطن

قال هذا وكتبه العبيد المجهول آخر ربيع النبوى عام 1327 هـ. على ابن عبد الله بن صالح الالغى ، طالبا من اخيه المجاز ان يشركه فى دعائه ، نسأل الله تعالى ان يحشرنا جميعا مع والدينا واشياخنا وسائر اهل المحبة فى زمرة اهل حبه ، بجاه النبى صلى الله عليه وسلم ، وآله وصحبه ، وسائر اهل المحبة فى زمرة اهل حبه ، بجاه النبى صلى الله عليه وسلم ، وآله وصحبه ، وسائر اهل حبه ، آمين أمين)

تلك هى الاجازة التى احتقبها المترجم فى صدوره عن الالغيين ، ولم اتصل الآن بما طلب به الاجازة من الاستاذ ، ولا بد ان يكون اثرا ادبيا

مكانته فى الادب

كان ذا همة كبرى فى الميدان الادبى ، مجتهدا على ان يكون احد افراس الحلبة التى يجاريها من الالغيين ، وقد رايت شهادة استاذه ابى الحسن حين وصفه بأنه « أسام سوام أفهامه من الادب بمرعى خصيب » ولكن ، هل هو فى الحقيقة ذو مكانة مكينة فى الادب ، أما قرناؤه فلا يسلمون له أى

تفوق في الافق الادبي ، بل هم مجمعون على انه دائما سكيت الحلبة (1) وان ركيته لا تحوى الا وشلا (2) وينعتونه بأنه لا يحدوه الى التقعر الذى اولع به في اقواله ، الا انه يعمد الى (القاموس) كلما هم بالقول ، فيلتقط منه الكلمات خصوصا كلمات القوافي ، فيقوم والقاموس عن كلام لا يدرك ايضا معناه المقصود الا من يجلس ثانيا الى (القاموس) ويرون ان ذلك من أدل الادلة على جمود قريحته ، ونضوب فكرته ، وانه لو كان حقا ذا ملكة في الفن ، لاعتمد على نفسه ، ثم يقول ما يقول كما هي عادة كل الادباء الالغيين

ذلك ما يقولون ، واما نحن ، فبعد ان اجتمعت لدينا قواف عديدة ، ورسائل متنوعة ، مما صدر عنه من مبادئه في المدرسة (الالغية) وما قاله بعد مغادرتها ، لا نبرئه من كثير مما وصفوه به ، الا اننا وقفنا له على ما يستجاد بعضه ، وقد استطاع ان يطلق احيانا التقعر وتتبع الحوشي ، بل وقفنا له على ما يساوى به اقرانه ، فهناك رسالة تضم قصيدة دالية ، مطلعها :

ادلت عقاصا كالعثاكل سودا وحواجبا قد زججت وخدودا (1)

ورسالة اخرى كلتاهما كما اظن - الى بعض الالغيين ، وفي هذين الاثرين لم يتقعر كثيرا ، فاستطاع ان يأتي بما يستطاب من بين ما يقوله قرناؤه الذين لا يسلمون له مقاما ، ولا يرون له بيانا ، لذلك يظهر لي ان هذا التقعر الذى عرف به ، كان منه بادىء ذى بدء ، ثم لم يزل يتلطف في التملص منه حتى استطاع ان ياتي بما ربما يستجاد بعضه ، ولعل ما نراه له حسنا كان منه في اخريات ايامه في (الالغية) او بعدما فارقها ، والدليل على هذا اننا راينا له مما سقط الينا من اقواله بعد مفارقة (الالغية) ما قد يستطاب ، كالقصيدة التي قالها في الفقيه سيدى الزبير البعمراني ، والتي قالها في الفقيه سيدى الحسين بيبيس

---

(1) لكل من افراس الحلبة (كضربة) اي ميدان السباق، اسم يخص به على الترتيب في السباق، وقد نظمها بعضهم حسب ذلك : الاول فالاول فيما يلي :

وغدا المجلي والمصلي والمسلي تاليا مرتاحها والعاطف
وحظيها ولطيمها ومؤمل وسكيتها هو في الاواخر عاكف

(2) الركية القربة للماء ونحوه، والوشل الماء القليل.

(3) العقاص جمع عقيصة، والعقيصة: ضفيرة الشعر، والعثاكل جمع عثكول بالضم وهو عنقد العنب، وزجج الحاجب : صيره ازج، اي رقيقا في طول

اثاره

وقبل ان نذكر من آثاره ما تيسر لنا ، ننقل كلمة كان قلم بعضهم بضر بها عنه في مجموع لم يقدر له ان يتم :

« اديب حسن ، ممن كرع في المدرسة (الالغيـة) ونجب ، شـارك العلماء في مثافنة المعاني ، والادباء في المناضلة بالقوافي ، وهو وسط في كل ذلك ، وهو خميسي المذهب (1) في اختيار الحوشي من الالفاظ ، يحزن (2) في اقواله احيانا ، حتى ليحس القارىء باحجار الصوان (3) تتطاير من تحت اقدامه وهو يمشي قدما ولا يبالي ، وفق ما قاله الشنفرى في لاميته :

اذا الامعز الصوان لاقى مناسمي — تطاير منه قـادح ومفـلل (4)

ثم انه احزن ايضا في حياته ، فلم تسهل به الحياة قط ، ولا ساقته ماساقت بعض اترابه ، فدخل في السرار هلاله قبل ان يكون قـط مـبـدرا (5) في وقت لا يستحضره الآن على التعيين من حدثونا عنه

من آثاره : ما كتبه الى بعض اصحابه :

« زبرقان الدياجر (6) ومن هـو عندي محبـة كغزال حاجـر (7) ان القلب قد بلغ الحناجر ، ولعنة الله على الفاجر (8) (فلان) الذي ملاقاته عندي

---

(1) نسبة لابن خميس التلمساني الاديب الشاعر المشهور، وكان مولعا بالحوشي والغريب حتى انه قال:

ما ذاق طعـم بـلاغـة — من ليس للحوشي ماضغ

(2) احزن: سلك الحزن (بالفتح) من الارض، وهو الوعر الصاب، ضد أسهل :

(3) (الصوانة) بالفتح وتشديد الواو حجر شديد يقدح به جهة صوان .

(4) البيت من لامية العرب، الامعز: الصلب من الارض. الصوان بفتح الصاد وتشديد الواو جمع صوانة: حجارة قاسية، والمناسم جمع منسم كمسجد: خف البعير شبه بها ارجله لغلظها، والقادح ما يقدح الحجر، اي يضربه لترى منه النار؛ والمفلل: المقسم المتطاير، وصف بذلك كيف يمشي حافيا بشدة وقوة فتتطاير الاحجار من تحت اقدامه

(5) السرار بكسر السين: نقصان الهلال وتضاؤل نوره، ومبدرا أي صار بدرا.

(6) الزبرقان: البدر، والدياجير جمع: ديجور: الظلمات .

(7) حاجر مكان عند العرب في تغزلاتهم.

(8) الفاجر: الكاذب. والذي ملاقاته هو وصف للمكتوب اليه لا للفاجر.

ماء صدى ومرعى السعدان (1) لو سمح لى بذلك السعدان (2) ، وناصرني باسلامهما فى ذلك السعدان (3) ولكن بنو عبد المدان (4) لا يناصرون من فى (ودان)

أما بعد السلام الطيب الارج ، فى ذلك المنعــرج ، فانــهى اليك ان قصيدتك البليغة وصلتني يوم الجمعة ، والكيس وما ارسلته معه ، فاعدت قصيدتك مائة مرة ، وانا ازداد كلما اعدتها بهجة ومسرة ، فلله درك من ضليع عبل (5) يتوقد ذهنه بالحطب الجزل (6) وقــد تكلفت جوابــا كأنــه مرقعة الدرقاوى (7) تفوح بالجاوى ، وانا اخجل ان اقابل بها حلتك المفوفة (8) وقصيدتك المشرفة ، فاقبل ما هيأاته لك الارزاق ، فربك ـ لا أنا ـ هو الرزاق نصها

---

(1) صدى ماء عذب، والسعدان نبات تستلذه الابل، وفي المثل ماء ولا كصدى (بفتح الصاد وتشديد الدال المفتوحة) ومرعى ولا كالسعدان – بفتح السين –

(2) يعني: نجمين في السماء.

(3) يعني سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، قال:

فان يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف مخالف

(4) قوم من العرب اعزاء طوال الاجسام قال :

كأنك ايها المعطى بيانا وطولا من بنى عبد المدان

وودان: محل في جزيرة العرب.

(5) الضليع: القوي، والعبل: والضخم، يعني المجاز في ذلك.

(6) الجزل: اليابس الغليظ.

(7) وجد الادباء في مرقعات هؤلاء الفقراء مسرحا لمجازاتهم، فقد كنا قرأنا في ذلك للاديب الايكراري في آخر ارجوزة له، وهذا الاديب بوكرع، يسلك ذلك الطريق ايضا، وجرح العجماء جبار، والادباء يسامحون في مثل ذلك، لانهم يقولون ما لا يفعلون . وفي آذان هؤلاء الفقراء بدورهم صمم عما يقال عنهم ترفعا واعراضا عما يروج بين الادباء الغافلين عن ربهم .

(8) برد مفوف: رقيق، او فيه خطوط بيض .

ادلت عقاصا كالعثاكل سودا	وحواجبا قد زججت وخدودا (1)
وملاغما فيها حياتي لو ارى	بمباسها وشمامها مجدودا (2)
اسرت من التامور ما لا يفتدى	ابدا بعقد مؤشر منضودا (3)
فتنت عيوني فاستبت قلبي كما	يسبي (البشير) بما يقول اسودا (4)
من كان في هذا الزمان مخلقا	بشذى بيان لم يلاق نديدا
بحر خضم والسواء ضحاضح	مستنفعات لا تبل قديدا (5)
لله شعر جاءني من عنده	درا على ليت الكعاب نضيدا (6)
برع ابن اوس في الاجادة فلقه	وابن الحسين كليمها ووليدا (7)
ما شئت من معنى لطيف رائق	كالزهر يعلو تاجه املودا (8)
او لفظة خمرية فكانما	احسو الطلى ان جلت فيه نشدا (9)
لله درك يا (بشير) فهكذا	بعثرة من بين الرجام لبيدا (10)

(1) العقاص جمع عقيصة : الذوائب، والعثاكيل جمع عثكول مما يتدلى من رأس النخلة، ويطلق ايضا على عنقود الكرم ، والمقصود هنا الضفيرة كأنها عثكول .

(2) الملاغم جمع ملغم ما حول الفم ، والمقصود الثغر نفسه ، والمجدود المحظوظ

(3) التامور القلب، والثغر المؤشر الحسن الاسنان التي فيها اشر بضمتين اى رقة، والمنضود المسوى.

(4) البشير : مخاطبه، وهل هو البشير بن الطيب الالغي من نجباء الالغيين 1347 ؤاو هو البشير الناصري او البشير العزي؟

(5) الضحضاح: الماء القليل في حوض، والقديد: اللحم اليابس .

(6) الليت: العنق والكعاب بالفتح: الناهد من الابكار .

(7) حبيب ابن أوس: ابو تمام: احمد بن الحسين: المتنبي الوليد: البحتري والفلق بالكسر: العجيب

(8) الغصن الاملود: الناعم اللين

(9) الطلى: الخمر .

(10) بعثر ما في القبر: نشره. ولبيد: هو الشاعر المشهور، والرجام: الحجارة التي تكون على القبر .

فعليـك خـير تحيـة من منشـد ما ان يمل لما تشى ترديـدا (1)
فمسامحة أيها الاخ الفصيح ، من اخى زند شحيح ، يقصر باعه ، وتضيق بما يريد اضلاعه ، وتضؤل عن اردبك صاعه (2) ولكن الضرب بالطوب ، خير من الهروب ، ومن فاته اللحم فعليه بالمرق ، فالا ورق فورق (3)

وكتب الى صاحب له (4)

(اما بعد ، فهنيئا لكم بدروسكم المتوالية ، وافهامكم الهاصرة فالجانية واما نحن ففى سموم ، وظل من يحموم (5) وقد دميت الاصابع بالحصاد(6) وليعن الله كل من هو حصاد ، وما كنت ادرى ما معنى صكة عمى (7) التى افدتنيها يوما ، حتى كنت فى صيف هذه السنة الحارة الشديدة ، قاسيت ما اذاب منى عصبا والفقيه يوالى علينا من النعم كل يوم ، ما لا يقدر عليه اكرم قوم ، لكن ما اصدق الشاعر

خـبـز ومـاء وظـل ذاك الـنـعـيـم الاجـل
جـحـدت نـعـمـة ربـى ان قـلـت انـى مـقـل

فاعطنى هذه الثلاثة وزدنى معها الرثاثة ، مع ما تيسر من الدروس ، مع مثلك من الشموس ، ثم اقول لك : اننى فى اكمل منى النفس ، فى جنة الفردوس ولعل الله ينفعنا بخدمة شيخنا ، فخدمة الاشياخ واجبة ، فمن يتنكبها فان دموعه ستكون على خيبته ساجمة (8) والسلام عليك يا قـرة

---

(1) تشهه - تزوقه - وهذه - والحق يقال - قطعة لطيفة، هي خير ما قال ولولا اننا وقفنا عليها من بين أوراق شيخنا سيدي محمد بن الطـاهر لذهبت، وكل ما فيها الفاظ لطيفة غير حوشية، الا تحلة للقسم وقد القينا منها ابيانا جاشية. لايهش لها خليل بن احمد

(2) الاردب - مكيال للعرب كبير

(3) الورق بكسر الراء - هنا - الفضة - والورق محركا ورق الاشجار

(4) يظهر ان بينهما صحبة اتخذاها سببا للمراسلة، وكانت عادة الطلبة اذ ذاك ان يتخذ كل واحد مراسلا، اما علانية واما سرا، لتترقى عباراتهم في التراسل

(5) السموم - الريح الحارة، واليحموم - الدخان

(6) كان من عادة طلبة مدارس سوس - ان يخدموا اساتذتهم، ويكفوهم كل شيء ، ليتفرغ الاساتذة الى الدراسة، والطلبة بدويون من جنس العملة

(7) الصكة بالفتح - شدة الهاجرة، وعمى بالتصغير - رجل من العمالقة اغار على قوم في هاجرة فاجتاحهم، فنسبت اليه الهاجرة

(8) ساجمة - سائلة

العين ، وصرة العين (1) ونور العين (2) وينبوع العين (3) ومن هو لروحي العين (4) يلوم عليك هاطلا بشرط ان لا تكون لجوابي ماطلا

وكتب ايضا الى بعض اترابه من قطعة اخترنا منها ما يأتي

اخلاي هل بعد التفرق من انس — وهل في طلاب الوصل للصب من باس
وقد كنت فيكم في هناء وغبطة — وفارقتكم والدمع ينهال كالطيس (5)

وقال يخاطب استاذه ابا الحسن الالغي

ايا راكبا يزجي المطي الى الغ — لقيت الهنا سلم على السيد البلغ(6)
ابي حسن قطب الاماجد من سما — الى غاية علت على ذروة الفرغ (7)
كريم متى تحلل لديه تسابقت — لنحوك آلاء ونلت الذي تبغي
وشيخ يلقى الوفد اول نزله — حبورا وترحيبا مقدمة الربغ (8)
امام اذا ما حل ضيف بربعه — تناسى الذي قدكان ابصر في المرغ (9)
فتى لا يرى الا الديانة مذهبا — بريء من الدعوى ومن مسة الروغ
فتى لا يرى الا السماحة عادة — على انه ان جاد لم يرض بالوشغ(10)
فتى لا يرى الا الصواب تخلقا — على انه ان فاه جاءك بالنبغ (11)
فمن مثله في الدين والرشد والندى — ومن مثله في الحلم او دفع ما زيغ
بجد وحزم واتباع مشايخ — له سلفوا نال المنى فوق ما يبغي
كرام شموس قادة لشريعة — اساة هداة الخلق في كل مأصقع (12)
فصيتهم عم الورى بعد علمهم — فزال بهم ما في القلوب من الزيغ
فلله ايام مضت في جوارهم — نسام من التعليم اودية الرفغ (13)

---

(1) العين الثانية ـ الذهب

(2) الشمس

(3) عين الماء

(4) الذات، وقصده ـ الجناس بمسميات العين

(5) الطيس بفتح الطاء ـ الرمل

(6) البلغ بفتح الباء وسكون اللام ـ البليغ

(7) الفرغ ـ احد المنازل الفلكية في السماء

(8) الربغ كسبب، ثم سكن ـ سعة العيش

(9) المرغ ـ الروضة المعشبة

(10) الوشغ ـ القليل

(11) يقصد ـ النبوغ اي جاءك بالعجيب

(12) الصقغ ـ يقال بالعين والغين

(13) الرفغ ـ الخصب

وعيش تقضى في مجالسهم لنا ... على غفلة من دهرنا منبع الوبغ (1)
وبين لدات فائقين اعزة ... حديثهم اعلى من الضرب النرغي(2)
ومل سيدى لدى النبي بهمة ... وسل ربنا يجد علينا ومن يصغي
امولاى هل في الخليقة غيركم ... اناديه للنجا اذا ثقلت رسغي (3)
على سيدى ازكى سلام مطيب ... يدوم عليه كل وقت بلا فرغ (4)
كذاك على خير الهداة محمد ... صلاة تدوم ما علا الافق من زيغ (4م)

وقال ويستاذن فيالذهاب الى اهله في عواشر :

بحقك عج نحو الامام وعرج ... ففيه هيامى لا بربة دملج
وقبل يديه نائبا عن خويدم ... ضعيف القوى شخت العزيمة مخدج (5)
وقف عنده واطلب لديه تادبا ... بلفظ رقيق بالتأدب سجسج (6)
ليأذن لى فى زورة الاهل ثم ان ... تقضت عواشير ابادر بالمجى
عليه سلام الله ثم الصلاة والسلام على هاد لاوس وخزرج

وقال ايضا يهنى بولد ـ ولعلها من اولياته ـ :

امولاى يا نور القلوب ومن علا ... نجوم السما فاستسلمت ساحة الملا
سمعت بشبل سيد راق حسنه ... فاضحى لداء القلب انفع من طلا(7)
حروف اسمه تنبى اللبيب بأنه ... حليم سعيد ناسك دأب من خلا
حكيم سليم نافع فائق على ... جميع الورى فضلا من الله ذى اعتلا
رعاه اله الخلق من كل من طغى ... ومن هامة تاتى ومن كل ذى طلا (8)
لتبصره بين الدروس هلالها ... وعند اشتداد البأس اشهر من (جلا)(9)
بقيت له وللعفاة مؤيدا ... بنصر وفتح لا ترى غير ما حلا
على سيدى ازكى السلام ومن غدا ... مضافا اليه من خليل تهللا

وقال ايضا

وانى ليغرينى على الود والصفا ... بشاشة حب زانه الصدق والصفا
وكيف وقد جادت انامله بما ... يسود به آل الاباطح والصفا

وقال يخاطب الاديبين محمد بن على وصالح بن احمد الالغيين ، وهما اذ ذاك في مدرسة (ايغشان)

---

(1) الوبغ العيب
(2) النرغ ـ السعتر البري ـ والضرب محركا ـ العسل الابيض
(3) يعني اذا مات. (4) الفرغ ـ الفراغ. (4م) الزيغ ـ ميل الشمس
(5) شخت الجسم ـ نحيله. والمخدج ـ الذي ولدته امه غير تام
(6) سجسج ـ سهل. (7) الطلا بالكسر ـ الخمر
(8) الطلا بالكسر ايضا الشتم. (9) يشير الى قول الشاعر
انا ابن جلى وطلاع الثنايا ... متى اضع العمامة تعرفوني

سلام على بدرى جمال بـ (غشان) سـلام اخ راض بصنـع لرحمـان
الوف لسكب مـاء عـين على الوفـا عيوف لمـا يلـقـاه من بعد خـلان
يـراهم عيانـا كل وقـت بقلبـه وان هو فى ارض بمصر وبـغـدان
وكم قائـل لم لا تخـلى هـواهـم وتضرب عن ذكـر الديـار وسكان
فقلـت لـه دعـنى اهيم بذكرهـا الى ان اراهم او اصـاب باجفـانى
وكيف يسوغ الصبر عمن بنانه (1) خلقن لاغـنـاء الكهـول وشـبـان

فقال ابن على يخاطبه هو وصالحا بقطعة اولها

فيا مرحبا بمن اتانـا بـ (غشان) وفـاء بعهده ولـو فـوق كيـوان
فكم لكما من خـير دنيا واحسـان واحـدوثـة ازرت نظامـا بعقيـان

وقال يخاطب الفقيه صالحا الالغى عند فراقه :

انـى وان كـان التجلـد شيمتـى لمنتسب يوم الفـراق الى العجـز
اهيـم بـاخـدان الفـت ودادهـم واندبهـم ما حن واش الى الغمـز
ايا صالح كنت السـواد لمقلتـى ففـارقتنى فصرت امشـى بـلا ميز
وخليتـنـى فـردا وحيـدا معذبـا معنى بما القاه من كل ذى طنز (2)
فيا ليتنا نحيـا جميعـا الى اللقـا وتجمعنا الاقدار يوما على الدرز (3)
فتوسعنـى خـيرا وعـزا وسـؤددا وترفعنى فوق المراد بذا القوز (4)

عمدا سقت امثال هذه القوافى على ما فيها ، لنسجل للتاريخ ما كان المبتدئون من الالغيين يتداولونه فى اول معاطاتهمللقوافى ، والد بيب اول المشى ، ثم الجرى ، ثم السبق ، ثم احراز الخصل فى آخر الميدان

وقال ايضا يخاطب بعضهم فى بلده ويلومه على مقاطعته :

حنانيك لا يذهب بك الظن مذهبـا تزل بـه الاقـدام من كل سـالك
تنكرت لى مذ اشـهر بعـد ما ارى محيـاك لى كالبدر بيـن الحوالـك
امن عثرة قـد خلتها مـن اخيـك صرت تدجى حياتى كالنساء الفوارك (5)
فهبنى عثرت عـثـرة لا لـعـا لها فصرت مقضم الخطوب العوارك (6)
اما كـان غفـران لديـك ام انمـا لديك فقط دوسى بصم السنابك (7)

---

(1) البنان يذكر لا يونث

(2) طنـز يطنز كامر يأمر - سخر (3) الدرز بفتح فسكون - نعيم الدنيا

(4) القوز كالموز - الكثيب المشرف

(5) الفارك - المرأة التي تبغض زوجها - وقد قال بعضهم في ذلك من بيتين:

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل ابدا يماطل عاشقـا معشـوق
فصبرت حتى نلتهن ولم اقـل ضجرا، دواء الفارك التطليق

(6) لعـا له - كلمة تقولها العرب وتريد بها الدعاء بالنجاة

(7) السنابك ج سنبكة بضم فسكون فضم ففتح - طرف حافر الفرس

فتب ايها المفضال واراب فساد ما ... شعبت وصل من سقته للمضانك

عليك سلام الله ما هبت الصبا ... فاذكرت المشتاق عهد العواتك

وصلى على خير الانام وآله ... واصحابه اسد الشرى فى المعارك

وقال ايضا فى الفقيه سيدى الزبير ، يتوسل به الى اناس ليشارط فى مدرستهم فى (آيت باعمران)

ذكرت الحمى وهنا وقد هجع القوم ... فطار عن العينين بالشجن النوم

وغنى حمام الايك فى غصن ايكة ... فساورنى من شوق احبابى الهم

رجعت الى عهد الصبابة بالذى ، ... يشوقنى من بعد ان صح لى عزم

فاهلا بوجد لايغادر ادمعا ... ولا فلذة الا تشجشمه هم (1)

فانى لاحبابى خلقت ولم اكن ... محبا اذا ما صح لى بعدهم جسم

ومن لم يذب بالحب فى حقبة النوى ... فدعواه زور لايصح بها حكم

وفيت لحبى مثل ما كان سيدى الز ... بيريفى للحق ان سأل القوم

رعى الله فى كل المجالس لم يكن ... ليعسف فى حكم وان سامه سوم

يرد الرشا للمبطلين كانها ... جنادل فى اعلى رؤوسهم صم

يقول ولا يخشى البراطيل تفسد الـ ... ـمقول فيخسا دونه المجترى الفدم(2)

ادام اله العرش عرش قضائه ... لينطق من افصاحه الخرس والبكم

ايا سيدى انى اليك لملتج ... ومن يعتلى ظهرا على الباز قد يسمو

اريد بجاهكم توسطكم لكى ... افوز بنحب طالما سامه الهم

لتنظر لى الشيخ الكبير على القبيـ ... ـل للشرط كى ينزاح عن ذهنه غيم

ومن يقض حاجات ستقضى له كذا ... ك حاجاته عند الذى حكمه الحكم

عليك سلام الله يا خير ملتجى ... لمثل فياتى القصد يقتاده العزم

وقال فى الفقيه سيدى الحسين بن عمر بيبيس يستجيزه :

الى ربعك المامول جوبى التنائفا ... لا بعد عنى فى حماك المتألفا (3)

وانت امام القطر راس هداته ... تدير على الشرب الظماء المعارفا

وانت خليفة النبى الم يرد ... بان ذوى العرفان كانوا الخلائفا

فيا سيدى انى رجوت اجازة ... اكون بها من يمن علمك عارفا

انلنى مرامى نلت كل المرام فى ... ظلال جنان الخلد تجنى المخارفا (4)

فعلمك بحر يستقى منه بالدنا ... ن ، والغير نهر لا يبل المغارفا (5)

عليك سلام مثل عرف العبير ، ان ... تنشقه من كان للعرف عارفا

---

(1) الجشم - الهلاك. وتجشم الشيء - اقتحمه

(2) البراطيل ج برطيل بالكسر - الرشوة والفدم - الرجل اللئيم

(3) التنائف ج تنوفة - المفازة

(4) يقصد بالمخارف - ما يجتني من الفواكه

(5) الدنان ج - دن بالفتح - اناء كبير من اواني الخمر

ولم اقف على اجازة هذا الفقيه له ، ان صح انه اجازه ، لان هذه القطعة انما افادنيها بعض الآخذين اخيرا عن الفقيه

وله في المولى عبد الحفيظ سلطان المغرب اذ ذاك ، عينية ، كحيزبون (1) لا للشم ولا للتقبيل اعرضنا عنها ، مطلعها

حفيظ نظمت الدين بعد تضعضع وافعمت بالنصح الشذى كل مسمع

وقال في وصف ازهار الربيع

لله فصل ربيع راق منظره يسبى العيون اذا ما كن تبصره
بنفسج غازل المنثور فابتسمت من الاقاح ثغور لا توقره
هذى الشقائق ام هاذى خدود جوا رام طلا الجام فيه راق أحمره

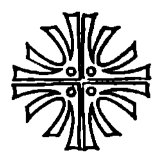
وقد كان في الوفود الافرانية مع القائلين كثيرا ، غير اننا لم نقف الآن على شيء من ذلك ، الا هذا الذى اجابه به الاستاذ الكبير ابو محمد شيخنا التامانارتي ونصه :

اهلا بنظم طيب الانباء سح الغمام صيب الانواء
معطر الانشاد والانشاء نزهة راو وانيس راء
ازرى بزهر روضة غناء مبتلة الاردان بالانداء
جاش به فكر غزير الماء ملتهب متقد الذكاء
كالسيف في الصفاء والمضاء والبدر في الاشراق واللألأ
يا ابن الحسين يا اخا الصفاء يا من سما في طلب العلياء
ابشر فقد نلت المرام النائي وفت بالعلم مدى الجوزاء
ونلت من زلاله الرواء عدتي الشدة والرخاء
فالعلم ربع مخصب الفناء والعلم سيف مرغم الاعداء
وهو الحلي المرونق الرواء وهو السراج المشرق الضياء

هذا كل ما عندنا لهذا الاديب ، يجمع الحشف وغيره ، والغالب انه ضاع كل ما كان ينفثه في بلده ، حيث نرى له ما يستحسن ، ويستحق الاعتناء ، الا انه اوى الى قبيلة لا يعتنى فى جوها بالاداب ، وهو على كل حال من المحدودين الذين لم يبسم لهم الدهر من جهات : من جهة بيانه حين كان بين لداته ، حتى لا يعدونه الا ذنبا مع اهل البلاغة ، ومن جهة جهلنا الآن كثيرا من ادوار حياته ، سواء منها ما مر قبل ان يلتحق بـ (الالغية) وما مر بعد ان فارقها ، فانه لم ينشب ان توفى فى نواحي (الحوز) غريبا كما سمعته من غير ان يبقى له فى بلده ذكرا ، لا فى المدارس ، ولا فى منصات القضاء ، وفى هذين المضمارين يظهر ذو العلم فى (جزولة) وقد شارط بعدما فارق المدرسة (الالغية) فى مسجد (تافراوت نايت داود) فى (آيت برابيم) يعلم

(1) الحيزبون ـ العجوز.

فيه القرآن ، ثم لم يعمر بعد ذلك الا سنوات ، وقد بحثت كثيرا عما نفثه ، فبعد الجهد ومراسلات تيسر لى ما تقدم ، وشعره مختلط ، تعرف منه وتنكر، وما تنكر أكثر مما تعرف وقد حاولت ان اختار واسقط ما لا يتمشى والاداب العامة من مباذله كما حذفت ابياتا من بين ما ذكرته ، وقد انتفعت فى آثاره بما نقلته عن الاديب شيخنا ابن الطاهر وعن لدتيه سيدى محمد ابن على وسيدى موسى بن الطيب وعن كناش بعض تلاميذ بيبيس من الباعمرانيين المتأدبين المعتنين ، وقد انقطعت اخباره عن (الغ) منذ فارقه ، مع ان له آثارا لها روعة بعدما فارقه ، رحمه الله وغفر لنا وله . وقد اثنى عليه مولاى عبد الرحمن البوزاكارنى ، وفضله على كثير من اقرانه ، ووصفه بأنه ترقى فى الادب بعدما غادر (الغ) وكذلك القاضى سيدى محمد بن عبد الله اوبلوش البعمرانى ، وقد وجدت عنده من ادبياته ما انتقيت منه ما تقدم



القاضي عبد الله بن الحسين الموساكناوى البعمرانى

1314 هـ - حـــى

نسـبـه

عبد الله بن الحسين بن سعيد بن عبد الله بن موسى .

والحسين بن سعيد من اكابر فقهاء تلك الجهة وسيأتى فى (الفصل الثانى) من هذا الباب ان شاء الله لانه من اكابر من اخذوا التصوف عن الالغيين

وعبد الله المترجم ممن اخذوا حينا من المدرسة (الالغية) وممن اتسموا بسمات الالغيين من محبة الادبيات واتقان العربية فقد قاسى صبارة قرهم القارص وشم من دخان شيحهم الذى هو كل الوقود الذى يعرفونه ثم اخذ اخذهم فى المعارف والمعالى فلا بد ان يجول فى عطف يمت الى اعطافهم بنسب متصل . ورحم مبلولة

ماخذه للقـرءان

تلقى القرآن فى مسجد قريته (تادارت) اولا من قبيلة (اد موساكنا) عن محمد بن عثمان ثم التحق بالحسين الرسموكى بمسجد (الجمعة) من قبيلة (ادا وساكم) فعلى هاذين قرأ كتاب الله الكريم وبالاخير تخرج

متلقاه للعلم

ثم اعمل الركاب الى المدرسة (التانالتية) الصوابية فى جبال (جزولة) 1332 هـ. فافتتح عند استاذها سيدى محمد بن عبد الله الصوابى اقاريض الشهير ، وهناك ترقى فى المبادىء وأخذ المتون الابتدائية وبعد ان مكث هناك سنة ونصفا التحق بمدرسة سيدى على بن سعيد الاخصاصية عند الاستاذ سيدى عبد الله بن محمد شيخنا الالغى ، وكان فيها اذ ذاك مشارطا لازمه عامين وذلك من حوالى 1334 هـ. وقد كان فى شهور لازم والـده فى

الدار ، فاخذ عنه كثيرا من النصـف الاول من المختصر ومن التـحـفـة والزقاقية ثم التحق بالمدرسة (الالغية) فى نحو 1336 ، اذ فارقها الاستاذ التاجارمونتى فكان ياخذ فيها عن مثل الاستاذ سيدى احمد اليزيدى الذى كان خلف فيها الاستاذ التاجارمونتى ، وربما درس فيها الاستاذ ابو الحسن الالغى نفسه . ثوى هناك ما شاء الله . وفى سنة 1337 ه. صاحب الاستاذ سيدى عبد الله بن ابرهيم ابن عمنا ، فكنت اراه عنده فى (ايت أمر) فى (حاحة) ياخذ عنه هناك عامين ، وقد كان فى رفقة سيدى الحسن بن المحفوظ البعمرانى

هؤلاء مشيخته الالغيون وغيرهم ومداركه الفقهية والعربية متوسعة ولو لازم كثيرا لكان محيط دائرته العلمية اكبر ممن هو عليه

مشارطاته واحواله في الميدان العلمي

راجع اهله سنة 1340 ه. فتأهل ، ثم اقبـل على مضامـير الفقـهاء يسبر غور سعده فوجد سمعة والده العلمية قد اسست له فشيد عليها مستقبله فشارط فى مدرسة (أباينو) زهاء خمس سنوات من 1341 ه. يفتي ويقضى ويقصده السائلون عن المسائل العلمية . ويتعاطى تعليم القرآن وتدريس العلوم ، فظهر له هناك مقام حسن . وذكر طيب ، وشهرة واسعة ، وقد لازم داره بعدما فارق تلك المدرسة ووصفـه العلمى فى الفتـاوى والنوازل لا يزال يصحبه ، وحضرته منتجع الواردين والصادرين .على انه وان كان له كل ذلك لم يزل بعد دون مراتب الشفوف بين فقهـاء قبيلتـه الكبار المسنين ، ولم يتزوج الا بعد وفاة والده

بعد الاحتلال اواخر 1352 ه. تمادى على حالته هذه ، لان (اسبانية) لم تعامل اثر تمكنها فى تلك المنطقة الفقهاء بمثل ما عاملتهم به اختهـــا (فرانسة) فى المنطقة الاخرى ، حين سلسلتهم بالتهديـد وحاولـت ان تجردهم من كل وصف يلفت اليهم الانظار كرجال دينيين اعلين يستحقون كل احترام فعاملتهم معاملتها المعروفة فتسجنهم بسبب وبلا سبب . وتدفعهم عن المراتب التى كانوا يشغلونها قبل بـكل مكيدة واحتيـال ، وتلمـزهم وتغمزهم كلهم اجمعين اكتعين ابتعين ابصعين بـانهم دجالـون افاكـون ، ومنابع التلبيس والزور وأما (اسبانيا) فقد بسطت اولا لفقهـاء ايالتهـا كنفها فتركتهم كما وجدتهم ثم من بدرت منه بادرة سوء مما لا يتمشى مع سياستها اقصته بلطف عن تلك المرتبة ، ومن حافظ على ناموسه ، وادى لمنصة مركزه حقها بقى محترما مبجلا والمترجم احد هؤلاء الذين توفر لهم الصون ، وانسدل عليهم ستار الاحترام . فعلى ذلك كان الى الآن 1360 ه.

نيابة القضاء

كانت (اسبانيا) بعد ما مر مـا مر عن احتلالهـا نظمت القضـاء فى (ايفنى) فجعلت رياسته فى يد القاضى سيدى محمد أوبلوش – الآتى – ، فعين فى كل قبيلة نائبا عنه ، فممن عينهم الفقيه سيدى سليمان التدرارتى فكان المترجم عدلا معه ، الى ان توفى رمضان 1358 هـ. فتعين سيدى زكريا الى سنة 1365 هـ. فازيل فتعين المترجم فى قبيلتـه وفى (اصبويـا) وفى (ايت الخمس) فبقى كذلك الى عهد الاستقلال فتولى فصل جميع القضايا التى تعرض هناك عليه على يد جيش التحرير ، ثم عينته الحكومة يقوم مقام القاضى الرسمى الى ان تصفو قضية البعمرانيين بين المغرب واسبانية

مكانته في المعارف

لم أكن اعرف المترجم حق المعرفة وان كنت رايته مـرة او مرات حين كان فى (الغ) ولذلك لا اقدر ان اعلن هنا من عندى كنـه قـدره فى المدارك . والذين يعرفونه يفهم مما يقولون انه من المتوسطين من بين الآخذين من (الالغية) وهيهات ان يقر الالغيون لاحد بالتفوق التام الا اذا كان حقا متفوقا عربية وفقها وفرائض وتاريخا وادبا واطلاعـا والا فبحسبـه من افواههم عند وصفه بجمجمة لسان تدل بخفوتها اولا على اسفافه فى انظارهم قبل ان يدل على ذلك حديثهم الصريح وبحـق كان شيخنا سيدى سعيد التناني يقول . كل من ليس باديب فلا يكتسى ابهة العلم عند الالغيين ، وان جمع علوم الاولين والاخرين

وفى 22 صفر 1378 هـ. يسر الله الاجتماع به فقد زارنى وانـا فى مستشفى ابن سينا لمرض السكرية التى اكتشف منى حديثا ، فرأيت منه عالما حسنا لبقا ، ثم اجتمعت به ايضا فى دارى بعد ذلك . ثم حج فى السنة نفسها وهو هو ذا اليوم فى مكانة حسنة . ولم يتيسر لى من آثاره ما اخلده بـه . وهناك من اهله الاستاذ سيدى احمد بن على وهو ابن اخى المترجم سيذكر مع سيدى الحسين القاضى فى (الجزء الثاني عشر) ان شاء الله .



القاضي سيدى محمد بن عبد الله اوبلوش البعمرانى

1318 هـ. - ليلة 3 ـ و ـ 1379 هـ.

نسبـــه

محمد بن عبد الله ـ وهو الملقب أوبلوش ـ ابن محمد بن احمد بن الحسين بن ابرهيم ابن عبد الله بن داود

مسقط راسه ومسكن اهله قرية (أدار) من قبـيـلة (ايت عبد الله) احدى قبائل (بعمرانة) . وقد انتقل اسلافه من جبـل الاطلس الصغـير من قبيلة (ايت صواب) حيث قبائل (جزولة) منذ زهاء قرنين ، وفى الاسرة علماء وقراء كبار من اطرافها ، فلنقدم منهم من نمى الينا العلم فيهم ، وقد تقدم من يلقبون ايضا (اوبلوش) من (تاكانت) من (الاخصاص) ولا اتصـال بـين الفريقين .

الاول ـ عيسى بن ابرهيم

هو عيسى بن ابرهيم بن عبد الله بن داود اخو الحسين المذكور قبل فى سلسلة النسب الذى مر وهو يعيش بين اواخر القرن الثانى عشر ، والقرن الذى بعده ، وهو احد من تخطاهم الوباء الفاتك سنة 1214 هـ. كان بارزا فى عصره . يحكم بين الناس فى نوازلهم ، وفى سلات رسوم اهل تلك الجهة من محررات يده فى ذلك كثير ، وقد مات كلالة فورثه صنوه الحسين ابن ابراهيم

الثاني ـ محمد بن احمد

محمد بن احمد بن الحسين ، احـد رجالات تلك السلسلة ، اشتهـر بالاجتهاد فى تعليم كتاب الله ، حتى خرج عشرات ، فابقى له ذلك ذكـرا خالدا طيبا ، يذكر به الى الآن ، ولا يزال الى الآن من كانوا اخـذوا عنه فى صغرهم وفى حالة كونه شيخا كبيرا ، وقد توفى 1296 هـ.

الثالث - عبد الله أوبلوش

من القراء ايضا ، ورث الجد في تعليم القرآن عن والده ، ولذلك نرى كل اولاده من حفاظ القرآن ، محمد القاضي ، والحسن ، واليزيد ، ومبارك ، وقد توفي عبد الله سنة 1336 هـ. بعد ما ترك من التلاميذ كثيرين في تلك الجهـة

الرابع - اليزيد بن عبد الله

التحق بالمدرسة (البونعمانية) بعد حفظه للقرآن عن ابيه ، فاخذ عن الاستاذ ابي عبد الله محمد بن مسعود ، وبعد ما لازمه ما شاء الله انتقل الى مدرسة (سيدي بوعبدلي) فاخذ عن الاستاذ الذي كان فيها اذ ذاك سيدي المحفوظ الادوزي . وقد لازمه ايضا ما شاء الله ، حتى قضى في زمن الاخذ في هاتين المدرستين عشر سنين ، ولكنه مع هذا كله لم يكن الا وسطا في معلوماته ثم لما رجع الى اهله اضطره الزمان وتقلباته ان يخوض مخاضات اهله وهم اذ ذاك في حيص بيص ، يجاذبون الرئيس احمد نطالب الذي سولت له نفسه ان يستولي على قبيلتهم (ايت عبلا) لانه من فخذ (اد باهـا مومن) ، وآل اليزيد من فخذ (اد حمو) فلم يـزل الفخذ ان في معاركات ومداعسات ، وينقسم جيرانهم عليهما الى ان قضى اخيرا على السيد احمد نطالب فخر صريعا ، بعد ما استولى ما شاء الله على القبيلة كلها وكان اليزيد كثيرا ما يشارط في المساجد ، وينوي ان يمثل دور آبائه في ميدان النوازل ، كفقيه متبوع ، فلما احتلت تلك الجهة آخر 1352 هـ. ادته خاتمة المطاف الى مدينة (ايفني) المبنية حديثا بعد 1352 هـ. فكان في مسجدها الكبير اماما ومعلما لكتاب الله ، ولم يجد في (ايفني) من يقبل على الدراسة في العلم ، وهناك اليوم على حاله ، 1374 هـ. وولادته سنة 1316 هـ.

الخامس - احمد بن اليزيد

ولد من قبله ، من نجباء الابناء ، فقد اتصل بعمه القاضي في المدرسة (العبلاوية) المسماة مدرسة (الجمعة) ، فلازمه اثنتي عشرة سنـة ، حتـى اتقن الفنون اتقانا ، ثم التحق بمدرسة (تانالت) عند الاستاذ سيدي محمد ابن عبد الله أقاريض الصوابي ، فبقي هناك سنة ونصفا ، ثم التحق بـــ (فاس) حيث ربض ازيد من سنة ، فئاب من رحلته العلمية هذه متمكنا ، ذا ذوق سليم ، وادراك متين ، وقد نفعه الله بملازمة الاستاذ الاديب الكبير شيخنـا مولاي عبد الرحمن البوزاكارني ، وقـد كان يختلف الى مدرسة (الجمعة) اذ ذاك ، فنفعته مجالسته ، فنال من اللغة والادب ما نال ، مما زاده

تمكنا في فهمه وسلامة في ذوقه ، وتحصيلا في كل معلوماته ، ولما رجع من (فاس) استنابه عمه القاضي في تلك المدرسة يوم ولي هو وجهته الى القضاء فلازم التدريس في كل الفنون التى احسن اخذها طوال سنين وقد كان مر بنا فى تلك الحقبة ونحن بـ (مراكش) فئانسنت منه ما وصفته به ، وكنت ارى له مستقبلا زاهرا ، وهالة متسعة من الجاه العلمي فيما يأتي من أيامه ، لكنه لم ينشب ان اعتبط ، فدخل فى السرار فى ليلة النصف من شعبان 1372 هـ. فبكى كل من يعرفه نجابة عجيبة دفنت معه .

السادس - محمد بن اليزيد

اخو من قبله نجيب ايضا ، وقد اخذ عن عمه القاضي ، كما اخذ ايضا عن العلامة سيدى الحاج محمد ابن الحاج عابد فى مدرسة (اكونكا) ، وبعد ان استتم ما اخذ صار كاتبا فى محكمة عمه القاضي فى (ايفنى) ثم لما خرج القاضي من وظيفة القضاء 1371 هـ. شارط فى المدرسة الصغيرة الموجودة فى (اكوك) من (ايت على) فى قبيلة (ايت الخمس) ، ثم غادرها وهو اليوم 1374 هـ. فى داره

السابع - الحسن بن عبد الله

هو اخو اليزيد والقاضي وسترى ترجمته على حدة لانه على شرطنا

الثامن - احمد بن محمد بن الحسين بن احمد

من نجباء هذه الاسرة ، لازم القاضي سنين كثيرة حتى حصل ما حصل ، ولم يتجاوزه ، وقد شارط فى (اكوك) فى قرية (توال) ما شاء الله ، ثم لازم داره اليوم 1374 هـ. وهو وسط فى معلوماته

التاسع - القاضي المترجم

هذا احد رجالات (سوس) العلمية الآن ، وفذ من الافذاذ الذين تخرجوا من المدرسة (الالفية) ، وقد تكونت له هالة من الشهرة بعلمه وادبه وتدريسه ، ثم بتوليه خطة القضاء فى (ايفنى) سنين كثيرة .

متعلمه للقرءان

اخذ القرآن عن والده فى مسجد القرية ، وهو عمدته فيه ، فقد ختم عليه خمسا ، ثم التحق بالاستاذ سيدى مبارك بن على التباني فى مسجد (العوينة) فختم عليه ختمتين . فهذان هما استاذاه لا غير .

في المدارس

التحق بالمدرسة (الالغية) سنة 1333 هـ. باشارة الاستاذ الاديب محمد ابن الحاج الحسين بوكرع بعد ما اهتم ان يلتحق بمدرسة اخرى غير (الغ) فهناك اخذ كل ما اخذه من المبادىء الى المناهي ، فقد رابط هناك من هـذه السنة 1333 هـ. الى ان توفى عميد المدرسة الاستاذ على بن عبد الله سنة 1347 هـ. وقد انتفع هناك بالاستاذ نفسه ، ثم بالاساتذة الذين يدرسون فى المدرسة التاجارمونتي اولا نحو ثلاث سنوات ثـم زاول الاستاذ عميد المدرسة الدراسة بنفسه نحو خمسة اعوام ، ثـم الاستـاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى نحو ثلاث سنوات ثم الاستاذ سيدى المـدنى ابن عميـد المدرسة ، وانتفع بمولاى عبد الرحمن البوزاكارنى كثيرا هناك وفى (ايت بعمران) بعد

هـكذا كان المترجم ابن المدرسة (الالغيـة) وحدهـا لم يتجـاوزهـا ولو قيد انملة .

في المدرسة العبلاوية

بعد تخرجه شـارط فى مدرسة قبيلته (ايت عبـلا) فى تلك السنة نفسها 1347 هـ. فلازمها اثنتى عشرة سنة ، كان فيها مثال الجد والاكباب على التعليم . فاخذ عنه اذ ذاك نجباء ظهروا فى الميادين العلمية . وممن اخـذوا عنه الفقيه سيدى احمد بن بلخير التاغاجيجتى المشهور الآن فى قبيلته فعنده افتتح الجرومية ، ثم لازمه فى كل الفنون ازيد من عشر سنين ، حتى استتم كل الفنون والتهم كل المتون ، وهذا الآن استاذ فى بعض المدارس الابتدائية فى ناحية بلده وهو مولود 1338 هـ. وقد اخذ ايضا عن الاستاذ احمد بـن الحاج محمد اليزيدى (وتوجد ترجمته بين اهله فى (الجزء الثامن عشر)

وممن اخذوا عنه الاستاذ الاديب سيدى احمد بن زكرياء الشهير ، (وسترى ترجمته قريبا) وكذلك اخذ من هناك اخـوه محمد بن زكريـاء وسيذكر مع اخيه

وممن اخذوا عنه ايضا الاستاذ محمد بن ابرهيم بن مبارك الاوخريبى البعمرانى الذى كان فى مدرسة (تمانار) بـ (حاحة) وفى مدرسة الكرايمات بالشياظمة حينا ثم جال فى مدارس اخرى ، الى ان تولى نيابة القضاء أخيرا فمن عند المترجم ابتدا فمكث ما شاء الله ثم اخذ عن الاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى

وممن اخذوا عنه ايضا الطيب بن عبد الرحمن بن عبد الله ، وابن عمه محمد بن العربى بن عبد الله ، وهما الآن مشهوران ، وثانيهما اخـذ

ايضا في (ايغيلالن) عند سيدى الحاج مسعود ، وهو الآن نائب قاضي (تزنيت)
وممن اخذ عنه ايضا السيد الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله من قرية (اد بنى عمر) من قبيلة (ايت بوبكر) ، لازمه كثيرا نحو سبع سنين ، ولم يعرف عنه اخذ عن استاذ آخر ، وهو الآن عدل مشهور في بلده
ومن اخذ عنه ايضا الحسين بن محمد امغار البوكرفاوى الشريف ، كما اخذ ايضا عن احمد بن اليزيد المتقدم في هذه التراجم ، وهو اليوم مشارط في مدرسة (بوكرفا) وهكذا شارك المترجم في توجيه كثيرين الى الميادين العلمية ، بملازماته لهم حتى تمكنوا وهناك كثيرون آخرون اخذوا عنه في هذه المدرسة ، لم نستحضر اسماءهم

في خطة القضاء

في سنة 1359 هـ. توفي القضاء في (ايفنى) حيث بقى احد عشر عاما ثم لا تحول الخطة بينه وبين الدراسة ما استطاع .
فممن أخذوا عنه هناك في (يفنى) محمد بن عبد الله التزنيتي قاضى ايت عتاب ثم المدرس في المعهد الرداني . وقد أخذ عن آخرين ومنهم الحسن ابن الحسن بن الحسين بن بيهى الاصباوى ، ثم استتم عند آخرين وهو مشهور الآن بالنجابة ، ويدرس الآن في مدرسة ابتدائية ازاء (اكادير)

بعد خروجه من الخطة

في سنة 1371 هـ. فارق خطة القضاء ثم راجع المدرسة (العبلاوية) حيث لا يزال مقيما الى الآن . وقد استجد همة التدريس فعنده الآن 1379 هـ عشرون من الطلبة

احواله وبعض اخباره

كان ناشئا في فاقة واعواز ، حتى انه وهو في المدرسة لا يتيسر له ما يشترى به حتى القرطاس فقد قال في أثناء اعتذاره عن عدم وجود الآثار الادبية تحت يده ، انه ما كان يجد ولو صحيفة يقيد فيها ، ولعل هذه الفاقة هي التى حدته حتى ارتمى على الجمع لو تيسر له الجمع ، ولكن لم يدخر شيئا له بال ، وهو الآن الى الفقر اقرب الى الكفاية وهو ممتع المجالسة ، فقد جالسته مرارا ، وخبرت احواله ، واستشففت بواطنه فظهر لى انه في مسلاخه رجل لو يساعده الدهر دائما ، وقد كان ممن ينبغى ان لا يهملوا بعد الاستقلال في تلك الناحية لكنه هو وجميع امثاله تمالا الناس على نبذهم نبذ النواة محتجين بأن لهم امس يدا مع المحتلين وهو عذرواه ، لان الامر اذ ذاك غير الامر اليوم فقد اقتضى الحال يومذاك ان يكون امثاله

ولا بد في منصات الأحكام ، ولم يكن المحتلون من اختلال العقل بمثابة من لا يمشون في الحياة الواقعية مشيا غير مقبول ، وحين اختاروا امثاله في عقله وفي علمه وفي تؤدته دل ذلك على انهم لا يسرون كل التحطيم مرة واحدة ، ثم لما انقلبت الاحوال كان ينبغي للشعب ان يختار امثاله الذين ليست لهم يد خفية في اعانة المحتلين بالجاسوسية لمزاولة الامور ، لانهم ادرى بها لدربتهم ، واما القاء امثاله في زوايا النسيان ، والاتيان باناس سذج لما يجربوا الامور فان ذلك من خطل الراى ، وخطا العمل ، وسيندم الناس على هذا بعد قليل ، وقد نبهنا على هذا ، ولكن لا يطاع لقصير أمر

وقد وفد مرات مع البوعمرانيين على القصر الملكى وقد عين أخيرا ان يكون هو الذى يمد بيده ملتمسا كتبه اهل تلك الجهة ليد الملك ، ثم نشا بين الوافدين خلاف ، فخاف المترجم من عواقب ذلك ، فتمنى لو وجد متملصا من كل امورهم اما بعمل قائم على الوظيفة ، واما بمدرسة نائية عن تلك الناحية . وقد شاركته في فكرته هذه ، ولكن لم يتيسر له ذلك الى الآن اواسط جمادى الاولى 1379 هـ. ثم بلغنى انه غادر تلك المدرسة خائفا يترقب من اناس يخافهم على نفسه ، فالله يختار لنا وله

من منشداته

جالسته مرات فكان ينشد فى كل مناسبة ، فمما انشده

تسر الى العطار ميرة اهلها وهل يصلح العطار ما افسد الدهر

وانشدنى يوما

وفى النفس حاجات وفيك فطانة سكوتى بيان عندها وخطاب

وانشد ايضا الابيات المشهورة لمحمد بن هانئى الاندلسى

ولم اجد الانسان الا ابن نفسه فمن كان ارقى همة كان اكبرا
فلم يتاخر من اراد تقدما ولم يتقدم من اراد تاخرا

وانشد ايضا الابيات المشهورة

وليس الرزق عن طلب حثيث ولكن الق دلك فى الدلاء
تجىء بملئها طورا وطورا تجىء بحماة وقليل ماء

من آثاره

الأثر الاول رسالة كتبها الى رفيقه ابى العباس الاكمارى

(سيدنا الذى اضاءت اهلة فخره فى سماء الفخار. واشرقت شموس مكارمه على مفارق الاحرار من تختال به المعالى اختيال العروس وتخضع لجلالته اعزة

النفوس . ذو عناية اوضح من الفجر ، وفطنة انور من البدر ، وهمة انفذ من الدهر مولانا ابو العباس ابن ابى عثمان سيدى سعيد اسعدنا الله واياكم ووفقنا لما فيه رضاه ورضاكم وسلام عبق طيب يزف لحضرتكم السامية التى هى قطب دائرة الكمال . ومحط الرحال . ورحمة الله وبركاته عليكم وعلى من بكم واليكم هذا والاحوال لله الحمد بخير وعافية غير ما يلفحنا من اوار التوقان اليكم . وتباريح الشوق اليكم ، وقد وصل كتاب سيدنا المنسى ببلاغته كل بلاغة وبراعة وبتنميق يراعته كل يراعة ، وقد سرحت الطرف فى ميدان رياضه ، ونشقت عنبر عبيره من نشر غياضه :

فوالله ما ادرى ازهر خميلة بطرسك ام در يلوح على النحر
فان كان زهرا فهو صنع سحابة وان كان درا فهو من لجة البحر

وكان يوم اتيانه يوم عيد ، والحمد لله على رؤية خطكم السعيد

فلله يوم لا اقوم بشكره ولكننى ما زلت اثنى واطنب

فبرد بوروده بعض ما جنى البين ، وحبس بعض ما وكفت به من الدمع العين

فجدد الانس مد وافى وانعش ما اذوى النوى فتبدى وارق الفنن

فالله المسئول ان يطوى مشقة البين ويكحل باثمد الملاقاة منا العين وقد ملكنا خلقك الكريم ، الحديث والقديم .

افادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا
والأثر الثانى

ما خاطبه به ايضا وهو يجيبه عن قصيدة

ابارق او مض من تهمد فهاج ما استكن من خلدى
واضرع الاحشاء جمر الغضا يا ويح قلب المدنف المكمد
ام نسمت ريح الصبا سحرا فذكرت مواعد المعهد
وهيجت ما طالما اكتن من بلابل وهى بها جلدى
او اسفرت غيداء عن محجر ومبسم كالشمس والصرخد
من شامها يصبو ولا يرعوى حتى يرى الغى من الرشد
تصير الرعديد من بعد ما قد كان اجبن من الصفرد (1)
يقتحم العرين مستبسلا ولا يخاف صولة الاسد
لا بل سبت عقلى وكل فتى يعجبه حسن الرشا الاغيد
فى سندس تمشى واستبرق مختالة كالغصن الاملد
بنت لفكر فارع قد علا مفارق العواء والفرقد

(1) الصفرد كزبرج ـ طائر جبان

البارع البحر الهمام الذى … ضم علاه لعلا المحتد
من طن في آفاقنا صيته … فليس يجهل لدى احد
ان أورد الشيء يكن مصدرا … فيا له من مصدر مورد
قصيدة عصماء قد روقت … حتى صفت كالقرقف الجيد
مهتبل بها الفقيه الذى … القى له الفخار بالمقود (1)
السيد الذى بهماته … تناول النجم من المقعد
بحلمه وعلمه قد سما … وجوده المستبحر المزبد
لا زال ماوى للعفاة ومطلوبا لكل آمل مجتد

والاثر الثالث

قال يخاطب الامام الملك محمدا الخامس وقد وفد عليه في وفد من البعمرانيين 20 من ربيع الثاني 1379 هـ.

الحمد لله زال الذعر والحذر … وجاء ما كانت الامال تنتظر
وانفشع الحزن والافراح زائدة … فليوف لله اقوام بما نذروا
اذ ثبت النصر واستقلال مغربنا … فالقسر منتثر والنصر منتشر
بعد التي واللتيا الشعب مستلم … رجاءه ثم زال الشكو والحذر
بسعد عاهل شعبنا الوفى فما … يبغى سوى ملكه هذا هو الخبر
مولى الموالى اطال الله مدته … وكان طوع يديه البدو والحضر
جاء الخلافة مذ كانت له قدرا … من الاله كما قد جاءها عمر
(ما آثروك بها اذ قدموك لها … لكن لانفسهم قد كانت الاثر (2)
الله أكبر ان الدين بعدك يا … خير الانام عراه الذل والخور
لكنه قد اقال الله عثرته … بسيف فكرك وهو الصارم الذكر
تحول الحلم منك للعدا غلبا … فنالهم دهش في السلم والخدر
ان لم تكن تبعث البعوث ظاهرة … فقد دسست لهم كيدا له خطر
فجاءهم نصر مولانا المؤيد بالله فادركهم نصرك والظفر
ناموا على غفلة وانت منتبه … فالسيل خالطهم والسيل منهمر
فافترقوا وتمزقوا يدى سبا … كل يقول ايا ويلاه ما الخبر
النفع والضر بعد الله في يدكم … فما لدى غيركم نفع ولا ضرر
حمدا وشكرا فان الشمل مجتمع … والهم منهزم والصدع منجبر
ليت القوافي تدنو لى فاجملها … في سلك مدحك لولا العى والحصر
(تلك المكارم لا قعبان من لبن) … قد شابه الماء ثم شأنه الكدر
ألاء أهل (ابى عمران) قد وفدوا … غايات قصدهم الدعاء والنظر

(1) يعنى بالفقيه ابا الحسن الالغي
(2) بيت قديم في عمر بن عبد العزيز

ولحظ طلعتك الزهرا التى خضعت	لنورهـا النـيران الشمـس والقمر
ولثم راحتـك اليمنى التى غبطـت	عبيرهـا العطران المسـك والزهـر
فهم مطيعـوك فاقبـل من مسيئهم	مولاى بالصفـخ فضلا انهـم بـشر
وارحمهـم ثـم لا تنـس ودادهـم	ولا بـلادهم ان سـاعـد الـقـدر
اقـول لـما رأيـت العي عاجـلـنى	مقالة الحكمى (1) خـير من شعروا
(مطهـرون نـقـيـات جـيـوبهـم	تجرى الصلاة عليهم اينما ذكـروا)
(من لم يكن علويـا حين تنسـبـه	فما له فى قديم الدهـر مفتـخـر)
الله لـما بـرا خلـقـا فاتـقـنـه	صفاكم فاصطفـاكم أيهـا الـبـشر
فـانـتـم الملأ الاعـلى وعـنـدكم	علم الكتاب ومـا جاءت بـه السور

منى عليك سـلام الله مـا طلـع الـــفجر المنـير وما طافت بـك البشر

استشهاده

كان آوى الى اكادير بعد ما رأى الجو فى بلده معتكرا ، ينتظـر أن تنقشع السحب ، فاذا بزلزال (اكادير) لوى به فيمن لوى بهم الى رحمة الله ، هو وزوجته وولدان وبنتان ، هو واخوه سيدى الحسن الفقيه واهله ، فرحم الله الجميع ، وقـد خلف المترجم ولدا له نجيبا ، يسمى عبد الحميد ولد 1360 هـ. وقد حفظ القرآن عن عمه اليزيد ثم لازم والده خمس سنين الى ان شدا ، فالتحق بـ (مراكش) حيث هو الآن فى الكلية اليوسفية من الثانوى ، حفظه الله .

ورج الفتى للخير ما ان رايته على العمر خيرا لا يزال يزيد

---

(1) الحكمى ابو نواس

الفقيه سيدى الحسن اوبلوش البعمرانى

1318 هـ. – ليلة 3 ـ 9 ـ 1379 هـ.

نسبــه

الحسن بن عبد الله بن محمد بن احمد بن الحسين بن ابرهيم بن عبد الله بن داود ، هو اخو القاضى المتقدم ، وقد رأيت كيف وقــع ذكــره بين اهــــله

متعلمه

اخذ القرآن عن ابيه ككل اخوانه . ولم يتجاوزه ثم التحق مع أخيه محمد المذكور قبله بالمدرسة (الالغية) فى سنة 1333 هـ. فافتتح هناك على يد الاستاذ التاجارمونتى ثم صاحب هذا الاستاذ يــوم انتقــل الى المدرسة (الايغشانية) فبقى عنده دون عام ، بعد ان كان صاحبه اولا فى (الغ) نحو عام ، ثم راجع (الغ) فاخذ عن استاذ المدرسة الجديد سيدى احمد بن الحاج محمد اليزيدى ما اخذ ، ثم التحق معه بمدرسة (فوكرض) فى قبيلة (ايت صواب) فلم يطل به الحال ، فانقطع دون المدى لوفاة والده ، وقــد نفعــه اجتهاده فمر فى هذه السنين القليلة على المتــون المتداولة فختم الالفيــة والمختصر بله المتون الصغار ، ولم يقدر له ان يلازم أكثر مما لازم ، ليكون له من الشفوف مثل ما كان لاخيه القاضى

في مزاولة اشغاله

رايت ان سيدى الحسن لم يطل المكث فى المدارس التى مر بها ، ولا ريب ان ذلك يدل على ان باعه لا يكون طويلا فى هذه المعارف ، ومن جاوروا مثل اخيه العلامة النحرير البحر الخضم فانى يتاح له الشفوف والظهــور بما فى يديه ، وهل تظهر الاضاء ازاء البحور الزواخر ، أو تشرق الكواكب مع الشموس في عليائها ، فلولا انه حريص على المزاولة بالمطالعة ، وبمخالطة

العلماء ، والتعرف بهم ، لربما صار ما اخذه نسيا منسيا ، ولكنه لا يـزال يجاري ويباري ، وقد لاقيته فرايت ابهة العلماء ، واخلاق الفضلاء ، وله عقل واع ، وفهم ودراية ، فمنه استفدت تراجم آهله وهـو اليـوم في داره يشتغل بخويصة نفسه سنة 1378 هـ. وهو شيخ وقور ، وولادته في سنة 1318 هـ.

ولده محمد

ناشيء مجتهد لا يزال يتتبع ، وقد كان افتتح عند سيدي احمد بن اليزيد ابن عمه ، ثم التحق بعمه القاضي في (ايفـني) حتى شـدا ، ثـم الى (تانالت) عند سيدي الحاج الحبيب ثم حـط رحاله عند من لا يخيب من قصدهم ، اشياخنا آل الطاهر في (تانكرت) ، ويذكر بالنجابة ولا غـرو فله اليوم نحو 10 سنين في الاخذ بين عمه وبين آل الطاهر ، وقد ولد 1355 هـ أتم الله عليه .

استشهاد سيدي الحسن

كان ساكنا في (اكاديـر) بعد الاستقـلال فـكان اماما في مسجد (ايحشاش) نحو ثلاث سنين الى أن وقعت واقعة (أكادير) فذهب هو وولده وبنته مع أخيه القاضي واهله . وقد هلكوا جميعا بستة عشر ، فالله يرحم الجميع ، وولده النجيب محمد المذكور آنفا هو الآن استاذ في احدى المدارس الابتدائية أخيرا ، وفقه الله

الاديب احمد بن زكرياء البعمراني

21 ـ 5 ـ 1335 هـ - حـــي

نسبـــه

احمد بن زكرياء بن الحسين بن محمد بن الحاج محمد ـ فتحا ـ بن احمد بن مسعود بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عيسى بن داود ابن الحاج الحسن بن على بن يونس الفكيكى

هذه أسرة اخرى سوسية ، تفرعت بالعلماء منذ أجيال ، واصلهـــا الاصيل من (فكيك) ـ على ما يقوله اهلها ـ ثم الى قرية (أفلاوكنس) بـــ (بعقيلة) وهذا عندى من الاعاجيب ، فان من يرحل من مثل (فكيك) حيث البسائط فسيحة ، والمياه من العيون متدفقة والنخيل الباسق يدر مرة فى السنة ما يكون عميد المعاش ، الى مثل (بعقيلة) الضيقة المجال التى لا يترمق المعاش منها قاطنوها الا من بويرات غير مامونة فى اوقات الجفاف والتى لا مجال فيها فسيحا للصبر ، فضلا عن اسباب المعاش ، ان من يرحل من مثل (فكيك) الى مثلها كمن يرتحل من الحديقة الى اليباب ، او من البسيط الى الجرف ، أو لعل لذلك سببا خاصا . ومتى ظهر السبب ذهب العجب

ولنتبع هؤلاء العلماء بما نعرفه عنهم واحدا واحدا

الاول محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن عيسى .

قال فيه الحضيكى

(محمد بن محمد بن عيسى بن داود البعقيلى من (اعلى الاسفل) افلاوكنس الفقيه الاجل الاستاذ التقى العالم العامل ، اخـذ رضى الله عنه عن العلامة الصالح سيدى عبد الله بن يعقوب ، وتوفى سنة سبع وسبعين والف »

ونزيد نحن على ذلك ان رمسه فى مقبرة قرية (أفانتاكانت) وعليه بويت ولاولاده الآن قرية تسمى (اد الحاج) من (تيفرميت) واول من غادروا اخوتهم من هناك الى (بعمرانة) عبد الرحمن بن سعيد بن مسعود بن عبد الله

ابن محمد بن محمد بن عيسى ، واخـواه الفقيه احمد بن سعيد ومحمد بن سعيد ، نزلوا فى قرية (تادرارت) فى (ايت بوبكر) وهذا الجـلاء يكون فى اواخر القرن الثانى عشر (هذا) وقـد وقفـت على بعض منسوخات للمترجم كتبها لشيخه عبد الله بن يعقوب .

لثانى سعيد بن مسعود بن عبد الله بن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن عيسى :

هذا من علماء الاسرة الذين كانوا فيها قبل هجرتهـا الى (تادرارت) ويعيش فى اوائل القرن الثانى عشر الى اواسطه . واخباره بالتفصيل طويت فى طيات التاريخ . ولم يعلم عند اهله الا انه عالم . لا زال يطن دويه فى تلك الجهة ، توفى يوم الاثنين ثامن شوال 1158 هـ.

الثالث :ـ احمد بن سعيد احد الذين نزلوا بـ (تادرارت) عالم فقيه يحكمه الناس فى نوازلهم ، ولا تزال محررات يراعه موجودة فى سـلات الرسوم وتوفى يوم الخميس الرابع عشر من رجب 1214 هـ. وقد اتى وباء تلك السنة على كل أهله واولاده ، حتى لا عقب له ، ولا عقب الآن هناك الا لاخويه عبد الرحمن ومحمد

الرابع :ـ عبد الرحمن بن سعيد اخوه

احد اولئك الاخوة ، يده غير طويلة فى المعارف ، الا انـه يقصد عند اهل تلك الجهة بالنوازل ، وقسم التركات ، لمكـانة الاسرة بـين الناس ومخطوطاته كثيرة في ذلك ، قد يشارط في المدارس احيانـا ويدرس بعض تدريس ، ويقضي ويفتي ، توفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الاول 1212هـ

الخامس :ـ محمد بن سعيد احد الاخوة ، له من كل اوصاف اخيه عبد الرحمن المتقدمـة فقد تعاصرا وتعاونا ، وكانا كفرسى رهـان . وهما من العدول البارزين الموثقين توفى يوم الاثنين الثامن من رمضـان 1214 هـ.

السادس :ـ عبد الواحد بن محمد بن سعيد بن مسعود

ورث والده فى مركزه هذا ، فتكونت حوله هالة لا باس بها ، ولكنها كانت حلقة تسلسل بها مجد الاسرة من الاجداد الى الاحفاد وكان ايضـا يشارط ويعلم ، توفى فى الاربعاء التاسع عشر من ربيع الاول 1249 هـ.

السابع :ـ محمد ـ فتحا ـ بن عبد الواحد ، ولد من قبله . وقد نبغ من تحت ضبن اسرته ، فصار عالما كبيرا قـال فيه المؤرخ الايكرارى ـ باختصار ـ (ومنهم المعمر سيدى محمد بن عبد الواحد البعمرانى التادرارتى (الى أن قال) ومن حكم صاحب الترجمة انه يقول . من يشته الدين فليتجر ، وهذا يقوله قبل 1294 هـ. وهو رحمه الله رجل صموت ، لا يتـكلم الا فيما

يعنيه ، ويداوم على دينه بسكينة ووقار . ولم يروانه خاصم احدا ولا اغتابه ، وكفاه ذلك فخرا فقلما يسلم احد من ذلك ولم اره قط » .

وازيد انا الآن انه كان يعاصر سيدى محمد بن صالح ، وحين عرفنا ان ابن صالح اخذ من (مراكش) عن الاديب الكنوسى ، كذلك نعلم ان المترجم كذلك ، لانهما لا يتفرقان ، وقد امضى ابن عبد الواحد حياته فى القضاء بين الناس ، وقد كانت له هالة من احترام الناس ، وقد اصيب كاهله سنة 1311 هـ. بانتهاب كل امتعتهم فى القرية ، وقد وقع تفاقم بين قبيلة (ايت بوبكر) التى يرأسها احمد الاشكر ، وبين القبائل التى تجاورها ، فادى الحال بين المتنازعين ، حتى دس احمد الاشكر الى القبائل فاحتوشت آل (تادرارت) فذهبت الكتب من اهلها وكل ما يملك التادرارتيون ، فذهب سيدى الزبير وسيدى الحسن الآتيان يشتكيان على الحكومة بـ (مراكش) فاشكتهما ، وارسلت مخزنين وقفا حتى آدى المنتهبون ما انتهبوا . وقد كان القائد احمد ابن الشيخ همو البعمرانى الخلفى هو الذى تولى كبر ذلك وقد كان له ضلع فى فتح الباب لسفن الاجانب ، للاتجار مع تلك الناحية ، فلذلك اعتقلته الحكومة مع مبارك بن احمد ندبابو الاصبويائى ، فلم يفارقا المطبق حتى هلكا ، وذكر ان المترجم يوم النهب كان حاضرا حين كان المنتهبون يخرجون المتاع ، ولم يهرب . فدل ذلك على قوة تجلده ، وقوة يقينه بالله ، توفى فى الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الثانى 1315 هـ.

الثامن :ـ على بن محمد بن عبد الواحد

علامة آخر من عيون علماء الاسرة ، اخذ من (ادوز) عن سيدى العربى الادوزى وولده سيدى محمد بن العربى ، ولازم (ادوز) خمسة وعشرين عاما ، حتى اتقن كل الفنون ، وكان خطاطا ، وذكر لى عن نسخة من (ايسر المسالك ، الى الفية ابن مالك) نسخها بخط جيد لا يوجد فيها تصحيف واحد ، فلما رجع الى اهله شارط فى مسجد (ايسيل) بـ (ايت برايبم) ، فهناك توفى قبل وفاة والده التى ذكرناها فى 1315 هـ.

التاسع :ـ الحسن بن محمد بن عبد الواحد

قال فيه المؤرخ الايكرارى

(النجيب الذى له فى الحلق أكبر نصيب ، سيدى الحسن بن محمد ـ فتحا ـ ابن عبد الواحد المذكور قبل قرأ فى مدرسة (ادوز) على الذى العلم عنده محوز . والسر فى صدره مكنوز ، ابى عبد الله سيدى محمد بن العربى الادوزى ، ولا يحضر انصبة باب الحج قائلا لا اتعب نفسى لانى لا احج فكان الامر كذلك ، ثم ان علمه اضاعه ، ولم ير اتباعه ، فمد يده لكثرة الاشغال ، لا يغنيه من مباشرتها عبد ولا مال ، يتهافت على الدينار ، وجعله فكان من اجلهما فى غم وهم ، فبذلك سلط عليه من يرأس الاقوام ، وجعله

واحدا من العوام ، يحسب فى تضبيف الحركات ـ الجيوش ـ ولا يحاشى فى كل ما هو آت ، يعطى الفرض (1) ، ولا يسلم من قرض ـ حتى اداه الى اكل داره ، ورحل من موقد ناره . على انه جواد ، ولا يظن انه يرمى بنفاد ، وتوفى رحمه الله فى مقر جده سيدى محمد بن محمد البعقيلى فى صفر 1346 هـ. رحمه الله) وازيد انا الآن ، انه لم يتجاوز فى الاخذ الامام العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى ، ثم صار يخب ويضم فى ميادين اهله من النوازل وقسم التركات ، وقد شارط حينا فى مدرسة (مير اللفت) وفى (فوكرض) وكان يعتنى بالتكسب من الفلاحة وغيرها ، وكان من مشاهير علماء الاسرة فى عهده . ولذلك كان منتدبا للسفر مع الشيخ احمد الهيبة الى (مراكش) 1330 هـ ، وكان ديدنه الاختلاف الى القبائل التى تجاوره ، لفض النوازل التى يحكم فيها ، أو للنظر فى التركات ، وكان كريما مضيافا ، غير عبوس ، يلاقى بالبشاشة ، مهتما باصلاح معاشه ، متطلعا الى الشفوف ، وحين كان مغمورا بخاله القاضى الرسمى سيدى الزبير ، الذى كان المقصود وحده غالبا ، يقول فى حالة الانبساط ، اتمنى لو تاخرت عن خالى الزبير ولو ستة أيام ، لكن الله لم يتم امنيته ، فتوفى قبل خاله فى الجمعة العشرين من صفر سنة 1346 هـ. ، وسبب موته انه مسموم من بعض حسدة من بنى عمومته ، وقد كان يجاذبهم املاكا ترامو عليها ، فارادوا ان يجتثوا الخصام من اصله ، وكان أمر الله قدرا مقدورا ، وقد كان موته فى (تيفرميت) عند ابناء عمومته .

قال فيه ابن الحبيب :

(اختلط مع العامة ، فتهوس بامور الدنيا كما تهوسوا ولم يقتف أثر الالى درسوا ، فاصابه ما اصابهم ، حتى اصابته فتنتهم ، واكلت داره وكتبه ، وخرج من بلده خائفا يترقب ، فاداه الحال الى وطن جده وسكنه وندم على ما فرط منه ، فانا لله وانا اليه راجعون ، توفى فى صفر 1346 هـ) (اقول) ، ان هذا الذى قاله ابن الحبيب سالت عنه فقيل لى ، ان هذا النهب لقرية (تادرارت) وقع 1336 هـ ، الا ان المترجم بقى فى (تادرارت) ولم يرحل الى (تيفرميت) الا فى مجاعة 1345 هـ فنزل على املاك اسلافه هناك ، فسمه الساكنون على املاكهم ، فدفن عند جده الاعلى

العاشر :ـ احمد بن الحسن بن محمد بن عبد الواحد ،

وهو الذى وجده الاديب سيدى محمد المانوزى 1329 هـ. مشارطا فى مدرسة (فوكرض) فى (ايت صواب) فوصفه بكونه اديبا محصلا أخذ عن ابى فارس وعن المحفوظ الادوزيين ، وعن احمد بن محمد بن صالح

---

(1) يعنى مغارم الظلم للقواد.

خاله الذى سيأتى ، وهو وسط فى المعلومات ، له يد طولى فى الحساب وهو الآن بارز بين علماء الاسرة وهو مولود سنة 1311 هـ ولا يـزال حيـا الآن 1378 هـ. وهو عدل فى محكمة (بوزاكارن)

الحادى عشر :ــ صالح بن عبد الرحمن بن سعيد بن مسعود بــن عبد الله بن محمد بن محمد بن عيسى

كان حال والده عبد الرحمن على ما هو عليه مورث من حاله. وكان من اقران عبد الواحد المتقدم، وكانا كاليدين او كركبتى الراكب، فيزاولان معا ما يزاولان وحالهما متحد ، فقد عاشا تحت ظـل مجد اجدادهما بصبـابة من المعارف ، ولكنهما بها يجريان في الميادين فى النــوازل وامثالهـا ، ويحزر وفاته بنحو 1314 هـ.

الثاني عشر :ــ محمد بن صالح ولد من قبله ،

قال فيه المؤرخ الايكرارى :

العلامة الحيسوبى التاجر الصانع الجواد ، الناقد المـاهر ، سيدى محمد ابن صالح البعمرانى التادرارتى ، لدة وصفى سيدى احمد بن ابرهيم السملالى ، فهو مقيد السكك التى عليها المدار فى بلده (بعمرانة) و (ازاغار) مضت له أيام شمل الافراح بها موتلف ــ وعانقته معانقة الـلام لـلالف يرى فى الامور رؤية الهدهد فى الماء ، والقنفذ فى الظلماء ــ ويقال فى حقه حدث عن البحر ولا حرج وليس فى مهيعه من عوج ، قضى وغلب ، واعطى وسلب ، حتى ادته خاتمة التجارة ، الى هضيمة الخسارة ، سببها انه اشترى مرة مزودتين من العنبر ، من رجل وجده فى شاطئ البحر ، ولا يعرف له قيمة ، فباعه له بارخص ثمن ، ثم باعه هو بمال له فيه بال فى (السويرة) فقال له صاحبه سيدى احمد السملالى اعطنى حقى فى الربح ، فقال له لم اشتر بمالك ، انما اشتريت على ذمتى ، لم اخلص منه لصاحبه ولو فلسا حتى بعته ، فقال انما اشتريت بوجاهة مالى الذى بيدك ، فتنافرا وتحاكما عند الحسين بن هاشم ، فحلفه سيــدى احمد بن ابرهيــم فى المصحــف ، فلم ينشب ان مات بعد الثمانين ومائتين والف ، هذا ما شاع وذاع انتهى مختصرا)

(اقول) هذا عالم جليل من علماء الاسرة ، جرى ملء فروجه اطلاقـا فى كلا الميدانين ميدان النوازل ، وميدان التجارة ، اخذ من (مراكش) عن العلامة الكنسوسى ونظرائه بعد ما اخذ حتى شدا شدا عن العلامة سيدى محمد أوبلوش البوبكرى ، وكان هذا هو البقية الباقيــة من علمــاء تلك الجهــة البعمرانية بعد الطاعون الجارف سنة 1214 هـ. وكان المذكور يشارط اما فى مدرسة (ايسك) او فى مدرسة (الخميس) من قبيلة (بعمرانة) والغالب انه

ياخذ عنه (1) من قبل سنة 1250 هـ. فقد وقفنا على انه كتب مرائيه 1252 هـ. كما انه اخذ عن الاديب الكنسوسى بعد 1240 هـ. بسنين على ما عرف من ترجم هذا الاديب الذى ما انتقل الى (مراكش) الا بعد 1240 هـ. بسنوات ، وهذا لاستاد محمد ابلوش لم نعرف عنه الآن شيئا ، وهو من اهل قرية (ألوزاض) من (تاكراكرا) ، ولا ندرى متى توفى بعد 1250 هـ. ، ولا يمت الى من ذكروا بهذا الاسم من المتقدمين بشيء

كان ابن صالح كبير الشأن ، لا يعاشر الا الكبار ، وكانت بينه وبين العلامة سيدى احمد بن ابرهيم السملالى صحبة اكيدة ، ومصافاة ما فوقها مصافاة ، الى ان دفع السملالى مالا من عنده قراضا اليه فصار ابن صالح يبيع به ويشترى ما شاء الله الى ان اشترى عنبرا كثيرا ، فربح فيه ربحا خطيرا ، فطلبه السملالى بنصيبه من الربح ، فاجابه ابن صالح بانه لم يشتره بمال القراض ، بل اشتراه على ذمته حتى باعه فأدى الثمن ، فتشاحا وتداعيا لدى الفقيه سيدى احمد بن الحسن بن العربى المرسى البوبكرى ، فحكم بأنه لا ينبغى ان تتوجه الدعوى اصالة فى هذه القضية ضد ابن صالح ، ثم تداخل الرؤساء البعمرانيون ، فاسندوا الحكم فيها الى الرئيس الحسين بن هاشم ، يعسوب (جزولة) اذ ذاك ، فجمع عليها العلماء المشاهير فحكموا بتصديق ابن صالح مع يمينه ، وهذا الفصل موجود الآن تحت يد الفقيه سيدى عثمان بن الزبير ، وقد وعد ان يوصله الى فاثبته ، لان هذه القضية لها صيت عظيم اذ ذاك فكانت حديث المتسامرين، ومتحدث الركبان، وكان ابن صالح من العلماء الذين ينتدون فى حضرة (ايليغ) وممن يختلفون اليها فى كل مناسبة ، وكانت له هالة متسعة من الاجلال ، مسموع الكلمة ، معتنيا بالعلميات ، وله محرر حول السكك ، واوقات رواجها ، رايناه ووفاته فى سنة 1288 هـ.

وهاك الحكم الذى وقع فى هذه القضية ، فقد توصلت به اليوم ونصه ، (ليعلم الواقف على المسطور من ايمة المسلمين ، وارباب الصدور ، ان بعد التشاجر والمشاحنة الناشئى عنهما الداء العضال الذى اعيا دواؤه كل لبيب ، وخرس عن فصله كل اريب ، بين من لا يسعه ذلك ، ولا يوافقه ما هنالك ، الفقيهين الاكرمين الابرين الاخوين ، المتحابين قبل هذا حذو النعل بالنعل ، والمتساويين فى المقال كاسنان المشط فى الجد والهزل ، الى ان افسد ما بينهما الشيطان ، وتلاعب بهما العدوان ، حتى لم يبق ناد من اندية الرؤوس الغوغاء الا وارتفعت فيه اصواتهما ، وكثر صخبهما المخل بمرؤتهما ، الى ان انقذهما الله من تلك العثرة ، واخرجهما من تلك الورطة ، بان ترافعا للحضرة الشريفة ، والمنزلة المنيفة ، حضرة مولانا شريف الشرفاء وكريم الكرماء ، مولانا الحسين بن هاشم الايليغى ، فندبهما بعد ان قام وقعد بواجب حقهما الى ما يليق بمثلهما ، من الصلح المشروع لذوى الفضل

(1) وقفنا اخيرا على ورقات قيد المترجم فيها مرائي شيخه هذا.

مثلهما ، فزم كل واحد منهما بانفه ، واقعنسس كل منهمـا عن عرضـه فامرهما من حواه ناديه السعيد ، ومجلسه المتسع للقريب والبعيد ، بتحكيم الشريف المذكور فيما بينهما ، وضربه بسهمه المصيب فى قطع مادة الخصام ، واصلاح ذات بينهما ، فحكماه على ما هنالك ، واتباع حكمه فى ذلك ، فكان ممن حضر ذلك النادى ، من يقتدى به فيما يخلص يـوم التنادى ، الفقيه الابر ، والحاج الاغر ، السيد الحسين بن الحاج احمد الايفرانى ، وعالم الزمان، الكاتب بالبنان ، ابو عبد الله سيدى محمد ابن عبد الله اليفرنى المجازى ، فقلدهما الشريف فى كيفية الفصل بين المذكورين فحكما بالموجب الشرعى واعتباره المرعى ، بوجوب اليمين على من توجهـت عليه ، واستيفـائها من الجانبين ، وقع الابراء والفصل القاطع لكل حجة ودعوى فيما اشتبك بـين الفقيهين من القراض والقرض ، وتعمير الذمة ، لزوما والتزاما ابـراء عاما شاملا لما وقع بينهما من الرسوم القديمة والحديثة من اقرار واشهاد ، وغير ذلك ، مما كان فى سر واعلان، حتى لم يبق لاحد منهما على الآخر مطالبة شيء من ذلك ، الا الخير والمودة ، ابراء كليا ابديا سرمديا ، حتى يرث الله الارض ومن عليها وبه كتب بتاريخ انتصاف جمادى الاولى عام 1288 هـ عبد ربـه محمد بن ابى القاسم اليزيدى امنه الله آمين

وعبد ربه الحسين بن الحاج احمد اليفرنى امنه الله آمين ، ومعهما فى ذلك عبد ربه تعلى محمد بن صالح بن عبد الرحمن التادرارتى وفقه اللـه بمنه آمين .

الحمد لله اعلم بثبوت التفاصل اعلاه عبيد ربه محمد بن عبد الله المجازى الايفرانى امنه الله بمنه آمين ، ونقله من خطهم رضى الله عنهم عبد ربه المدنى بن محمد الساحلى ثم المهرانى رحمه الله ثم نقلته انا من خطه حرفا بحرف رحمه الله بلا واسطة ، كتبه عثمان ، التادرارتى عفا الله عنه) (اقول) ان الحاج الحسين الافرانى ، ومحمد بن عبد الله الاساكى الافرانى ومحمد بن بلقاسم اليزيدى الايسى ، والمدنى الساحلى ، هؤلاء كلهم معروفون عندنا مترجمون فى محلاتهم فى هذا الكتاب الا المدنى وحده

الثالث عشر :ـ عبد بن صالح اخو من قبله

قال فيه المؤرخ الايكرارى

لم اعرف من احواله الا انه نساخ جيد الخط ينسخ الكتب المعتبرة كبنانى على الزرقانى رايته بخطه توفى رحمه الله عام 1288 هـ. كما اخبر به ابنه السيد عمر »

(اقول) انه اخذ من (تارودانت) عن القضاة التمليين المشهورين هناك او عن عبد الله الخياطى قبلهم ثم انه بعد تخرجه اقبل على ميدان اهـله من فض النوازل ، يخوض فى ذلك مع الخائضين ، وكان يقطن ازاء مدرسـة الخميس ازاء داره الاخرى فى (تادرارت) ، وكان له عبد فسرق منه فخاصم

فيه اخصاصيا فقتله ظلما وعدوانا ، وكان يحب ان يركب الفرس ، وكان على فرسه يوم خميس متسوقا فى قبيلة ايت بوبكر ، فرماه ذلك الظالم برصاصة فارداه ، واسم الضارب احمد بن الطالب الحسن التيبيوتى ــ من (تيبيوت) هناك فى (ايت بوبكر)ــوكان المترجم مزوجا كثير الطلاق، وهو أكبر من اخيه محمد بن صالح المتقدم

الرابع عشر :ــ على بن صالح اخوهما الثالث ،

امضى عمره فى المشارطة بمدرسة (ايسك) يعلم فيها دائما ، وكان مع ذلك لا ينسى ميدان اهله فى النوازل ، وممن اخذ عنه ابن اخيه سيدى الزبير الآتى ، وكفاه ذلك شرفا ، ومحررات احكامه كثيرة فى سلات رسوم الناس فى تلك الجهة ، وقد كان يزاول النوازل من سنة سبعين من القرن الثالث عشر ، وقد توفى مفتتح هذا القرن الرابع عشر ، وولده محمد بن على مات شهيدا سنة 1335 هـ فى الحرب التى دارت حين زحف الجيش الجنرالى الى (ايت بعمران) ــ وينسب الى الجنرال لاموط

الخامس عشر :ــ عبد الرحمن بن صالح الاخ الرابع

ليس بشقيق الاخوة قبله ، فامه وام مبارك بن صالح امرأة اخرى اخذ عن ابرهيم الايسقالى اصابى النتانى ، وديدنه ان يشارط فى مدارس (الاخصاص) او مدرسة (تاغجيجت) ، ويدرس دائما ، على قلة من تخرجوا به ويزاول النوازل حيثما يكون، وقد كان حينا حوالى (تيندوف) مقيما، وقد كان رهن كتبه للفقيه سيدى عبد الله بن محمد الالغى ، فبقيت تحت يده الى ان افتكها ولده محمد ، فرهنها للفقيه سيدى على بن عبد الله ، وقد فعل محمد ذلك حوالى 1339 هـ ، وربما توفى ابوه هذا نحو 1332 هـ ، وقد تزوج فى (بوزاكارن) امرأة هى خالة العلامة المولى عبد الرحمن البوزاكارنى الاديب الشهير ، ومحمد بن عبد الرحمن من حفاظ كتاب الله فقط وقد توفى حوالى 1350 هـ. ودفن فى قرية اهله (تادرارت)

السادس عشر :ــ مبارك بن صالح الاخ الخامس

من نجباء الابناء كان اخذ بــ (بعمرانة) عن عمه على بن صالح مع سيدى الزبير ، حتى نجبا واستتما بــ (فاس) ، فلما ازبد واجنى ، وكاد يوتى اكله اعتبط بــ (فاس) شهيد الغربة حوالى 1280 هـ.

السابع عشر :ــ الزبير بن محمد بن صالح

هذا فذ من الافذاذ هذه الاسرة ، واحد الذين عمروا حتى الحقوا الاحفاد بالاجداد ، قال فيه المؤرخ الايكرارى :

قاضي (بعمرانة) على الاطلاق ، بلا ثنيا ولا شقاق ، حتى التفت منه الساق بالساق ، وان كان منذ اعوام لا يقف على ساق ، بل لزم الفراش ، وقلمه لا يبتزه ارتعاش ، وذهنه لا يعتريه التلاش ونظره لا زال في انتعاش ، ولعل ذلك من استقامته في الاحكام ، ولا يداهن لجلالة الاقوام ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا ترى في احكامه غير الملائم ، قلمه افصح من بنات جنانه ، اعنى بذلك السيد الزبير بن محمد بن صالح فهو واسطة عقد بني صالح ، والثمين منهم على القول الراجح

كل من حاك يعرف النسج لكن   اليس داوود فيه كالعنكبوت

ناهيك من رجل ما تلبس بشبهة ، ولا طمع احد ان يكون شبهه ، ولا وجه الى منكر وجهه ، ولا خلت من محاريبه وجهة ، ولا امتثل أمر مثلة ، ولا كلف احد بالقناعة مثله ، ولا ولع بغير العفة ، ولا مد لغير الجميل كفه قلمه يشفي الجراح ، ويكفي العطشان عن القراح ، تسبح اطيار لسانه للواحد القيوم ، في الهواجر والغيوم ، فاثمر غصن خشوعه اليانع ، ولزم السكوت بالتفكر في المجامع

له حاجب عن كل أمر يشينه   وليس له عن طالب العرف حاجب

به فهو مائدة (بعمرانة) ، لا يحاشي زيده ولا عمرانه (فكل يعمل على شاكلته) مر به يطلع عن سريرته وعلانيته

فالخلق لا يرجى اجتماع قلوبهم   لا بد من مثن عليك وقال

اعتق عبيده كلهم على ما قيل ، فكان كما روى عن ابى الدرداء ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الذى يعتق عند الموت كمثل الذى يهدى بعد ما شبع (الى ان قال) قرأ في (فاس) واخذ في شئونه بالقسطاس ، وعلم كيف يسوس الناس ، يتلقى ملاقيه بالبشاشة ، وسلمت سريرته من غشاشة ، فياله من نجم هوى ، ومنار خوى ، تبكيه المعالي وحنت اليه المغاني ، حنكته التجارب ، وقضى بحلمه المئارب ، أتاه هاذم اللذات ، ولم يراع من ذويه رسيس المودات ، فادى ما وجب وبرسوله رحب ، وذلك في الثاني والعشرين من ذى الحجة الحرام عام خمسين وثلاثمائة والف ، وقد رثوته بابيات ، على المألوف لذوى البيوتات ، فقلت :

اري كل حي للفناء يصير   فليس لحي للبقاء سبيل
وان منحت له الحياة مديدة   فللبدر من بعد الضياء افول
لذاك فهذه الحياة سحابة   لصيف على بغت الظهور تزول
الا فاعتبر بكل خل مصاحب   اجاب الندا ان المقام قليل
بني صالح قد ثل عرش مقركم   فصبر الخطب حل وهو ثقيل
(بعمرانة) هبلتم فلتقرضوا   قلوبكم ان المصاب جليل
وحق لجفن العين ادرار دمعه   على من بفضل للخصوم كفيل
وقالوا بكى على الكريم كرامة   واى كريم غاب عنه عويل

لقد مات شماخ ومات مزرد ولكن رضا بذا القضاء جميل
لقد سوت المنون بين متوج وراع وفت ماجد وخميل
ولكننما نرجو ثواب مصاحبه ونرضى بأمراسه لأصيل)

(اقول) مما يتعلق بسيدى الزبير انه احمدى الطريقة ، وقد كان لاقى شيخها سيدى العربى بن السائح الشرقاوى الرباطي الشهير ، وهو مار بالرباط من (فاس) عند صدوره من الاخذ منها ، فقد خاطبه سيدى السائح بذلك فتأبى المترجم مليا ثم اسلس ثم تفتحت عين بصيرته فى الطريقة فلازم اذكارها ، وكان من اوائل من تلقنوا هذه الطريقة فى (بعمرانة) . وكان مع ذلك متواضعا ، لا يدعي دعوى ، ولا يكثر من الاقاويل والدعايات كما يكثر انداده فمن هنا تعرف قيمة الرجل حق المعرفة ، وبامثال هذه الاخلاق السامية يرتفع الرجال ، فرحمه الله ورضي عنه ، وقد اخذ ايضا بعض البخارى عن سيدى العربى اذ ذاك من نسخة اتى بها من (فاس) فاجازه بالباقي هذا واننى اجالس الآن ولد المترجم سيدى عثمان ، واساله عن احوال والده ، فقال ، ان عقد زواج والدته بوالده سيدى محمد بن صالح كان سنة 1250 هـ. ثم اخذ القرآن عن الاستاذ سيدى مبارك الجوى الخلفى ، وكان من مشاهير القراء ، الذين يعلمونه ، ثم افتتح الفنون عند عمه الاستاذ علي بن صالح فى مدرسة (ايسك) فهناك استتم الفنون ، وحصل المتون ، حتى استكفى ، فاراد ان يتوجه للاخذ من (فاس) علي عادة من يريدون التفوق ، وقديما قال الشيخ سيدى بلقاسم التيفنوتى لبعض المحصلين من تلاميذه هاانتذا تعلمت العلوم واتقنتها ، فاذهب الى (فاس) لتتعلم العبارة ، فهذا حال المترجم ايضا ، فقد حصل ثم ذهب الى (فاس) فلزم اساتذة عظماء فى (القرويين) ولا ريب انه حصل اكثر فى السبع من السنوات التى قضاها هناك ، فرجع ريان والاجازات التى يجاز بها تلفت بين كتبهم التى نهبت مرة ، ثم حرقت مرة اخرى ، وقد رجع من (فاس) وابوه لا يزال حيا وهو الذى رايت انه متوفى 1288 هـ. وبعد رجوعه كان اولا يشارط فى مدرسة (ايسك) عام 1311 هـ. ثم فى مدرسة (الخميس) سنة 1326 هـ. وفيما سوى ذلك بقى فى داره مقصودا بالقضاء بين الناس ، وقد توصل بظهير القضاء سنة 1311 هـ. لما ورد علي (مراكش) ليرفع الى الملك شكايته بالذين نهبوا قريته ، وفى سنة 1330 هـ. لما جاش السوسيون وقاموا غيرة علي الوطن ، وتجمعوا حول الهيبة كان احد الواقفين فى ذلك ككل علماء (سوس) الكبار اذ ذاك ، فتعين فى (تزنيت) كغيره علي ما هو مشهور ، كان الرجل ذا سمعة طيبة ، وشهرة حسنة ، يزور اهل الخير ويزورونه . وقد كان الشيخ الالغى رحمه الله يلم بقريته اذا ساح الى تلك الجهة ، وكان لسيدى الزبير حسن نية فى الصالحين الداعين الى الخير ، ولذلك كان يهتم بهم من اى طريقة كانوا ، وقد ارسل رسالة تعزية الى اهل الشيخ

الالغى بعد وفاته 1328 هـ. توجد فى ترجمته فى (الجزء الاول) ولم يزل نوره فى ازدياد الى ان توفى 22 من ذى الحجة 1352 هـ. وكان هينا لينا قليل الكلام مهيبا من مجالسيه ، وقد انشد يوما لولده

وان من التوفيق والرشد للفتى   اذا ادركته الشمس ان يتحولا

وانشد يوما فى معرض استصغار امور الدنيا والاهتمام بالتعلم

اذا هدمت فزدهـا انت هدمـا   وجاهد فى التعلم مـا استطعتا

كان هو الفريد الذى لا يزاحم فى القضاء ، والنصوح الذى لا يتهم فى نصحه .
وقد انشد ايضا لولده استجماعا لهمته

اذا كـان يـوذيـك حـر المصيــف   وكرب الخريـف وبـرد الشتـا
ويلـهيـك حسـن زمـان الربيـــع   فاخـذك للعـلم قـل لى متى

حكى ولده انه قال مرة لوالده المترجم ، ان هذا اللحم الذى تشتريه من السوق قليل ، فاجابه باننى كنت اذهب ازمانا الى السوق مع سيدى محمد ابن عبد الواحد وسيدى الحسين السكال ، ولا اعرف انهما اشتريا لحما من جيوبهما ، الا ان يوتى اليهما به ، يعنى ان القوم ما كانوا يهتبلون بالرفاهية وبالترف ، والمعهود من المترجم انه اكرم اهل جهته ، فكان يعتـاد شراء اللحم دائما ، ولما استقل ولده فصار يشتريه اجابه بذلك ليعذره
الثامن عشر :ـ عثمان ولده

ولد 1314 هـ. واخذ القرآن عن الاستاذ الانينى فى مسجد القريـة بـ (تارودانت) ، وهو استاذه الوحيد فى القرءان ، ثم الى الاستاذ الكبير سيدى المحفوظ الادوزى فى مدرسة (سيدى بوعبدلى) اخذ عنه من المتون الابتدائية فى سنة ونصف ، ثم الى عمه الاستاذ سيدى احمد بـن صالح فى مدرسة (فوكرض) بـ (ايت صواب) ، لازمه نحو عام ثم الى (تانالت) عند الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله أقاريض ، وقد كانت اذ ذاك حادثة البارود الشهيرة وهى ان الطلبة فى مدرسة (تانالت) ارادوا ان يفدوا على استاذهم بداره لعفيفة احد اولاده ، فاشتروا لحما وعجلا ، ووسوس لهم استاذهم بداره لعتيقة احد اولاده ، فاشتروا لحـما وعجلا ، ووســوس لهم العامة ، واشتروا بارودا ، فاستداروا به ، ليقتسموه بينهم ، فاراد احدهم ان يجرب بندقيته ، فاذا بشرارة وقعت فى البارود ، فثار بمن استداروا به ، فكان كلما التصقت النار باحدهم جرى الى نطفية ماء ازاءهم ، فيموت فيها ، فهلك تسعة منهم بله المجاريح الاخرى ، قال بقيت هناك نحــو سنتين ، ثم الى ابى فارس الادوزى فى (سيدى بوعبدلى) حيث بقيت نحو اربع سنين ، الى ان توفى 1336 هـ. ثم الى مدرسة (بوعنبير) من قبيلة (آل ابى السباع) حيث بقى اربع سنوات الى 1340 هـ. فلما رجع الى اهله وجد

اباه عاجزا ، وهو الذى استقدمه برسالة ، ليقوم مقامه فى الاسرة ، ولم يزل فى داره حياة والده وبعدها الى الآن وقد شارط اخيرا فى مدرسة (ايسك) ثم جلا عن بلده بعد الثورة البعمرانية الى (ايكرار) فى ضواحى (تزنيت) وهو اليوم حى يتمتع بسمعة طيبة

التاسع عشر :ـ اليسع بن محمد بن صالح

وهو اخو الزبير وشقيقه ، قال فيه المؤرخ الايكرارى

(الفقيه العالم العلامة النثار العدل الربانى ، سيدى اليسع ابن سيدى محمد بن صالح ، قرأ رحمه الله فى مدرسة (مراكش) ، فلما رجع تزوج ولزم داره الى ان توفى ، كان محبا للخمول ، لا ينظر مجدا ولا ذويه واذا تسوق حمل معه دواة ، واذا اشترى راسا او دوارة ـ كرشا ـ علقها بيده ، ينظر اليها كل احد . ولا يتأثر بذلك ، ولا يلقى اليه بالا فاذا قيل له فى ذلك ، قال انما ادركته بالثمن (1) ، ومن فوائده ان يهوديا قال له اكتب لى حرزا ، فقال له هات الفتوح ، فاعطى له ربعا ، فكتب له (كلاما غير القرءان) فجزاه الله خيرا ، فما اعقله حين لم يمكن القرآن من النجس ومذهبه رحمه الله التجمير (للاتاى) لا ينفك عنه ليلا ولا نهارا حضرا أو سفرا ، ويقول

كيف صبر عن بعض نفسى وهل يصبر عن بعض نفسه انسان

فمنذ اكلت داره بـ (تادرارت) سنة 1310 هـ. لزم (تحت الربوة) عند شرفاء (بوكرفا) الى ان توفى 22 من ذى الحجة 1343 هـ. (اقول) ان من تجمير الاتاى قصائد سوسية ، ادرجناها فى (الجزء الثالث عشر) وقال فيه المؤرخ على بن الحبيب

«قرأ بـ (مراكش) حتى ترقى ، وقدم لبلده فدخل داره يجب الخمول ولا يميل الى الشهرة ، وكان يدخل الاسواق ، لا ينيب احدا فى ضرورياته ، ويحملها بنفسه ، فاذا قيل له فى ذلك قال رب العيال اولى بالحمل ، ويقول انما ادركته بالثمن وكان يكتب للناس الحروز بالفتوح ، توفى رحمه الله عام ثلاثة واربعين وثلاثمائة والف» (اقول) ولو قال رب الشىء احق بحمله لاستدل بالحديث الماثور ، ثم ان سيدى عثمان حدثنى انه يظن ان سيدى اليسع ما تجاوز سيدى مباركا الجوى فى القرآن ، وقال ان اهلينا كثيرا ما يبادرون الى (ادوز) فى مبادئهم ، وسيدى اليسع منهم ، فهناك ابتدا حتى تمكن ، ثم استتم بـ (مراكش) وكان رفيقه فى (مراكش) وفى (ادوز)

---

(1) من عادة ذوي المروءة واهل العلم المحترمين في (سوس) ان لا يفعلوا ذلك ترفعا عن النزول بانفسهم الى ذلك .

سيدى على الخزار الذى صار قائدا رسميا فيما بعد ، وبعد رجوعه صار يخوض ايضا فى مخاضات اهله وكان حيسوبيا ماهرا ، وكان لا يبالى بالتاثيل ، وكان يكتفى بما تيسر ، وكثيرا ما يكفيه اخوه سيدى الزبير مهام داره واشغاله . حتى انه يحصد له زرعه ويدرسه بعبيده ، ويدخل الى داره المحصول ، وكان له خط حسن جميل ، كصاحبه على الخزار ، وكان يشارط احيانا ، وقد كان فى مدرسة (الخميس) يوم وافاه اجله

العشرون :ـ يونس بن محمد بن صالح

الاخ الثالث ممن تقدموا ، تخرج بابى فارس الادوزى ، فكان محصلا حسنا ، وكان يجول حينا فى النوازل ، وهو متقشف ، مقتر عليه فى الرزق، فان شارط لا يتجاوز المساجد ، وكان فى مسجد (اد ناصر) فى (أزيلال) ومن (ايت بريم) ، ثم جلا سنة 1345 هـ. من (سوس) الى (تادلة) حيث قضى ردحا من الزمان ، فطن هناك باهله غريبا موءودا مغمورا الى ان لحق بربه فى قرية (واولا) من قبيلة (ولتانة) ازاء (دمنات) وقد كان مشارطا هناك ثلاث سنين ، كما كان قبل هذا المكان فى قرية (تامكايزين) من (كروال) توفى اما فى آخر ربيع الثانى ، واما فى جمادى الاولى 1357 هـ.

الواحد والعشرون :ـ احمد بن محمد بن صالح رابع الاخوة ، وهو ويونس شقيقان ، اخذ اولا عن ابى فارس الادوزى ، ثم عن ابى العباس الجشتيمى ، وقد لازم الاخير كثيرا ، وله يد فى التنجيم ، وكان يعتاد ديار القواد كالكنتافى والتيبيوتى ، وينزل احيانا فى (تارودانت) يفتى فيها ، وله يد فى علم الادب ، فيقرض الاشعار ، وكان جوا لا ينجد ويتهم ، وشارط حينا فى مدرسة (فوكرض) بـ (ايت صواب) وفى مدرسة (سيدى محمد بن يوسف) من قبيلة (ايت بوبكر) بـ (بعمرانة) وفى مدرسة (الخميس) ، وفى مدرسة (ايسك) وكان مقبلا مدبرا فى كل حياته ، لا يستقر على حال ، وقد استقر اخيرا فى (تزنيت) وكان الكنتافى حين كان فى (تزنيت) يعينه كثيرا ، وقد فلج فى آخر حياته فى (تزنيت) وزرته اذ ذاك حوالى 1361 هـ. ولا يكاد يبين فى اجوبته لنا ، ثم لم ينشب ان توفى ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان 1366 هـ. رحمه الله ، وكان فى حسن المواتاة وطيب المؤانسة مثلا مضروبا ، وعلما مشهورا ، ولذلك حبب للرؤساء ، فيلم بالقائد التيبيوتى والكنتافى وغيرهما ، ومما خاطبه به بعض الادباء

عليك بنجل الصالحين ابن صالح	تجد منه خير مونس خير صالح
فقيه اديب مستطاب معاشر	كجونة مسك فى المجالس فائح
فماشيت من علم وماشيت من هدى	وماشيت من لطفين غاد ورائح
ومن ادب تشدو قوافيه بالذى	يعجز عنه كل اهل القرائح
فدام لاهل العلم والادب الذى	يرد شعاب الصدر مثل البطائح

الثاني والعشرون :ـ ابرهيم بن عبد بن صالح :

رايت والده قبل قليل ، وهو المقتول على فرس في يوم (سوق الخميس) لعله قرا ايضا في (ادوز) على عادة اهله ، ثم اكب على النوازل ، كعادة كل اهله ، والعادة ان من يخوض فيها اذ ذاك ـ والناس من عز بز ـ يتعرض احيانا للهلاك ، متى تثاور الخصوم بين يديه ، وهذا ما وقع للمترجم فبينما هو يفصل بين متداعين ، اذا بهم ثاروا بينهم ، فصادفته رصاصة قضت عليه ، وذلك نحو 1320 هـ. وقد قتل في (تيبيوت) البعمرانية ، ورفع الى مقبرة العائلة في قرية (تادرارت) حيث يدفن كل افراد الاسرة وان ماتوا في ديارهم الاخرى في تيبيوت وفي غيرها

الثالث والعشرون :ـ عمر بن عبد بن صالح اخو من قبله ،

فقيه لا باس به يوثق بين الناس ، بل ربما يحكم في النوازل ، وكان كريما ذا مروءة ، يداخل الناس ، فيعتمد عليه كل فقهاء تلك الناحية في الوساطة بين اهل الدعاوى ، وربما اخذ ايضا من (ادوز) وقد شارط حينا في مدرسة (الخميس) ، وزاول التعليم بعلومه التي قلنا انها وسط وقد توفي 1363 هـ.

الرابع والعشرون :ـ عبد الحميد بن عيسى بن محمد بن علي بن محمد بن سعيد بن مسعود بن عبد الله بن محمد ـ فتحا ـ بن عيسى بن داود بن الحاج الحسن بن علي بن يونس

هذا من فرع يمتد من سعيد بن مسعود ففيه هذا الاستاذ الجليل هو احد مفاخر هذا البيت الكريم ، وقد امدنا بترجمته بقلمه واليك ماقال

(ولدت فاتح سنة 1331 هـ. بمدشر (الطلبة) بـ (تادرارت) ايبودران) بـ (ايت بوبكر) من قبائل (ايت بعمران) وتوفي والدي مختتم سنة 1334 هـ ولم اعقل عنه شيئا ، وربيت في كفالة شقيقي السيد محمد بن عيسى (1) وعليه حفظت القرآن الكريم

محمد بن عيسى الجد البعقيلي الشهير الضريح في (تيفرميت) ـ تقدمت ترجمته ـ

خلف خمسة اولاد ، اربعة منهم انتقلوا الى (ايت باعمران) ، وبقي واحد فقط ، وهو محمد ببلده

1 ـ احمد جد بني عمنا آل السكال ، منهم سيدي زكرياء اطال الله عمره ونجله الاستاذ احمد ، واخوته وبنو عمه وفرهم الله

(10) أستاذ يعلم القرءان في (البيضاء) الى ان توفي نحو 1378 هـ .

2 ـ محمد جد اد الحاج الساكنين بـ (تيفرميت) ، وهـم معروفون فـيهـا
3 ـ علي ، والد سيدى مبارك بن علي الشهير التربة بـ (ايسك) لم يعقب ولدا
4 ـ عبد الرحمان ، جـد اولاد سيدى عدى الابـكم الموجوديـن بـ (تادرارت) باسم (ايد الحاج)
5 ـ عبد الله جدنا معشر (الطلبة) ـ كما نعرف به ـ
وقد سكن الاخوة الاربعة بالمحل المسمى (تادرارت) ، فنسبت اليهم من ذلك الوقت فيقال (تادرارت ايبودرارن)
وما ذكرتموه في (سوس العالمة) من نسبتنا البكرية ، سمعناه ممن ادركنا من اعمامنا منهم المعمر البركـة سيدى محمد بـن ابرهيم السكال الساكن حاليا بـ (أزرو) بـ (وادى سوس) ، ولكن سيدى زكرياء يـابى ذلك اشد الاباء ، ويدعى لنا نسبا علويا والله اعلم
في خريف سنة 1343 هـ. فارقت شقيـقي وشيخي محمدا المذكور ، وقصدت (هشتوكة) للمزيد في اتقان حفظ القرآن ، فانخرطت في سلك مدرسة (ابن جرار) في (الرجايلة) ، ثم في السنة الموالية قصدت زيـارة أخي للاب سيدى الحنفي بـ (ايدا وتنان) وقد كان فيها مدرسا وموثقـا ، فاشار علي بالانتقال الى (ايغيلالن) لطلب العلم عند سيدى الحـاج مسعود الوفقاوى .
وفي يوم الخميس منتصف شعبان 1344 هـ. دخلت مدرسة (ايغيلالن) عند من لا اجد عبارة أؤدى بها ما اكنه له من المحبة والاحترام ، ولا ما أؤدى به بعض شكره ، فبقيت في كفالته يطعم ويكسو ، ويعلم الى يـوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذى الحجة سنة 1349 هـ. فذهبت لزيارة شقيقي وشيخي بـ (البيضاء) فجر فني تيار الحياة الى قاموسها المتلاطم الامواج ، فكان آخر العهد بأخي المذكور
كنت دخلـت مدرسة (ايغيلالن) وانـا صغـير السن مـع خمسة مـن أترابي ، وكان الشيخ سيدى الحاج مسعود رحمه الله تعالى ياخذنـــــا بالشدة ، ويضربنا ويتوعدنا كثيرا ويحلنا بقربه في حلقات الدرس ، وكان يعجبه منا ان نجيب عن اسئلته قبل الطلبة الكبار في أثناء الدراسة ـ على العادة المستمرة ـ قرات في هذا الجو سائر التآليف التي يقرؤها اترابي ، وشاركت في الاستذكار الجماعي للدروس ، ومن شيوخي بالمدرسة الفقهـاء السادة سيدى ابرهيم الباعمراني فقيه (ايغيلالن) اليوم بعد سيدى الحـاج مسعود (1) ، وسيدى مولاى سعيد الهشتوكي فقيـه سيدى ابي السحاب

(1) لا يزال فيها مجتهدا الى الان 1381 هـ. وكذلك تلوه لا يزال في (سيدي أبي السحاب)

اليوم ، والمرحوم سيدى احمد بن مبارك الواقفاوى (اقول) انه مترجم فى (الجزء الثالث)

ذهبت فى التاريخ المذكور لزيارة اخى طمعا ان يمدنى بشىء من المال ، فوجدته فقيرا معدما ، وانما يتبلغ من خياطة الجلابيب ، وبعد حفلة عيد الاضحى سافرت بصحبة احد الفضلاء الى (فاس) وبها ابن عمى المرحوم السيد احمد ابن المكى ، ورجوته ان يكفلنى ، لاتمم دراستى فى (القرويين) فهش ورحب، ولكنى صادفت الاضراب الطويل المدى الذى نشأ عن ادخال النظام لهذه الكلية فانتظرت حتى قدم جلالة الملك واجتمع بالعلماء ، وتلا مندوب المعارف نص الظهير ، ولكن الازمة لم تنفرج ، بل نشأت قلاقل بسبب كثرة الاشاعات ، ففارقت (فاس) ورجعت الى (البيضاء) مرة أخرى

معلم القرءان

انتصبت معلم قرآن بـ (الشاوية) بأجرة قليلة فى العام ، وبعد اشهر انتقلت الى (البيضاء) أجيرا عند تـاجر جرارى ، ثـم الى تـاجر مستقل فى (براكة) ، ولكن هذه الحرفة لم ترق لى ، لان طبعى جدى بخلاف اخـلاق التجارة المهلهلة الى خارج الحدود .

وفى يوم من الايـام 1350 خرجت من (البيضاء) على الساعة السابعة صباحا ، وامسيت بـ (فاس) واصبحت يوم الخميس فى (وجدة) فكان من لطف الله ان وجدت فيها ابن عمى سيدى المهدى بن الحسن ، فدبر مرورى بالحدود خفية ، واصبحت فى (وهران) صبيحة اليوم الاول من سنة 1353

فانتصبت مرة أخرى معلم قرآن هناك بعد بحث وتعب شديدين لماذا ؟ لشىء واحد لأنه لا لحية لى ؛ والناس لا يريدون الا فقيها ملتحيا ، يا سبحان الله ، كيف تبدلت الاحوال ، وكيف يتعاقب العز والهوان حتى على وجود اللحى وعدمها

الى تونس

وفى يوم الجمعة 14 من ربيع النبوى سنة 1355 دخلت العاصمة التونسية والوقت أصيل (8 جوان 1936 م) فانتصبت حارسا كسائر المغاربة مدة خمسة اعوام ، ومعلوم ان الحراسة فى (تونس) كادت تكون حبسا على السوسيين وفى فاتح جمادى الاولى عام 1360 انتصبت (مؤدبا) بزاوية الخربة بقرب مدينة (ماصر) من ولاية (بنزرت) شمال (تونس) والزاوية فى عرفهم بمنزلة المدرسة العتيقة عندنا ، لها احباس تقوم بها ، وبقيت بها مدة 17 عاما الى أن قدمت الى (المغرب) سنة 1377 فالتحقت بـ (مـاسة) احد فروع المعهـد الاسلامى الردانى ، وها انذا اعمل فيه ، والله الموفق .

والله اسال ان يوفقني لصالح القول والعمل ، وان يختم لنا بخاتمة السعداء

وبعد فتفضل سيدى بقبول حياتي التافهة بقلمي الكليل وخطي الردىء
والسلام عليكم ورحمة الله بدءا وعودا

تعقيب

اقول ان هذا الاستاذ الجليل من افاضل الاساتذة رزانة ومبدءا وتفكيرا، وهو حريص على الفائدة كيفما كانت ، حتى انه ليجمع مجموعة تضم كل ما سنح له من الفوائد والشوارد ، وهو انيس المعاشرة ، هين لين لبق ، حريص على نفع البلاد ، ولذلك عينه المعهد يشرف على احد فروعه المهمة ، فسيره احسن تسيير منذ سنتين ، وقد حفظه الله من الرواسب التي تكون في الطلبة الذين مروا بمدارس (سوس) القديمة ، ولذلك يكون سهل الكنف ، مزموم اللسان ، غضيض الطرف ، زيادة على انه يستحضر كل ما يحلو لجليسه حفظه الله ووفقه .

الخامس والعشرون :ـ محمد بن ابرهيم بن محمد الى آخر نسب سيدى زكرياء الاتي . قال فيه الاستاذ عبد الحميد ابن عمه ولد بـ (تادرارت) سنة 1285 هـ. وقرا القرآن على والده ثم على المقرئين بـ (تانكارفة) و (والجمعة) واتقن رواية الحرميين والبصرى وتلقى العلم على الادوزيين سيدى محمد ابن العربى فسيدى عبد العزيز وسيدى المحفوظ ولم يتجاوزهم الى غيرهم

واختار المشارطة مدة 13 عاما تنقل ما بين (تازانتوت) و (ايت واعزون) و (تيغانيمين) في (ايداوتنان) ثم في (ايغيلالن) بـ (ماسكينة) ومنه انتقل الى (أزرو) وقد تخرج سنة 1323 هـ. وفي جميع مشارطاته انما يعلم القرآن رواية ، وفي مدة قضاء سيدى الفاطمي الشرادى بـ (تارودانت) استكتب عنده ناسخا وتدرج حتى ناب عنه في فصل النوازل عدة مرات وانخرط في سلك العدول رسميا حوالى سنة 1344 الى سنة 1346 هـ. ثم صار ينظر تحت قضاة (أكادير) والغريب أنه العدل الوحيد الذى لم ينله عقاب القاضي الغزواني الصارم وذلك لحسن سلوكه واستقامته وبقي في العدالة الى سنة 1370 فاستعفى لكبر سنه . وهو الآن 1380 هـ. مكب على عبادة ربه ممتع بكامل حواسه وبعقله ، مغتبط بنجابة اولاده ، وهم

1 ـ الحسن النجيب وهو كاتب ضبط بمحكمة (بوبكر) الشرعية من تلامذة شيخنا الوفقاوى رحمه الله وعمره الآن 45 عاما

2 ـ ابرهيم نائب قاضي (اينزكان) من تلامذة الاستاذ المذكور ايضا وعمره 38 عاما وكلاهما في غاية الصون والاستقامة والتواضع وله ولدان آخران

يشتغلان بالفلاحة ، وقد نجحا في ميدانهما نجاحا باهرا وكلهم تحت طاعة والدهم لا يعصون له أمرا

السادس والعشرون :ـ الحسين بن محمد بن الحاج محمد ـ فتحا ـ من الفرع الآخر الذى يمتد الى احمد بن مسعود بن عبد الله ابن محمد بن محمد ابن عيسى بن داود بن الحاج الحسن

عالم كبير مشهور بين علماء الاسرة ، عاصر العالمين الجليلين محمد بن صالح ، ومحمد بن عبد الواحد ابنى عمومته ، والغالب انه أخذ عن الاستاذ سيدى محمد أكرام ، وقد شارط حينا في مدرسة (ايسك) ، ثم شارط في زاوية (سيدى سليمان بوتوميت) ثم سكن فيها ، وهناك اثل وبنى وسكن وابقى عقبه الى الآن ، توفى في رمضان 1365 هـ. وقد كان من المشاهير في الخوض بين اهل الدعاوى ، كعلماء اسرته وكان يقتصد وليس كريما كابن عمه الزبير ، ولاهل الدعاوى الذين يردون عليهما تنظير في الذى يلاقونه من كل واحد منهما ، فكانا كما قال الشاعر في اليزيدين يزيد سليم ، ويزيد بن حاتم ، قال شاعرهم في ذلك

فشتان مابين اليزيدين في الندى يزيد سليم والاغرا بن حاتم

فشان الفتى الازدى اتلاف ما له وشأن أخيه الكز جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام انى هجوته ولكننى فضلت اهل المكارم

ويشارك سيدى الحسين في وصفه هذا في نظر ارباب الدعاوى سيدى محمد ابن عبد الواحد ، فرحم الله الجميع ، ويعرف بسيدى الحسين نسكال

السابع والعشرون سليمان بن الحسين ولده

فقيه من المتأخرين ، أخذ القرآن عن الاستاذ سيدى محمد الارنايني في مسجد (تادرارت) ثم أخذ عن الاستاذ ابى فارس الادوزى ، وعن الاستاذ ابى عبد الله الاقاريضى الصوابى ، وقد كان حاضرا يوم وقعت واقعة البارود في المدرسة (وقد تقدم تفصيلها) ولم نعلم انه تجاوز هذين الاستاذين ، ثم رجع بفقه حسن ، فلابس الحياة بجميع انواعها ، حتى انه اتخذ له رمكة وبندقية ، فيكون مع العوام في جيوشهم وحروبهم ، وله من الشجاعة ما اهله لذلك ، وهو مع ذلك يزاول النوازل كثيرا ، ومنها يستمد لحياته ، لانه لم يشارط قط ، وعلمه الذى يذكر به علم النوازل ، وقد امتد عمره الى زمان الاحتلال الاسبانى 1352 هـ. فدام على النوازل لانه معروف بالعزيمة في فضها

الثامن والعشرون زكرياء بن الحسين أخو من قبله

هو الفقيه المشهور اليوم بين رجالات الاسرة ، ولد 1288 هـ. وتلقى القرآن في مسجد القرية ، عن استاذ ربما كان اسمه ابرهيم الاكارى ، ثم لازم والده سيدى الحسين ، وكان اكبر اولاده ، فعنه اخذ وحده ، وقد لازمه

طوال حياته ، ولم ياخذ عن آخر سواه ، ثـم تصدر للقضاء بين الناس على عادة فقهاء اسرته . وذلك ديدنه ، وقد عاصر خاله الزبير ، فيكون بينهما ما يكون بين المتعاصرين خصوصا بين الاقارب ، فيرد بعضهما على بعض ، وقد لاقى عنتا من الحاحيين فى الايام العزيزية ، لما تسلطوا على السوسيين ، فقد تمكنوا منه يعذبونه ، ليتوصلوا من والده بمال يفديه به ، وقد نزعوا من والده الفقيه الحسين بغلته يوما وما حملت ، حتى انهم لم يتركوا له هيضورته الا بالشراء ، فحين وقع فى ذلك العذاب تحمل الصبر الكثير لئيلا يعطى والده بسببه دانقا وكذلك اصيب مرة أخرى برصاصة اصابه بها احد بلديه تبعوه ، ليقبضوه فهرب فرموه ، وذلك أيضا فى عهد الحاحيين ، وكما لاقى من جراء والده ما لاقى ، لاقى ايضا من الانكاد من جراء ولده احمد الذى ستراه حين اعتقل بايدى الاسبانيين من اجل الوطنية وقد انعم الله عليه بعمر طويل وهو الآن 1378 هـ. حي فى سن التسعين ، ولم تزل داره محترمة بين القبائل حتى فى عهد الاحتلال الاسبانى ، فانه صـار يزاول النوازل من 1353 هـ. الى 1362 هـ. ولـه من الاولاد احمد ومحمد ومحمود ، فامـا احمد فستراه ، واما محمد المولود 1338 هـ. فانه اخذ بعد استتمامه للقرآن على يد الاستاذ الحسين بن احمد الماستى الذى لا يزال حيا الآن 1379 هـ. عن القاضى ابى عبد الله محمد اوبلوش فى مدرسة (الجمعة) ثم فى (تانالت) عن الحاج الحبيب ، ثم فى (الغ) وفى (ايغلالن) وفى (مراكش) حتى شدا وتقـدم ، ثم لازم دارهم ، ثم كان بعد الاستقلال مع المقاومة الى الان ، وقد عانى التعليم فى بعض المدارس ماشاء الله واما محمود فانه اخذ اولا عن اخيه احمد فى مدرسة (بوكارفة) ثم عن سيدى محمد بن احمد الامـسراءى فـى مدرسـة (بوزاكارن) ثم فى مدرسة (ابن كرير) بالرحامنة عن الاستاذ ابرهيـم بن احمد الالغى ثم فى معهد (تطوان) حتى احرز على الشهادة الابتدائية ، ثـم التحق بـ (ابن يوسف) فى (مراكش) ، وهو الآن فى الثالثة من الثانوى ، وولادته 1354 هـ.

(ثم توفى والدهم المترجم سيدى زكرياء فى هذه السنة 1381 هـ. رحمه الله)

التاسع والعشرون احمد بن زكرياء

هذا هو الذى اليه يساق الحديث ، وبسببه ذكرنا جميع من فى هذه الاسرة المباركة ، فها انتذا رايت من رايت من علمائها ورجالاتها فيجب ايضا ان ترى هذا الاديب ربيب (الغ) السعيد

متـعـلـمـه

رأيت فى أول هذه الفذلكة انه ولد 1335 هـ. ثم لما وصل وقت التعلم تابع حفظ القرءان فى مسجد (زاوية سيدى سليمان) ، حيث يسكن جده الحسين ثم والده ، فهناك منشؤه ، اخـذ القرءان عن الاستـاذ الحسين بـن

احمد الماستى البعمرانى ، من مشاهير المخرجين فى كتاب الله ، حتى انهم ليعدون بازيد من ثلاثمائة ، كلهم حفظوا على يده القرءان ، وقد كان يعلم فى مسجد (تادرارت) ماشاء الله ، ثم القى جرانه فى مسجد الزاوية حيث قضى فيها الى الآن ثلاثين سنة ، ولا يزال فى جده الآن 1379 هـ. وهو لايزال قويا صحيح البنية ، وهو من تلاميذ الاستاذ القارىء الشهير سيدى الحبيب الفركلاءى الرسموكى ـ من آل محمد بن على الشهيرين بالقراءات ـ وقد كان الحبيب مشارطا فى هذه الزاوية السليمانية نحو عشر سنين ، وقد تبرك به المترجم قبل ان يلازم تلميذه المذكور ، وقد كان الطلبة كثيرين جدا عند سيدى الحبيب لما كان هناك ، وقد ختم المترجم سبع ختمات ، ثم التحق بمدرسة (الجمعة) العبلاوية عند الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله اوبلوش المذكور ءانفا فاخذ عنه متون المبادئى فى نحو عامين ، ثم الى مدرسة (تانالت) عند الاستاذ سيدى الحاج الحبيب البوشواوى حيث ربض تسعة اشهر ، وقد كانت الحالة فى هذا الوقت 1354 هـ. منعقده ، فلا يخرج من (بعمرانة) احد ولا يدخل الا بالجواز الخاص ، ثم لما وقعت واقعة سيدى الحسن الواغزنى الشهيرة ، واعتكر الجو ، اقلع المترجم وفى صحبته اخوه محمد الى المدرسة (الالغية) حيث بقيا ثلاث سنين ، لازما فيها دروس الاستاذ سيدى المدنى ، حتى اذا دب اليه الفتور ـ كما قال المترجم ـ اقلعا الى مدرسة (ايغيلالن) عند الاستاذ سيدى الحاج مسعود الوفقاوى ، فبقيا هناك ثلاث سنين ، ثم الى (فاس) سنة 1361 هـ. حيث بقى المترجم سنتين فاعطى الثانية من الثانوى فاخذ عن الاستاذ محمد بنانى ، وعن الاستاذ ابن سعيد ، وعن الاستاذ محمد بن عبد الرحمان ، وعن الاستاذ ابن ابراهيم ، وعن الاستاذ الشامى ، وعن الاستاذ العراقى ، وعن الاستاذ عباس بنانى ، وعن الاستاذ الطاهرى ، وعن الاستاذ الحبيب المهاجى وعن الاستاذ مزور ، وعن الاستاذ القاضى السائح الرباطى ، وعن الاستاذ مولاى عبد الله الفضيلى ، وهؤلاء بعضهم فى الدروس النظامية ، وبعضهم فى الاختيارية ، وهكذا صار يتتبع ، فاذا به منع من ذلك من (اسبانية) التى أوت الى فرانكو ، ان يجول فى هذه المنطقة ، فهكذا حرم متابعة الدراسة فى (القرويين)

في الاعتقال

مكث حينا عند اهله نحو عامين ، ثم حدثت الواقعة البعمرانية المشهورة ، وهى التى كانت الحلقة الاولى فى سلسلة الازمات فى تلك الناحية وذلك ان الاسبانيين اعلنوا للبعمرانيين ان يتخذوا كلهم رجالا ونساء الآن الحالة المدنية الاسبانية ، فثار ثائر الناس ، فكان من بين الطماعين من يؤيدون ذلك ولكن قام الرؤساء البعمرانيون اذ ذاك كالشيخ سعيد الخمسى ، والقائد احمد الاصبويائى ، والشيخ الحسين اليعزاوى ، والشيخ

بلعيد البوبكرى ، والشيخ بار العبلاوى ، والشيخ ابو شامة الاصبويانى. والشيخ بلعيد الاصبويائى والشيخ عبد الكريم النلفى والشيخ عبد الرحمن الماستى فهؤلاء رفعوا رؤوسهم بكل شجاعة وجاهروا بالاباء من ذلك غاية الاباء ومعهم المترجم من الفقهاء وحده ، فاجتمعوا اجتماعا عاما من كبراء (بعمرانة) فى مدينة (ايفنى) ، وقرروا رفع ملتمس الى ممثل الحكومة الاسبانية هناك (مرميخو) يطالبونه برد (ايفنى) وجميع احكامه الى (الرباط) فاننا مغاربة وملكنا الوحيد هو محمد بن يوسف وان اسبانية ما دخلت هذه البلاد الا بالمسالمة لا بالقهر ، وان جميع ضد ذلك لا يقبله اى بعمرانى، ثم بعد هذا الاتفاق اعلن ذلك بالنداء فى جميع اسواق (بعمرانة) فدام ذلك النداء اربعة اشهر ونصف ، والاسبانيون فى كل ذلك ساكتون ، يبرمون ما يصنعون . حتى ارادوا اظهار ما كادوا اليه الناس ، فقد تركوهم الى اليوم السابق لعيد الفطر مختتم رمضان 1366 هـ. فبينما الكبراء فى اسواقهم المعتادة قبل الاعياد اذا بالاعتقال يسرى فى الناس ، ولكن الناس قاوموا ، فامكن للرؤساء ان يفلتوا الى المنطقة الفرنسية المجاورة وقد تبودل البارود فى (اصبويا) بين السلطة وبين افراد من القبيلة ببنادق كانت تحت ايدى الرؤساء ، وببنادق انتزعت فى الحين من اعوان السلطة ، فوقعت الجراحات لان الناس تعمدوا ترك القتل فى الاسبانيين ، لان القاتل يعلم انه سيسلم من طرف الفرنسيين ، لاتفاق اذ ذاك بين الفريقين على تسليم المجرمين ثم انكشف الحال عن انه لم يعتقل من الشيوخ الا الشيخ سعيد ، والشيخ بلعيد بن عبد الله بن بلعيد البوبكرى ـ وهو غير بلعيد الاصبويائى ـ والباقون افلتوا الى المنطقة الاخرى ، وبقى الشيخ عبد الكريم والشيخ عبد الرحمن ، فانهما اعلنا التوبة وتركا ، ومع هاذين الرئيسين المعتقلين المترجم .فقد اعتقلوه فى داره ، ثم ذهب بهم مع سيدى احمد بن جامع البوبكرى ، والسيد الحاج احمد بن بلعيد المستى ، والسيد احمد بن محمد الذيب ، والسيد احمد ابن ابرهيم باضانى ، والسيد ابرهيم ابن الحاج البوكارفاوى فسيق ستة منهم الى مطبق (الداخلة) على الطائرة .وهم الشيخ سعيد والمترجم واحمد الذيب واحمد الماستى وابن ابرهيم باضانى وابن جامع فبقى المترجم وابن جامع هناك سنتين ونصفا ، فسرحا والآخرون بقواست سنين ، واما الذين لم يعتقلوا فى الداخلية فقد سجنوا فى (ايفنى) ثم يسرحون بعد شهور ، واحدا اثر واحد ، قال المترجم كنا نستخدم كلنا فى (الداخلة) الا الشيخ سعيدا لكبر سنة ، ولكنه يغلق بيت عليه وحده دون اصحابه عامين ، قال فكنا نعمل كل انواع الاعمال من قلع الاحجار ، وجلب الرمل ، واحراق الجير ، وافراغ السفن ، وكنا ناخذ منهم ثلاث بسيطات الا قرشا فى اليوم ، مع خبزة ، ومع ذلك لا يكفينا ذلك ، وقد كانت معنا دراهم هى التى نفعتنا وكان مسلمون وطنيون هناك يسربون

الينا ما فى مستطاعهم كالسيد الحسين بن موسى واخيه ، والسيد فيضول بن الفرحام وامثالهم

في المشارطة ثم فى اعتقال ءاخر

سرح فى غشت 1949 م ، ثم اشترط عليه ان يلازم داره ، وان لا يخالط الناس ، ولكن بعد أخذ ورد مع السلطة ــ تمكن ان يشارط فى مدرسة (بوكرفة) فزاول فيها التدريس لنحو عشرين من الطلبة ، وبعد ما راى الاسبانيون النجاح فى هذا العمل ايضا ، وحسن سمعته بين الاهالى صاروا يتحينون به الفرص ، فاصبح يوما خط على مكان يقعد فيه الحاكم الاسبانى فى سوق السبت من (ايت يعزى) فيه الامر بأن يحكم بالحق ، كما ظهر منشور فيه مثل ذلك ، فاستدعى هو وتلاميذه ، واتى بالالواح التى يكتب فيها التلاميذ دروسهم فصاروا يقابلون بين الخطوط وبين ما فى المنشور ، وما فى اعلى مقعد الحاكم وذلك بمحضر عدلين من المحكمة الشرعية ، وبعد بحث اعلن العدول ان هذه الخطوط ليس فيها ما يمت الى هذا الخط المبحوث عنه ، وبعد ذلك كله ، رجعت السلطة المسئولية للمترجم ، لكونه كان متهما قبل ، فسيق الى سجن (تيغزا) فى (ايت بوبكر) حيث نفى فى عزلة عن جميع البشر 35 يوما ، قال : وبينما انا فى المعتقل اذا بحادثة أخرى فى الجو ، وذلك ان انسانا خطر هناك من المنطقة الاخرى ، فاعلم به الاسبانيون ، لانهم اوصوا ان يبلغ اليهم خبر كل وارد من المنطقة الاخرى ، فحين سألوه اخبرهم بأنه لاجىء ، فردوه مع عون لهم الى المنطقة الاخرى ، ولكن ذلك الانسان ضرب العون ، فأغمى عليه ، فمضى الى جهة (تزنيت) مستخفيا فقام الفرنسيون يفتشون عنه ، فلما صادفه مصادف منهم ولى هاربا ، فاطلق عليه رصاصة فمات ، ثم بعد هذه الحادثة جمع الحاكم الاسبانى ايضا الناس يسألهم عمن عسى أن يكتب ذلك المنشور ، فقالوا له لا يكتب امثاله الا مثل هذا الانسان الذى دخل من المنطقة ، واما فلان ، يعنوننى ، فلا يهتم بمثل ذلك ، قال فكان ذلك هو السبب حتى سرحت من الاعتقال ، ثم أمرت بلزوم الدار ، وبعد ثلاثة أشهر تملصت بحيلة من تلك المنطقة الى المنطقة الاخرى

في البيضاء

فى سنة 1952 هـ ورد الى (البيضاء) ونحن فيها اذ ذاك فلم تنشب حادثة المظاهرة البيضاوية اثر اغتيال فرحات حشاد التونسى ان اندلعت هى وتوابعها من الاعتقالات فساقنا نحن القدر المحتوم الى السجون والمنافى فى (الصحراء) فأوى هو الى بعض احبائه مستخفيا حيث استطاع ان يقضى سنة ونصفا ، يزاول التعليم فى مدرسة حرة .

في المقاومة السرية

ثم جاء نفى الملك ، فانطلقت اعمال الفداء من عقالها وانفتحت الابواب للعاملين ، فكان هو احد العاملين فى هذا الميدان بكل شجاعة واستماتة وتضحية ، قال ابتدأنا بنشر منشورات ضد بيع السكر الذى يباع بالرخصة ، وضد الدخان (1) ، والخمر ، ثم بتكوين فرقة من بينها الشاويش احمد البعمرانى ، وسعيد البونوحى والسيد على الخمسى البعمرانى الفقيه الساكن فى (فضالة) وقد كون ايضا فرقة هناك ، كما شاركت ايضا فرقة أخرى فى (خريبكة) تحت يد سعيد بن المعلم مبارك البعمرانى ، ومعنا عبد العزيز الماسى (2) ومحمد بن موسى (3) الساحلى واحمد (4) الاخصاصى ومروان (5) السوسى ، قال وبينما انا منهمك مع اصحابى هؤلاء اذا بالفرنسيين يبحثون عنى من غير ان اعرف ، فقد جاؤا ليعتقلونى ، فاذا بهم وجدوا ابن عمى محمد (6) بن الحسن فاعتقلوه فهربت فى الحين الى بلادى فى المنطقة البعمرانية ، ولمحمد هذا سعى مشكور فى المقاومة

في المشارطة ايضا

قال القيت رحلى فى مدرسة (الخميس) من قبيلة (ايت بوبكر) حيث بقيت عاما وثلاثة أشهر ، وفى هذا الوقت تدفق اللاجئون الى تلك الجهة ، كابن سعيد الهشتوكى ، والعربى المعدرى ، والمحجوب المراكشى هؤلاء من اصحابنا الذين ابدأوا واعادوا فى الكفاح ، فسجلوا صحفا مذهبة ، ثم تتابع رعيل فرعيل ـ فكانت مدرسة الخميس اول محل كان ملتجئا لهم ثم الى (ايفنى) ، ولما الف هؤلاء ، وعرفوا واستهانوا بكل ما يلاقونه ، صاروا يسربون السلاح من هناك الى (البيضاء) سرا على ايدى النساء وامثالهن ممن

---

(1) تضررت اذ ذاك شركة الدخان غاية حتى قال مديرها: نحن لا نخاف إلا ان ينسى الناس التدخين فيتركونه ابد الابدين. واما ان يتركوه حينا فان ما سياتي سيجبر الخسارة الماضية. واما الخمر فقد شاهدنا بعد الاستقلال من انتشارها ما هو العجب العجاب.

(2) القائد الان على (ماسة)

(3) القائد في (تانالت) حينا. ثم قدر عليه السجن الذي لا يزال فيه لاعوام فالله يفرج عنه.

(4) القائد في الجيش الملكي

(5) القائد حينا في (بوزاكارن) ثم اعفي من القيادة

(6) المعين الان في معهد (تارودانت).

لا يتهمن ، ومن السلاح الفا بندقية ايطالية استلها من المستودع جنـــود بعمرانيون كانوا فى جنود (اسبانية) والبعض من السلاح يشترى من عند الحكام الاسبانيين انفسهم قال هذا عملنا هناك مع هؤلاء ، ثم لما رجع الملك طلبنا من (اسبانيا) ان تساعدنا فى الاحتفال برجوعه ، فابوا غاية الابـاء للجمهور ، وانما اباحوا ذلك للاجئين وحدهم ، ورغم ذلك حاولنا أن نحتفل على رغم انفها

في الاعتقال الثالث

قال صممنا على الاحتفال فاذا بالسلطة اعتقلتنى فى جماعة بلغوا 17 من الذين طير بهم الى (الداخلة) ومنهم الشيخ سعيد ثانيا ، حيث بقينـا خمسة أشهر وخمسة ايام الى أن اعترفت (اسبانيا) باستقلال المغرب ، ووحدة ترابه ، فاذ ذلك سرحنا ، ثم احتفل البعمرانيون برجوعنا مما حمل الاسبانيين على ان نضع معهم اتفاقا شفاهيا ، على هذه النقط

1 ـ رفع الحدود بين المنطقتين ،

2 ـ الغاء المكوس والضرائب ،

3 ـ أن يدعوا البعمرانيين يتكلمون فى شئونهم الىٰ ان ترسل الحكومة المغربية من يتولى الحكم فيهم

في الرياسة في (بعمرانية)

كان المحور لجميع ما رأيته هناك فى أثناء هذه الحوادث مما يتعلـق بالبعمرانيين هو المترجم ، ولذلك صار هو الرئيس الوحيد من البعمرانيين هناك وممثل حزب الاستقلال ، فقد انخرط فيه الجميع جماعيا ، فتكونت المكاتب بفروعه فتولت هذه المكاتب تسيير أمور الناس المدنية كلها

في الاعتاب الشريفة

فى هذا الوقت وقد رجعت المياه الى مجاريها ـ واشرقت شمس الحرية ورفرف علم الاستقلال وقد رجع محمد الخامس من منفاه ، متأبطا بسعادة الامة ، ثم وقع الاتفاق مع (فرنسا) ثم مع (اسبانيا) على الاستقلال التام ، صار الرباط كخلية النحل بالوفود ، ومن بينها وفد البعمرانيـين أول ذى القعدة 1376 هـ. فقد جاء بسبعين سيارة ما بين صغيرة وحافلة وهم أزيد من الفين ، فنزل الجميع على حزب الاستقلال ضيوفا ، فقام بهم خير قيام ، وقد انزلهم فى محل متسع مفروش ، ثم مثلوا امام الملك المعظم ، ومن بينالوفد القائد الناجم المجاهد الكبير والشيخ سعيد ، والقائد احمد الاصبويائى ،

وقد كان المترجم هو المتكلم عنهم بين يدى صاحب الجلالة ، وقد قدم الوفد ملتمسا الى الملك ، يتضمن أن تحوز المملكة المغربية السلط كلها هناك الى يدها مباشرة بكل سرعة ، وكم تأسف الناس حين لم يحظ القائد سعيد بالمثول أمام الملك بين الماثلين بين يديه ، ولم تزل ذلك حزازة فى نفسه الى ان مات وشيكا رحمه الله

في حيص بيص

مضى ما مضى بعد رجوع الوفد ، ولم يظهر للملتمس تأثير ، والحكومة فى (الرباط) تماطل ، والاسبان يطلبون من يسلمون اليهم السلطة ، حتى ان العامل فى (أكادير) السيد عبد السلام الصفريوى عامل (سوس) الاول فى عهد الاستقلال ، طلب منه الجنرال الحاكم الاسبانى فى موسم سيدى محمد بن عبد الله الساحلى ان يأتى ليتسلم السلطة ، فاعتذر له بأن الحكومة لم تأذن له بشيء ، فاذ ذاك بدا لاسبانية ان تسترجع ما عرضته للتسليم ، فاستدعت كل الرؤساء الذين كانوا يتقاضون من يدها ما يتقاضون ، فأمرتهم أن يراجعوا معها اعمالهم ، حتى ان منهم من توصل براتبه ، فاذ ذاك ثار ثانيا ثائر البعمرانيين ، ففتكوا بعليات السرجان ، وبالقائد محمد ابن الحسن ، وبانفلوس الحسن الزاغو ، وبأمثالهم من الخونة ، فقامت قيامة (اسبانيا) ضد الحزب ، فقررت اغلاق مكاتبه ، واعتقلت جميع المسيرين فيها.

في الاعتقال الرابع

واذ ذاك اعتقل المترجم أيضا أول الناس ، مع عشرة من الذين كانوا يعينونه من كبار الناس العاملين فى الحقل الوطنى باخلاص ، فطيروهم الى (جزر الخالدات) حيث بقوا مائة يوم ، وهم تحت الحراسة الشديدة فى ثكنة عسكرية ، وهم جالسون لا يستخدمون ، بل يحترمون ، فقام البعمرانيون بالاضراب العام عن الاسواق كلها فى هذه المدة كلها

الثورة البعمرانية

زار جلالة الملك (طنجة) فتلاقى هناك مع وزير الخارجية الاسبانى ، فاتفق معه على تسريح المعتقلين ، فبمجرد ما رجع سرحوا ، فقيل لهم ان (ايفنى) وما اليه لاسبانيا ، فمن أراد ان يبقى على ذلك فليبق ، ومن لم يرد فليغادر المدينة ، قال فخرجت انا وامثالى الى المنطقة المحررة ، فاذ ذاك اعلنت الثورة العامة على (اسبانيا) بيد جيش التحرير ورجال المقاومة ، وقد قال لهم البعمرانيون نحن الآن على مفترق الطرق ، فاما ان نتحرر ، واما ان نبقى اسبانيين امد الدهر وفى يوم واحد ليلة 24 نونبر 1957 م. طوقت

جميع مراكز (اسبانيا) فى (ايت بعمران) على غرة ولم يكن الاسبان يظنون ذلك ، وبعد اربعة عشر يوما جلا الجند الاسبانى عن جميع تلك المراكز قهرا وهذه هى المراكز

1 ـ مركز (أفاند عيسى)
2 ـ (تاموشا)
3 ـ (دار حميدوش)
4 ـ (تابلكوكت)
5 ـ (تيغزا) وهو مركز مهم ، وفيه ثلاثمائة جندى
7 ـ (اربعاء ميستى)
8 ـ (تيليوين(
9 ـ (ثلاثاء اصبويا)

وبعد ما استولى جيش التحرير على هذه المراكز من العدو ، حاصر (ايفنى) محاصرة تامة من جميع الجهات ، وهناك وقعت معارك شديدة ، كمعركة (عركوب) ومعركة (اشبورتا) ومعركة (ألالـن) ومعركة (سيدى محمد ـ فتحا ـ بن داوود) ، ومعركة (الجزيرة) ومعركة فى جبل هناك ، معروفة عرك فيها الاسبان عركا

ثم لم تزل هذه الحروب مستمرة حول (ايفنى) المحاصرة ، حتى صارت تهدأ شيئا فشيئا ، الى أن توقفت بالكلية ـ فبقى الجانبان فى خنادقهما وهذا التوقف كان فى حدود رمضان 1377 هـ. ولا يـزال الحال على ذاك الى الآن مختتم شوال 1378 هـ ، والبعمرانيون الآن يزاول جيش التحرير أمورهم لتحمل الاسبان على متابعة المخابرات فى حل هذه العقدة (اقول) ان الحالة الآن لتمنع الاسبان من متابعة المخابرات فى حل هذه العقدة (اقول) ان الحالة الآن 1381 هـ. ان (ايفنى) وما يستدير به لا يزال فى يد (اسبانيا) وقد صممت على أن لا تسلمه ، بل حصنته ولا تزال تحصنه ، ولا اتصال بين (ايفنى) وباقى القبائل البعمرانية ، وأما السلطة فى هذا القبائل فانها للجيش الملكى ، وللحكومة الآن اشراف عام على البعمرانيين ، فهناك قائد وقاض ، ولكن البعمرانيين لا يزالون الى الآن يرون انهم لم ينالوا مرادهم الكلى بعد ، وما ذلك كله الا من الاسبان الذين يأبون ان تسير المخابرة سيرها الطبيعى

في المعهد الرداني

لما رجع السيف الى قرابه بعد الثروة فى تلك الجهة ، رأى القلم ـ والمترجم يمثل القلم ـ ان يسلم له الامر منشدا

السيف اصدق انباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

فاذ ذاك اتصل بمدير المعهد سيدى عمر الساحلى المجاهد الكبير ، ففتح له الباب فكان احد الاساتذة هناك ـ ما احسن المحراب فى المحراب ـ .

في الامتحان

كانت الاستاذية الرسمية لابد لها من امتحـان ، فتقـدم المترجم فى الفوج الذى تقدم فى السنة الماضية 1377 هـ. فرسب كما رسب غالب من معه ، ثم ها هو ذا ينوى ان يتقدم ثانيـا الى ذلك متى منحت فرصة أخرى ان شاء الله ، فالله يكمل عليه ، وهو الآن استاذ موقت فقط ليس برسمى .

فى ميدان الادب

لهذا الاديب الكبير ربيب المدرسة (الالغية) آثار ادبية لا بأس بها ، وسيجد القارئ فى كتاب (الالغيات) بعض ما تعاطيته معه حين كان ياخذ ياخذ من (الغ) سنوات 1356 هـ. فهناك قصيدة لامية هنأنى فيها بالوصول الى مسقط راسى كما هنأنى بذلك كل الادباء الالغيين ومطلعها

على عـين المصـالح فى المـعـالى سليل الرشد بدر فى الكمـال

ومطلع ما اجبته به

أثـغـر فى المبـاسم أم لـئـال ومـسـك مـا تـارج أم غـوال

ثم راجعنى ايضا بما مطلعه

أزهـر ورد زرى بـكل ريحـان أم نجم سعد اضا لـكل انسـان

فاجبته بما مطلعه

هذى المدام وهذا روض ريحان قومـا انهلانى بما اشهى وعلانى

وحين توفى الأخ احمد وتسابق الادباء فى تقديم مراثيهم فيه الى ، كتب الى بما مطلعه

خطـب الـم فاضنانى وانحلنى ومـربـين تغشـانى فاذهلـنى

وحين ولد ولدى عبد الله ـ تقبله الله وجعله لى فدية من النار ـ قدم الى بين اولئك الادباء ما مطلعه

هل لمـح خد غزالة قد اسفرت عن وجههـا وتبرقعـت بجـمال

فاجبته بما مطلعه

أديـرا الكاس من بنت الخيـال فغيرى من يـرى بنـت الدوالى

وقد كان اذ ذاك يشتكى من صعوبة قول القريض عليه ، ومطلع ذلك :

اسير اقول الشعر والناس كافـة   يشينون شعرى للقـوافى وللوزن

وهى محاورة بينه وبين الاديب سيدى محمد بن على بن عبد اله الالغى ، وقد اجابه بقافية مثلها ، فرفع الى كل ذلك مع قصيدة مطلعها

من لى بشعر كـاد سحر بـيـانـه   يقـضى على قلبـى بعضب لسانـه
ما زلت نشوان الفؤاد بما حـوى   نظـم يحـاكى الـورد فى افنـانه

فكان جوابى لهذه القصيدة ما مطلعه :

الـروض بـالازهـار لا افـنـانـه   والـشـعـر بالافـلاق لا اوزانـه
والمـرء بالـروح التى فى جسمـه   لا بـالوسـامـة لا ولا اردانـــه
من كان يعرف فى القريض عروضه   لا غـيره من رائـعـات بـيـانـه
فالراح قطعا عـنـده القـدح الذى   يلتـاح للـعـيـنـين من لمـعـانـه
والـورد ذاك الـكم فليقنـع بـه   شـمـامنى يـبـدو عـلى افـنـانه

هذا وجميع هذه القوافى ، وما يكون مع بعضها من النثر ، مسوق فى كتاب (الالغيات) واما ما بينه وبين صاحبه الاديب محمد بن على بن عبد الله وبين كل الالغيين فهاك بعض ذلك مما انقله عن ديوان هذا الاديب الالغى

كان القاضى الحاج احمد سكيرج يتصل فى ميدان الادب بالالغيين ، ولذلك لما زار (سوس) وكتب رحلته النونية فى ذلك قرظها الالغيـون ومن اليـهم ، فقال الشيخ سيدى الطاهر بن محمد الافرانى ، ما مطلعه :

تـاج الرؤوس زهـا على التيجـان   يـجـنى لطائـف مـا جناها جـان

وقال العلامة سيدى عبد الله بن محمد الالغى ، ما مطلعه

ان شيئت فوزك بالامـان فـعـرج   وقـفـا على ربـع الامـام سكـيرج

وقال الاستاذ سيدى المدنى بن على الالغى ، ما مطلعه

تاج الرؤوس رسا بالود فى خلدى   ذاك الذى كاد ان يقضى على كبدى

وقال سيدى محمد بن على الاديب اخوه ، ما مطلعه

تـاج الرؤوس مرصـع بجواهـــر   وبدائـع لحــلا الفقيـه سـكـيرج

وقال اخوهما الاستاذ سيدى الحسن بن على ما مطلعه

سل عنك الهوى بـ (تاج الرؤوس)   واذكـر حسن در تـاج الـرؤوس

فقال ابو العباس المترجم وهو اذ ذاك فى المدرسة (الالغية) ما مطلعه

تـاج الرؤوس سماعه عـم الورى   وجمالـه مــلا الصـدور تــوددا

تاج الرؤوس سماعه عم الورى وجماله ملأ الصدور توددا

الى آخر القصيدة ، وهى فى الديوان المذكور (1)

ثم ان القاضى سكيرج ارسل ثلاثة ابيات الى الالغيين رآها فى المنام ، فخمسوها كلهم ، سيدى عبد الله بن محمد ، وسيدى المدنى بن على ، واخوه سيدى محمد ، واخوهما سيدى الحسن بن على ، والمترجم ، وهذه هى الابيات المخمسة :

خذ سنة الله بين خلقه ابدا ولتجعلنها لديك خير قسطاس

ما عظم المرء آل البيت دون مرا الا وعظم عند الله فى الناس

فالحظ بعين كمال الفضل قدرهم واخضع لهم دائما بالقلب والراس

والمقصود ان يعرف ان المترجم يعد من الالغيين ومن أدبائهم ، فهناك فى كنانيشهم مراجعات بينه وبينهم ، و (سلمان منا اهل البيت).

فحيا الله اهل (تادرارت) العلماء الادباء ، وأدام العلم فيهم انه سميع مجيب

---

(1) وربما نتعرض لكل هذه القصائد في فرصة اخرى فنسوق منها ما يحلو في الاذواق.

محمد بن الحسن الموساكنى

نحو 1313 هـ - حـــى

نسبه

محمد بن الحسن من أسرة تسمى افقيرن

وله أخ يسمى الحاج على من حفاظ كتاب الله ، ولم يلم بعلم ، الا أن له ظهورا لانه من الذين انخرطوا فى الطريقة (الالغية) وقد لازم الاختلاق الى موسم (الغ) الى الآن 1379 هـ. وقد أخذ القرآن عـن الاستاذ محمد بـن عثمان بن مسعود الذى بقى عمره فى تعليم كتاب الله فى مسجد (تادارت) من (اد موساكنا) وتوفى 1378 هـ.

وأما المترجم فقد اخذ ايضا القرآن عن هذا الاستاذ ، ثم افتتح المبادئى فى مدرسة (سيدى على بن سعيد) بـ (الاخصاص) عند الاستاذ شيخنـا سيدى عبد الله بن محمد الالغى وبعد عامـين عنده انتقـل الى المدرسـة (الالغية) حيث ربض حتى نال ما قسم له وحين غادر الاستاذ التاجارمونتى هذه المدرسة الى (الايغشانية) خير الطلبة فكان من الذين بقوا فى (الالغية) المترجم ، فأخذ عن الاستاذ احمد اليزيدى ، وعن عميد المدرسة سيدى على ابن عبد الله ولم يغادر المدرسة الا فى نحو 1343 هـ. ثم شارط فى المساجد ، الى أن دهمت سنة 1345 هـ. العجفاء ، فتاثر بها وحين استولت (اسبانيا) على تلك الجهة البعمرانية صادفه الحال مشارطا فى مسجد (الزلاكيم) من (اصبويا) فاعجب الناس حاله من الديانة ومن التوثيق ، فعينتـه الحكومة فى تـلك القبيلة عدلا رسميا ، فذلك ديدنه مشارطة لتعليم لكتاب الله ، وتوثيق الى ان جاء الاستقلال ، فاوى الى داره فى قرية (تادارت) من (اد موساكنا) ، حيث لا يزال الآن 1379 هـ.

وهو ربانى مستقيم لا يلين لغير الحق لأى ماضغ ، وبذلك وصفه عارفه.

محمد ـ فتحا ـ بن محمد بيشوارين الساحلى

1324 هـ.

يذكر نسبه التام فى ترجمة والده فى (الجزء الثانى عشر) ان شاء الله

متعلمه

أخـذ القرآن عن عمه جامع بن الحسين ، وكان يشارط فى مساجد الساحل ، ويدرس هناك فى الكتاتيب عمره ، وكان جامع هذا ايضا كاخيه الفقيه سيدى محمد من اصحاب الشيخ الالغى فكان من الصوفية ، توفى 1353 هـ. ثم افتتح المعارف عن والده فى الدار ، حتى استتم متون المبادئى ، ثم الى مدرسة (سيدى على بن سعيد) بـ (الاخصاص) عند سيدى المدنى بن على الالغى ، فأخذ عنه الالفية والتحفة ، وبعد عامين انتقل الى المدرسة (الالغية) 1344 هـ. فأخذ الفقه والنحو واللغة والادب على الطريقة (الالغية) المعهودة ، وكان سيدى المدنى هو الذى يعلم أولا ، ثم تبعه الاستاذ احمد اليزيدى ، ثم عميد المدرسة سيدى على بن عبد الله حينا من الدهر ، وقد حضر المترجم وفاة هذا العميد 1347 هـ. ثم استمر عند سيدى المدنى الى 1350 هـ. ثم انتقل الى (ايغيلالن) عند العلامة الحاج مسعود الوفقاوى ، حيث ربض زهاء أربع سنين أخرى وفى 1354 هـ. انتهى من الاخذ

في المشارطة

أول ما شارط فيه غب تخرجه مدرسة (الجمعة) عاما واحدا ، ثم فى مدرسة (ايت بوياسين) عامين ، ثم رجع الى دارهم فانخرط فى محكمة مركز (مير اللفت) يستعان به فى الشرعيات فى 1357 هـ. وهو اذ ذاك مشارط فى مدرسة (تيغانيمين) فى قبيلته ، يدرس فيهـا وهـو على ذلك الى ان جـاء الاستقلال ، وتعين القضاة الشرعيون ، فكان فى المحكمة الشرعية فى قبيلة (الساحل) ، وهو على ذلك الى الآن 1379 هـ. فى قسم الضبط .

مقدار غوره في المعارف

رايت الاساتذة الذين ربض المترجم امامهم ازمانا فازمانا ، وقد كانوا من المعارف والاداب والتحصيل بحورا ، افلا يكون على الاقل جد ولا طافحا يمتد من امواجهم المتدفقة ، افلا يكون من كرع حتى ارتوى من بحورهم ،وحتى ضرب بعطن ، متفوقا مذكورا بين اقرانه بالتحليق فى السماوات ، بلى ، فلذلك كان يذكر بالتحصيل ، وباتقان الفنون التى اخذها ، ولذلك لم يكد يشرق فى سماء بلده ، حتى كان كوكبا وهاجا فى مبادئه ، ثم صار يستحيل الى بدر يزداد اشراقا كلما تطاول عمره ، فلم ينشب بعد ان طوى الموت فقهاء الجيل قبله ان كان عالم قبيلة (الساحل) مرجعا فى المشكلات ، ومحورا فى العلوم ، وها هو ذا الآن صار قطب الشرعيات هناك ، ولعل الغد ياتى منه باكثر مما يبشر به اليوم

من منشداته

جلسنا يوما نتجاذب اخبار المجد ودين والنوكى ، فانشد

عش بجد ولا يضرك نوك انما عيش من ترى بالجدود

وانشد ايضا

تبا لدهر قد أتى بعجاب ومحا رسوم العلم والاداب
واتى بكتاب لو انبسطت يدى فيهم رددتهم الى الكتاب

وانشد ايضا

جرى طلقا حتى اذا قيل سابق تداركه عرق اللئام فبلدا

وانشد ايضا

سقى الله ارضا قد غدت لك منزلا بكل سكوب صيب المزن مغدق

جالسته مرتين فى (تزنيت) وجاذبته الحديث ، ومقصودى ان استنبط ما وراء اطراقه الذى لازمه امامى ، حياء جبل عليه ، فحاولت أن يكثر منه الانشادات على ما يعهد من ابناء المدرسة (الالغية) الادبية ، ولكن لم يتيسر منه الا هذه الابيات التى انشدها فى عرض الحديث ، ويظهر أن حافظته الادبية يغلب عليها وكاء الخجل ، ولا ريب ان الخجل اذ استولى يغطى عن كثير من محاسن الانسان ، فكثيرا ما يكع الفارس فى الوغى عن احد مبارزيه ، وما اداه الى ذلك الا خجله ، ومن استعمل الشىء فى غير محله فجدير به أن لا يفوز ، وايا كان فمن امثال هذه المنشدات يسبر غور الرجل حفظه الله .

احمد بن محمد بيشوارين الساحلى

1322 هـ = حي

هو اخو المذكور قبله ، وهذا أكبر من ذاك ، وادون منه معارف، اخذ القرآن عن عمه جامع المذكور في ترجمة أخيه ثم افتتح المعارف عند الاستاذ سيدى عبد الله بن محمد الالغى في مدرسة (أمسرا) نحو 1340 هـ. لازمـــه عاما ، ثم الى مدرسة (سيدى على بن سعيد) عند الاستاذ سيدى المدنى الالغى ، حيث وجد اخاه محمدا ، ثم تصاحبا الى المدرسة (الالغية) وفى سنة 1347 هـ يوم توفى عميد المدرسة انتقل الى المدرسة (البومروانية) وفيها اذ ذاك الاستاذ احمد بن محمد اليزيدى ، وبعد عامين رجع الى اهله ، ثم شارط فى مدرسة (تيغانيمين) فى بلده ثلاث سنين يعلم القرآن ثم انتقل الى مسجد (المسيت) فى (وانكيضا) بالساحل حيث بقى اربع سنين ، ثم الى مسجد اتبان عاما ، ثم رجع الى المسيت حيث لا يزال يعلم كتاب الله الى الآن ، 1379 هـ.

وقد كان مر على كل الفنون ، ولا بـاس بتحصيله ، الا انـه لمـا جارى اليعابيب كأخيه فى الميدان لم يستطع ان يكون من السابقين الى الغاية

أمـع الشمس تستبـان نـجـوم   قل فيها الضياء وسط السماء

محمد بن الحاج احمد المعدري المارسي

نحو 1305 هـ - 1355 هـ.

نسبه

محمد ابن الحاج احمد ابن الحاج على

وينتهي نسبه الى جد (آيت عمرو) الذين منهم (آل المارس) المضاف الى (آل عمرو) ، هذا ما حكاه لى بعضهم . وحكى آخر انه يتقول بانه من (اولاد كروم) الخنبوبى ، ولعل ذلك غير صحيح ، اما نسب (آيت عمرو) فانه ينتهى ، الى سليمان البعمراني الشريف الادريسى ، ونسبه هكذا

(سليمان بن الحسن بن الخليل بن عامر بن عمران بن الحميد بن محمد ابن احمد بن عبد الله بن احمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب)

هكذا وجدت نسبه مذكورا ، فيظهر منه ان كانت سلسلة آبائه هكذا فقط انه من اهل القرن الخامس مع أننى كنت ذكرته حزرا من اهل القرن الثامن فى كتاب آخر ، ولعل ما هنا اوفق ، والله اعلم

ثم ان سليمان هذا غير معروف الاخبار فى التاريخ - وانما شهرته بضريح له مشيد ازاء حمة ماء يستشفى بها ، فتنسب له ، كما تنسب التى ازاء (فاس) الى مولاى يعقوب - كما يتلفظون به ، مع انه ابو يعقوب - ويوجد فى مشجرات انساب اولاد سيدى سليمان انه رجل صالح ، وللدريته انتشار كثير فى (سوس) و (حاحة) (ومراكش) وليس منهم مولاى الحاج الكريم الذى بنى المدرستين الحرتين بـ (مراكش) وحبس عليهما املاكه لانه من ابناء سيدى سليمان البعمرانى (بوتوميت) وهو غير هذا ، وقد وجدت من بعض المقيدات اسماء فروع احفاده . فهاكها على ما وجدته، متبرئا من العهدة - واخال ان هذا المقيد يضم جميع من ينسب للشرف لا اولاد سيدى سليمان من (ابينو) فقط ، فغلط من جعل الجميع من اولاده ، والله اعلم .

1) آل واعزون بن على بن ابى بكر بن سليمان الساكنون فى (ايداوتانان) وهو الفرع الكبير ، ومنهم سيدى الحسين التامكونسى العارف بالله ، نزيل (ايداوزيكى) واما الفرع الصغير ففى (ايداوزيكى)

2) اهل وجان ، وهم آيت على أوبلا العمريين وقيل أنهم من اخوان المحمديين التيزنيتيين

3) آيت يوسف من (آيت برابيم) بـ (سوس) وهناك فرع منهم فى (آيت تامر) بـ (حاحة) ومنهم (اهل تيكزيرين) الرؤساء

4) آيت عباس بـ (ما سكينة)
5) آيت ايفرخس
6) آيت تابطكوكت
7) آيت أوضامان
8) آيت دوزرو
9) آيت عمرو من (هشتوكة)
10) اولاد دليم ـ غير العرب
11) آيت عامر في (ايداوكرض)
12) اولاد موسى في متوكة
13) اهل تاوريرت من (ايداويسارن)
14) آيت خطاب وابوجا
15) آيت (ايمى نتاتوت)
16) آيت توزالت
17) آيت كاركور
18) اهل ازانيف
19) آيت منصور من (ايداوتانان)
20) اولاد بيهى اومولود قواد حاحة
21) آل وانكريم بـ (ايداوتانان)
22) آيت باحمان من (ايدا ويسارن)
23) ابن الطالب من (نتيفة)
24) آيت سليمان من آيت وايو من (ايت تامر)
25) ايت جعيدى
26) آيت شبانى
27) اهل ويلخت شيوخ (تيبيوت)
28) عظم واحد من شيوخ (ايرازان)
29) اهل بازى من (تالكجونت)
30) اولاد الجديد من ايدا وتغما
31) بنو حواء جيرانهم

32) ادا وزنزم من (حاحة)
33) اغراين من (ايت تامر)
34) اد عبيد الله من اكلميم
35) ايت ايمى اوكرض من (سوس)
36) شيوخ (تامانرت)
37) شيوخ (ايداولكان)
38) شيوخ (ايشت)
39) شيوخ (اقا)
40) شيوخ (الفائجة)
41) شيوخ (تادغت)
42) شيوخ (ايت اومريض)
43) ايت الحاج من (ايمى ايكى) اعلى (تامراغت)
44) ايت زابا من (ايدا وتانان)
45) ايت ياسين هناك ايضا
46) ايت ياسين من أومسدكت
47) اهل (اكلو)
48) ادا كفا من (تزنيت)
49) اد طلحة هناك ايضا
50) اهل (ماسة)
51) ثلثان من (اولاد ابى السباع)
52) اهل المارس من (المعدر)

ثم قال بعد ما ذكر هؤلاء ، حاصل الامر ، انه لا يحصى عددهم الا الله في (سوس) الاقصى والادنى ، وفى سوس الاخضر (كذا)

اقول زعم كاتبو هذه البطاقة ان هؤلاء كلهم من اولاد سليمان ، مع اننا نعلم ان من بينهم من ينتسبون غير هذا النسب ، كشيوخ (تامانارت) فاننـــا نسمع انهم ينتسبون الى (ايـدا وكثير) والكثيريون والبوشواريون يقولون انهم اخوة الوزانيين فى النسب ، وكذلك ايت على أوبلا الوجانيون ، فانهم ينسبون انفسهم احيانا الى (واسلام) وقـد يقولون انهم اخوان آل محمد التيزنيتيين آل الشيخ موسى بن يعقوب دفين (ايسيك) وهو من اخوة السملاليين فى النسب ، وليسوا من هذا النسب السليمانى فى شىء ، وقد بينا مستندنا فى ذلك فى محل آخر ، وكذلك ذكر (ايدا كفا) و (اد طلحة) من (تزنيت) وقد نسى الكاتب (ايد زكرى) مع اننا نسمع ان (ايد زكرى) التيزنيتيين هم المشهورون بهذه النسبة ، وبهذا كله تعلم اننا لا نجزم بكل ما هنا ، وان كنا لا نحكم على الجميع بأنه غير صحيح ، ويتراءى لنا انه قد يطلق هذه النسبة على اناس يوجد فى مساكنهم من ينتسبون الى هـــذه

النسبة ، فيرى الغلط من ذلك ، كاولاد دليم ، فانهم من حيث هذا الاسم عرب فى الصحراء ، ثم انتقل بعضهم الى (سوس) ثم (الحوز) وليسوا من هؤلاء ، ولا يدعون هم شرفا ، وأيا كان فان فى هذه الوثيقة اسماء مواطن ينزل فيها السليمانيون وقد يعتور قلب بعض القراء شك فى كثرة هؤلاء المنتسبين الى (سليمان) فيحكم بمجرد ذلك ، على أن ذلك كله افك وبهتان ، فدفعا لذلك نقول له ، اننا رأينا ابناء الشيخ سيدى احمد بن موسى من اهل القرن العاشر وقد توفى 971 هـ. وصلوا اليوم الى أكثر من الف دار ، وقد تفرقوا فى نيف وستين من البلاد ، وقد عرفت أنسابهم وتحققت ، لان العهد لا يزال قريبا ، فان كان هذا واقعا فيهم مع أن جدهم انما توفى منذ نحو 400 سنة فقط ، فكيف يكون الحال فى سليمان الذى يمكن أن يعيش فى القرن الخامس ، فبهذا الاعتبار لا يمكن دفع كل ذلك واستبعاده ، بمجرد هذه الفروع الكثيرة ، على أننا نظن انها ان تحققت كلها لا تعدو فى بعض المواطن اسرا معدودة وانما الملاحظ ان غالب الاسر الرئيسية السوسية يرجع اصلها الى العرب ، وهذا عندى ليس بغريب ، فقد ثبت غالب ذلك عندى حتى فى الاسر العلمية أيضا ، وما اصل ذلك الا تعظيم آباء هذه الاسرة للعلم وللدين ، فبنيت الرياسة من اولادهم على ذلك ، ثم ان احفاد سليمان كثيرون ، ويقال ان سيدى عبد الرحمن دفين (تزنيت) منهم ويظهر ان لكثير منهم فى الرياسة قدما ، او ما رايت ما تقدم من رؤساء القبائل فى (سوس) وغيرها ، وناهيك بـ (آل بيهى بن مولود) الذين منهم القائد عبد الملك ، والحاج عبلا المشهوران ، كما كان منهم الى الآن (آل تيكزرين) الذين منهم القائد سعيد التيكزرينى اكبر قائد اليوم 1363 هـ. فى (حاحة) وقد ذكرنا آل بيهى بن مولود والتيكزيريين فى الرحلة (من مراكش الى الغ) وقد اطلعنا على نسب التيكزيرنيين وهو هذا القائد سعيد ابن الحاج الحسن بن احمد بن على بن احمد بن سعيد بن على بن ابرهيم أوبيهى ـ به عرف ـ بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن احمد بن ياسين الخلو فى البرايمى بن على بن محمد بن على بن ابى بكر بن سليمان بن الحسن الى آخر ما تقدم

كنا ذكرنا ان سليمان يظهر من سلسلة نسبة العليا ان جعلناهم ثلاثة لكل قرن انه من الخامس ، وهنا يظهر انه من الثامن ان ابتدأنا بالحاج الحسن المتوفى آخر القرن الماضى ، وعلى هذا كنا تمشينا فى بعض ما كتبناه قبل الآن

ثم أننى وجدت تعريفا بعلى بن احمد جد القائد التيكزيرينى ، وهذا نص ما وجدته

شهد كاتبه ، عفا الله عنه وغفر له بمعرفة الفقيه الارضى الصفى النقى النقى حاملها الابر سيدنا ومولانا على ابن الشيخ احمد اليوسفى

التامرى الحاحى العمرى اصلا الخلوفى البرابيمى الياسيثى من (تيكزيرين) ، شهدنا وعلمنا علم التحقيق وبالسماع الفاشى انه من دم المصطفى صلى الله عليه وسلم من بنته سيدنا فاطمة الزهراء ومن بعلها - سيدنا ومولانا على ابن ابى طالب كرم الله وجهه ، بعد ما عرفنا الفقيه الارضى الاعظم المذكور حامل هذه الذخيرة بالعين والاسم ، انه رجل صالح ، اتــقى الله العظيم ، وانه رجل مؤمن مسلم عالم علامة ، جيد نقى السروال ، فهذا نسبه بعدما عرفناه وعرفنا أباه الشيخ احمد اليوسفى ، وبالسماع الفاشى الذائــــع المستفيض ابن الشيخ سعيد ابن الشيخ الطالب على بن ابرهيم ، الى آخــر ما تقدم - ثم قال بعدما ذكر كل النسب كما ذكرناه - والله على ما نقول وكيل ، الاشهاد الصحيح الطوعى منى والرضا ، ثم ارخ نقل ذلك بمنتصف ذى القعدة 1269 هـ. عبد ربه سبحانه احمد بن محمد الحواءى التاغماوى الحاحى اصلا الحسنى من سلالة سيدنا سليمان المدفون فى (ابينو) انتهى

سقنا هذا لما فيه من ذكر هذا الفقيه الذى هو من هذه السلسلة - وهى فائدة غير قليلة

رجع الى المقصود

رايت ان (آل المارس) اشتهروا بانهم من السليمانيين ، وهم على فرق ومن فريق منهم كان سيدى محمد المترجم وقبل ان نذكره نذكر والــده فانه من اكابر فقهاء وقته وقضاته فى بلده

الحاج احمد المارسى

ذكر لى انه لم يتصدر للقراءة الا بعد الكبر ، فقد كان والده الحــاج على ذا ثروة متسعة من كل ناحية - فنشأ له احمد ، فظل يستخدمه فضجر الولد من معاطاة ذلك - فحين ملك امره ، فر الى (اغبالو) فى (ماسة) ، فقام به هناك بعض المثرين .

ثم انه دأب حتى حفظ كتاب الله ، ثم التحق بمدرسة (ايدا ومحمد) عند الشريف الكثيرى فلازمه حتى قضى وطره ، وقد ظهر فى مقام سام من مزاولة الاشغال ، الى مزاولة العلوم ، ومن يهده الله فلا مضل له ومن يرد الله به خيرا يفقه فى الدين

يتولى القضاء رسميا

ظهر مركزه العلمى فى بلده بفهمه وبجرأته ، فكان ذلك هــو السبب حتى تــولى بظهير حسنى القضاء فى احدى قدمتى المــولى الحسن الى (سوس) فبقى فى هذا المركز الذى وان كان رسميا ، لم يكتنفه التنظيم ، على ما عهد

اذ ذاك من المولى المذكور ، حين كان يولى كثيرين الخطط القضائية والقيادية، ثم لم يدعمهم بقوة ، وهو يكتفى منهم بالاوصاف ، كما يكتفى من كل قبائل هذه الجهات بالانضواء الى سلطنته اسما ولم يخف ما فى الجو السياسى اذ ذاك . وذلك هو الذى حداه حتى تمشى الهوينا ، وسلك هذا المسلك الذى لا عنف فيه فكما ان قواده فى كل هذه الجهات لم يزداد وابا لظهائر الا اوصافا شريفة ، بلا كلمة مسموعة ، ويد مستطيلة ، كذلك قضاته ، فقد عينهم على القبائل ، ثم تركهم وسعدهم . فاقبلوا بذلك ما استطاعوا وادبروا يماشون الوقت ، كل باستطاعته ، فكان الحاج احمد احد من ساروا هذه السيرة ، ولكنه ذوجراة واقدام وذو خوض فى كل جهة .فظهر مركزه وتدعم بهمته . غير انه اخيرا طار شنئان بينه وبين اهله حول قضية عاكسهم فيها وعاكسوه ، فأدى ذلك الى أن أجلوه على البلد .

خارج المارس

جعجعه ابناء عمومته. وانقضوا على داره فنهبوها . وعلى كل ما توصلوا اليه فاحتو شوه فافلت الى (اغبالو) باهله ، فقطن هنالك ما شاء الله ، ثم بداله فالقى مراسيه فى (تزنيت) وهو فى كل ذلك على ديدنه مكب على الحكم فى القضايا بكل ما كان غير متبصر ولا ناظر للعواقب . حتى اذا تمكن الحاحيون من 1315 هـ. ، اخلوا بضبعه فغرم اهله ما كانوا انتهبوه من داره . ثم لم يزل فى (تزنيت) فقيها مذكورا مشارا اليه محكما فى القضايا الى ان كان القائد محمد بن دحان الزمورى 1331 هـ. فكر ايضا على اهله بحجة انه لا يزال عندهم بقية حكى بعضهم ان احد المارسيين كان فى سجن ابن دحان فتشفع فيه فقال ابن دحان انا لم اسجنه انما سجنه الفقيه الماسى فان غرم ماله عليه انطلق فحاسبه الفقيه فانطلق ، ثم لما توطد الاحتلال . وساد الا من رجع الى داره . (المارس) ولكنه رجع بلاريش . فبقى يزجى الايام الى ان لحق بربه بعد ما تفشى فيه داء البياض ، اعاذنا الله حتى انه ليفرش الصوف تحت قدميه فى النعال ، ليمكن له ان يطأ عليها فى المشى .

اخلاقه

رايت من بعض ما تقدم ان الرجل من الفقهاء الذى خلقوا للمجاذبة فكل من كانوا على حاله لا يهدأ لهم بال الا اذا ارتطموا فى مجاذبة ، ثم لا عليهم ان فازوا او خسروا . وقد ادته هذه الحال حتى ساءت سمعته . فلمز بكل نقيصة . مع انه يظهر انه ليس على كل ما يتقول فيه ، لكنه كما قيل

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

اخبرني عنه اناس مختلفون اذواقا ، ومن بينهم متورعون ، فكلهم ذكروه كذلك ، مومئين الى انه غير متثبت في كل شيء ، مع وصفهم اياه بانه فقيه جيد ، وقد كان حينا يصاحب الفقيه سيدي الحسين البولوقتي فقيه (تيزنيت) ، يفضان النوازل مع اختلاف مشربيهما ، ولكن جمعتهما الحرفة

متوفاه

سالت كثيرا عن وقت وفاته فاختلف المخبرون ، وقد تحصل عندي انه توفي بين 1339 هـ. وبين 1341 هـ. ولم احصل على تعيين الوقت ، رحمه الله ، ولم اقف له الى الآن على أثر ، وذكر لي أن خطه حسن بين .

محمد بن احمد ولده

فقيه جيد مقدود حاله من احوال والده ، وقد اشتهر بسيدي محمد المارسي ولا ادري عن طوره في مأخذ القرآن شيئا

في المدرسة الالغية

أخذ عن ابي الحسن الالغي وعن أبي القاسم التاجارمونتي ، وعن العربي الساموكني ، وقد جاور عنده حينا في المدرسة (الايغشانية) ولا أدري السابقة هي الالغية أم اللاحقة ، فهؤلاء الثلاثة من اعرفهم اساتذته ، ولاريب انه لا بد أن يأخذ عن والده في مبادئه ان قليلا وان كثيرا

كاتب رسمي

كان اتصل بالحاج عبد الرحمن الحاحي ـ حاديمان ـ حين كان في (تزنيت) بعد ابن دحان فاتخذه كاتبا رسميا عنده ، فلم يزل يلازمه ويسافر معه ، حتى تسبب بعض من ينفس عليه مكانته ، في اثارة شيء بين الرئيس والمرؤوس ، فتفرقا ، وذلك في حكاية مخجلة لا ينبغي أن تكتب باقلامنا هنا (وهي في كتاب (قطائف اللطائف) (1)

في مدرسة (ايسك) مشارطا

لم اتحقق الآن في أي محل كان يشارط فيه بعد تخرجه ، وانما اعلم انه في حدود 1340 هـ. كان مشارطا في مدرسة (ايسك) البعمرانية ، ولعله بقي فيها سنوات وكان ديدنه ديدن والده من الاكباب على النوازل ، لا يلهج الا بها ولا يرى مرتزقا من سواها ، يجري فيها جرى من خلع العنان ، وامتدت منه اليدان

(1) كتاب جمعنا فيه حكايات من اللطائف يستفيد منها الكاتب في الاجتماعيات

في أغري من ايداوتانــان

كان الشيخ الحسن بوناكة رئيس التانكرتيين ارسل الى القاضي سيدى محمد أوعامو يتطلب منه أن يرسل اليه استاذا ، قال الذى كان رسولا منه اليه ، فقال لى القاضي ان فلانا موجود هنا غير انه لا يالف الا حيث يزاول النوازل ، ثم بعد ذلك فكر فالتحق بالشيخ الحسن ، فكان الحال كما قال القاضى فلم يألف هناك ، فلم يستتم هناك عاما

فى مدرسة (سيدي يبى)

كان شارط فيها ما شاء الله ، فزاول تعليما قليلا ، ولم تظهر لــه نتيجة ، وقد سدت امامه أبواب النوازل ، لانتظام المحاكم ، وتعيــين من يزاولها ، فضاقت به الارض بما رحبت ، فلم ينشب ان فارق تلك المدرسة

فى هوارة

اخبرنى مخبران صاحب الترجمة كان ارتطم فى قضية مالية هى التى كانت السبب حتى التحق بـ (هوارة) فشارط هناك مــا شاء الله الى ان لحقه اجـــله

متوفـاه

توفى سنة 1355 ه. كما أخبر به أناس ، وليس عندى تحقيق اليوم ، بل ولا الشهر ، وربما كانت السنة ايضا فى شك لولا انه اخبرنى بهــا اثنـــــان

مداركه

كان طالبا نجيبا ، جيد العربية ، مشاركا فى الفنون ، ذا قوة فى الاخذ والرد ، وقد التقح بالنظرة الادبية من (الغ) فيبض قلمه ببعض ابيات لطيفة ، وقد وقفت له على هذه الرسالة ، قال فيها بعد اوائلها

اما بعد ،

احبــة قلبى انتم كيف كنــتـم — وصلتم او ان كنتم على ذوى قلى
فمن كان يشكوا لبرد وسط فؤاده — فان فؤادى من تشوقــكم غـــلى

سواء على ارضيت عما كنت كتبته ، أم بهرجت ما كنت رتبته ، فانى لم اعد ما رايته حقا ، ورايته اثبت وابقى ، فان تعتب على قرب عتب كان عن ظلم ،

أو تعلن على الحرب بمجاوبتك فكم حرب تبعها سلم ، فانى عنك لا اتحول ، ولا اتزلزل :

احباى انتم احسن الدهر ام اسا فكونوا كما شيتم انا ذلك الخل

وستتلاقى فتعلم ما تحتك افرس أم حمار ، يوم ينكشف فى المباحثة الغبار ، (وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ، والسلام)

هذا هو الاثر الوحيد الذى وجدته له ، ويظهر منه انه ممن يميل الى الادب الالغى ، ولم يكن فيه من المتمكنين ، وان كان فيه من التابعين المقتدين، وهذا التكلف الذى فى هذا الاثر يوضح انه لم يزل فى اول الترسل ، والا لكان كلامه ككلام الذين كرعوا من بين ايدى الالغيين وهذا الاثر منه وهو فى اخريات ايامه فى (تيزنيت)

سبب اتصالى بخبره

لم أكن قط سمعت به ، حتى اننا جمعنا من كانوا تخرجوا من المدرسة (الالغية) ولم يكن احد ممن اراهم تنبهوا له ، حتى وقفت بين اوراق من بقايا ما كان تحت يد سيدى البشير بن الطيب رحمه الله ، ولا اخال ان المكتوب بخطه ، ونص ما وجدته .

(انشدنى سيدى محمد المارسى يوما قول الشاعر

يقولون خبرنا فانت امينها وما انا ان خبرتهم بأمين

وانشدنى ايضا لبعض الشعراء

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر

فكأنما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر)

هذا ما كنت وجدته ، وقد كنت حفظت هذه المنشدات قبل ، والرائيان هما للصاحب ابن عباد ، فتعجبت من محمد المارسى هذا ؟ حتى اخبرنى سيدى موسى به ، ثم تتبعت البحث حتى عرفت عنه ما بين يدى القارئ والحمد لله

محمد بن احمد العينى الخياطى التازاروالتى

نحو 1306 هـ. – 1346 هـ.

نسبه

محمد بن احمد بن محمد بن محمد الخياطى ، وهـو من تلك الاسرة العينية المسكدادية ويوجد فى (الجزء الثالث عشر) كل رجالات اسرته ، ومن بينهم والده الاستاذ سيدى احمد الخياطى

متعلمه

اخذ عن والده شيئا ، ثم رابط ما شاء الله فى المدرسة (الالغية) ومن هناك تخرج وتثقف ثقافة ادبية حسنة ، ولم اعلم عنه الآن غير هذا فى هذا الطور ، وانما حكمت بأنه اخذ عن والده ، لكون والده ربما تعاطى التعليم الابتدائى فى (ايليغ) وقد رأينا سيدى على بن محمد الرئيس الايليغى من الآخذين عنه

بعض اخباره

اقترن المترجم بسيدة من (آل باكريم) البعمرانيين ولا أدرى اتقدمت له امرأة سواها أولا ، ولذلك جلا على بلده الى تلك الجهة ، حيث يسكن ، ولم تزل اسرته منذ انطوت البسط فى (ايليغ) متعثر الجد ، سيىء البخت ، وسيجد القارئى فى ترجمة احمد والد سيدى محمد هذا ما يعلن عن ذلك فللفحت المترجم لفحات محرقة من تلك الرمضاء

بعض آثاره

قرأت فى كناشة لجده ، ثم لابيه بخطه المفيد ما يأتى ، وهى رسالة منه الى والده .

(والدى الارضى ، وبدرى الاوضى ، ابو العباس الفقيه العالم العلامة ، والقدوة الفهامة ، سيدى احمد بن محمد الخياط العينى لطف الله بنا وبكم وبالمسلمين اجمعين ، ونسأله واياكم السلامة والعافية فى الدارين ، السلام التام والرحمة والبركة على سيادتكم التامة ، ومرتبتكم السامية ، هذا فلا بأس ، وقانا الله واياكم من الانتكاس ، ثم ان استشرفت بالسؤال ، عن كنه الاحوال ، فنحن بخير وعلى خير ، لا ما يشوش البال ، ولا ما يزعج الخاطر ، سوى ما صب ربنا جل جلاله على عباده ، من سوط عذابه ، وعاقبهم به من سورة الجدب والجوع الشديد (ان ربك لبا لمرصاد) لزيغهم عن طريق السداد والرشاد ، وما ابدوه من التعاكس وكثرة الفساد ، من الشقاق والعناد ، حتى هلكت الاسباد والالباد ، وأودى الحرث والنسل من المفسدين (والله لا يحب المفسدين) وانا لله وانا اليه راجعون وبالجملة ليكن فى علمك ان ما يقع بأيدينا من الزيت ، الذى جاد به علينا معطلا ابن كيت (يعنى عبدا من عبيد رؤساء (ايليغ) كما يظهر) قد فنى جميعه فى المصاريف الشاقة ، والنوائب الصعبة الكثيرة ، التى لا تعد كثرة ، ولا تحصى عدة ، وكذا خضرة اللفت قد كملت ، ولم يبق فى الحقول منها شىء الا الجزر ، غير انه لما يدرك ابانه ، والى الآن لم يمنعنا منه الا ان الناس لم يشرعوا فى حفره ، وان كان او انه قريبا لبد والصلاح فيه ، تركناه لذلك جبرا للخواطر ، فبقينا نتكفف الناس ، ونسأل منهم الخضرة وغيرها اليوم على اليوم ، يوما عند هذا ، ويوما عند ذلك ، حتى ملوا ولا يمل الله

ولو سئل الناس التراب لا وشكوا اذا قيل هاتوا ان يملوا ويمنعوا

فلما اعيانا التطلب منهم ، وزافت مراءى وجوهنا من ذل سؤالنا اياهم ، قعدنا سائلين الله الكريم ، متضرعين الى الذى بيده ارزاق خلقه ، ان يسهل اسباب رزقه ، وان يفتح لنا ابواب رحمته ، وقد بلغ السيل الزبى . وعدا سيف الجوع متن الودج ، الا اذا رحمنا الله ، فقد تقطعت بنا الحبال ، وانحسمت عنا مواد الافضال ، وانسدت دوننا ابواب الحيل ، فلا بلاغ اليوم الا بالتى واللتيا ، والحاصل اذا عملت لحساب الذرية فابعث اليهم بالفكاك ، قبل الهلاك ، فهم فى معرض الضياع ، وعلى شفا التلف ، لكونهم ماكثين أياما وليالى لا يذوقون فيها ذواقا من دقيق الشعير ، الا النزر اليسير ، من البروك (أين عجم الخروب) اذا جاد به علينا (معطلا بن كيت) واما اذا لميجد بشىء فانهم يبيتون بلا شىء ، ويا لها من مصيبة ، وقد علمت من حالنا ما لا يعلمه غيرك ، من كوننا قليلى الحيل ، ضعيفى الصحة والمال ، كالضفاضع بين الخلق ، بل هى اقوى منا ، ولا قدرة أصلا بنا ، ونحن فى غمار الذين ذكرهم الله عز من قائل بقوله (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم)

انتهى ما وجدنا من مبيضة هذه الرسالة الفذة ، فانها تبرهن عما يلاقيه هذا البائس المنكود من الزمن ، ولعمرى انه لولا التفريط الذى يعدم امثال هذه الرسائل لامكن لمثلى من المؤرخين ان يزينوا التراجم الساسيين بما يلذ ويستطاب ، فقد ظهرت نفسية الكاتب جلية كما هى ، كما برزت مقدرته فى التعبير ، حتى انه من شدة ما يلح عليه حين يكتب الرسالة من الهم بل ومن الشغب المحض ، كما يظهر ، لينسى السجع احيانا ، مع أن السجع عند طبقته هو الحجر الاساسى فى البلاغة ، فجاء هذا النسيان مستلطفا شهيا ، كما أنه دال على ان الكاتب يقدر ان يكون من المترسلين المطلقين لو سامحته بيئته ، ونشكر له غيبيا اعتناءه بهذا الاثر ، حتى قيده أولا فى ذلك الكناش ، فكان خير صوان له ، حتى توصلنا به ، وليس مقصودى ان هذه الرسالة فذة بالغة الذروة ، واما قصدى انها مثال حى لطيف لكاتبها ، وذلك يكفى المؤرخ مثلى

ومن آثاره ايضا هذه الابيات قالها فى (ايليغ) انقلها من ذلك الكناش نفسه وهاك ما كتبه قبلها.

قلت فى يوم السبت الخامس من ذى القعدة الحرام عام 1337 هـ. ابياتا مدحا لمدينة (ايليغ) حرسها الله ، وعمرها بانواع الفضائل ، ومتعها بالارزاق الواسعة الجزيلة ، والهناء المتسع ، ما أظلت الخضراء على الغبراء ، بجاه ذى السنة الغراء ، صلى الله عليه وسلم » :

(ايليغ) ارض خيرها واسع — وفضلها ليس له دافع
يا من يسوى ما سواها بها — هل يستوى المعتر والقانع
حصباء هادر ، وتربتها — مسك ، وان عرفها ساطع
ونبتها الريحان يشذى بها — من حلها فى راحة هاجع
رب غفور بلد طيب — بمائه وروضه يانع
ذات الظلال والمياه التى — معينها من كوثر نابع

وقد وقفت له ايضا على عينتيه وازن بها قول السهيلى المشهور فى عينيته الاستغاثية يتوسل فيها بالشيخ سيدى احمد بن موسى ، غير انها ليست هناك ، وقد استعان فيها بكثير من قوافى تلك العينية ، بل ببعض اشطارها على غير قصد التضمين المباح

***

تلك آثار الاديب سيدى محمد بن احمد الخياطى الذى كان يقطن فى (بعمرانة) ولا ندرى ما صنع الله به هناك فى معيشته ، وقد كان زاول حينا القضاء فى (ايليغ) شاغلا لمنصب ابيه وجده ، وقد وقفت له على محرر حكم اصدره فى قضية عسى ان يجده القارئى فى (المجموعة الفقهية) وله خط

جيد يرمى الى البراعة ، مع ان خط والده وجده تقتحمهما العين ، وقد رايت بخطه ان ميمونا الهروى قال لما وقف على ان ابن رشد فضل الهيللة عـــلى الحمدلة يخاطب ابن رشد

اعـد نظرا فيما كتبـت ولا تكـن بـغـير سهـام للنضـال مسارعـا
فحظـك تسليـم الـعـلوم لاهلهـا وحسبك منهـا ان تكـون متابـعـا

فاجابه ابن رشد

رويـدك مـا نبهـت منى نـائمـا فدونك فاسمعها اذا كنت سامعـا
اخلت ابن رشـد كالذيـن عهدتهم ومن دونه تلـقى الهـزبر المدافعـا
فلو كنت سلمت العلوم لاهلهـــا لمـا كنـت فيمـا تدعـيـه منازعـا
فان ضمنـا عند التنـاظر مجلـس سقينـاك فيها السم لا شك ناقعـا

(وبعد) فاننى اجد لحنا قليلا جدا فى آثار المترجم ، وهو اقل لحنا جدا من ابيه ، وابوه اقل لحنا من جده ، وفوق كل ذى علم عليم .

انتهى (الجزء العاشر) من (المعسول)

ويليه ان شاء الله (الجزء الحادي عشر)

الفهارس ستة



الفهرس الاول في المترجمين الذين تاسس عليهم الجزء

(وفيه زيادة رجال على من ذكروا في أول الجزء)

الفهرس الثاني فى كل ما احتوى عليه الجـزء معنونا او غير معنون

الفهرس الثالث في القوافي

فيكتفي بالشطر الاول من المطلع ان صرع. وإلا تزد كلمة القافية من الشطر الثاني

الهمزة

الباء

التـاء

الجيـم

الحـاء

الـدال

الـــراء

الزاي

السين

الضاد

السلام

الكاف

الميم

النون

الهاء

الياء

الرجز

الفهرس الرابع في المنثورات

من الرسائل وامثالها من المقيدات

الفهرس الخامس في الاسر

الفهرس السادس في الخطأ المطبعي

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
9	9	من شيخه	من شيخة
9	15	الجزء...	الجزء التاسع
14	11	ازهاره	ازهار
16	4 في الحاشية	وما اقام	ومن اقام
16	13 ايضا	الفاقر	المفاقر
30	2	وحال	وجال
32	27	ويرزخ	وبرزخ
32	2	لتكشف	لتكسب
32	17	ريحجره	وبحجره
35	8	ادا محود	إيداو محمود
35	11	اولاد سيدي علي بن يوسف	اولاد سيدي عثمان بن محمدبن محمد بن الشيخ ابن ناصر
35	23	وهواره	عن هوارة
37	19	بفضي	يقضي
37 السطر	29	يسقط كله . لانه زيد غلطا ، وهو ثم رثاه العلامة — الى — بقوله	
39	3	حي 1380 هـ	توفي شعبان 1381هـ
39	15	هناك القرشي من اولاد سيدي الحسين بن ناصر عليه قبة في اولوز. وهو غير القرشي بن الحسن	
40	6	بشاربه	شاربه
40	6	او شهور	او شهورا
41	28	في مصيبة	في مصيته
46	37	نسبل	سبل
50	1	وبكل	وكل
52	3	ما بين	مما بين
53	7	مبتهجا	متبجسا
53	18	واحييت	واحيت

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
54	27	نخبة *ال ناصر شهب السما الصواب طراز بغيرك لن يحسنا	
54	29	تسما	تسنما
55	7	البشير الماذني	البشير الناصري
60	28	والنشيرة	والنشيرة
65	15	به	بها
68	13	نحي	تحيي
73	3	فلا زلت	فلا زلت
74	5 في الحاشية	الجما	الجمأ
77	30	لم تحصر	لم تحضر
78	33	أظن	أضن
84	3	نحو 139 هـ	نحو 1295 هـ
88	21	في الطرقة	في الطريقة
89	23	معا شامن	معا من
89	24	وسليل	وسلول
97	1	فلسانه	بلسانه
99	28	الخازي	الخازن
102	9	كما قوله	كما قاله
113	24	بذا الاوائل	بذ الاوائل
116	1 في الحاشية	مفردة	مفردة
122	1	لو وفق	لو وقف
123	9	لا يخشى	لا يختشى
123	15	لا يخشى	لا يختشى
124	14	الجديا	الجدبا
124	27	التي	الفتى
128		في الشطر الاول من الحاشية : هذا بيت قديم. رواها الخ	
اصلاحه		هذا بيت قديم من قطعة رواها الخ	
129	4 في الحاشية	القدم	الفدم
131	16	ونشاري	ونشاوي
133	5 في الحاشية	شديد السواد	شديدة السواد
133	8	الفقه وتلفيقا	الفقه تلفيقا

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
139	8	يتلمصون	يتملصون
149	-19-	والفقيه ابن طيب	الفقيه ابرهيم بن الطيب
149	23	التاكاتي	التاكاتي
150	30	ما كتبته	بين ما كتبته
150	25	عن هذا	من هذا
153	17	بهنداني	بهندواني
158	30	وليس بالاخصاص	بالاخصاصي
160	10	(ادوكاوير)	(دوكادير)
161	27	وكهو	وكهول
168	27	والالفتات	والالفات
168	28	بقدرة	بقدر
174	14	الاكيسر	الاكسير
181	13	مسجد	مسجده
182	20	عبد القار	عبد القادر
185	28	السابع والثلاثون	الثامن والثلاثون
192	5	الى ذلك	الى ذاك
197	10	انخنت	أنخت
197	18	ذلك	ذاك
200	20	صمد	صمدى
201	6	شكره	شطره
201	15	عند	عنه
206	4	(١)	زيد غلطا
210	17	ذلخ	ذلك
210	23	أي يفضل	ان يفصل
211	6	الثاني والستون	الثالث والستون
211	10	الثالث	الرابع...
216	7	عشكول	عثكول
216	8	عنقد	عنقود
216	8	وزجع	وزجج
217	2	بضر	بض

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
جمعه	جهة	6 في الحاشية	217
نشيدا	نشدا	10	219
بعثرت	بعرة	11	219
تجشمه	تشجشمه	9	224
كنت	كن	7	255
مما هو	ممن هو	10	228
محمد	بجمد	1	203
احمد	اخمد	20	230
دلوك	دلك	25	235
بالصفح	بالصفخ	3	238
الثاني	لثاني	5	242
مخزنيين	مخزيين	12	243
الكنسوسي	الكنوسي	4	243
ويضع	وضمر	6	244
من ترجمة	من ترجمر	3	246
الأستاذ	لاستاد	4	246
تدخل	تداخل	15	246
المتسامرين	المتساميرين	19	246
أنه	ان	25	246
الصوفي	اصابى	16	248
(به) زائد	(به) فهو	16	249
قربه	مربه	17	249
مصابه	مصاحبه	3	250
العقيقة	العفيفة	25	251
(السطر السادس والعشرون تكرر مع ما قبله)			251
بوعنفير	بوعنبير	32	251
يحب	يجب	22	252
(الداخلية)	الداخلة	29	261
1952 م	1952 هـ	28	262
الثورة	الثروة	30	266

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
266	(السطر الثاني والعشرون تكرر مع ما قبله		
268	11	منى يبدو	متى يبدو
269	(السطر الاول تكرر مع ما قبله)		
271	3	1384 هـ	1324 هـ — حي
272	23	ان يكثر	ان تكثر
277	28	نسبة	نسبه
283	17	متعشر	متعشرة
283	18	سيىء	سيئة
284	29	اين عجم	اي عجم
285	11	وأما	وانما



طبع
بمطبعة الشمال الافريقي
الرباط
م عام 1380 هـ = الموافق سنة 1961